جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلميّ

جامعةُ بابلَ/ كلّيّة العلوم الإسلاميّة

قسم: عُلُوم القرآن/ الدراسات العليا

أَثَرَ القَوَاعِدِ الخاصّةِ بالتّفْسيرِ المَوْضُوعِيّ في فَهْمِ المَقَاصِدِ القُرْآنيّةِ
(دِرَاسَةٌ تَحْلِيليّةٌ)

أُطروحةٌ قدَّمها الطالبُ

(إحسان جودة كاظم البيرمانِيّ)

إلى مجلسِ كُلّيّة العُلُوم الإسلاميّة في جامعةِ بابلَ

وهي جزء من متطلّبات

نيل شهادة الدُّكْتوراه في عُلُومِ القُرآن والتَّفسْير

بإشرافِ

الأُستاذ الدُّكتور: حكمت عبيد حسين الخَفَاجِيّ

شوال ١٤٤٣هـ **أيار ٢٠٢٢م**

The Republic of Iraq

Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Babylon/ College of Islamic Sciences

Department: Quranic Sciences/ Postgraduate Studies

The effect of the rules of objective interpretation in understanding the Qur'anic objectives

An analytical study

Thesis submitted by the student

Ehsan Gouda Kazem Al Bermani

To the Council of the College of Islamic Sciences at the University of Babylon

It is part of the requirements

Obtaining a doctorate degree in the sciences of the Qur'an and exegesis

Supervised by

Professor: Hikmat Obaid Hussein Al-Khafaji

١٤٤٣ AH ٢٠٢٢ AD

بسم الله الرحمن الرحيم
﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ
وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ { النحل: ٨٩ }
صدق الله العلي العظيم

الإهداء

أهدي هذا الجهد إلى مَنْ قال الله ﷻ فيهما:

﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾

- إلى مَنْ شرفني بحمل اسمه والدي رحمه الله تعالى.
- إلى مَنْ جَادَ بالغالي والنفيس فقضى قبل أن يَرمَق عائِد غرسه.
- إلى سائِغة اللَّبن فما جاوَزَ لبنها يوماً نَشِيَ المصالح.
- إلى مَنْ أثقلت الجفون سهرًا وجاهدت الأيام صبرًا.
- إلى مَنْ افتقد حرارة تصفيقها فرحاً بإنجازي في هذه اللحظة، ولا افتقد دعواتها التي شغلت البال فكرًا، ورفعت الأيادي دعاءً وأيقنت بالله أملاً.
- أمي مِنْ مُفتَقِدة الإيناس إلى ساكنة الأنفاس.
- مِنّي إليهِما رحمهما الله تعالى.
- أُهدي هذا العمل راجياً من الله تعالى القبول

الباحث

شكر وعرفان

أشكر الله تعالى على ما أولاني من نعمة على أكمل أطروحتي لولا ان تداركني الله بفضله ومنته فله شكري وحمدي وثنائي الدائم سائلاً إياه ﷻ أن يتقبل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله لنا ولوالدينا وأهلينا ضياءً ونوراً في ظلمات القبر، وكرامةً وحبوراً في يوم نلقاه، إنه وليّ ذلك.

وأول من له الأيادي البيضاء التي تحتم عليّ شكره والعرفان له بذلك أستاذي المشرف على الأطروحة الأستاذ الدكتور: حكمت عبيد حسين الخفاجي، الذي تَحمل معِي كُلَّ شاردة، وَوارِدَة فِي إِعداد هَذا البحث، وإِذا خمدتْ نَارُ جَهدي أَجّجها بِقبس إرشاداته وتوجيهاته القيّمة، فَكانت المفزَع الأَول عند التباس الأُمور، وطالما أَتحفني بتواضعه الكبير، وَخلقه الرفيع في مدَّة إِشرافه، فله منّي كلُّ الامتنان وَالاعتزاز، وَأَدعو مِن العليِّ القديرِ أَنْ يَمنَّ عليه من خير الدارين.

وَأُقدم الشكر الوفير، والامتنان الكبير إلى عمادة كلية العلوم الإسلامية في جامعة بابل، وإلى رئاسة قسم علوم القرآن فيها.

وبامتنان صادق لا حدود له، أضمه بين جوانحي ما حييت وهو بعض من الوفاء لأساتذتي الكرام الذين أنعموا عليّ منذ مرحلة الماجستير من الدراسة حتى آخر شوط من هذا البحث، بالغزير من الرأي السديد والتوجيه العلمي الرصين، ولقد كان لهم الفضل الذي لا تحتويه كلمات الشكر ولا تحصيه سطور العرفان، الذين أرحبوا لي صدورهم، فوهبوني ما اختزنته عقولهم، وكان ذلك هو الدافع والحافز لنيل الطموح لما قدّموه لي من العون والإرشاد السديدين.

وَآخرُ دعوانا أَن الحمد للهِ رَبِّ العَالمين، وَصلَّى اللهُ على سيدنا محمد، وَعَلَى آلِه الطيبين الطاهرين

الباحث

فهرسة الموضوعات

الموضـــــوع	رقم الصحيفة
الآية	أ
الإهداء	ب
الشكر والامتنان	ت
فهرس المحتويات	ج - ذ
المقدمة	١ - ٦
التمهيد: الإطار العام للتفسير والتفسير الموضوعيّ وقواعده بشكل خاص	٧ - ٥٠
المطلب الأول: حركة التفسير في إطارها العام	٨-٢٨
المحورالأول: مرحلة التأسيس	٨ - ١٦
المحور الثاني: مرحلة التأصيل	١٦ - ٢٠
المحورالثالث: مرحلة التفريع	٢٠ - ٢٤
المحور الرابع: مرحلة التجديد	٢٤ - ٢٨
المطلب الثاني: نظرة موجزة في مسيرة التفسير الموضوعيّ وقواعده.	٢٨ - ٥٠
المحور الأول: نظرة موجزة في مسيرة التفسير الموضوعيّ	٢٨ - ٤١
أولاً: النشأة والمنهج	٢٨ - ٣٤
ثانياً: طريقة البحث في التفسير الموضوعيّ	٣٤ - ٣٦
ثالثاً: أهمية منهج الدراسة في التفسير الموضوعيّ	٣٦ - ٣٨
رابعاً: المشكلات التي يمكن ان تكتنف التفسير الموضوعيّ	٣٨ - ٤١
المحورالثاني: أنواع التفسير الموضوعيّ	٤١ - ٥٠
أولاً: أسباب ظهور التفسير الموضوعي وأهدافه	٤٣ - ٤٤
استخلاص أهم الأسباب التي أدت الى ظهور هذا النوع من التفسير	٤٤-٤٧
ثانياً: التفسير الموضوعي والتوظيف الهادف للنصّ القرآنيّ	٤٧ - ٥٠
الفصل الأول **القواعدُ التفسيريّة**	٤٢-١٣٢

الموضـــــوع	رقم الصحيفة
المبحث الأول: القواعد الخاصة بالتفسير عموماً	٥٢ ـ ١٠٦
المطلب الأول: القواعد المتفق عليها	٥٢ـ ٩٢
القاعدة التفسيرية في اللغة والاصطلاح	٥٢ـ ٥٥
أولاً: المنع من اتخاذ الإسرائيليات في التفسير	٥٥ـ ٦٢
ثانياً:الارتباط بين أجزاء القرآن	٦٢ ـ٦٧
ثالثاً: تأثير أهداف القرآن والسور والآيات على التفسير لنزول القرآن أهداف كثيرة منها. الهدف النهائي. الأهداف العامة للسورة (سورة الاسراء) مثالًا	٦٧ـ ٧٢
رابعاً : جامعيّة المفسّر للشروط	٧٣ـ ٧٧
خامساً: التوقي من التفسير بالرأي	٦٩ ـ٨٤
القائلين بنفي جواز التفسير بالرأي	٧٨ـ ٨٠
المجيزون للتفسير بالراي	٨٠ـ ٨٤
سادساً: الالتفات الى ظاهر الآيات وباطنها وتجنب الفهم الذوقي والشخصي للقرآن	٨٤ـ ٨٩
سابعاً: اتخاذ المنهج الصحيح في استعمال المصادر والقرائن والوثائق	٨٩ ـ٩٢
المطلب الثاني: القواعد المختلف فيها	٩٢ـ ١٠٦
أولا: السياق	٩٢ـ٩٥
الغرض الأساس من السياق وأهميته	٩٤ ـ٩٥
ثانياً: الجري والانطباق.	٩٥ـ ٩٨
ثالثاً: أن لا يكون التفسير مخالفا للقطع العقليّ.	٩٨ ـ١٠٠
رابعاً: نفي تعارض التفسير مع سنة عقلية.	١٠٠ـ ١٠٢
خامساً:لا يجوز تفسير القرآن بالنظرية العلمية(التجربه)بل بالحقيقة العلمية الثابته	١٠٢ ـ١٠٦
المبحث الثاني: القواعد المشتركة بين التفسير وعلوم القرآن	١٠٧ ـ١٣٢
المطلب الأول: النسخ	١٠٩ ـ ١١٣
المطلب الثاني: إرجاع المتشابهات الى المحكمات.	١١٣ـ ١١٧
المطلب الثالث: أسباب النزول.	١١٧ـ ١
١- لزوم مراعاة شأن وسبب النزول في فهم الآيات وتفسيرها.	١١٧ـ١٢٣
٢- سبب وشأن النزول لا يوجب حصر معنى الآية في موردها	١٢٣ـ١٢٥

٣- معرفة ثقافة المعاصرين للنزول في فَهْمِ القرآن الكريم وتفسيره.	١٢٥-١٢٨
٤- زمان النزول ومكانه في تفسير القرآن الكريم	١٢٨-١٣٠
المطلب الرابع: الآيات القرآنية بألفاظها ومعانيها من الله تعالى.	١٣٠-١٣٢
الفصل الثاني **تجلّي التفسير الموضوعيّ في بيان المقاصد القرآنيّة وفَهْمِها**	١٣٣ -١٩٦
المبحث الأول: المقاصد القرآنية وعلاقتها بالتفسير	١٣٤ -١٦٥
المطلب الاول: مفهوم التفسير المقاصديّ مشروعيته وضوابطه	١٣٤ -١٤٣
أولاً: المقاصد لغة واصطلاحاً	١٣٤ -١٣٧
ثانياً: ضوابط عمل المقاصد في التفسير	١٣٧ -١٤٠
ثالثاً: مشروعيته	١٤٠ -١٤٣
المطلب الثاني: الفرق بين مقاصد القرآن ومقاصد الشريعة	١٤٣ -١٤٩
المطلب الثالث: معياريّة المقاصد في بيان النصّ القرآنيّ	١٤٩ -١٦٠
المطلب الرابع: التقسيمُ المقاصديُّ للقرآن الكريم	١٦٠ -١
أولاً: المقاصد العامة	١٦١ -١٦٣
ثانياً: مقاصد القرآن الخاصة	١٦٣ -١٦٤
ثالثاً: المقاصد الجزئية	١٦٤ -١٦٥
المبحث الثاني: نافذة التفسير الموضوعيَ على مقاصد القرآن وعُلُومه	١٦٦-
المطلب الأول: مقاصد القرآن عند القُدَاماء والمُحْدَثِينَ	١٦٧ -١٨٣
المطلب الثاني: علاقة التفسير الموضوعيّ بالتفسير المقاصديّ	١٨٤ -١٩٦
أولاً: في فهم الآيات القرآنية وبيانها	١٨٧ -١٨٩
ثانياً: الامتثال لأوامر الله تعالى	١٨٩ -١٩١
ثالثاً: استبعاد مالا فائدة فيه	١٩١ -١٩٣
رابعاً: الترجيح في اقوال المفسرين	١٩٣ -١٩٦
الفصل الثالث **البيان المنهجيّ لقواعد التفسير الموضوعيّ**	١٩٧ -٢٥٩
المبحث الأول: القاعدة القرآنية وقواعد التفسير الموضوعيّ	١٩٨ -٢٢٤
المطلب الأول: الفرق بين الأصل والمبنى والقاعدة والضابطة	١٩٨ -٢٠٥
المطلب الثاني: التعريف بالقاعدة القُرْآنيّةُ	٢٠٥ -٢٠٨
المطلب الثالث: التعريف بقواعد التفسير الموضوعيّ.	٢٠٨ -٢١٨

القواعد الخاصة بالتفسير الموضوعيّ	٢١٠- ٢١٧
موارد استمداد قواعد التفسير	٢١٧ - ٢١٨
المطلب الرابع : العلاقة بين التفسير ومبنى المفِسّر.	٢١٨- ٢٢١
المطلب الخامس: الرؤى المميزة للبحث في منهج التفسير الموضوعيّ	٢٢١- ٢٢٤
المبحث الثاني: التفسير الموضوعيّ في الميزان العلميّ.	٢٢٥-٢٥٩
المطلب الأول: مفهوم التفسير الموضوعيّ عند المتقدّمينَ والمتأخّرينَ.	٢٢٦-٢٤١
أولاً: السابقة التاريخية للتفسير الموضوعيّ	٢٢٦- ٢٣٠
ثانياً: نظرة موجزه في مسيرة التفسير الموضوعيّ عند المتأخرين	٢٣٠- ٢٤١
المطلب الثاني: التفسير المَوْضعيّ والمَوْضُوعيّ والفرق بينهما	٢٤١- ٢٤٧
الفرق بين التفسير الموضعيّ والموضوعيّ	٢٤٥- ٢٤٧
المطلب الثالث: منزلة التفسير الموضوعي	٢٤٧- ٢٥٠
المطلب الرابع: الخطوات المرحلية للتفسير الموضوعيّ على مستوى القرآن الكريم	٢٥٠- ٢٥٩
أولًا: منهج البحث في موضوع (مصطلح) من خلال القرآن الكريم	٢٥١- ٢٥٤
الأمور التي يجب على الباحث إمعان النظر فيها	٢٥٤
ثانيًا: منهج البحث في التفسير الموضوعيّ لسورة واحدة	٢٥٤- ٢٥٩
خطوات تفسير السورة الواحدة في القرآن الكريم موضوعيًا	٢٥٦- ٢٥٩
الفصل الرابع **قواعد التفسير الموضوعيّ وبيانها لمقاصد القرآن** الكريم	٢٦٠- ٢٩٤
المبحث الأول: ما يختص بوحدة الموضوع من عدمها.	٢٦١-٢٨٠
المطلب الأول: أوليّة الظهور للوحدة الموضوعية	٢٦١- ٢٦٤
المطلب الثاني: صلة التفسير الموضوعي بالمقاصد القرآنية ومَزِيَّة مراعاتها	٢٦٤- ٢٧٠
المطلب الثالث: من دعائم الموضوع الواحد في القرآن.	٢٧٠- ٢٧٤
المطلب الرابع: المقاصد القرآنية في ضوء البيان الموضوعي للآيات القرآنية.	٢٧٤- ٢٨٠
المبحث الثاني: أثر قواعد التفسير الموضوعي الاصلية والتوافقية، ومنزلتها في كشف المقاصد للموضوع القرآني.	٢٨١- ٢٩٤
الفصل الخامس الدراسة التطبيقية	٢٩٥- ٣٤٢
المبحث الأول: اتحاد الموضوع في السورة الواحدة كسورة الإخلاص.	٢٩٨- ٣١٩
اولاً: اسم السورة	٢٩٩- ٣٠٠

ثانياً: فضلها	٣٠٠- ٣٠١
ثالثاً: سبب نزولها – مناسبتها	٣٠١
رابعاً: مكيتها او مدنيتها	٣٠١
خامساً: مقاصدها أو أغراضها	٣٠٢- ٣٠٣
سادساً: البيان التحليليّ لسورة التوحيد	٣٠٣- ٣٠٥
سابعاً: علاقة السورة مع غيرها من السور	٣٠٥- ٣٠٨
ثامناً: البيان الموضوعيّ للسورة	٣٠٨- ٣٠٩
تاسعاً: المقصد الأساس للسورة والمحور الذي تدور حوله.	٣٠٩- ٣١٠
عاشرًا: الرد بهذه السورة على خرافة التثليث ونفي الزوجه والابن عن الذات الإلهية.	٣١٠- ٣١١
أحد عشر: معالجة السورة لمشكلات الإنسان المعاصر	٣١١- ٣١٩
المبحث الثاني: التفسير الموضوعيّ للموضوع أو المصطلح القرآنيّ.	٣٢١-٣٤٢
أولاً: مصطلح التقوى: لغةً واصطلاحاً.	٣٢١- ٣٢٣
ثانياً: الجمع الموضوعيّ (للتقوى).	٣٢٣- ٣٣٠
ثالثاً: البيان العام لمصطلح التقوى	٣٣٠- ٣٣١
رابعاً:البيان المقاصد لمصطلح التقوى والأهمية	٣٣١- ٣٣٦
خامساً: إثر التقوى في الواقع المعاصر	٣٣٦- ٣٤٢
الخاتمة والنتائج	٣٤٣- ٣٤٦
المصادر والمراجع	٣٤٧- ٣٨٦
ملخّص الأطروحة باللغةِ الإنجليزية	A-B

الفَصْلُ الأَوَّلُ: المبحث الثاني

القواعد المشتركة بين التفسير وعلوم القرآن

الفَصْلُ الثاني: المبحثُ الثاني

نافذة التفسير الموضوعيَ على مقاصد القرآن وعُلُومه

الفَصْلُ الثالث: المبحثُ الثاني

التفسير الموضوعيّ في الميزان العلميّ

الفصل الرابع المبحثُ الثاني

القواعد الاصلية والتوافقية، ومنزلتها في كشف المقاصد للموضوع القرآني

الفَصْلُ الخامس: المبحثُ الثاني

التفسير الموضوعيّ للموضوع أو المصطلح القرآنيّ

مصادر الأطروحة ومراجعها

خاتمةُ الأطروحة ونتائجُها

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرحيمِ

المُقدّمة

الحمدُ للهِ الذي توحّد بالوحدانية وتفرّد بالإلهية، وشرّع شريعةً شملتْ أسنى المقاصد وأليقها وأنفعها وأرقاها، إذ استقتْ من كتاب الله فكان ينبوعها، فهو أصّل أصولها، وجعل فيها قواعدَ محكمةً، ومقاصد كلِّيَّةً قطعيةً حافظت على الدين والنفس، وما فيه مصالح دنياهم وأُخراهم، باستقراء العقلاء أقصاهم وأدناهم.

لا جرَمَ أن أشرف العلوم وأرفعها منزلة؛ ما اتصل بكتاب الله بسبب، ودنا منه بقربى، ومن هنا كان بيان مقاصد كلام الله تعالى ، والكشفُ عن هِدَاياته، من أشرف العلوم وأرفعها ، وأسناها وأنفعها، فإنَّه مَعْقِدُ نجاةِ الخَلْقِ ، وسَبيل فلاحهم، إذ راح العلماء يَسْعَون كلًّا بحسبِ طاقته وقدرته، في الكشف عن أسراره الكامنة والمستترة خلف النصوص ، فتنوّعت المناهجُ والاتجاهات والأساليب في استجلائها، ومن تلك الأساليب **هي : توظيف قواعد التفسير الموضوعي؛ للكشف عن الأغراض التي اكتنفها النص القرآني**؛ فإن كان تبليغ النبي ﷺ للقرآن انتهى عصره ، فما زال عطاء الله تعالى وفيضه في القرآن مستمرًا وليس بممنوع.

نتيجة لذلك : التفّ حوله علماء (كلِّ) عصر يحاولون ارتشاف رحيقه ورياحينه، فيفتح الله تعالى عليهم بقدر، وكان لعلماءِ العصر الحديث إسهاماتٌ طيّبة، وجهودٌ مثمرة لا تُنْكرُ ، ولا سيما عند بزوغُ فجر مصطلح حديث في سماء المنظومة التفسيرية وهو: **(التفسيُر الموضوعيّ)**، ولا يعني ذلك أن جزءًا من آلياته لم تكن حاضرةً ، فنجد ممارساتٍ له تعود إلى عصر النبوّة الخالد، إلا أن تقييده مصطلحًا متعارفًا عليه بهذا الوصف، لم يظهر إلا في العصر الحديث ، وأصبح ظهوره يشكّل رافدًا ثريًا، إذ اكتسب في العقود الأخيرة منزلة ومكانةً مرموقتين ؛ بسبب معطياته العظيمة وآفاقه الجديدة ومواكبته لحاجات الإنسان المعاصرة ومتطلباته، وحلّ مشكلاته المتجدّدة .

فكتبتِ الرَّسائلُ العلمّيةُ من (الماجستير والدكتوراه) إذ اسْتقطب الكثير من الباحثين لسبب أو لآخر وأصبح التَفسير الموضوعيّ ظاهرةً بارزةً في مجال البحث، ومنذ ذلك الحين تنوّعت صور الإفادة من هذا الرافد الجديد.

وكانت لقواعد التَفسير الموضوعيّ– التي سار عليها المفسرون في استنباط الأسرار القرآنيّة، وتعرف الأحكام الشرعيّة من النصوص القرآنيّة التي تبنى عليها، وتظهر المصالح التي قصدها القرآن الكريم أثر مهم في الوقوف على أسرارِ كتاب الله تعالى – وحقائقه وألطافه المُعْجِزة، فقواعد التفسير الموضوعيّ على هذا، عدّت مجموعة من الأسس التي تبيّن للمفسر طرق استخراج مكامن هذا الكتاب الإلهي الحكيم وأسرارهِ ، واكتشافِ مراتب الحجج والأدلة من آياته، فهي تُعِينُ على فَهْم معانيه واستجلائها، وإدراك مقاصده، ليسير المفسر على منهاجها القويم في التفسير.

ثم من المعلوم أنّ كتاب الله تعالى، تتفاوت دَلالة آياته على المعاني وضوحًا وخفاءً، ولو كانت آياته تتساوى في إدراكها الأفهام، لخمدت الهِمَمُ وركدت، إذ يشملها الجهل لفقدان ما يحملها على الغوص والتفكير العميق، لكن الله تعالى جلَّت حكمتُهُ جعل كتابه الكريم تختلف فيه الأفهام والقرائح في إدراك أسراره واستظهار معانيه، فاحتيج إلى قواعد وأسس يتّكئُ عليها في تجْليَة مقاصد كتابه الحكيم؛ فلذلك جاءت قواعد التفسير بأنواعها وبتعدّد أقسامها ومنها: الموضوعي التي أضاءت للمفسّر طرق استخراج مقاصد آياته الكريمة وحكمها، ومعرفة أسرارها وعبرها.

وقد تزايد في واقعنا المعاصر الاهتمام بالمقاصد والالتفات إليها، على مستوى البحث والتأليف والتحقيق والتدوين والتدريس والتعليم والتوعية والتثقيف ، وكان كلّ ذلك للحاجة الماسّة)، والضرورة الملحة لعلم المقاصد على جميعِ الأصعدة، إذ وجب على العلماء والقامات العلمية، الإحاطة بهذا العلم ومعرفة محتوياته ومضامينه، وامتلاك أدواته وآلياته وضوابطه، بغية تطبيقه بوجه حسن، وبكيفية مرضية، تجلب للناس مصالحهم الحقيقية والشرعية، وتدرأ عنهم الفساد والهلاك، ونظرة إلى مكانة المقاصد في العصر الحالي ولا سيّما في معالجة كثير من نوازله وحوادثه، فتعاقب الباحثون وطلاب العلم على تناول موضوعها بالدرس والبحث والتأليف، سواء على مستوى البحوث والمؤلفات الخاصة، أو على مستوى بحوث الدراسات العليا ، أو المؤتمرات العلمية .

ولم نكن لنزيغ عن هذا الاتّجاه العام في واقعنا المعاصر فالإنسان ابن عصره، ويتأثر بأحواله وأوضاعه، فجاءت الفرصةُ سانحةً سامحةً كي أسهم بشيء يسَّرَهُ الله تعالى في هذا

الاهتمام والعناية بهذا الجانب مع استاذي المشرف (الأستاذ الدكتور: حكمت الخفاجيّ) ، فقد جعلت بحثي للدكتوراه بهذا الاتجاه :**(أثر الَقَواعد الخاصّة بالتفسير الموضوعيّ في فَهْمِ المَقَاصِد القرآنيّة دراسة تحليلية)** فجاءت هذه الدراسة لتقف على تلك المعالم المنهجية والقواعد والأسس التي اتَّكأ عليها التفسير الموضوعيّ للكشف عن المَقاصِدِ والأغراض القرآنية ، وبيان تلك المقاصد على نوازل العصر ومشكلاته في ضوء النصوص القرآنية.

ولا تزال الدراسات القرآنية اليوم، وإلى أن يشاء الله تعالى، تكشف عن دلالات ومعان جديدة، في هذا الكتاب العزيز، وكأن آلاف العلماء والدارسين لم يتعاقبوا على النظر فيه دراسة وتحقيقا، فهذه الدراسة البحثية تجمع بين الجانبينِ النظري والتطبيقي، فيتضمّن البحث في المجموع من مقدمة وتمهيد وخمسة فصول، والتي سأذكر منها العناوين الرئيسة للفصول فقط، وأترك بيان تفريعاتها إلى المحتوياتِ خشية الإطالة والفِرار من التكرار.

استظل التّمهيدُ بعنوان: (الإطار العام للتَّفْسير والتفسير الموضوعيّ وقواعده بشكلٍ خاصّ). ثم جاء الفصل الأول الذي انعقد على بيان: (القواعد التفسيرية). إذ جاء المبحث الأول فيه متقدماً في عدد الصفحات عن المبحث الثاني، وذلك لحاجة البحث لاكتمال الفكرة. وانعقد الفصل الثاني من البحث لبيان: (تجلّي التفسير الموضوعيّ في بيان المقاصد القرآنية وفَهْمِها). وأردفنا هذا بفصل ثالث:(البيان المنهجي لقواعد التفسير الموضوعيّ). أمَّا الفصل الرابع فكان عنوانهُ: (ظلال قواعد التفسير الموضوعي على مقاصد القرآن). جاء المبحث الثاني متأخرًا عن الأول في عدد صفحاته، كما ذكرناه دون تقسيمات لمطالب، لطبيعة الدراسة التي الزمتنا بذلك.وقد استقر الفصل الخامس على تبيان :(المسار التَّطبيقيّ في بيان أثر التفسير الموضوعي في المقاصد القرآنية). ثم خاتمة للبحث، وأخيراً: قائمة للمصادر والمراجع والتي رُتِّبت بحسب الترتيب الألف بائيّ؛ لسهولة الرجوع إليها.

ولا أدعي لنفسي أنّي ابتدأتُ من فراغ، فقد وجدت قاماتٍ علميّةً من أهل الشأن والاختصاص من كتب في موضوع المقاصد كتابات أفدت منها وقد اطّلعتُ على ما كتبه القُدماء في المقاصد كالإمام الجوينيّ (ت: ٤٧٨هـ) والغَزَالّي (ت: ٥٠٥هـ) والشاطبيّ(ت:٧٩٠هـ)، وما كتبه المُحْدَثُون كالطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ) وما كتبت من رسائل علمية في هذا الصدد، هذا إذا ما أضفنا لها الدراسات الموضوعية للقرآن الكريم.

❖ **أهمية البحث**

تتجلى أهميةُ البحث في ضوء الوقوف على المكانةِ المائزةُ لقواعد التفسير الموضوعيّ وأثرها في الكشف عن المقاصِدِ القرآنيّة، كذلك محاولةُ البحث التعرّف على الَفْهمِ المعاصر للقرآن الكريم عبر وعي مقاصد الخطاب الإلهيّ والكشف عن أهدافه، وذلك من خلال إحدى مناهج التفسير الحديثة التي سارت على هذا الَفْهم وترجمته على أرض الواقع، وهو منهج التفسير الموضوعيّ.

❖ **سبب اختيار البحث**

الرغبة في إدراك هذا الفنّ إدراكًا جيدًا، وإثراء مكتباتنا العلمية بكذا دراسات ولاسيما مع شحة الدّراسات في هذا اللون مِنَ الأبحاث، وأن ما كتب فيه لا يتناسب مع أهميته، فالمقاصد المستخلصة من النصّ القرآني هي الأساس الأول والمعّول عليه في إصلاح الأمة، ولهذا كان المسعى في أن يكون هذا الموضوع عنوانًا لأطروحتي، وعسى أنْ تلفتَ دراستنا هذه نظر الباحثين والدارسين من بعدي في الاقتراب لمثل هكذا دراسات وتشجيعاً وتحفيزاً للباحثين للبحث العلمي فيه.

❖ **الدراسات السابقة.**

لم أجد بحسب الاطلاع الاستقرائّي على (عنوان بحث) تناول الموضوع بالتأصيل لمثل هكذا دراسة: أثر القواعد الخاصة للتفسير الموضوعي، وأثرها في بيان المقاصد القرآنية دراسة تحليلية)، إنَّما كانت هنالك دراسات منفصلة، منها ما جاء خاصاً بالتفسير الموضوعي وقواعده التفسيرية، ومنها ما تفرد لدراسة المقاصد القرآنية في دراسات تفسيرية، وقد أوردت ذكرًا لبعض من تلك الدراسات وباختصارٍ في الفصل الثاني من المبحث الثاني في المطلب الأول.

❖ **فرضيّةُ الدّراِسةِ.**

هل التفسيرُ الموضوعيّ يعمل فعلاً على فصل الآية عما يحيط بها من قرائن وسياق تفهم فيه أم لا؟ وهل يُعدُّ التفسيرُ الموضوعيّ متقدّمًا على التجزيئيّ؟ كذلك هل كانت ملاح القواعد التفسيرية في بيان المقاصِدِ القرآنيّة واضحة عند المتقدمين؟ وهَلْ جاء الذكر لها في كتبهم؟ كذلك مصطلح المقاصد القرآنية عندهم كان علمًا خاصًّا، فأصلوا له أو جاء مبثوثًا

في طيَّاتِ تفاسيرهم، وبيان أهمية القواعد في إبَانَة المعنى المتوخّى من النّصّ القرآنّي في الكشف عن المَقاصِدِ القرآنيّة.

❖ **التوصيات :**

١-تشجيع البحث العلمي في الدراسات القرآنية للمقاصد القرآنية، وتعزيز دراسات استشراف مستقبلها وتشجيعها. إذ لا تزال البحوث والدراسات فيها خجوله.

٢-اعتماد كليات العلوم الإسلامية بجعلها أحد مقرارات المواد الدراسية، ابتداء من الأولية وحتى الدراسات العليا.

٣-السعي في طبع الرسائل والاطاريح التي تناولت المقاصد القربنية بغية التأسيس لهذا العلم

❖ **مَنْهجُ الدراسة**

بدا لي أنْ تكون طبيعة الدراسة استقرائّية تحليليةً، وليست جمعًا فقط مع التأليف بينها، وقراءة فاحصة ومستكشفة، إذ بيان أثر القاعدة الموضوعية في الكشف عن المَقصِدِ القُرآنيّ المراد معرفته أو الكشف عنه في ضوء النّصّ المدروس، كذلك ربطتُ كثيراً من المسائل بواقعنا المعاصر يأتي أحياناً رأي الباحث مستقلاً في نهاية المسالة، وحينًا آخر يرد ممزوجًا بالمناقشات؛ لأنّ طبيعة الموضوع قد تستلزم أنْ يكون الكلام في أثناء النقاش وكان مختصراً بعيداً عَنِ الإسهاب والتَّطويلِ في التَّعليق.

وفي ختامِ هِذه المقدّمةِ أنّه لَمِن باب الاعتراف بالفضلِ أن أشكر أُستاذي المشرف على طِيبِ صَنِيْعِه في إعداد هذا البحث بما قدمه لي من إرشاد وتوجيهٍ، فكان بعيد النّظرِ في كُلّ حرفٍ يتلوهُ حرْفٌ آخَرُ، وجاهد على أن يقيل ما وقعتُ فيه من الزَّلّاتِ، والهفوات بِملحوظاته الدقيقة ، فجزاه الله تعالى عنّي خير جزاءِ المحسنين، ولهُ منّي كل الوفاءِ والتقدير.

والشكر موصولٌ موفورٌ لأساتِذَتي الأفاضل في قسم علوم القرآن فِي جامعة بابل الذين كان لهم الفضل ابتداءً وانتِهاءً بعد اللهِ تعالى في رفدِي بفيض علمهم الجمّ في مرحلتِي: الماجستير، والدكتوراه. فالله ﷻ أسأَلُ أنْ يمدّهم من واسع فضله، ويمنَّ عليهم بالصحةِ والعافية.

فإن أصبتُ فمِنَ اللهِ ﷻ، وهي الغايةُ المرجوة، وإنْ كانت الأخرى فَمِنْ نَفْسِي، فليس لي من الكمَالِ مِنْ شيْءٍ، وما توفيقي إلَّا بِاللهِ العَلِيّ العَظِيْمِ.

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رَبِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرفِ المرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آلهِ الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبِين.

الطلب الأول: حركة التفسير في إطارها العام.

مِنَ البَدَهي أن كلَّ شيء في الوجود لا يكتمل إلا إذا مرَّ بمراحلَ معينةٍ وأطوارٍ متتالية، ويصدق على العلوم ما يصدق على الأشياء، فلم يعرف أن هناك علماً من العلوم وجد كاملاً هكذا فجأة، وإنما مرّ بمراحل وتطورات حتى صار علماً له أصولُهُ وأركانهُ التي يقوم عليها.

ومن تلك العلوم علم التفسير الذي شهد تطورات منذ نزول الآيات الأولى من كتاب الله الكريم وحتى يوم الناس هذا، فبدأ بمرحلة النشوء ثم الارتقاء، وتطورت به المراحل حتى استوى على سُوقِهِ، وصارت له قواعد وأصول.

هناك مَنْ وصف معرفة علم التفسير: ((مثل قوم جاءهم كتاب من صاحب لهم ليلاً، وليس عندهم مصباح، فتداخلهم لمجيء الكتاب روعة لا يدرون ما فيه، فإذا جاءهم المصباح عرفوا ما فيه))[1].

إذاً فحريّ بمن تلقف علم التفسير أن يقف عند هذه المراحل والتطورات؛ لأنها تطورات متلاحقة ومتعانقة في آن واحد، فلا يمكن فصل مرحلة عن مرحلة، أو اعتماد مرحلة دون أخرى، وإلا فقد هذا العلم ركناً من أركانه، وقاعدة من قواعده، وأصلاً من أصولهِ، فيفضي ذلك إلى وقوع المفسر في أخطاء وأوهام ، وأدخل في تفسيره للآيات غير مراد الله سبحانه ومقصده، ومن ثم فعلى المفسر أن يراعي كل المراحل، ولا يعتمد مرحلة دون مرحلة، ويراعي في المقام الأول مرحلة التفسير في عهد النبوة؛ لأنها الأساس الذي يُبْنَى عليه ما بعده ؛ ولأن النبي ﷺ هو أعلم الناس بالقرآن.

المحور الأول: مرحلة التّأسيس.

اتَّصف التفسير في مرحلة التأسيس، والتمهيد – بالعلمية والمنهجية والموضوعية وقد تمثلت هذه المرحلة من حركة التفسير في القرون الثلاثة الأولى، وفيها أن كتبهم كانت مقصورة على نقل الروايات بأسنادها، مع تمييز الصحيح عن السقيم والمتقن عن الزائف [2].

١/ زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي (ت :٥٩٧هـ ، ١ / ١٢.

٢/ ينظر: المهذب، القاضي ابن البراج (ت: ٤٨١هـ) ، ١ / ٢٢ (مقدمة المحقق –جعفر السبحاني) .

وقد تخرّج من مدرسة أهل البيت عليهم السلام وعلى أيدي الأئمّة الأطهار عليهم السلام عدّة من الفقهاء العظام ، نظير عبد الله بن أبي رافع(ت: ٣٥هـ) الذي كان من خواصّ أمير المؤمنين عليه السلام ، وسعيد بن المسيّب(ت: ٩٤هـ)، والقاسم بن محمّد بن أبي بكر(ت: ١٠١هـ)، وهما من ثقات عليّ بن الحسين(ت: ٩٤هـ) عليه السلام ، و زرارة بن أعين (ت: ١٥٠هـ) ، ومحمّد بن مسلم(ت: ١٥٠هـ) ، وأبي بصير الأسدي(ت: ق٢هـ) ، وجميل بن درّاج النخعي (ت:ق ٢هـ) ، وعبد الله بن مسكان الكوفي (ت : ق٢هـ) من خِرّيجي مدرسة الإمام الباقر(ت: ١١٤هـ) والإمام الصادق(ت: ١٤٨هـ) عليه السلام كما أجمع العلماء على فقاهة آخرين من تلاميذ الإمام موسى بن جعفر(ت: ١٨٣هـ) عليه السلام ، نظير يونس بن عبد الرحمن(ت: ٢٠٨هـ) ، وصفوان بن يحيى(ت: ٢١٠هـ) ، ومحمّد بن أبي عمير(ت: ٢١٧هـ) ، وغيرهم ؛ ويعبّر عنهم بأصحاب الإجماع ، وحالهم وفقاهتهم معلومة لكلّ من راجع كتب الحديث ، وكان لأكثرهم كُتُب ، إلّا أنّ كتبهم كانت مقصورة على نقل الروايات بأسنادها[١]

وهكذا فقد كانت عمليّة التفقّه والتفسير بسماع كلام المعصوم، أو تلقّي الجواب منه بعد توجيه السؤال من دون بذل جهد، وكان الإفتاء بنقل نصّ الرواية مع الإسناد، واستمرّ على هذا الحال طول القرون الثلاثة الأُولى [٢].

رُوِي عن عمران بن حصين (ت: ٥٢هـ) عن النبي صلى الله عليه وآله قال: ((خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران لا أدري أذكر النبي صلى الله عليه وآله بعد قرنه قرنين أو ثلاثة))[٣] .

١/ ينظر: رجال الكشي ، محمد بن عمر الكشي (ت: ٣٤٠هـ) / ٣٩٨ . ورجالالنجاشي ، أبو العباس أحمد بن علي بن احمد النجاشي الاسدي(ت: ٤٥٠هـ) /٩٢ و ٢٢٦. ورجال الطوسي، الطوسي (٤٦٠هـ) ، / ٣(باب الميم) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: ٦٨١هـ)، ٤/ ٥٩ . وسير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، ٢/ ١٠٦. والفوائد الرجالية – بحر العلوم، ١/٢١٤و ج ٢/ ١١٧وج٣/ ٢١٧– ٢١٨. وغنائم الأيام في مسائل الحلال والحرام، الميرزى القمي (ت: ١٢٣١هـ) ،١/ ٢٥.

٢/ ينظر: غنائم الأيام في مسائل الحلال والحرام،١/ ٢٥.

٣/ مسند ابن الجعد، علي بن الجعد بن عبيد الجوهري (ت: ٢٣٠هـ) / ١٩٦. وصحيح البخاري، البخاري (ت: ٢٥٦هـ)، ٤/ ١٨٩ (باب مناقب المهاجرين وفضلهم)

ومن الذين حملوا علمه واتبعوه ﷺ بإحسان وأحسنوا إلى عترته الطاهرة عليهم السلام من بعده، كون لا يمكن عدّ عهد بني أمية وما فعلوه بآل النبي ﷺ في تلك القرون بالخيرة، كذا عدم تورعهم من الاعتداء على بيت الله الآمن وضربه بالمنجنيق [١].

ففي عهده ﷺ بدأت هذه المرحلة التأسيسية بالتفسير على يده ﷺ، فكان يفسر للصحابة ما كانوا يحتاجونه من معاني الآيات، ويوضح لهم ما غمض عليهم من دَلالاتها وأحكامها قيل:((يا رسول الله ﷺ؛ إنك تأتينا بكلام من كلام العرب وما نعرفه ، ولنحن العرب حقاً ، فقال رسول الله ﷺ : إن ربى علمني فتعلمت))[٢].

هذه المرحلة كانت أحرى بأن تكون من المراحل الأولى للتأسيس لهذا العلم، وهي مرحلة التي يمكن أنْ نطلق عليها بطور التلقي، كون الحاجة لم تكن داعية لديهم للتأصيل، كان علمهم متوقفًا على السماع من النبي ﷺ، وذلك لإدراكهِمْ بما يسدّ حاجتهم ممّا يحتاجون من بيان وإيضاحات لوجود النبي ﷺ بينهم وقربهم منه فيما أرادوا الاستفهام منه مباشرة دون واسطة للتعليل والبيان.

وتتوقف أدواتُ الاستنتاجِ والاستنباط في التفسير في هذا العهد (المرحلة)، على معرفتِهم باللُّغةِ، وأسرارها، أضافةً إلى معرفتهم بعادات العرب القولية والفعلية، والأقوام التي كانت معهم والقريبة من عهدهم في تلك المرحلة، كما نستطع أنْ نقول: قوة ملكة الفهم وسعة الإدراك، وقربهم من زمن النزول ومعرفة أسبابه.

قال مالك بن أنس (ت: ٩٣هـ): ((كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين لا يكتبون الحديث ولكنهم يؤدونه حفظًا ويأخذونه حفظًا)) [٣]. وذكر الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) أنَّ الكتب والتصانيف محدثة لم يكن منها في زمن الصحابة وصدر التابعين، وإنما حدث بعد (سنة: ١٢٠ هـ) وبعد وفاة جميع الصحابة وجلة التابعين[٤].

١/ ينظر: منهاج الكرامة، العلامة الحلي (ت: ٧٢٦هـ) / ٨٣. وفي ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية، ١ / ٣٥٩.

٢/ ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، ١ / ٢٨٤. وجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي)، ١/ ٤٨.

٣/ الموطأ، مالك بن انس (ت: ١٧٩هـ)، ١ / ٢٦.

٤/ ينظر: إحياء علوم الدين، الغزالي، ١ / ١٣٤.

الحقُّ أن التفسير في هذه المرحلة يتميز بسمات لم تتوافر لأي مرحلة تالية، ومنها:

أن لجميع الأقوال التَفْسيريّة التي شهِدتها هذهِ المرحلةُ قوّة النص المفسَّر، أو هي الوجه الآخر له. فالتفسير في هذا المرحلة كان من عند الله تبارك وتعالى، فهو سبحانه أول مبين ومفسر لكتابه؛ لأنه الأعلم به وبمراد نفسه من غيره، ؛ ولأن أصدق الحديث كتاب الله تعالى؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ {آل عمران:٧ }، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ {الفرقان:٣٣ } ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ {القيامة:١٨- ١٩}، وتفسير القرآن في هذه المرحلة –أيضًا– كان موكولاً إلى الرسول ﷺ ،وكان طبيعيّاً أن يفهم ﷺ القرآن جملة وتفصيلاً، فهمًا ظاهرًا وباطنًا، ومجملاً ومفصلاً، ومقيدًا ومطلقًا، ومحكمًا ومتشابهة، وخاصه وعامه، وأمره ونهيه، وغريبه ومشكله، وسائر ما يتعلق بالأحكام والاعتقاد والتكاليف ، وقد أعطى القرآن الكريم للرسول ﷺ الحق في عملية التفسير[1]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾{ النحل: ٤٤}، ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ {آل عمران: ١٦٤} ، والأمثلة كثيرة وثابتة تدلُّ على أن الصحابة كانوا يسألون رسول الله ﷺ عمّا يُشْكِلُ عليهم من معانٍ قرآنيّة [2]، فمن ذلك : (وأبا) في قوله تعالى: ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾{ عبس: ٣١ } ، ففسر ذلك بقوله تعالى :﴿ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾ { عبس : ٣٢ } كذلك بيان الخيط الأبيض من الأسود : حمل المبهم على المبين، كما في قوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ﴾{ ١٨٧}.

تأسيسًا على ما تقّدم، قَرُبَ لنا القول: إن التفسير اختص بهذه المرحلة، أو بالأحرى المرحلة النبوية من عصر الصحابة بالآتي:

١/ ينظر: تفسير الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ) ،١ / ١٨١.

٢/ ينظر: تفسير الماتريدي، الماتريدي، ١ / ١٨٨.و محاضرات ألقيت على طلبة الدكتوراه في طبقات المفسرين، أ. د. حكمت عبيد الخفاجي.و محاضرات القيت على طلبة الدكتوراه في دراسات فقهية عند المفسرين ،أ. د . سكينة عزيز الفتلي.

اولاً: القرآن الكريم؛ إذ يجد الناظر في كتاب الله تعالى أن هناك آياتٍ تفسر بها آيات أخرى، فهو يفسّر بعضه بعضًا، تحصل هذه لِمَنْ أحاط بنصوصه، وقد فعل ذلك رسول الله ﷺ فقد فَسَّرَ القرآن الكريم بالقرآن فيما برزّ له، ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّ ﴾**{الجاثية: ٢٩}** ، سُئلَ ﷺ عن قوله سبحانه:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾**{**الانعام: ٨٢**}**، فقال الصحابةُ لّما نزلت: وأُينا لا يلبس إيمانه بظلم؟ فقال ﷺ ألم تقرؤُوا :﴿ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾**{لقمان: ١٣}**، ففسَّرَ رسول الله ﷺ ، الظلم في الآية الأولى بالشرك في الآية الثانية[١]. ووصف الشرك بالظلم العظيم جدير بالتنويه لما فيه من تعظيم إثم الشرك.

وجدرت الإشارة عن مولانا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، توثيق لذلك: ((كتاب الله تبصرون به وتنطقون به، وتسمعون به، وينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض)) [٢].

انبلج للبحث: أَن تفسير القرآن بالقرآن كان النواة الأولى لعلم التفسير، إذ المرحلة الأولى للتفسير تتركز على القرآن نفسه، على معنى ردّ متشابه إلى محكمه، وحمل مجمله على مبينه، وعامه على خاصه، ومطلقه على مقيده.

ثانيًا: لم يكن تفسير القرآن جميعه إنما اقتصر على بعض منه، وترك الأمر للناس ليتدبرو آياته.

ثالثًا: الوقوف على المعنى الإجماليّ دون الخوض في التفاصيل، كما في حادثة (الأبّ) التي أشكل فهمها على الخليفة الأول.

رابعًا: اعتمادهم في بيان المعنى على أشعار العرب كما كان يفعل ابن عباس (ت: ٦٨هـ) فكان كثيرًا ما يستشهد بالأبيات الشعرية في فهم معاني الآيات – فالشعر ديوان العرب إن استتر علينا الحرف من القرآن الذي جاء بلغة العرب عدنا لديوانها فطلبنا معرفة ذلك منه[٣].

١/ ينظر: التفسير الحديث، محمد عزة دروزه (ت: ١٤٠٤ هـ)، ٤ / ٢٥٢. وعلوم القرآن، محمد باقر الحكيم (ت: ١٤٢٥هـ) / ٣٥.

٢/ شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني (ت: ٦٧٩هـ) ،٣ / ١٦٠ (في معنى الحياة والموت).

٣/ينظر: الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، ٣ / ٤٧٤.

خامسًا: نُدْرةُ الاستنباط الفقهي عند الصحابة إذ توقّف ذلك على ما بينّه النبيُّ ﷺ لهم وما أشكل عليهم من ذلك فسألوه واستفهموا عن تكليفهم فيه.

سادساً: اقتفاء السنة تعد الطريقة المثلى التي لا ينبغي لعاقل أن يحيد عنها، (حيث اتخذ التفسير شكل الحديث) قال تعالى في وصف نبيه الكريم ﷺ بمقتضى كونه رسولاً ونبياً أولاً، ثم بفعل شهادة النص وأشباهه ثانياً، لا يمكن أن يقر على خطأ أبدًا. **قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿النجم: ٣-٤﴾**، الأوامر الإلهية الموجبة لطاعته ﷺ **قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ ﴿النساء: ٥٩﴾.** أنتجت هذه المسلمات وتقررت في أذهان أصحاب الرسول ﷺ فكانوا يسألونه عن كلّ ما أُشكل وغَمِضَ عليهم، كما سبقت الإشارة [١].

ونصبوا إلى أن التأسيس الحقيقيَّ لعلم التفسير كانت بداياته من عند النبي ﷺ ،لكن هذا كان متوقفاً على السماع دون التدوين ؛ غير الحاجة المستدعاة للتأسيس لهذا العلم بدأت بواكيرها بالتدوين على يد أمير المؤمنين علي عليه السلام ، فكان حريصًا أَشدَّ الحرص في نقل ما أكتسبه من علم ومعرفة إلى تلاميذه، فدعت الحاجة جرّاء الظروف التي اكتنفت ذلك العصر، بما تحمل من دواعي التلاعب بالحديث ، وتوجيه النصوص القرآنية تبعا لأغراض شتى ،وكان الإمام عليّ عليه السلام ، له مقام حفظ ، فقد أتيح له المجال لرسم الخطوط العريضة التي تمثّلُ الأطر الأولية التي يمكن أنْ تكون منطلقا لتشيد دعائم يتماسك بها البناء المعرفي المحصن للعملية الفكرية التي على رأسها ما يتعلق بكتاب الله العزيز وتفسيره ، فقضية توجيهه لأبي الأسود الدؤلي(ت : ٦٩هـ) في وضع الكليات التي تضبط دلالات اللغة مشهوره وغير خفية ، وكذا تأسيس قواعد دراية الحديث وأسس التفسير [٢].

إن المرجعية في توضيح النصوص الدينية بعد النبيّ الأَكرم ﷺ محصورة بعليّ عليه السلام كأول إمام معصوم متكفّلًا بمهمة الإرشاد والتوجيه والهداية بعد النبي ﷺ.

١/ ينظر: الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، ١ / ١٩٢ – ١٩٤.

٢/ ينظر: الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، محيي الدين ديب مستو، / ٢١٩ _ ٢٢٠. والأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، د. عُدَي جواد علي الحجار/ ٥١– ٥٢.

مَنْ أنعمَ النظر في ظلّ الروايات والأَخبار التي أَنبأت، عن إقرار وتوثق لذلك: ((وأما علي – كرم الله وجهه – فهو أكثر الصحابة تفسيرا للقرآن فكثرة مرافقته للرسول ﷺ ، وسكناه معه، وزواجه من ابنته فاطمة عليها السلام إلى جانب ما حباه الله من الفطرة السليمة ، كل ذلك أورثه العلم الغزير)) (١)، كذا أبلغت السيدة عائشة(رض) في حق علي عليه السلام: ((أما إنه لأعلم الناس بالسنة في زمن كان الصحابة متوافرين))(٢) .

قال ابن مسعود (ت٣٢هـ) :((إن القرآن أنزل على سبعة أحرف ، ما منها حرف إلا وله ظهر وبطن ، وإن علي بن أبي طالب عنده من الظاهر والباطن))(٣)·وسئل عطاء بن ابي رباح(ت: ١١٤هـ): ((أكان في أصحاب محمد أعلم من علي؟ قال : لا ، والله لا أعلمه))(٤).

فيؤكد قول ابن مسعود على التَّلازُم المعرفيّ، بين القرآن الكريم، والإمام علي عليه السلام واقع وحاضر لا انخرام فيه ولا تصدع، فتلازميه العلاقة وثيقة، يؤكدها التكليف الإلهي، لكونه إمام الأمة بعد نبيها الاكرم ﷺ (٥)، ويدلُّ عليها قوله عليه السلام : ((إن الله تعالى طهرنا وعصمنا وجعلنا شهداء على خلقه وحجته في أرضه وجعلنا مع القرآن وجعل القرآن معنا لا نفارقه ولا يفارقنا))(٦)· قال محمد الطاهر بن عاشور: ((إن لعلي عليه السلام أفهامًا في القرآنِ لا يوجد عند غيرِه))(٧)·

ولمَّا انتقل مقر الخلافة من المدينة إلى الكوفة في عهد الإمام عليّ عليه السلام وانتشر أصحاب رسول الله ﷺ ظهرت مدارس التفسير في الأمصار الإسلامية، إذ مثّل الامام عليّ عليه السلام

١/ الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ١ / ٥٣.

٢/ السنة، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخَلَّال البغدادي الحنبلي (المتوفى: ٣١١هـ)، ٢ / ٣٤٣. والاستيعاب، ابن عبد البر (ت: ٤٦٣ هـ)، ٣ / ١١٠٤.

٣/ مناقب آل ابي طالب، أبن شهر أشوب (ت: ٥٨٨هـ)، ١ / ٣٢١ (فصل في المسابقة بالعلم)، وبحار الانوار، ٤٠ / ١٥٧ (في أن عليا عليه السلام كان أعلم الناس بالقراءة والتفسير).

٤/ شرح الاخبار، القاضي النعمان المغربي (ت: ٣٦٣هـ)، ٢/ ٥١٧. وبحار الانوار، العلامة المجلسي (ت: ١١١١هـ)، ٤٠ / ١٧٩ (في أن عليا عليه السلام كان أعلم الناس بالقراءة والتفسير).

٥/ ينظر: تأسيس علوم القرآن عند الامام علي A دراسة في الأسس والتقسيمات، أ. د. حكمت عبيد الخفاجي، م. م. ليث عبد الحسين العتابي / ٣٤.

٦/بصائر الدرجات، محمد بن الحسن بن فروخ (الصفار) (ت: ٢٩٠هـ) / ١٠٣. والكافي، الشيخ الكليني، ١، ١٩١. والوافي، الفيض الكاشاني ،٣ / ٥٠١.

٧ / التحرير والتنوير، ١/ ١٥.

المَرْجِعِيَّةَ الدينية الثانية بعدَ النبيِّ ﷺ في تلقي العلُوم والمعارف الإلهية، فبرزت عِدّةٌ من المدارس التفسيرية على يد تلامذتهِ ممن أخذ العلم منه عليه السلام ومن تلامذته من بعده [١]، وعلى رأس هذه المدارس:

١- مدرسة التفسير بالمدينة: قوامها أُبيّ بن كعب الانصاري (ت: ٢٢هـ)، وهو واحد ممن اشتركوا في جمع القرآن الكريم في عهد عثمان بن عفان [٢].

٢- مدرسة الكوفة: قوامها عبد الله بن مسعود (ت: ٣٢هـ)، ومن تلاميذها علقمة بن قيس (ت: ٦١ هـ) و مسروق بن عبد الرحمن (ت ٦٣ هـ)، والأسود بن يزيد النخعي (ت ٦٤ هـ) وغيرهم [٣] .

٣- مدرسة مكة: أرسى ابن عباس (ت: ٦٨هـ) أسسها وهو أحد تلامذة الامام علي عليه السلام، وشادها من بعد ابن عباس، سعيد بن جبير (ت: ٩٤هـ) [٤]. كان يقول ابن عباس لأهل الكوفة إذا أتوه ليسألوه عن شيء: ((أليس فيكم ابن أم الدهماء؟ يقصد: سعيد بن جبير)) [٥].

فهذه المدارس الثلاث، هي التي تكوّن الطبقة الثانية من علماء التفسير؛ وإنما كان علم التفسير عند هؤلاء، الرواية عن الصحابةِ الكرام وأهل بيت النبي ﷺ، فكانوا يروون عنهم التفسير إلى جانب ما يروونه من الحديث والفقه، ولكنهم اشتهروا بمزيد من العناية بتفسير كتاب الله، ولا سيّما بعضٌ منهم مثل: مجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما؛ غير أن عمل هذه الطبقة يمتاز عن عمل الصحابة بظهور الكتابة والتدوين عند بعضهم [٦].

---

١ / ينظر: مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن، عبد الجواد خلف محمد عبد الجواد / ٥٨.

٢ / ينظر: جواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي (ت: ٨٧٥هـ)، ١/ ٦. والاعلام، خير الدين الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، ١/ ٨٢.

٣/ ينظر: الجواهر الحسان، الثعالبي، ١ / ٦٢ – ٨٠. وتهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، ٦/ ٢٧. ومحاضرات في علوم القرآن، غانم قدوري / ١٨٠.

٤/ ينظر: جواهر الحسان في تفسير القرآن، ١/ ٦.

٥/ الاحتجاج، الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ)، ١/ (هامش صفحة ٣٥٥). ونصب الراية تخريج أحاديث الهداية، جمال الدين الزيلعي (ت: ٧٦٢هـ) ،١/ ٢٨.

٦/ ينظر: من روائع القرآن – تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، محّمد سَعيد رَمضان البوطي / ٧٤.

يلحظ في هذه الطور التأسيسي أن بذور المعرفة التفسيرية القائمة على العناية والتخصص، أنما كانت على مستوى خاص من الصحابة، الأمر الذي أدى إلى ولادة التفاوت بين المسلمين في جميع المعارف الإسلامية، ومن ثم في خصوص المعرفة التفسيرية.

فقد قدّم لنا المعنيون برصدِ علوم القرآن مادةً علميةً وفيرةً، سواء ما يتعلق منها بإنشاء علوم القرآن علمًا علمًا، أو ما يتعلق منها بحصرِ ما كُتبَ حولها منذُ نشأة هذه العلوم، وإذا كانت القواعدُ والضوابطُ والأصولُ، توضع لتكوّن موازين ضبطٍ للفَهمِ والإدراك، منعًا للانحرافِ، فإن ما توافر في الإمام عليّ عليه السلام مِن ملكة اللسان والوقوف على مشاهد نزول الوحي وأسبابه، وبيان المبلغ عن ربه سبحانه وتعالى، لكافٍ كلّ الكفاية؛ لأداء الغرض الذي من أجله توضع القواعد والضوابط في الطور الأول من التأسيس.

المحور الثاني: مرحلة التأصيل.

إن العلوم الإسلامية عموما كانت في عهدِ النَبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في دور التلّقي، ولم تكن هنالك حاجة إلى تقنين الكثير من هذه العلوم، وذلك لقريبة من عهدِ النصّ، فكانوا يتعلمون من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيان الآية، فلا نجاوزها إلى الآخر حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل [1].

لكن هذا لم يستمر على ما هو عليه، بدلالة بعد انتقال المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى، وبمرور الزمن وما حملت من تغيرات طرأت على المجتمع الإسلاميّ مرّت عملية التأصيل المنهجيّ لعلم التفسير بمخاضات، وصعود ونزول، إلى أن وصلَ إلى ما يمكن أن نسميه بـ(النضج)، بعد أن كانت مباحثه مشتتة ومتناثرة في العديد من الكتب والمؤلفات، منها ما هو مختصّ ومستقل في تأليفه، ومنها ما قد كان ضمن أبحاث يجمعها إطار جامع توحيدي.

اشتدت عناية جماعة برواية التفسير المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو إلى الصحابة، فصَارت لهم اليد الطُّولَى في التفسيرِ يرجعونَ إلى صحيحِ سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت عليهم السلام وأقوال الصحابة ، واجتهاداتهم ونظرتهم الخاصة لآيات القرآن، مع عنايتهم بجمع الحديث ، وفي مقدمة هؤلاء: شُعبة بن الحجاج (ت:١٦٠هـ)، و يزيد بن هارون السّلمّي (ت : ١٧١هـ) ، ووكيع بن الجراح (ت :١٩٧هـ) ، وسفيان بن عيينة (ت :١٩٨هـ) ، وروح بن عبادة البصري

١/ ينظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ١ / ٢.

(ت: ٢٠٥هـ) ، وعبد الرزاق بن همام (ت : ٢١١هـ) ، وآدم بن أبي إياس (ت : ٢٢٠ هـ) ، وعبد بن حميد (ت: ٢٤٩هـ)، ولم يصل إلينا من تفاسيرهم شيء، وإنما رُوي ما نقل مسنداً إليهم في كتب التفسير بالمأثور[١].

أنبرى بعد هؤلاءِ مَن أفرد التفسير بالتأليف وجعله علماً قائماً بنفسه منفصلاً عن الحديث ، ففسر القرآن حسب ترتيب المصحف ، وفصل التفسير عن الحديث تدريجيًا، وبدأت تظهر المحاولات الأولى للتأليف في تفسير القرآن تمثلت بكتب (غريب القرآن ومعاني القرآن) التي تناولت ألفاظه فقط ككتب: الرؤاسي [٢] (ت: قبل ١٩٣ هـ) و(معاني القرآن) للفراء (ت: ٢٠٧هـ) والاخفش الأوسط (ت : ٢١٥هـ) ، ثم ظهرت التفاسير الأولى التي تناولت السور والآيات كتفسير ابن ماجة (ت ٢٧٣ هـ) وابن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) ، ومعاني القرآن وإعرابه ، للزّجاج (ت : ٣١١هـ) وابن المنذر النيسابوري (ت: ٣١٨هـ) وابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ) إذ توكَّأَ هؤلاءِ على ما أُسندَ من أقول للنبي ﷺ ، أو ما أثر عن الصحابة ، وتناولت هذه التفاسير الأولى غريب الألفاظ ، وإيراد ما ورد من الحديث وأقوال الصحابة والتابعين في تفسيرِ بعض الآيات، منهج هذه الطبقة من المفسّرين كان نقل أقوال الصحابة والتابعين بشكل أحاديث في مؤلفاتهم التفسيرية من دون ذكر آرائهم الخاصة، إلا أن ابن جرير في تفسيره قد يبدي رأيه في ترجيح بعض الأحاديث على بعضها وكيفية الجمع بينها [٣].

إلا إن الذي وصل من تلك التفاسير هو تفسير الطبري، إذ جمع فيه المأثور بالسند وميّز بين الصحيح منه وغيره، فعد مرجعاً هامّا لباقي المفسرين من خلفه [٤]. وهناك من عدَّ الشافعي

١/ ينظر: القرآن في الإسلام، محمد حسين الطباطبائي (ت: ١٤٠٢هـ) / ٥٧.

٢/ محمد بن الحسن بن أبي سارة الرؤاسي الكوفي النيلي، من أصحاب الإمامين الباقر والصادق A ثقة ولا غمز فيه. وهو من أعيان أوائل المائة الثانية. سمى بذلك لأنه كان كبير الرأس وكان ينزل النيل فقيل له النيلي، وهو أول من وضع من الكوفيين كتابا في النحو ومات في أيام الرشيد وهو أستاذ الكسائي والفراء وكان رجلا صالحا نقل عنه سيبويه في كتابه ولم يسمعه، يقول: الكوفي – ويعني به الرواسي، له كتاب معاني القرآن كتاب التصغير كتاب الوقف والابتداء الكبير الوقف والابتداء الصغير. ينظر: فهرست أسماء مصنفي الشيعة، النجاشي (ت: ٤٥٠هـ) / ٣٢٤. الوافي بالوفيات، الصفدي (ت: ٧٦٤هـ)، ٢ / ٢٤٨.

٣/ ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ت :٧٧٤هـ)، ١ / ١٧. والقرآن في الإسلام / ٥٧.

٤/ ينظر: من روائع القرآن، محمّد سَعيد رمضان البوطي / ٧٥.

(ت ٢٠٤ هـ) أول من أصل لعلم التفسير في كتابه الموسوم بـــ(الرسالة)، وإن كان قصد بها التقعيد لأصول الفقه لكنه تعرض في مباحث كثيرة للمطلق والمقيد، والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه وغير ذلك من المباحث المهمة في علم التفسير فعدّها العلماءُ باكورة ما كتب في هذا الشأن [١].

والذي يراه الباحث أنَّ المؤصّل لتلك العلوم هو الإمام علي عليه السلام، بدليلِ القول: ((فأما صدر المفسرين والمؤيد فيهم فعلي بن أبي طالب عليه السلام ، ويتلوه عبد الله بن العباس، وهو تجرد للأمر وكمله وتتبعه، وتبعه العلماء عليه، كمجاهد، وسعيد بن جبير، وغيرهما))[٢]، قال ابن عباس: ((ما أخذت من تفسير القرآن فعن عليّ بن أبي طالب))[٣] ، حتى قال فيه ، محمد عبد العظيم الزرقانيّ(ت: ١٣٦٧هـ): ((اه وحسبك هذه الشهادة من ترجمان القرآن))[٤].

وهذا اعتراف صريح من تلميذ لأستاذه بالسبق، إذ لم يبالغ الزركشيُّ (ت: ٧٩٤هـ): حين ذكر أيضاً: ((نعم كان لعليّ في التفسير اليد السابقة قبل ابن عباس، وهو القائل: لو أردت أن أملي وقر بعير عن الفاتحة لفعلت)) [٥].

ومن جانب آخر نرى أن قصب السبق في التفسيرِ في مدرسةِ الكوفة نرده إلى الامامِ عليّ بن الحسين الملقب (بزين العابدين) (ت: ٩٤هـ) عليه السلام وابنه الإمام محمد بن عليّ الملقب (بالباقر) (ت: ١١٤هـ) عليه السلام ، وبالرجوع قليلاً إلى محمد ابن السائب الكلبي(ت: ١٤٦هـ) وَهو رجل معروف بالتفسير وليس لأحد تفسير أطول، ولاَ أشبع مِنْهُ كان من أهل الكوفة ، كان من الشيعة المخصوصين بالإمام زين العابدين وابنه الباقر عليهما السلام وكانت وفاته سنة ست وأربعين بعد المائة من الهجرة المباركة[٦]

١/ ينظر: التيسير في أصول واتجاهات التفسير، عماد علي عبد السميع / ١٧.

٢/ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ)، ١ / ٤١. والجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي ،١ / ١٤١.

٣/ المحرر الوجيز،١ / ٤١. ومناهل العرفان في علوم القرآن، ٢ / ١٥.

٤/ مناهل العرفان، ٢ / ١٥.

٥/ البرهان في علوم القرآن ، ٢ / ١٥٧.

٦/ الكامل في ضعفاء الرجال، أبو أحمد بن عدي الجرجاني (ت: ٣٦٥هـ)، ٧/ ٢٨٤. والأنساب، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (ت: ٥٦٢هـ)، ١١/ ١٣٤.والشيعة وفنون الإسلام، حسن الصدر (ت: ١٣٥٤هـ) / ٦٦.

وهذا يعطينا دليلٌ على تقدم أهل البيت ﷺ على غيرهم من فضلاءِ العلماء في فنونِ علوم القرآن ولا سيّما علمُ التفسير.

امتاز عمل هذه المرحلة من المفسرين بما يأتي:

أولاً- جمع ما انتهى إليهم من أقوال أهل البيت ﷺ والصحابة والتابعين الكرامُ في تفسيرِ آيات القرآن، في مؤلفات منسقة ينتظم فيها تفسير جميع آي القرآن بترتيبها المعروف، وبذلك تمّ ظهور هذا الفن العظيم في مؤلفات ومصنفات جامعة[١].

وأوّل من صنّف في تفسير القرآن (سعيد بن جبير)، إذ كان أعلم التابعين بالتفسير كما حكَاهُ جلال الدين السيوطي في الإتقانِ عن قتادة وذكر تفسيره، وقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: ((خُذُوا التَّفْسِيرَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ))[٢] .

ثانيًا- ضبط الرواية عن أهل البيت ﷺ والصحابة الكرام، فقد بحثوا في حال التابعين الذين نقلوا إليهم أقوال الصحابة في القرآنِ، فاعتمدوا منهم من توافّرت لديهم شروط الرواية وأمارات الثقة وأهملوا الآخرين، وذلك لما اندسّ في صفوفهم من الدخلاء المتسترين بالعلم والإسلام [٣].

ثالثًا- أنهم أضافوا إلى ما نقلوه عن الصحابةِ والتابعين زيادات واستنباطات توسعوا فيها، فمنها ما يتعلّق بالعربية ومنها ما يتعلّق بالقراءات، ومنها ما يتعلَّق بالفقه وأحكامه ، ملتزمين في ذلك قواعد التفسير وشروطه [٤]. التي سنتحدث عنها فيما بعد إن شاء الله تعالى.

فلما توسّعتِ الاختصاصاتُ العلميُّة، وظهر العلماء الذين اختصّو- بعد كفايتهم العلمية- بالفقه، والذين اختصّوا بعلم الكلام، والذين انصرفوا إلى علم القراءات وهلمّ جرّا- أخذ كلّ من أرباب الاختصاص يتناول من تفسير القرآن ما يتعلق باختصاصه فيفرده بالبحث والتأليف.

وهكذا انفصل بحث القراءات عن علم التفسير، لمّا أفرد القراء التأليف فيه، فأصبح علمًا مشتقًا من التفسير؛ وانفصل عنه مبحث أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، لمّا أفرد فيه علماء

١/ ينظر: الشيعة وفنون الإسلام، حسن الصدر/ ٦٣.

٢/ الإتقان في علوم القرآن، ٤/ ٢٤١.

٣/ ينظر: التفسير والمفسرون، محمد السيد حسين الذهبي (ت: ١٣٩٨هـ)، ٢/ ٢٦٤.

٤/ ينظر: التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، محمد بن رزق بن عبد الناصر بن طرهوني الكعبي / ٥٤٠.

الفقه والأصول البحث والتأليف؛ وانفصل عنه مباحث إعراب القرآن لمَّا عُنِي النحاة بإفراد التصانيف في ذلك[١].

لم تكن هذه الظاهرة وحدها ثمرة ظهورِ الاختصاصات العلمية، بَلْ ثَمَّةَ ثمرةٌ أُخرى، فلقد أخذت كتب التفسير تنحو فيما بعد– من حيث العناية والاهتمام– صوب اختصاص المؤلف.

أضاء للبحث في ضوء التأسيس السابق، ان التفسير مر بدورين، **الأول**: كما أشرنا وهو (التلقين – الرواية) وهو تبين النبي ﷺ لأصحابه معاني القرآن وأحكامه بالشكل الذي كانوا بحاجة إليه. **والثاني**: التدوين(التأليف): وهو نقل التفسير والحديث بما سمعوه من أهل البيت عليهم السلام والصحابة وتابعيهم، وعُدَّ السبق للتأصيل في التفسير هو للإمام عليّ عليه السلام، كذا لم يتجاوز النقل المقدار الذي كانوا بحاجة إليه.

لذا لقي التابعون حيال ذلك مجالًا رَحْبًا في تفسير القرآن، لا لأنهم أجرأُ من الصحابة في تفسير كلام الله تعالى، وإنما كان جملة من السلف كسعيد بن المسيب (ت:٩٣هـ) وقد أورد المزي (ت: ٧٤٢هـ) في تهذيبه، ما نقله الواقدي بحق ابن المسيب، إذ قال: ((كان رأس من بالمدينة فِي دهره، المقدم عليهم فِي الفتوى سَعِيد بْن المُسَيَّب))[٢] .وسعيد بن جبير، وعامر الشعبي، وغيرهما، يعظمون تفسير القرآن، ويتوقفون عنه تورعا واحتياطاً لأنفسهم، مع إدراكهم، وتقدمهم [٣].

أنما ألجأهم الى ذلك ما أستجدَّ من أحداث وما طرأ عليهم من الأحوال، من هذه الحاجة دخل التفسير طور آخر تمثل بمرحلة التفريع.

المحور الثالث: مرحلة التفريع.

انتقل التفسير في هذه المرحلة إلى التنويع والتفريع، إذ تدرّج التفسير لتدوين العلوم الأخرى منها العقليّة إضافة للتفسير النقلي، وبدأ هذا الجانب يتضخم شيئًا فشيئًا متأثرًا بالمعارف

١/ ينظر: روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، محّمد سَعيد رَمضان البوطي / ٧٦.

٢/تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي، ١١/ ٦٦. وطبقات الحفاظ، جلال الدين السيوطي/ ٢٥.

٣/ ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ١ / ٤١.

العامة، والعلوم المتنوعة، والعقائد المتباينة، وامتزج كلُّ ذلك بالتفسير فانطلق كلٌّ من برع في فنّ من الفنون يفسّرُ القرآن على الفنّ الذي برع فيه [١].

فبذلك تحوَّلَ التفسيرُ إلى مرحلةٍ جديدةٍ، بدء ذلك على هيأة محاولات فهم شخصيّ، وترجيح لبعض الأقوال على بعض، وكان هذا أمراً مقبولاً ما دام يرجح الجانب العقليّ منه إلى حدود اللغة ودلالة الكلمات القرآنية[٢] . ويبدوا هذا جيدا وذلك لو اننا اقتصرنا على الماثور لانحصر في مساحة ضيقة إذ لم يصل إلينا روايات تفسيرية عن الرسول ﷺ والائمة عليهم السلام الا روايات محدودة لا تشمل جميع آيات القرآن وسوره ، علاوةً على ذلك مايفتحه المنهج العقلي من آفاق رحبة واسعة في معاني التفسير ومحكاة الواقع.

وقد ورد هذا المعنى في القرآن عندما ذمّ الكافرين ووبخهم بسبب عدم التعقّل وقد كان هذا المورد مجالاً رحباً لكل من أنس القدرة على العوم فيه، بما تيسر له من علم وأدوات [٣]، فبعضهم خاضه بما أتقنه من علوم العربية، وبعضهم أضاف إلى ما عرفه من علوم الدين، كعلمه بعلوم الكون كالرازي (ت: ٦٠٦هـ)، وبعضهم ركّز فيه على الجانب الذي يتقنه، إذ دُوِّنت علوم اللغة، ودُوِّن النحو والصرف، وتشعبَّت مذاهب الخلاف الفقهي، وأثيرت مسائل الكلام، وظهر التعصب المذهبي قائمًا على قدمٍ وساقٍ في العصر العباسي، وقامت الفِرَق الإسلامية بنشر مذاهبها والدعوة إليها، وتُرجمت كتب كثيرة من كتب الفلاسفة، فامتزجت كل هذه العلوم وما يتعلق بها من أبحاث بالتفسير حتى طغت عليه، وغلب الجانب العقليّ على الجانبِ النقليّ، وصار أظهر شيء في هذهِ الكتب هو الناحية العقلية، وإن كانت لا تخلو مع ذلك من منقول يتصل بأسباب النزول، أو بغير ذلك على المأثور[٤].

١/ ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١ / ١٧. والتفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي / ٢٦.

٢/ ينظر: علم التفسير كيف نشأ وتطور حتى انتهى إلى عصرنا الحاضر، عبد المنعم النمر (ت: ١٩٩١ م) /٩٨.

٣/ ينظر: تفسير الميزان ، الطباطبائي ، ١٧/ ١٠٨ .

٤/ ينظر: علم التفسير كيف نشأ وتطور حتى انتهى إلى عصرنا الحاضر، عبد المنعم النمر /٩٨.

ثم ظلت محاولات هذا الفهم الشخصيّ تزداد وتتضخم، متأثرة بما أمتزج وانضمَّ فيها من علوم ومعارف وعقائد وآراء، حتى وُجِد من كتب التفسير ما يجمع أشياء كثيرة، لا تكاد تتصل بالتفسير إلا عن بُعْدٍ عظيم، وهكذا تدّرج التفسير واتجهت الكتب المؤلَّفة فيه اتِّجاهات متنوعة، وتحكَّمت الاصطلاحات العلميّة، والعقائد المذهبية في عبارات القرآن الكريم، فظهرت آثار الثقافة الفلسفّية والعلميّة للمسلمين في تفسير القرآن، و آثار النِحَل والأهواء فيه ظهورًا جليًا[١]. فصنف كلُّ قوم بما تضلّع به من علوم، فكلٌّ منهم يقتصر في تفسيره على الفنِ الذي مهر به، فألّف علماء العربية بالتفسير ليخدموا بذلك فنَّهم، إذ ركزوا على إبراز بلاغته العربية وإعجازه اللغويّ، من ذلك تفسير الكشاف للزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) وتفسير البحر المحيط لأبي حيّان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) وتفسير أبي السعود (ت: ٩٨٢هـ) الموسوم بـــ: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. وألّف علماء الفقه فيه أيضًا؛ كأحكام القرآن لأبي بكر ابن العربي (ت: ٥٤٣هـ)، وجامع أحكام القرآن للقرطبي (ت: ٦٧١هـ)، كذلك علماء التوحيد والكلام، كفخر الدين الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب، كما هناك من التفاسير الجامعة، كجامع التفسير للراغب الاصفهاني (٥٠٢هـ)، والمحرر الوجيز لابن عطية الأندلسيّ، وزاد المسير لابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) وغيرهم، وقد حاول هؤلاء الاقتداء بالطبري، وأن لم يجمعوا بين الأسس كما جمع الطبري، إلا إنهم بذلوا الوسع للاقتراب من منهجه[٢] .

وأشار الطباطبائِيُّ (ت: ١٤٠٢هـ): إلى الخدمةِ التي قدّمها مُفسِّرو هذه المرحلة إلى علم التفسير وهي اخراجه من جموده وإخضاعه للدرس والبحث، ولكن الانصاف يقتضي القول: إنَّ كثيرا من المباحث التي كتبها هؤلاء حملت على القرآن حملًا، ولا تدل عليها الآيات [٣]. إلا إن بقاء التفسير محتفظا بهوية المأثور مع امتزاج ذلك بطابع الرواية، لكن ليس

١/ ينظر: التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي ،١ / ١٠٨.

٢/ ينظر: الإتقان، السيوطي، ٤ / ٢١٣ ومباحث في علوم القرآن، مناع القطان / ٣٣٢ – ٣٣٣. والتفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي / ٢٨.

٣/ ينظر: القرآن في الإسلام / ٥٩. ومحاضرات في طبقات المفسرين، أ. د. حكت عبيد الخفاجي.

بالمعنى الشامل، إذ يغلب عليه التلقي والرواية وإن غلب عليهما طابع الاختصاص، فأهل كل مصر يعنون بوجه خاص بالرواية والتلقي عن إمام مصرهم [١].

كما سادت في الأوساط الإسلامية نزعتان مختلفتا المنحى ومتضادتا المنهج لا تجد لهما مثيلاً في العصور السابقة، وهاتان النزعتان هما:

١ – **النزعةُ العقلية:** البحتة التي تدفع المفسِّر إلى الاهتمام بالآيات الواردة في المبدأ والمعاد والأسماء والصفات وما يمتُّ إليهما بصلة، ويضرب في ظلّها عما سواها صفحاً، ولا ينظر إليه إلا نظرة خاطفة كأن القرآن كتاب عقليّ فلسفيّ لا يهتم إلا بالمسائل العقليّةِ، ولا شأن له بمسائل المجتمع وما تدور عليه رحى الحياة.

٢ – **النزعة الإخباريّةُ:** التي لا تهتم إلا بنقل الروايات وجمعها من مختلف الكتب من دون تحقيق في إسنادها ومتونها حتّى ألفَّ في هذه الظروف أكبر المجاميع الروائية حول التفسير التي لا يشذ منها من أحاديث التفسير إلا النزر اليسير [٢].

ظل الأمر على هذا، وَبقِي التفسير ماكثاً عند هذه المرحلة لا يتعداها، ولا يرقب التخلص منها، حتى وفد عصر النهضة العلمية الحديثة، فصوّب المهتمون محجتهم من الذين لهم عناية بدراسة التفسير إلى الانعتاق من صفد هذه النزعات ، والتحرّر من نطاق هذا الجمود، فأنعموا في كتاب الله تعالى انظارهم ، وإن كان لها اعتماد كبير حيال ما دوَّنه الأوائل في التفسير ، أثَّرت في الاتِّجاه التفسيريّ للقرآن تأثيرًا لا يمكن إنكاره، ذلك هو العمل على التخلص من كلِّ هذه الاستطرادات العلمية، التي حُشِرت في التفسير حشراً ومُزِجت به من غير ضَرورة لازمة، والعمل على تنقية التفسير من القصص الإسرائيلية، التي كادت تذهب برونق الكلام الآلهي وجلاله، وتمحيص ما جاء فيه من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة على رسول الله ﷺ ، وإلباس التفسير ثوبًا أدبيًا اجتماعيًا، أظهر روعة القرآن، وكشف عن مراميه الدقيقة وأهدافه السامية، والتوفيق بجد بالغ وجهد ظاهر بين القرآن وما جَدَّ من نظريات علمية صحيحة، على تفاوت بين الموقفين في الغلوّ والاعتدال، وكان ذلك من أجل أن يعرف المسلمون وغير المسلمين أن القرآن هو الكتاب الخالد، الذى يُسَايُر الزمنَ في جميع أطواره

١/ ينظر: الجذور التاريخية للتفسير المقاصدي، رضوان جمال الأطرش، ونشوان عبد الله خالد / ٢٠٥.

٢/ ينظر: مفاهيم القرآن، جعفر السبحاني، ١٠ / ٤١٩.

ومراحله ، كذلك كان لانفتاح العالم الإسلامي والتطور العلمي وظهور عمليات التبادل والتلاقح الفكري الذي ظهر إبّانَ التوسّع الإسلاميّ الأثرُ البيّنُ في الاتجاه التفسيريّ (١).

فتدرج التفسير في العصور المتتابعة على هذا النمط، بنقل المتأخر عن المتقدم، مع الاختصار تارة، والتعليق أخرى، في تفاسيرهم في الكشف عمّا تضمنه القرآن الكريم من أسسِ الحياة الاجتماعية، ومبادئ التشريع، ونظريات العلوم.

المحور الرابع: مرحلة التجديد.

بقي المفسّرون يفرعون ويتوسعون في تفاسيرهم كلّاً على أساس التخصص الذي مهر فيه، واستمرارهم أيضاً على طريقة المنهج الغالب في التفسير (الترتيبي) حتى جاء العصر الحديث، فانتقلَ التفسير فيه إلى مرحلة جديدة، وهي مرحلة التجديد.

إن علم التفسير يجب أن يكون أول علم معتنى به على وجه الصحة والدقة العلمية؛ لحصول القدرة على استنباط الأسرار القرآنية بحسب الطاقة البشرية، ومعرفة معاني كلام الله سبحانه وتعالى من الأوامر والنواهي وتشريع الأحكام، وتهذيب الأخلاق وسياسة الأمة (٢).

إذ يراد بالأصول المنهجية: ((البنى التحتية التي تبتني عليها القواعد الكلية الحاكمة لصياغة أي منهج جديد على وَفْقِ منظومة تشتمل على فلسفة وإجراءات تهدف للوصول إلى نتيجة متوخاة)) (٣).

يراد بالتجديد في التفسير : هو الصحيح السليم ، المنضبط بالضوابط العلمية، الملتزم بالأسس المنهجية ، التجديد المتضمن الأبداع والتحسين والجِدّة ، وليس في مظنة الآخر، الخروج على تلك القواعد والضوابط والأسس الموسومة به ، ولا نعني الانفلات والفوضى على حساب المنطلقات الصحية للقرآن ، والقول في القرآن على ما تأتى من هوى وتحريف معاني الآيات ودلالاتها .كون تلك المعاني والدلالات هي كلام الله سبحانه وتعالى ، فلا يصح القول والشطط فيها ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾{ ص: ٢٦}،﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ

١/ ينظر: التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي، ٢ / ١٦٣-١٦٤. ومباحث في علوم القرآن، مناع القطان / ٣٣٢ – ٣٣٣.

٢/ أصول التفسير وقواعده، خالد عبد الرحمن العك / ٢٩.

٣/ الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، د. عدي جواد الحجار / ٢٦.

﴿ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ { القصص: ٥٠}، وهناك بَدَهِيَّة أُخرى، وهي أن القرآن الذي بين أيدينا ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وعلى الرغم من اكتشاف كثير من المجاهيل التي كانت خافية ، وبالرغم من تقدّم الإنسان في مضمار العلم، وآفاق الكون الفسيحة لا يتعارض مع المسلمات الصحيحة التي وصل إليها الإنسان ، فضلًا عن أن يناقضها ، كما تكفل الخالق بالحفظ وعدم دخول ما ليس به ، ما بقي الدهر ،﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ { الحجر: ٩} ،﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾ { فصلت: ٤٢}. ولما قضي على النزعتين الاختبارية والعقلية في أواخر القرن الثاني عشر ومستهل القرن الثالث عشر الهجري، توفرت الدوافع نحو التفسير العلميّ الذي يهتم بأكثر المسائل التي يتوقف عليها فهم الآيات، نعم حدثت رجة عنيفة في أواسط القرن الرابع عشر ودفعت الضرورات الاجتماعية إلى تطوير المنهج التفسيري [١]. إذ نجد متقدمي المفسِّرين قد توسَّعوا في التفسير إلى حدّ كبير، جعل مَن جاء بعدهم من المفسِّرين لا يلقون عنتًا، ولا يجدون مشقةً في محاولتهم لفهم كتاب الله، وتدوين ما دوَّنوا من كتب في التفسير، أما بعصرِنا الحاضر، فقد غلب الاتجاه الاجتماعي على التفسير، ووُجِدت بعض المحاولات العلمية للتفسير.

ففي القرن الرابع عشر، خطا الغرب خطوات واسعة في الصناعة والتكنولوجيا والعلوم الإنسانية وفي مجالات مختلفة ،لا تمت إلى الدين بصلة ، وأبدى فيه نظريات إلحادية فنازلهم العلماء ، إذ كان المفسرون في طليعتهم لأفحامهم وقهقرتهم ، إزاء ما قدموه من آراء ونظريات في بدء الخليقة ، وتكون العالم بما لا يوافق ظواهر القرآن فضلا عن نصوصه ، كما قاوموا أفكارًا جديدة ونظريات مادية بحتة ، حمَّسَ المفسرين إلى التطوير في المنهج التفسيري، وإيداع مسائل جديدة في كتبهم باحثين عنها ومخضعين إياها للشرط العلمي ،وأسفرت هذه المرحلة عن تفاسير جديده أكثر موضوعية [٢]. ومن نظير ذلك: مدرسة محمد عبدهُ (ت: ١٣٢٣هـ)

١/ ينظر: مفاهيم القرآن، جعفر السبحاني، ١٠ / ٤١٩.

٢/ ينظر: المصدر نفسه، ١٠ / ٤٢٨.

إذ كان رائد النهضة التفسيرية في هذا العصر، والذي أرسى أسس المدرسة العقلّية الاجتماعية في التفسير [١].

نعم، أثرت الحضارة الغربية على المناهجِ التفسيرية، فصار ذلك مجلبةً لظهور لون خاص منْ التفسير لم يكن معهودًا في القرونِ السابقةِ، وكان ذلك سببًا لرجوع المسلمين إلى القرآن من جديد، من أجل أن يتخلّصوا بفضله من التيارات الإلحادية المضلة للفرد والمجتمع [٢]. مثل شيوع نظرية ميكانيكية الكون، ونظرية جوهر الفرد أو الجزء الذي لا يتجزأ ونحوها من النظريات الإلحادية [٣].

أيضاً: كان للمفسرين هِمَّةٌ في القضايا السياسية، حينما عرضوا لبعض القضايا المهمة ومنها: الصراع ضد الأجنبي ، ومسألة نظام الحكم وقضية الوحدة ، فنلمح دخول الاتّجاه السّياسّي في المنظومة التفسيرية، ولا سيما بعد أن أدركت الأمة المشاكل السياسية والنزعات الاجتماعية وبعد الناس عن الثوابت الإسلامية، وكتابها العظيم، فكان لا بدَّ أنْ يُعاد الخطاب الدّيني صناعة في ظلِ خلق خطاب دينيّ يؤدّي إلى صناعتين صناعة خلق الرابط الواعي الرسالي مع كتاب الله تعالى، والآخر خلق النخبة الفاعلة في ترسيم معالم الدين الحقيقية في ربط الأمةُ بكتابها وكان جمال الدين الأفغاني (ت: ١٣١٥هـ) رائدَ هذا الاتجاه الذي يؤمن بلزوم أن يكون الدينُ للمجتمع [٤] .

وقد ظهرت للنور تفاسير معاصرة مهمة [٥]، فجاءت فيها المناهج بثوب جديد تحلَّت بمحاسن كثيرة، منها:

١- سهولة اللغة وملاءمتها للعصر، وبعدها عن التعقيدات النحوية والكلامية ونحوها.

٢- نقاؤها من الإسرائيليات والخرافات والأوهام الباطنية والتأويلات لبعيدة إلى حد كبير.

١/ ينظر: التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، ١ / ٥٨٢.

٢/ ينظر: مفاهيم القرآن، ١ / ٤٢٨.

٣/ سيرد ذكرها في الفصل الخامس بمثال تطبيقي حول هذه النظرية الالحادية المزعومة ودحظها في ظل الآيات القرآنية.

٤/ ينظر: التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، د. فضل حسن عباس، ١ / ٤١

٥/ لم نوردها لكثرتها للمزيد : القرآن في الإسلام، العلامة الطباطبائي / ٥٣. مفاهيم القرآن، جعفر السبحاني، ١٠ / ٤٢٨ – ٤٣٠. والتفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، صلاح عبد الفتاح الخالدي/ ٢٩ – ٣٠.

٣- احتفاظها بمصادر القوة في التفسير، من اللغة والمصادر النقلية لأكثر ثقة في الغالب، والرأي الملتزم بأصول الاجتهاد الصحيح.

٤- نجاح بعض هذه التفاسير في التخلّص من العصبيات المذهبية إلى حد بعيد، بل استطاع بعضها أن يخطو خطوات واسعة جدًّا في اتجاهِ التقريب بين المسلمين، وهذه فاتحة عهد جديد في التفسير، فعند تفسير قولهِ تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾{البقرة: ١١٣}، وهذه الآية الكريمة تجعل أقوال هذه المجموعة من أهل الكتاب المتعصبين شبيهة بأقوال الجهلة من الوثنيين. بعبارة أُخرى: هذه الآية تقرر أن المصدر الأساس للتعصب هو الجهل والبعد عن العلم، لأن الجاهل مطوّق بمحيطه المحدود، لا يقبل غيره، بل هو ملتصق بما ملأ ذهنه منذ صغره وإن كان خرافياً، ويرفض ما سواه[١]، وعليه كيف كفر بعض الفريقين إخوانهم في الدين؟ لو نظرنا إلى هذه الآية بالمعنى الذي بيناه واتفق عليه جميع المفسرين، ثم طرحنا مَنْ يرمي بالكفر أخاه المسلم، لكان أسوأ حالًا من اليهود والنصارى، لقد كفرَّ اليهود النصارى، وكفرَّ النصارى اليهود وهم يتلون الكتاب، أي التوراة والإنجيل، فكيف بالمسلم يكفر أخاه المسلم، وهو يتلو القرآن؟! فليتق الله الذين يلوون ألسنتهم بالكتاب، وقلوبهم عمي عن معانيه ومراميه [٢]. ثم أغدق محمد جمال الدين القاسمي (ت: ١٩١٤ م) [٣] تعليقه على ذلك: ((فها هنا تسكب العبرات بما جناه التعصب

١/ ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ن مكارم الشيرازي ، ١/ ٣٤١.

٢/ ينظر: تفسير الكاشف، محمد جواد مغنية (ت: ١٤٠٠هـ)، ١ / ١٨٠. والتفسير والمفسرون محمد حسين الذهبي، ١ / ١١١. ومباحث في علوم القرآن / ٢٠٥ – ٢١٠

٣/ ولد ونظام الحكم المطلق قائم في الدولة العثمانية، فالحريات بجميع أنواعها مفقودة، والأقلام مغلولة، والأحرار مطاردون، والدستور معلق، وأعوان السلطان مبثوثون في كل مكان، والجاسوسية تفتك بالأبرياء، والعدالة تكاد تكون مفقودة لفساد النظام القضائي، وشراء مراكز القضاء. في هذا الجو السياسي الخانق عاش القاسمي معظم حياته. أما الحياة الثقافية في ولاية سورية فكانت أشبه بالمفقودة، فلا مدارس، ولا معاهد، ولا جامعات، واعتماد القلة من الناس على الكتاتيب وحلقات الجوامع والدروس الخاصة في البيوت. جهل مطبق فرضته الدولة على الناس، ليعيشوا في جوّ من الظلام والغباء، وليسهل على حكامها ومستغليها اضطراد الأمور في مسلك من الظلم والبطش والخنوع. وكان حال الحياة الدينية نتيجة طبيعية للحياة الثقافية: جمود على القديم، وكتب صفراء يتداولها الطلاب وتقليد أعمى غلت معه العقول، حتى كتب الحديث ما كانت تقرأ على الأغلب إلا للتبرك، أما كتب التفسير فممتنعة عن الخاصة بل العامة. ينظر: محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، ١/ ١.

في الدين على غالب المسلمين من الرمي بالكفر، لا بقرآن أو سنة، ولا لبيان من الله ولا لبرهان، بل لما غلت مراجل العصبية في الدين تمكن الشيطان من تفريق كلمة المسلمين))[1].

فهكذا اتشحت تفاسير العصر الحديث بالجدّة والموضوعّية ، ووحدة الهدف دون تشعب ، في ظلّ دعوات التجديد ، التي رمت لرأب الصدع والوهن ، واندفعت بالتفسير جانب العصر بثوب مبتكر متجدد ، ترمي به تحرير المجتمع من طوق الجهل الأدهم، إلى برق الإسلام المتلألئ ، فظهرت التفاسير المتنوعة ، الحاكية عن الواقع المعاش وانبعاثاته المستحدثة ،والحوادث المستجدة التي طرأت على حياة الناس، فاندفعت بشوكة صوب المضي قدماً للسير في رهط التجديد ، إذ كان للظرف المعيش ، وأثر تقلبات المجتمع أَثرٌ في حركية التفسير وتنوعه ؛ لتأكد أنَّ التفسير علم متجدد فريد، والقرآن صالح لكل حين ومقام .

المطلب الثاني: نظرة موجزة في مسيرة التَّفْسير الموضوعيّ.

يذكر أهل العلم: مَنْ أرَاد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولًا من القرآن، فما أجمل منه في مكان، فقد فسُّر في موضع آخر، وما اختصر في مكان، فقد بسط في موضع آخر منه [2].

دأب السواد الأعظم من الناس على الطريقة التي ألفوها في التفسير قراءة وتدريسًا وتأليفًا، إذ يبدأ بتفسير القرآن آية آية، وسورة سورة، والقرآن كما نعلم نزل منجماً، فربّما ينزل الموضوع الواحد في أكثر من نجم، بحسب ما تقتضيه الضرورة والظرف. وهذه هي الطريقة التي اشتهرت عند الناس، وهي تفسير تحليلي يقف به المفسر عند كلّ آية من الآيات الشريفة، وبالطبع سيتحدث المفسر عن الموضوع الواحد في أكثر من موضع بحسب وروده في الآيات الكريمة.

المحور الأول: نظرة موجزة في مسيرة التفسير الموضوعيّ

أولاً: النشأة والمنهج:

هناك الكثير من الباحثين المتأخرين في هذا النوع من التفَسِّر من يعدُّ هذا الاتّجاه ظاهرًا، أنه من مواليد هذا العصر، لكن إننا إذا أمعنا النظر نجد أثرَ هذا النوع وعناصره الأولية موجودةً منذ عهد السلف الأول، ولا سيّما عِنْدَ أئمة أهل البيت عليهم السلام إذ فسَّرُوا على وَفْقِهِ، والذي

١/ محاسن التأويل، ١/ ٣٧٧.

٢/ ينظر: الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ٢ / ٤٦٧

يدلُّكَ على ذلك ما روي عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ، في أثناء تفسيره لوجوه الكفر المذكورة في كتاب الله تعالى التي تبيين موارد استعمالها في القرآن الكريم [1] ، على الوجوه الآتية

١- كفر جحود الوحدانية: وهو قول من يقول (لا رب ولا جنة ولا نار ولا بعث ولا نشور) وهؤلاء صنف من الزنادقة وصنف من الدهرية ،﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ {الجاثية: ٢٤}، وهذا رأي وضعوه لأنفسهم استحسنوه بغير حجة فقال الله تعالى: ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ {الجاثية: ٢٤} ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ { البقرة: ٦} ،أي لا يؤمنون بتوحيد الله والجحود مع المعرفة بحقيقته ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾{النمل: ١٤}أي جحدوه بعد أن عرفوه.

٢ – كفر الترك: ترك المعاصي لما أمر الله به ، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ {البقرة: ٨٤} إلى أن قَالَ تَعَالَى:﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾{سورة :البقرة: ٨٥}، كانوا كفارًا لتركهم أمر الله تعالى.

٣- كفر البراءة: هو ما حكاه تعالى عن قول إبراهيم:﴿ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ ﴾ {الممتحنة: ٤}، أي تبرأنا منكم. وقال سبحانه في قصة إبليس الذي تبرأ من أوليائه من الإنس إلى يوم القيامة ﴿ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ﴾{إبراهيم: ٢٢}، أي تبرأت منكم.

٤- كفر النعم: وهو ما بلَّغ سبحانه عن قول سليمان:﴿ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ { النمل: ٤٠} ، ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾{ إبراهيم:٧ } ،أي بما أنعمت عليكم من نعم .

٥- مطلق الكفر: ما جاءت فيه كلمة الكفر من غير تقييد بشيءٍ من القيود المتقدمة، فجمع الإمام علي عليه السلام الآيات الواردة في الشرك وأقسامه الأربعة، أي: شرك القول والوصف، وشرك

١/ ينظر: بحار الأنوار، المجلسي، ٦٩ / ١٠١. ومرآة العقول في شرح أخبار الرسول، المجلسي، ١١ / ١٢٤ – ١٢٨. مستدرك الوسائل، حسين النوري الطبرسي (ت: ١٣٢٠هـ)، ١/ ٧٦ – ٧٨. وقواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، محمد فاكر الميبدي / ٤٠٣- ٤٠٤.

الأعمال، وشرك الزنا، وشرك الرياء. ترى الإمامَ عليه السلام جمعَ آيات الكفر والشرك، وفيها ألقى نظرة كلية وأوضح لهذين المصطلحين مفهوما موسعًا[١]

وهكذا طول تاريخ التفسير، كانت الالتفاتةُ إلى مواضيع جاءت في القرآن أو معروضة عليه، معهودةً منذ الصدر الأول بغية معرفة الدراسات القرآنية في مواضعها المحورية، أو في مسائلها المعروضة عليه؛ لغرض الإفادة منه، فيما يتعلق بحياة المسلمين على المستويين: العام، والخاص؛ لِيُبَيِّنَ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم حكمها لهم، ومن ذلك مسألة ظلم النفس.

في ضوء هذا القول الكريم ، لفتة لضم آيات القرآن الكريم بعضها إلى بعض، حينما نريد فهمه وتفسيره ،ومذ لمس المسلمون شفاء أدوائهم من القرآن فزعوا إليه بين الفينة والأخرى يستشفون به ويستمدون منه علاج مشاكلهم في الحياة ، واستجلوا منه وضح الطريق والمنهج القويم، فكان من ذا وذاك لمّة من مسائل ودلائل قرآنية كانت مباحث وذوات محورية، كل مبحث يدور حول موضوع خاصّ، بحثًا وراء فَهم أبعاده ومراميه من نص القرآن الحكيم الذي فيه تبيان كلّ شيء، الأَمر الذي اصطلح عليه المتأخرون بالتفسير الموضوعيّ، أي المقتصر على البحث والفحص عن النظرة القرآنيّة حول موضوع أو مواضيع خاصة ، في قبال التفسير العام الباحث عن مختلف أبعاد هذا النص [٢].

وكان من فرسانِ هذا الميدان –أيضاً– العالم مقاتل بن سليمان الأزدي (ت:١٥٠هـ) إذ ألَّف كتابًا سَمّاهُ: (تفسير الخمسمائة آية في الأمر والنهي والحلال والحرام) جعل ترتيبه على وفق طريقة الفقهاء (رحمهم الله) في تآليفهم، بدأه بتفسير الإيمان، ثم ذكرَ أبواب الصلاة [٣].

إذ المتتبع لجهود علمائنا المتقدمين في هذا الفنّ التَّخصّصِي، يجد لهم جهودًا قيمةً، إذ تعدّدت المواضيع القرآنية التي ألَّفوا فيها، فمنها ما وصل إلينا، ومنها ما زال حبيسا بين جدران المكتبات ، ومنها مَا فُقِدَ ولم يبق له ذكر، وإنما تناقله العلماء سواء في كتب التي عنيت بذكر مصنّفاتهم، أو غيرها من الكتب؛ ومنه قد نسب كتاب في الوجوه والنظائر إلى عكرمة، وكتاب

١/ ينظر: قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، محمد فاكر الميبدي / ٤٠٤.

٢/ ينظر التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، محمد هادي معرفة، ٢ / ١٠٣٦.

٣/ ينظر: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه، أحمد بن عبد الله الزهراني / ١٤.

آخر إلى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وممّن ألَّف في الوجوه والنظائر[١] محمد بن السائب الكلبي [٢]، ومقاتل بن سليمان، وأبو الفضل العباسي بن الفضل الأنصاري(ت: ١٨٦هـ)[٣]

وقد جاء بعد ذلك فألَّف في موضوعات خاصة بإزاء التفسير العام في عصور التدوين كان التفسير الموضوعي للمباحث الخاصة يسير معه جنبًا إلى جنب، فألَّف أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت: ٢١١هـ) كتابًا في مجاز القرآن، وأحمد بن علي أبو بكر الجصاص (ت: ٣٧٠هـ) (في أحكام القرآن) ، وأبو الحسن الواحدي(ت: ٤٦٨هـ)(في أسباب النزول) ، و كذلك الراغب الأصفهاني(ت: ٥٠٢هـ) في مفردات القرآن) ، وابن القيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) (التبيان في أقسام القرآن) ، وتتابعت الأبحاث القرآنية في العصر الحديث ولا يخلو واحد منها من تفسير لبعض آيات القرآن لجانب من الجوانب، والحق يقال إنما نطلق على مثل هذه تفسيرًا موضوعيا تجوزاً، فبذرة التفسير الموضوعي إذًا قديمة قدم نزول القرآن[٤].

١/ نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) / ٨٢.

٢/ قال أبو القاسم الخوئي: ((إنّ كثيراً من التهم التي نُسبت إلى رجال الشيعة أو إلى من يميل إلى التشيع، إنّما نسجتها يد التعصب والهوى، أو إنّها قيلت أخيراً ثم نُسبت إلى من تقدّم، وذلك حينما أحكم الظالمون قبضتهم على مقدّرات الاَمة، وأخذوا يسعون في بذر الفتن)). موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام ، ٢/ ٤٩٩.

لمحمد بن السائب الكلبي تفسير القرآن، وكتاب أحكام القرآن، وكتاب تقسيم القرآن ويُعد المترجم له أوّل من صنف في أحكام القرآن، وقد وهم الجلال السيوطي في كتاب الاَوائل حيث قال: أوّل من صنّف في أحكام القرآن الإِمام الشافعي، فإنّ الإِمام الشافعي (ت: ٢٠٤ هـ)، وذكر في طبقات النحاة أول من كتب في أحكام القرآن هو القاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف البياني القرطبي الأندلسي الاخباري اللغوي المتوفى سنة ٣٠٤ عن ثلاث وتسعين سنة، وأيا ما كان فهو متأخر عن محمد بن السائب. ينظر: الفهرست، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (المتوفى: ٤٣٨هـ) / ٥٣. و سير اعلام النبلاء، الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) ، ٦ / ٢٤٨. ، و فقه القرآن، قطب الدين الرواندي (ت : ٥٧٣هـ) ، ١ / ٩.

٣/ أن معنى الوجوه والنظائر أن تكون الكلمة الواحدة ذكرت في مواضع من القرآن على لفظ واحد، وحركة واحدة وأريد بكل مكان معنى غير الآخر، فلفظ كل كلمة ذكرت، في موضع نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضوع الآخر، وتفسير كل كلمة، بمعنى غير معنى الآخر هو الوجوه، فالنظائر اسم للألفاظ، والوجوه اسم للمعاني، فهذا الأصل في وضع كتب الوجوه والنظائر. والذي أراده العلماء بوضع كتب الوجوه – والنظائر، أن يعرفوا السامع لهذه النظائر أن معانيها تختلف، وأنه ليس المراد بهذه اللفظة ما أريد بالأخرى. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ابن الجوزي/ ٨٣.

٤/ ينظر: التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، محمد هادي معرفة، ٢ / ١٠٣٥.

فطريقة التفسير الجديدة جاءت تكملة لجهود المتقدّمين وإغناء لتجاربهم ودراساتهم لتعطي لنا صورة بالغة الوضوح ومكمّلة لما أعدّه السابقون من المفسّرين، وهذا التفسير يسمّى بـ(التفسير الموضوعيّ) أما تعريفه مصطلحًا فنحاول أن نعرض نزرًا من التعاريف التي صاغها الباحثون في بيانات كتبهم، ثم ننتخب تعريفا مناسباً لذلك:

١-عرفه أمين الخولي (ت: ١٣٨٥هـ):((تجمع الآية الخاصة بالموضوع الواحد جمعًا إحصائيًا مستقصيًا ومعرفة ترتيبها الزمني ومناسباتها وملابساتها الحافة بها، ثم ينظر فيها بعد ذلك لتفَسّر وتفهم)) [١]. يتّضح أن الذي بينهُ كشفٌ لمنهج التفسير الموضوعيّ.

٢- لعلَّ محمد باقر الصدر (ت: ١٤٠٠هـ) أول مَنْ تكلَّم في هذا الموضوع من الشيعة [٢]، قال في تعريفه الذي عبّر عنه (بالاتجاه التوحيدي): ((الدراسة الموضوعية التي تطرح موضوعًا من موضوعات الحياة، العقائدية أو الاجتماعية أو الكونية، وتتّجه إلى دراسته وتقيمه من زاوية قرآنية للخروج بنظرية قرآنيَّة بصدده)) [٣]. تحدث السيد الشهيد عن استقراء للشاهد الظاهر في واقع الحياة أو المجتمع ومعالجة ذلك الواقع من وجهة نظر قرآنية، فلا يدخل في التفسير الموضوعيّ بحث موضوع عن خارج موضوعات القرآن الكريم الظاهرة أو المقاصد المعروفة.

٣- وهناك رؤية لتعريف آخر: هو الفنُّ التفسيري الذي تجمع فيه قضايا القرآن الكريم، وتفسير تفسيرًا علميًا قائم على أساس الموضوع، وتستقص في بحث منفرد، أو صنف جامع على نمط موسوعات التفسير التحليليّ، بحيث يرجع الباحث إلى الموضوع الذي يريده، ويعلم موقف القرآن منه في يسر وسهولة [٤]. هذا النوع من التفسير الموضوعيّ لم نقف عليه في المكتبات الإسلامية، ولا وجود له، أما الموجود من هذا النوع من التفسير، فهي (فهو في) كتب وأبحاث دراستها كانت مقتصرة على اجتزاء موضوعات متفرقه من القرآن ودراستها في ضوء هذا النوع.

٤- لسعيد حوى تعريفًا آخر: أن الموضوع الواحد في القرآن الكريم يرد في مواضع متفرقة، وبصور متنوعة، ولمناسبات متعددة، ومع ذلك فلو جمعت آيات الموضوع الواحد لكونت بناء واحدا

١/ مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والادب، أمين الخولي (ت: ١٨٩٥هـ. ١٩٦٥م)/ ٣٠٦.

٢/ ينظر: قواعد التفسير عند الشيعة والسنة، محمد فاكر الميبدي / ٣٩٩.

٣/ التفسير الموضوعي والفلسفة الاجتماعية في المدرسة القرآنية / ٢٠.

٤/ ينظر: لأساس في التفسير، سعيد حوّى (ت: ١٤٠٩ هـ) ١ / ٢١.

قويًا محكمًا، ولأصبح نسيجًا واحدًا متناسقًا بديعًا [١]. نلمس فيه عملية الجمع واستقصاء لجميع الموضوعات في القرآن الكريم التي تحمل نفس الغرض في كُلِّ القرآن وإن كانت متفرقة، وهو ما يسعُ إليه المَفسِّر في هذا النوع من التفسير لإظهاره في تفسيره.

٥- قدّم الدكتور: حكمت عبيد الخفاجي رؤيته (للتفسير الموضوعي) والباحث يميل إليها: ((هو معرفة أحوال مجموعة من الآيات القرآنية في موضوع محدد مرتبة على حسب النزول تارة وغير مرتبة تارة أخرى من حيث دلالته على مراد الله تعالى بتيسير فهمه الى المتلقي في كيان واحد، وهيأة تركيبة متجانسة، لا يفصل بينها فاصل، فيصب ذلك في بحث مستقل يكون موضوعه ما في الآيات من موضوع))[٢] . بين أستاذنا في التعريف بضم مجموعة من الآيات النازلة بقضية ما بالترتيب، أو متأخرة عنه، تجمعها وحده الهدف من وراء النزول، تصبُّ في بحث مستقل يربطها معًا موضوع واحد، وقد نّبه على إعمال العقل والتدبر، لمعالجة الواقع بفهم القرآن، وهنا فرق بين المنهج والمفهوم؛ والذي إليه نميل في بيان المفهوم للتفسير الموضوعي.

ذهب الدكتور: أحمد الرحماني، في بيان رأيه حول تعريف الدكتور حكمت؛ فقال: ((أنه على صوابٍ؛ لكونه فرّق بين الحديث عن المنهج والحديث عن المفهوم، فهو فرق واضح، ينبغي ألا يخلط فيه لدى الباحث أو دارس لأي علم من العلوم، فالتعريف شيء والخطوات المتبعة والتقنيات المستعملة والقواعد المتبعة في انجاز البحث شيء آخر))[٣].

٦-صاغ الدكتور: أحمد الرحماني تعريفه فقال: ((منهج مستحدث في دراسة القرآن يستهدف سبر أغوار الموضوعات المختلفة من اجتماعيّة وأخلاقيّة وكونية وغيرها إما من خلال تفسير سورة القرآن باعتبارها كلًّا موحدًا يعبر عن موضوع واحد، أو من خلال تفسير آيات جمعت لبناء موضوع تشكل الآيات عناصره الأساسية، والغرض فيها هو الخروج بتصور سليم حول الموضوع او نظرية علمية فيه)) [٤]. الانبثاق الأول لهذا النوع قديم منذ نزل القرآن الكريم ،

١/ ينظر: المصدر نفسه،٢ / ١٠٢٠. و٩/ ٤٨٤٦.

٢/التفسير الموضوعي للقرآن الكريم وموضوعاته / ٣٠.

٣/ مصادر التفسير الموضوعي / ٥٤.

٤/المصدر نفسه/ ٢٦.

وبيانه من النبي ﷺ ، فبوادره موجوده في القرآن الكريم نَفْسِهِ، كون يجدر بالمستحدث أنْ يقوم بنفسه أي يكن له جذور أو أسس بني عليها فاستوى سُوْقه، نجد في طيّات كلمات أئمة الهدى عليهم السلام والصحابة الكرام أمثلةٌ كثيرةٌ ، تفصح لنا عن أسلوب جمع الآيات المرتبطة بموضوع معين وترتيبها ثم الاستفادة منها ، وقد رويت عبارة (القرآن يفسر بعضه بعضًا) عن ابن عباس ، وليس بالمستبعد أن يكون قد أخذها عن النبي ﷺ وأمير المؤمنين عليّ عليه السلام نتيجة لعلاقته القوية معهما في مسائلِ القرآن ، كما وردت مصاديقها في نهج البلاغة بقول الإمام عليّ عليه السلام : (كتاب الله يصدق بعضه بعضا) فثبت قِدم المنهج ؛ فهذه النظرات تصلح أن تكون نواة أو لبناتٍ أولية يبنى فقوها علماء العصر الحاضر في هذا النوع من التفسير .

جاءت التعريفات من طرف المتأخرين تعريفات مختلفة وجاء ذلك: تبعا للهدف الذي يرمي إليه كّل باحث على حدة، لكن الملاحظ عليها أنها سلكت نَفْسُهُ الطريق في الوصول الى المقصود من وراء التفسير الموضوعيّ، جميعها لا يخرج عن نظرة الباحث في القرآن، لسورة أو مجموع سوره وربطها بجانب معين من العلاقات القائمة بينها لتكون عنونًا محدّدًا يدرس تحتها تلك الآيات المجتمعة أو السور.

وفي ضوء ما تمخض لنا من تعاريف المحدثين لنا صياغة تعريف للتفسير الموضوعي، الذي يمكن لنا عدّه الأقرب الى المقصود.

فرأى الباحث إن التفسير الموضوعي: هو استقصاء وبحث في سورةٍ من القرآن الكريم أو في مجموعة سور أو آيات يربط بعضَها بعضًا عنوانٌ معلومٌ؛ للحصول على مَقَاصِد قرآنيَّة محورية تمسُّ جانبًا من جوانب الحياة المختلفة، –فكرية، اقتصادية، سياسية، كونية–؛ للوصول إلى الفائدة التي تحققها تلك المقاصد القرآنية لحياة المسلمين.

ثانياً: طريقة البحث في التفسير الموضوعي:

أن طريقة البحث في التفسير الموضوعي تشتمل على أسلوبينِ، فأمَّا الأسلوبان فالأول منهما يكون البحث فيه عن طريق النظر إلى السورة القرآنية [1] من أولها إلى آخرها على أنها وحدة متكاملة الفكرة والمنهج والموضوع وقد عالجت ذلك الموضوع العام من خلاله موضوعاتها

١/ينظر: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه، أحمد الزهراني / ١٧. والتفسير الموضوعي للقرآن الكريم وموضوعاته، د. حكمت عبيد الخفاجي / ٢٥ – ٢٩.

المتعددة، منها (العقائديّة)، أو (الأخلاقيّة)، ونحوهما من الموضوعات [١]، ومن الأمثلة على التفسير الموضوعي ما جاء في سورة (المنافقين) التي عالجت فضح المنافقين والتحذير منهم على وفق المراحل الآتية:

١- بيان كذب المنافقين وأنهم يقولون مالا يعتقدون.

٢- جرأتهم على الأيمان الكاذبة تسترًا على نفاقهم وخوفًا على دمائهم.

٣- صدُّهم عن سبيل الله بأساليبهم الخبيثة الماكرة.

٤- سيطرة الجبن والخوف عليهم مع أن الناظر لهم يراهم أصحاب أجسام ضخام.

٥- إعراضهم عن الهدى وعدم الاستجابة لهم وصد الناس عنه.

٦- فضح دسائسهم ومناوراتهم وما تحمله نفوسهم اللئيمة من الخبث والغدر والخيانة للإسلام والمسلمين.

٧- تحذير المؤمنين من أن يقعوا في أدنى صفة من صفات المنافقين وأدنى درجات النفاق عدم التجرد لله والغفلة عن ذكره اشتغالا بالأموال والأولاد، والتقاعس عن البذل في سبيل الله حتى يأتي اليوم الذي لا ينفع فيه البذل والصدقات [٢].

وأمّا **الأسلوب الآخر**: فهو أن ينظر الباحث إلى الآيات القرآنية المتنوعة في القرآن كلّه، بجمع تلك الآيات ذات الموضوع الواحد والهدف المشترك في موضوع واحد، ويقوم بدراستها دراسة متكاملة مراعيًا ترتيبها بحسب أسباب النزول لكي يعرف المتقدم منها من المتأخر مستعينًا في ذلك بالسُّنَّة الصحيحة وفهم السلف لذلك، محاولا قدر جهده وطاقته الإحاطة بجوانب الموضوع كله.

والأسلوب الثاني هو المعمول به في مجال البحوث العلمية الموضوعية وإذا ما أطلقت كلمة (تفسير موضوعي) فلا يفهم منها إلا بحث موضوع من موضوعات القرآن الكريم على مستوى القرآن جميعه، والذي يتم فيه قبل كلّ شيء جمع الآيات الواردة حول الموضوع في

١/التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، صلاح عبد الفتاح الخالدي / ٩٧ وما بعدها. والتفسير الموضوعي القرآن الكريم وموضوعاته / ١٤٧ وما بعدها.

٢/ ينظر: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه، أحمد بن عبد الله الزهراني / ١٧.

القرآن كلّه، وقبل أي حكم أو ابداء نظر يتم جمع الآيات وتفسيرها جنبًا إلى جنب، وبملاحظة ترابطها يحصل منها على الصورة الكاملة [١].

كذلك لم يفت علماؤنا، منذ أقدم عصور التدوين، أن يؤلّفوا في هذه الظاهرة اللّغويّة ومن بين الكتب المطبوعة في هذا الموضوع.

١- تفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه، ليحيى بن سلام (ت: ٢٠٠هـ).

٢-تحصيل نظائر القرآن، للحكيم الترمذي (ت: ٣١٨هـ).

٣- الأشباه والنظائر في الألفاظ القرآنية التي ترادفت مبانيها وتنوعت معانيها، للثعالبي (ت: ٤٢٩هـ).

٤-قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن، الحسين بن محمد بن إبراهيم الدامغاني (ت:٤٧٨هـ) الذي أشار إلى مقاتل بن سليمان وكتابه الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، وقد خصصه الدمغاني بالذكر ونهل من موارد سليمان كثيرًا، جمع الدمغاني في كتابه معاني الكلمات الواحدة في القرآن مفرقة على الآيات [٢] .

٥-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ).

٦-الوجوه والنظائر لأبي الفرج بن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، وغير ذلك كثير.

تلك المؤلفات تصلح أن تكون أسسٌ أولية لهذا اللون من التفسير الموضوعيّ، يمكن للباحث في التفسير الموضوعيّ المعاصر أن يفيدَ منها ثم يضيف عليها إضافات كثيرة.

ثالثاً: كيفية منهج الدراسة في التفسير الموضوعي:

إذا أراد الباحث أن يطرق موضوعاً من موضوعات القرآن الكريم، لا بَّد له من أن يكُونَ متصورا لأبعاد الموضوع، وأن يتدرّج في جميع المادة العلمية حوله، من أجل الإلمام بأطراف الموضوع، والربط بين أجزائه وإظهاره في صورة متكاملة تكشف للقارئ عظمة القرآن الكريم وأهدافه السامية، ومن تلك الالتزامات ما يلي.

١/ينظر: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د، أحمد السيد الكومي و د. محمد أحمد يوسف القاسم /١٦- ١٧. ونفحات القرآن (أسلوب جديد في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم)، ناصر مكارم الشيرازي، ١ / ١٨- ١٩. والتفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه / ١٦.

٢/ ينظر: قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر، حسين بن محمد الدمغاني / ٧ – ٨.

١. المعرفة الدقيقة لمعنى (التفسير الموضوعي الخاصّ) الذي يريد المفسّر مزاولته [١].
٢. تحديد الموضوع القرآني المراد بحثه تحديداً دقيقاً من حيث المعنى، بعد تحديد معالم حدوده ومعرفة أبعاده في الآيات القرآنية [٢].
٣. جمع الآيات القرآنية المتعلقة به، والعناية باختيار جوامعها عند إرادة الاختصار [٣].
٤. ترتيبها على وَفْقِ أسباب النزول (المكّيّ – المدنّي) لمعرفة المتقدم من المتأخّر منها [٤].
٥. فهم الآيات الكريمة بالرجوع الى تفسيرها أي؛ يجلي مضمونها ويكشف عن مكنونها، ومعرفة أحوالها، من حيث أسباب النزول، وتدرّج التشريع، وإزالة ما يتوهم أنه اختلاف وتناقض بينها أو ناسخ ومنسوخ أو خاص وعام أو مطلق ومقيد وغيرها مما يتقرر به المعنى [٥].
٦. الاستعانة في الموضوع بما صحّ عن النبيّ ﷺ وأهل بيته عليهم السلام بما قاله من السنّة الصحيحة المبينة لما أجمل، والمفسرة لِما أشكلَ والمقيدة لما أطلق. والمخصّصة لما جاء عاماً، فالسّنة المشرفة دورها في التفسير الموضوعي التوضيح والبيان والاستدلال وذلك حفاظًا على قرآنية الموضوع [٦].
٧. بعد الإحاطة بمعاني الآيات مجتمعة يحاول الباحث أن يستنبط العناصر الأساسية للموضوع من خلال التوجيهات القرآنية التي أحاط بها أو استنبطها من الآيات المتعلقة بالموضوع،

١/ينظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي، د. عبد الستار فتح الله سعيد / ٥٦.

٢/ينظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي / ٥٦. ومباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم / ٤٠. ومنهج التفسير الموضوعي، د. سامر عبد الرحمن رشواني/ ١٤١.

٣/ينظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي/٧٢. والمدخل إلى التفسير الموضوعي / ٥٦.

٤/ينظر: التيسير في قواعد علم التفسير، محي الدين محمد الكافيجي (ت: ٨٧٩هـ) / ٢٨. .

٥/ينظر: التيسير في قواعد علم التفسير/ ٢٧. والبداية في التفسير الموضوعي، عبد الحي الفرماوي/ ٥٧– ٦١. مباحث في التفسير الموضوعي / ٣٧ – ٣٩..

٦/ينظر: التيسير في قواعد علم التفسير/ ٢٨. قواعد التفسير جمعًا ودراسة، خالد عثمان السبت / ٤٠.

وللباحث أن يقدم بعض العناصر الرئيسة على غيرها، إذ وجد أن طبيعة البحث تقتضي ذلك أو أن تسلسل الأفكار المنطقي يلزم هذا التقديم أو التأخير [١].

٨. تقسيم الموضوع إلى عناصر مترابطة، منتزعة من الآيات ذاتها، ورد الآيات إلى عناصرها ومواضيعها من البناء الكلي للموضوع، مع تفسير موجز لما يحتاج منها إلى تفسير حقائقها القريبة واستنباطِها من غير تكلف، ورد الشبهات عن الموضوع [٢].

٩. عند الحاجة إلى شرح كلمة غريبة أو توجيه قراءة، أو إظهار نكتة بلاغية أثناء عرض أحد عناصر الموضوع، يجعل ذلك تعليقًا في الحاشية من غير استطراد يخل بتسلسل الأفكار وتعانق الفقرات وسلاسة الأسلوب وإشراقة البيان[٣].

١٠. على الباحث أن يلتزم بالمنهج الصحيح في التفسير، وذلك بإبعاد الروايات الضعيفة والإسرائيليات والقصص التاريخي عند عرض الموضوع القرآني وتركيز الجهد لاستنطاق النصوص الكريمة على قواعد اللغة والأساليب البيانية، ودقة الاستنباط منها[٤].

رابعاً: مشكلات التي يمكن أنْ تكتنف التفسير الموضوعيّ:

يواجه المفسّر في طريقه مشكلات كبيرة في أثناء محاولة عرض التفسير على أساس الموضوع، بطريقة تناول التفسير الموضوعيّ، تكتنفها بعض المشكلات التي ينبغي الانتباه إليها، كما إنها عملية غير معصومة، إذ ترافقها بعض الأخطاء، لذا فمن الممكن الوقوع في تلك المشاكل التطبيقية، التي يجب التنبه عليها؛ لتجنب الوقوع فيها من المفسّر الموضوعيّ لكتاب الله تعالى، وقد شخص العلماء نزرًا يسيرًا من تلك المشكلات العارضة.

١. ليس التفسير الموضوعي بأنْ تجعل فهارس الآيات أَمامك وتجمع الآيات التي يرد فيها ذكر لكلمات المواضيع التي تريد البحث فيها، مثل الجهاد والتقوى لأن الكثير من الآيات تتحدّث

١/ينظر: التفسير الموضوعي والفلسفة الاجتماعية في المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر / ٢٠-٢١. والبداية في التفسير الموضوعي، عبد الحي الفرماوي/ ٥٧ والتفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي/٧١- ٧٢. ومباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم / ٤٠.

٢/ينظر: المدخل الى التفسير الموضوعي، د. عبد الستار فتح الله سعيد / ٥٧. ٨

٣/ينظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق /٧٢.

٤/ينظر: التفسير الموضوعي والفلسفة الاجتماعية في المدرسة القرآنية / ٢٠-٢١. والتفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق /٧٢. ومباحث في التفسير الموضوعي / ٣٩.

حول هذه المواضيع من دونِ أن تُذكر فيها كلمة التقوى أو الجهاد وأمثال هذا كثير. ولا بأس هنا أنْ نذكر مثالًا، نحن نعلم أنّ الله سبحانه (رحمن) و(رحيم) و(أرحم الراحمين) وهذا المعنى منعكس في الكثير من آيات القرآن، ولكن توجد آيات تبيّن هذه الحقيقة من دونِ استعمال مادة (رحم) منها الآية {٦١: من سورة النحل}: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾، وهذا المعنى نَفْسُه مع اختلاف يسير ذكر في الآية {٤٥ : فاطر} ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ ، هاتان الآيتان تشيران إلى رحمةِ الله ولطفه المطلق على عبادهِ مِن غَيْرِ أن تُستعمل مادة (رحم) في الآيتين[١].

٢. مشكلة جمع الآيات وأخذ النتيجة منها، فهذه العملية تحتاج إلى دِقة وظرافة وذوق ووعي كامل وإحاطة تامّة بالآيات القرآنية والتفاسير، وعندما تكون الآيات المرتبطة بموضوع ما كثيرة ويكون لكلٍّ منها بعدٌ خاصٌّ بها فان الجمع سيكون أكثر تعقيداً، مضافاً الى ذلك فانَّ التفسير الموضوعيَّ ما يزال يخطو خطواته الأولى ولم يُبذل فيه سعيٌ وعملٌ كثيرٌ. وهذا يجعل أمر المشتغلينَ بهذا العمل صعبًا ومعقدًا ويختلف كثيرًا عن التفسير المعتاد المتّبع منذ نزول القرآن.

٣. أن موضوعات الكتاب الإلهيّ العظيم لا حدّ لها ولا حساب ففيه المسائل العقائديّة والعمليّة، والأخلاقيّة والسياسية والاجتماعيّة والاقتصاديّة، وآداب العشرة وأحكام الحرب والسلم وتاريخ الأنبياء وأمور الكون وفي كلّ واحدة من هذه الأُمور موضوعات كثيرة بحثها القرآن، ومناقشة كلّ هذه المسائل تحتاج إلى وقتٍ طويل وصدر واسع. واحياناً تبحث الآية الواحدة في التفسير الموضوعي أبحاثاً عديدة من جهات مختلفة، وفي كلّ بُعد من أَبعادها يجب بحث فصل خاص به، في حين تفسر الآية في التفسير الترتيبيّ تفسيراً واحداً فقط[٢].

٤. من المشاكل التي يتعرض لها المفسّر في هذا اللون هي مسألة التقطيع، وهو فصل الآيات عن القرائن الموجودة ضمن السياق وأغفالها، إذ يذكر محمد علي رضائي: انه لابدَّ أنْ يُقارنَ

١/ ينظر: أسلوب جديد في التفسير الموضوعي، ناصر مكارم الشيرازي ،١ / ٢٠ – ٢١. ودروس في المناهج ولاتجاهات التفسيرية للقرآن، محمد علي رضائي / ٣١٦.

٢/ ينظر: ودروس في المناهج ولاتجاهات التفسيرية للقرآن، محمد علي رضائي / ٣١٦. ومنهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم دراسة نقدية، سامر عبد الرحمن رشواني / ١٤١ وما بعدها. وأصول وقواعد التفسير الموضوعي، د. مازن شاكر التميمي / ١٥٩ – ١٦١.

التفسير الموضوعي مع الترتيبيّ لتجاوز هذا الخلل في التفسير فعندما نقوم بدراسة الآيات المتعلقة بالنبوة، لا بدَّ من مراجعة التفسير الترتيبي أولاً وملاحظة القرائن العقليّة، والنقليَّة والسياق ثم نقوم بالتفسير الموضوعيّ في الخطوة الثانية.

٥. اعتقاد المفسر بإمكانية التفسير الموضوعيّ بمجرد ضَمّ الآيات المتشابهة ثم الخروج بنتيجة نهائية دون وجود أي سابقة تفسيريّة، في حين أنه يحتم على المفسِّر من أن تتوافر فيهِ جملةٌ من الشروطِ منها الممارسة في التفسير، أي يجب أنْ يكون مطّلعًا على التفسير الترتيبيّ في الخطوةِ الأولى، وفي غير هذه الصورة فإنه ينتهي به الحال إلى التفسير بالرأي الممنوع(١).

٦. الغفلة عن المفاهيم القرآنية التي وردت بألفاظ أخرى في القرآن، وذلك في ضوء الاعتماد على الألفاظ الموجودة في المعجم المفهرس للقرآن فقط.

٧. اتّساعُ الموضوعات وتداخلها، لأن الآياتِ قد تتضمّن الدَّلالة على أكثر من قضية ، فيتطلب ذلك الوسع لتمييز موضوعة والوقوف على حدّه ، للسلامة من خشية تداخل الموضوعات، ومن الخروج عن حد الموضوعية، التي هي من سمات البحث العلميّ ، إذ بين محمد عمر بازمول بقوله : ((إن المستشرقين كانت لهم البداية التطبيقية لهذا المنهج (التفسير الموضوعيّ) فهم قد يستعملون أمورًا لا تتفق مع الشرع ،لأنهم ليسوا من أهله أصلاً ؛ فعلى الباحث أنْ يحذر من بعض الأفكار التي تسربت إلى منهج التّفْسير الموضوعيّ، وبعض العبارات التي لا يحسن استعمالها))(٢).

في ظلِّ ما تقدّمَ نلْمَحُ أنّ لكلٍّ من الباحثينَ أو المختصين، في التفسير الموضوعيّ قد تبينت له نقاطٌ عدّة حدّدها في ضوء دراسته وعدَّها من المشاكل، وتلك المشكلات جاءت مختلفة من باحث إلى آخر، فهي يمكن لنا أنْ نعدَّها من وجهات النظر المسبقة لكلٍّ منهم أو من الاحتمالات التي يمكن تلافيها والانتباه لها قبل الوقوع فيها، ونلحظ هذا إذ منهم من عدها مشكلة(كما هو الأمر عند مكارم الشيرازيّ) ويمكن تدارك هذا قبل الوقوع ، وهنالك من عدّها غفلة (إذ اتضح في ضوء كلام محمد علي رضائي) ، وأخر (وآخر) وصفها بحذرٍ وخشيةٍ من التداخل كما هو الحال عند (محمد بن عمر بن سالم بازمول)، ويمكن تدارك ذلك في

١ / ينظر: دروس في المناهج ولاتجاهات التفسيرية للقرآن، محمد علي الرضائي / ٣١٦.

٢/ ينظر: تحرير التفسير الموضوعي والوحدة الموضوعية للسورة، أ. د. محمد بن عمر سالم بازمول / ٤٧.

حال اعتماد المفسر الموضوعيّ على الأصول والقواعد المنطبقة على التفسير الموضوعي بشكل خاصّ، والتفسير بشكله العام والسير به قدمًا نحو الشرائط المنطبقة للتفسير.

المحور الثاني: أنواعُ التَّفسيرِ الموضوعيّ:

النوع الأول: التفسير الموضوعي للمصطلحات القرآنية: يختار الباحث مصطلحًا قرآنياً، ويفرد له دراسة خاصة، يتابع فيها هذا المصطلح في القرآنِ، باشتقاقاته وتصريفاته وحالاته العديدة، ثم يتدبّر الآيات التي ورد فيها هذا المصطلح، ويستخلص منها اللَّطائف والمعاني، والدَّلالات والإشارات، وكثير من الكلمات القرآنيّة المتكّررة أصبحت مصطلحات قرآنية. فكلمات: الأمة، الصدقة، الجهاد، المنافقون، الزكاة، وغيرها، نجدها تأخذ وجوهًا في الاستعمال والدلالة. فالمتتبع لمثل هذا يخرج بنوعٍ من التفسير لأساليب القرآن الكريم في استخدام مادة الكلمة ودلالاتها، وقد سبقت الإشارة إلى أن كتب غريب القرآن، وكتب الأشباه والنظائر قد تضمنت هذا النوع من التفسير، وهي العمدة في مثل هذه الأبحاث، لأن المؤلفات القديمة من هذا اللون بقيت في دائرة دلالة الكلمة في موضعها. ولم يحاول مؤلفوها أن يربطوا بينها في مختلف السور، فبقي تفسيرهم للكلمة في دائرة الدلالة اللفظية.

أما المعاصرون الذين كتبوا في هذا النوع، فقد تتبَّعوا الكلمة وحاولوا الربط بين دَلالاتها في مختلف المواضع فكان أشبه ما يكون بالنوع الثاني من التفسير الموضوعيّ [1].

النوع الثاني: تحديد موضوع ما يلحظ الباحث تعرض القرآن الكريم له بأساليب متنوعة في العرض والتحليل والمناقشة والتعليق، فيتتبع الموضوع من خلال سور القرآن الكريم، ويستخرج الآيات التي تناولت الموضوع، وبعد جمعها والإحاطة بتفسيرها يحاول الباحث استنباط عناصر الموضوع عن طريق الآيات الكريمة، فينسق بين عناصره، ويقدم له بمقدمة حول أسلوب القرآن الكريم في عرض أفكار الموضوع، ويحاول أن يقسمه إلى أبواب وفصول ومباحث، ويستدل بالآيات القرآنية على كل ما يذهب إليه ويتحدّث عنه مع ربط ذلك كلّه بواقع الناس ومشاكلهم ومحاولة حلها وإلقاء أضواء قرآنية عليها.

١/ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم / ٢٤. التفسير والتاويل في القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي / ١٤- ١٦. مدخل الى تفسير القرآن وعلومه، عدنان محمد زرزور/ ٢٦٧ -٢٦٨. قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، محمد فاكر/ ٤١٩.

فيتجنب في ضوء بحثه التعرض للأمور الجزئية في تفسير الآيات فلا يذكر القراءات، ووجوه الإعراب والنكات البلاغية إلا بمقدار ما تُلقي أضواء على أفكار الموضوع الأساسية، ويعرض ما يتحدث عنه بأسلوب جذاب لتوضيح مرامي الآيات ومقاصدها والحكمة الإلهية في عرض أفكار الموضوع بأساليب معينة واختيار ألفاظ محددة لها.

وهذا النوعُ من التفسير الموضوعيّ هو المشهور في عرف أهل الاختصاص، وإذا أطلق اسم (التفسير الموضوعيّ) فلا يكاد ينصرف الذهن إلا إليه، ولقد كَثُرتِ المؤلفاتُ قديمًا وحديثًا في هذا اللون من التفسير الموضوعيّ فما كتب: إعجاز القرآن وأحكام القرآن وأمثال القرآن ومجاز القرآن وغيرها قديمًا إلا أمثلة ناطقة على أهمية هذا النوع من التفسير.

كذلك الموضوعات المختلفة المعاصرة: المتعلقة بمجالات المعرفة المختلفة إذ ربطها الباحثون بالقرآن الكريم ونظروا بمنظاره إلى هذه المجالات وكيفية البحث عنها، سواء كانت هذه المجالات ممّا يتعلّق بالكون المحيط بالإنسان، أم كانت مما يتعلق بالإنسان خلقه وتكوينه وعواطفه وغرائزه ...، أو بالحياة الاجتماعية التي يحييها الإنسان في مجتمعه، وما يتعلق كذلك بأمور الغيب، والبعث والحساب، ولا تكاد تنتهي مثل هذه الموضوعات، بل كلّما جَدَّتْ علومٌ وصنوف من المعرفة لدى الإنسان يجد الباحث في القرآن الكريم ما يشبع فكرة اقتناعًا، وقلبه طمأنينة من عرض القرآن الكريم لأساسيات هذا النوع من المعرفة بوضع الأسس العامة والتوجيهات الأساسية في هذا الشأن[1].

النوع الثالث: التفسير الموضوعي للسور القرآنية: يفرد الباحث فيه السورة القرآنية بدراسة خاصة، ويمعن النظر فيها، ويبيّن الوَحْدة الموضوعيّة للسورة، ويلحظ أهدافها ومقاصدها، ويقف على وحداتها ودروسها، ثم يحلّلها تحليلًا موضوعيًّا، ويقدّمها للقارئين وحدة موضوعية متكاملة [2].

سيجد الباحث أن لكل سورة شخصيتها المستقلة وأهدافها الأساسية، فمن المعلوم أن السور المكية قد عرضت أسس العقيدة الإسلامية الثلاثة بشكل مفصّل: الألوهية، الرسالة، البعث

١/ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم / ٢٥ والتفسير والتاويل في القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي / ١٥. والتفسير الموضوعي للقران الكريم، د. حكمت عبيد / ٢٦ – ٢٧.

٢/ينظر: التفسير والتاويل في القرآن / ١٤– ١٦. مدخل الى تفسير القرآن وعلومه، عدنان محمد زرزور / ٢٦٧–٢٦٨.

بعد الموت، لذا يمكن أن يتناول الباحث في كلِّ سورة مكية أحد الجوانب الثلاثة من العقيدة، كما اشتمل كثير منها على الحثِّ على أمهات الأخلاق والتنفير من مرذولها.

ولم يظفر هذا اللون من التفسير الموضوعي بعناية المفسرين القدماء بهذا الوصف بل جاء في طيَّات تفاسيرهم الإشارة إلى بعض أهداف السور وخاصة القصيرة منها، وكذلك التوخي لوجه المناسبة بين مقاطع بعض السور، كما فعل الرازي في تفسيره الكبير، والزمخشري في كشافه، وكذا فعل برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، في (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) إذ سلك فيه صاحبه منذ بداية البحث التناسب بين سور وآياته، مما جعله ينهج نهجا متميزا يكشف به الوحدة الموضوعية في السور القرآنية [١].

يقول الشاطبي:((إن السورة الواحدة مهما تعددت قضاياها فهي تكون قضية واحدة، تهدف إلى غرض واحد، أو تسعى لإتمامه، وإن اشتملت على عديد من المعاني))[٢].

أما في العصر الحديث فقد كان سيد قطب مولعاً بعرض أهداف وأساسيات كل سورة، قبل البدء في تفسيرها، وبيان شخصية كل سورة وملامحها المتميزة عن بقية السور. والأساليب المتبعة في عرض أفكارها. فيعتبر كتابه (في ظلال القرآن) نموذجًا جيدًا وبخاصة مقدمة تفسيره لكل سورة [٣]

أولاً: أسباب ظهور التفسير الموضوعي وأهدافه:

عرف الإسلام في أنظمته وتشريعاته طريقه إلى المجتمع في بداية الأَمر من خلالِ التطبيق، وذلك لأن الجانب الاجتماعيّ من الإسلام لم يطرحه الرسول الأعظم ﷺ كنظريات عامة ومبادئ دستورية عن المجتمع وعلاقاته المختلفة، ثم جاء التشريع والتقنين بناءً فوقيًّا لها ليشمل جميع مناحي الحياة، وإنما طرحه الرسول الأعظم ﷺ في كثير من الأحيان من خلال التقنين والتشريع وبيان الاحكام المختلفة في قضايا المجتمع التفصيلية.

١/ينظر: مصادر التفسير الموضوعي، أحمد الرحماني / ٦.

٢/الموافقات، أبو اسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الشهير بالشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)، ٤/ ٢٧٤.

٣/ ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم / ٢٥. والتفسير والتاويل في القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي/ ١٥. الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين / ٢٨٩

ومن هنا لا نجدُ البحث الموضوعيّ النظريّ يدخل في الشريعة الاسلاميّة إلَّا في العصور المتأخرة من تاريخ المسلمين ؛لأن المجتمع الاسلاميَّ كان يباشر التطبيق للقانون الإسلاميّ على أساسِ أنه تشريع وأحكام من الله سبحانه لا بدّ من الالتزام بها ضمن نطاقها المعين وفي حدودها الخاصة، بلا حاجة إلى معرفة النظرية التي يقوم عليها الحكم الشرعيّ، وكيفية معالجتها لمشاكل الحياة الاجتماعية، ويكاد يختص هذا الأمر بالشريعة فقط دون الجانب الَعَقديّ للإسلام ، فإنه كان ولا يزال مجالًا للبحث النظريّ بسبب أن جانب التطبيق فيه هو فهم النظرية والإيمان بها ، وهذا ما فعله رسول الله ﷺ فإنه طرح في العقيدة النظرية الاسلامية بشكلها العام[١].

ومن أجل أن يتضح مدى صلاحيته لمعالجة مشاكل الحياة المعاصرة، كما وأن فهم الإسلام (نظرية) عامة هو الذي ييسر لنا سبيل أنْ نتبناه نظامًا للحياة، ندافع عنه ونكافح من أجل تطبيقه وصيانته. فالحاجة إلى التفسير الموضوعيّ في هذا العصر تنبع – في الحقيقة – من الحاجة إلى عرض الإسلام ومفاهيم القرآن عرضًا نظريًا، يتكفّل الأساس الذي تنبثق منه جميع التفصيلات والتشريعات الأخرى، فمن الممكن أنْ نستكشفَ النظريات العامة من خلال التشريع والقانون الإسلاميّ؛ لوجود الارتباط الوثيق بين النظرية والتطبيق [٢].

استخلاص أهم الأسباب التي أدّت إلى ظهور هذا النوع من التفسير:

١- إزالة الإشكالات التي تشعُّ في بعض الآيات للوهلة الأولى وحلّ المتشابه في القرآن والاطّلاع على ظروف الموضوعات، ونتائجها ومزاياها وأسبابها والأمور المختلفة المذكورة في القرآن الكريم [٣].

٢- الحصول على تفسير جامع بشأن الموضوعات منها :(التوحيد) و(معرفة الله) و(المعاد) و(العبادات) و(الجهاد) و(الحكومة الإسلامية)، وغيرها من الموضوعات المهمة؛ للحصول على أسرار وإيحاءات جديدة من القرآن من خلال إلحاق الآيات ببعضها [٤].

١/ ينظر: علوم القرآن، محمد باقر الحكيم / ٣٤٧.

٢/ ينظر: البرهان في تفسير القرآن، هاشم البحراني (ت: ١١٠٧هـ)، ١/ ٨. وعلوم القرآن، محمد باقر الحكيم/ ٣٤٧

٣/ينظر: أسلوب جديد في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ناصر مكارم الشيرازي، ٢ / ٦

٤/ينظر: المصدر نفسه، ٦/٢.

٣- طبيعة التفسير الموضوعيّ الناشئة من تمحوره على جميع المعلومات التفسيريّة؛ لبيان الرؤية القرآنية عن سؤال محدد، أو موضوع بعينه أو مشكلة يسعى المفسِّرُ إلى اكتشافِ رأي القرآن فيها، وقد استقطب قسطًا كبيرًا من اهتمام العلماء نظرًا؛ لأهميتهِ (١)

٤- استظهار وجوه جديدة من إعجاز القرآن الكريم، فكلما جَدّت على الساحة أفكار جديدة – من مُعطيات التقدّم الفكريّ والحضاريّ – وجَدَها المفسّرُ جليّةً في آياتِ القرآن لا لبس فيها ولا غموض بعد تتّبع مواطن ذكرها في القرآن، فيسجل عندها سبق القرآن إليها، وذلك يدلُّ على كونه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنه الذي لا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي غرائبه، ودَلائل إعجازه (٢).

٥- عرض تلك الحقائق بأسلوب مشرق عذب بذكر الأفكار متسلسلة آخذة برقاب بعضها ملبية لاستشراف نفس القارئ، مجيبة عن استفساراته المتوقعة، وذلك باتّباع الأسلوب البيانيّ الصحيح الذي يفهمه أهل عصره، متجنّبًا الألفاظ الغريبة المهجورة وأساليب السجع المتكلفة (٣).

٦- تصحيح مسار الدراسات الدينية ، والعربية القائمة فعلًا، وإصلاح مسارها، وضبطها على وفق معايير قرآنية جامعة ، منها : تصحيح طريقة النظر في القرآن الكريم ؛ وذلك لأنَّ للقرآن أصولًا جامعةً وقواعدَ حاكمةً ، وهذه لا تعلم إلا بالاستقراء الكلّيّ للألفاظ والدَّلالات، لتصبح حكمًا في تقريرِ القضايا، كما كانت من دواعي ظهور التفسير الموضوعيّ، أثره في إصلاح طريقة التفسير وإنضاجه، وذلك بحصر الجهود في الحقائق والمقاصد القرآنية، وجمع العزائم عليها، ليأخذ التفسير وجهته الصحيحة، كون القرآن كتاب هداية، وهدايته تكمن في مقاصده ومعانيه، والتفسير الموضوعي هو الذي يحقق هذا ويظهُرهُ، وبذلك يوحّد جهود المفسّرين حول لباب القرآن، ويحفظ طاقاتهم الفكرية العظيمة من التبدّد في القشورِ والأشكال؛ لأن (التفسير الموضوعيّ) نمطٌ علميّ منضبطٌ ومحدد ، يدور فيه الجهد حول جمع الآيات واستخلاص حقائقها المباشرة ، أو استنباط معانيها وخطوطها الجامعة، فلا يجد المفسّر فرصة لاستغراق في لونه الفنيّ، الذي هيمنت به

١/ينظر: المدخل الى التفسير الموضوعي، د. هاشم أبو خميس / ٣٩.

٢/ ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم / ١٩.

٣/ ينظر: المصدر نفسه/ ٣٧.

التفاسير قديما: كالنحو والإعراب، والجدل الكلاميّ ، والاستطراد الفقهيّ، ونحوها من الفنونِ التي غلبت على التفسّير، حتّى أبعدته عن وجهةِ وغايته الأصلية [١].

٧- من أسباب ظهور التفسير الموضوعيّ إذ عملية التفسير فيه عملية حوار مع القرآن الكريم، ومن هنا كانت نتائجه مرتبطة دائما بتيار التجربة البشرية؛ لأنها تمثّلُ المعالم والاتجاهات القرآنية لتحديد النظرية الإسلامية بشأن موضوع من مواضيع الحياة، في ظل ذلك الحوار مع القرآن الكريم واستنطاقه، وليس مجرد استجابة انفعالية، بل استجابة فعالة، وتوظيفها هادفًا للنصّ القرآنيّ في سبيلِ الكشف عن حقيقة من حقائق الحياة الكبرى، فيلتحم مع القرآن، كما يلتحم مع الحياة؛ لأنَّ المفسر يبدأ من الواقع وينتهي إلى القرآن[٢]

٨- الطبيعة العامة لهذا العصر، إذ شَهِدَ تحكّمَ الجاهلية في العالم وقيادتها للبشرية، كذلك انتشار الأفكار والآراء الجاهلية الكافرة، ووصول تلك الانحرافات إلى عقول المسلمين، ومجتمعاتهم، كذلك تصعيد الغزو الفكريّ المعادي والمعارض للإسلام والمسلمين، دعتِ الحاجةُ من المفكرين والعلماء المسلمين المعاصرين الى التوجّه إلى القرآن وتدبره؛ لاستخراج حقائقه التي يتم بها تفنيد الأفكار والمبادي الغازية الوافدة على جوهر الإسلام النقي وروحِهِ، ومواجهتها ووقاية المسلمين من شرورها [٣].

٩- من الاهداف الأساسية لظهور هذا اللون من التفسير هو الخروج برأي نهائي للقرآن عن موضوع معين والوصول الى رؤية القرآن حوله، كما يعدّ التفسير الموضوعيُّ تفسيرًا دعويًّا تربويًّا عصريًّا، وهو كذلك يهدف إلى بيانِ الحقائق القرآنيّة في موضوعات معينة، واستجلاء المنهج القرآنيّ في تناولِها، ويبنى المفاهيم الحياتية والاستراتيجية على قالب الإسلام وأصله، وبذلك فهو الأداة التي تمثّل المرجع في حلِّ جميع المشاكل ومواكبة تطورات الحياة [٤].

١٠- دواعي أهمية الظهور لهذا المنهج، ذلك في ضوءِ إعدادِه الوسيلةَ المنهجيّة العلمية للارتفاع بمستوى التفكير العلميّ الموضوعي عند الباحثين، فمن خلال البحث في موضوعات القرآن

١/ينظر: المدخل الى التفسير الموضوعي، د. عبد الستار فتح الله سعيد / ٥١ – ٥٣

٢/ينظر: التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، العلامة محمد هادي معرفة، ٢ / ١٠٣٨– ١٠٣٩.

٣/ينظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي / ٥٤.

٤/ينظر: المدخل الى التفسير الموضوعي، د. هاشم أبو خميس /٤١.

يقوم الباحث برياضة عقلية عملية، يشحذ بها ذهنه، ويمرن بها عقله، ويدرب بها نظراته، وبذلك يرتقي في عالم التفكير الموضوعيّ، فيكون مفكّرًا قرآنيًّا، وباحثًا موضوعيًا [١].

١١- أن التفسير يقدم أطروحات معاصرة لمنظومة من المشكلات، فربما يجد أصحاب هذا الاتجاه أن منهجهم هذا أكثر انسجامًا مع وظيفتهم التبليغية، إذ إن هذه المشكلات هي مجموعة من العقد المستعصية الحل على بني البشر، إذ أوضح أن التفسير الترتيبيّ لا ينهض بهذه المهمة عندما يراد إظهار أن القرآن لايزال يستطيع تحليل التطورات الحضارية والاجتماعية للمجتمع الإنساني وحلوله ليست مقتصرة على زمنِ النزول؛ لأجل إيضاح ذلك بيان موضوع الملكية، فلأجل العرض لهذا مثلًا لابدّ من عرضِ مفهوم الملكية ومقوماتها وتكيفها القانوني وضوابطها ومحدداتها فيما يسمى مؤخرًا بنظرية الاستخلاف، وقد قامت هذه النظرية على أساس التفسير الموضوعي، فهناك مَنْ أورد آيات عدة مفرقة على بعضِ السور أسس نظرية الاستخلاف وقوانينها المركزية، فتم التوصل في ضوء تلك القراءة لآيات القرآن إلى مجموعةِ من الأسس التي نوقش فيها معياريّة التطبيقات الاقتصادية، إذ لا يستطع كلُّ مَنْ يريدُ أنْ يقدم أطروحة شمولية إلَّا بالاستعانةِ بالتفسير الموضوعيّ[٢].

وهذا يُعدُّ حُسْنَ أدراكٍ من علماء المسلمينَ المعاصرين لمهمة القرآن وحلّ تلك المعضلات به، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ {الفرقان: ٥٢}.

كما لا ينبغي أنْ يكون من دواعي ظهور هذا اللون من التفسير الموضوعي هو الاستغناء عن سائر ألوان التفسير الأخرى، إنَّمَا عدّ لونًا جديدًا إزاء الألوان الأخرى، وخطوة الى الأمام نسبةً بباقي مناهج التفسير الأخرى، وحَريّ أن نقول: إنَّ المسألة ليست مسألة استبدال، واستغناء عن باقي الوجوه الأخرَى، إنما وجد فيه الهدف المتوخى لمواكبة الحياة وتطوراتها التي تحف بالمجتمع، واستجابة على متطلبات الزمان من حيث عده أقدر على المواكبة والتجديد باستمرار وعلى التطور والابداع.

ثانياً: التفسير الموضوعي والتوظيف الهادف للنص القرآني

١/ينظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي / ٥٨.

٢/ ينظر: التفسير الموضوعي وموضوعاته في القرآن، أ. د. حكمت عبيد / ١٣٢.

إن المتقدمين من العهد الأول، لم تكن لهم حاجة ماسة لدراسة موضوعات القرآن الكريم على هذا النحو، فهم حفاظ القرآن الكريم ودرايتهم بالثقافة الإسلامية واضحة عميقة، ولذا فإن لديهم القدرة على ربط ما تفيده الآية المتعلقة بموضوع معين بما يوضحها من معلوماته الخاصة بالموضوع نفسه.

أما في العصر الحديث فالحاجة ماسة لتجديد أساليب الدعوى لمجاراة الحالة الراهنة التي نعيش فيها، فقد توالت النكبات بالأمة وبالمسلمين وكانت الهجمة الشرسة على الإسلام والمسلمين من كلّ حدب وصوب، وهذا دفع العلماء إلى أن يقاوموا الضلال، والظلم بأقلامهم وأفكارهم، فكتب مثلاً: عباس محمود العقاد (المرأة في القرآن) و(الانسان في القرآن) وكتب عزة دروزة (اليهود في القرآن)، وأحمد الشرباصيّ (الرجولة في القرآن) و(الاخلاق في القرآن)، فمن الممكن عدّ هذه الدراسات بواكير لتأصيل مدرسة التفسير الموضوعي [١].

إن المفسر التوحيدي لا يبدأ عمله من النص، بل من واقع الحياة فيركز نظره على موضوع من موضوعات الحياة العقائدية أو الاجتماعية أو الكونية ، ويستوعب ما أثارته تجارب الفكر الإنسانيّ حول ذلك الموضوع من مشاكل، وما قدّمه الفكر الإنسانيّ من حلول، ، ثم يأخذ النصّ القرآني، لا ليتخذ من نفسه بالنسبة إلى النصّ دور المستمع والمسجل فحسب ، وإنَّما ليطرح بين يدي النص موضوعًا جاهزًا مشرقًا بعدد كبير من الأفكار والمواقف البشرية، ويبدأ مع النصّ القرآنيّ حوارًا، فالمفسّر يسأل والقرآن يجيبه في ضوءِ الحصيلة التي استطاع أنْ يجمعها من خلال التجارب البشرية النافعة، وهو يستهدف من ذلك ان يكتشف موقف القرآن الكريم من الموضوع المطروح والنظرية التي بإمكانه أنْ يستلهمها من النصّ ، من خلال مقارنة هذا النص بما استوعبه الباحث عن الموضوع، من أفكارٍ واتجاهاتِ، ومن هنا كانت نتائج التفسير الموضوعيّ نتائج مرتبطة دائما بتيار التجربة البشرية ؛ لأنها تمثّلُ المعالم والاتجاهات القرآنية لتحديد النظرية الإسلامية، بشأن موضوع من مواضيع الحياة، ومن هنا ايضًا كانت عملية التفسير الموضوعيّ عملية حوار مع القرآن الكريم واستنطاق له، وليست

١/ ينظر: التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، د. فضل حسن عبَّاس،١/ ٥١٠.

عملية استجابة سلبية بل استجابةً فعالةً وتوظيفًا هادفًا للنص القرآنيّ في سبيلِ الكشف عن حقيقةٍ من حقائق الحياة الكبرى[١] .

فالمفسر في هذا النوع التفسيري دائمًا يسعى بحمل كل تراث البشرية الذي عاشه، من أفكار عصره والمقولات التي تعلمها من تجربته البشرية ثم يضعها بين يدي القرآن الكتاب العزيز؛ ليحكم على هذه الحصيلة بما يمكن لهذا المفسر أنْ يفهمه من خلال مجموعة آياته الشريفة، إذًا فهنا يلتحم القرآن مع اقع الحياة؛ لأنّ التفسير يبدأ من الواقع وينتهي إلى القرآن لا إنه يبدأ من القرآن وينتهي في القرآن فيكون عملية منعزلة عن الواقع، بل هذه العملية تبدأ من الواقع وتنتهي بالقرآن بوصفه القيم والمصدر الذي يجدّد في ضوئهِ الاتجاهات الربانيّة بالنسبة إلى ذلك الواقع، ومن هنا تبقى للقرآن قدرته على الديمومة والعطاء المستجد بشكلٍ دائم، وعليه فالتفسير الموضوعي قادراً على التطور والنمو؛ لأنَّ التجربة البشرية تثريه والدرس القرآني والتأمل القرآني في ضوءِ التجربة البشرية يجعل هذا الثراء محولًا إلى فَهْم إسلاميّ قرآنيّ صحيح[٢] .

أيضًا عَبَّر عن التَّفسير الموضوعي وبيان أهمية (بالثورة التفسيريّة الكبرى)، فقيل فيه: إن من إحدى الطرائق المؤثرة التي لا بد للمفسّرين أنْ يسلكوها؛ لأجل شرح القرآن الكريم وتفهيم مقاصده العالية هي أنْ يحدثوا تحوّلاً عميقًا في منهجيةِ التفسير، وذلك بامتناعهم من تفسير القرآن سورة تْلو الأخرى أي التفسير التجزيئيّ، وليلفتوا النظر الى منهجية أخرى، هي تفسير القرآن بالشكل الموضوعي، وعن طريق هذا المنهجية ستفتح لهم أفاق عظيمة من العلوم والمعارف القرآنية وسيرون مدى تأثيرها في نظرتهم التفسيرية [٣] .

كذلك من الممكن أنْ يشتغل الباحث في المجالات القرآنيّة، ويطالع القرآن على المنهجِ الموضوعيّ، فيحصل المفسّر على ما لم يحصل عليه من سلك المناهج الآخر، لكنّه يجب الالتفات إلى أن الله حدّد لآيات القرآن حدودًا، وسُمّي عدداً من الآيات سورًا، وجعل فيها رموزًا، وفي ضوءِ هذا التحديد يلزم رعاية ترتيبها في التفسير أيضًا، إن سور القرآن مجموعة واحده

١/ ينظر: التفسير الموضوعي والفلسفة الاجتماعية في المدرسة القرآنية، السيد محمد باقر الصدر / ٢٤- ٢٥.

٢/ينظر: المصدر نفسه / ٢٤- ٢٥.

٣/ينظر: قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، محمد فاكر / ٤١١.

ولو كانت مؤلّفة من المطالبِ والموضوعات المتنوعة؛ إذ في تأليف القرآن بهذه الصورة حكمة بلا شك [1].

يسفر مما تقدّم مِنَ استحضار لهذا النوع، اعتماده على التفسير التجزيئيّ الذي يهدف في كلِّ خطوة من خطواته إلى فهم مدلول الآية القرآنية واستخراج كوامن المعاني، التي يواجهها المفسِّر بالوسائلِ الممكنة كُلّها، إذ بذلك يحصل فهم المفسر وتنضج عنده الفكرة وتكتمل عملية الوحدة الموضوعيّة لدى المفسِّر الموضوعيّ، الذي يبحث في صددها في ضوء الآيات والسور القرآنيّة ضمن الموضوع القرآنيّ الواحد.

١/ينظر: قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، محمد فاكر / ٤١٥.

الفصل الأول

القواعدُ التفسيريّة

المبحثُ الأَوَّلُ: القواعد الخاصة بالتفسير عموماً

الفصل الثاني

تجلّي التفسير الموضوعيّ في بيان المقاصد القرآنيّة وفَهْمِها

المبحثُ الأَوَّلُ: المقاصد القرآنية وعلاقتها بالتفسير

الفصل الثالث

البيان المنهجيّ لقواعد التفسير الموضوعيّ

المبحثُ الأَوَّلُ: القاعدة القرآنية وقواعد التفسير الموضوعيّ

الفصل الرابع

قواعد التفسير الموضوعيّ وبيانها لمقاصد القرآن الكريم

المبحثُ الأَوَّلُ: ما يختص بوحدة الموضوع من عدمها

الفصل الخامس

الدراسة التطبيقية

المبحثُ الأَوَّلُ: اتحاد الموضوع في السورة الواحدة

كسورة الإخلاص

المطلب الأول: القَواعدُ المُتَّفَقُ عليها.

القاعدةُ التَّفْسيريّةُ في اللغة والاصطلاح

لمعرّفة هذا المركب (قواعد التفسيّر)، بوصفهِ مركّبًا ووسْمًا على فنّ من فنونِ العلم، لابدّ من أن نعرّف بادئ ذي بدء، كل جزء من اجزائه على حدة ليتسنى لنا تعريف المجموع؛ لأنه يشكّلُ مصطلحًا دالّاً على فنّهِ الخاصّ به من حيث المعنى اللّغويّ والاصطلاحيّ، فمن فتش عن مفردةِ القاعِدةُ وتحرُّ، أذعن أنه لابدَّ من وجود أسس وعناصر ومقومات، يجب مراعاتها لِمَنْ يريدُ صياغة القاعدة، كلُّ ذلك من أجلِ أن يُصوغ شيئًا يستحق أن يسمى (قاعدة).

القاعدة لغة:

القواعد جمع مفرده قاعدة، للفظ القاعدة إطلاقاتٌ ومعانٍ عدّة عند أهل اللغة منها: (ق ع د) أصلٌ مطردّ، وهو يضاهي الجلوس، وإن كان يتكلم في مواضع لا يتكلّم فيها بالجلوس، القاعدة أصل الشيء[1]، كذلك هي : أصل الأُسّ، وأساسه، وقواعد البيت أَساسه[2]، ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ { البقرة: ١٢٧ }، والقواعد أسفل الشيء وأساسه، سواء أكان ماديًّا أم معنويًّا، على نحو ينعدم الشيء، ويضمحل بسبب انتفائه، فالبيت مثلًا ينعدم بانعدام أساسه، قيل: قواعد البيت: هي أساطين البناء التي تعمده، وأصول حيطانه، والعلم ينتفى بانتفاء قواعده الكلية الموجودة فيه [3]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾{ النحل: ٢٦}، والأساس والأصول[4] ،والقاعدة : المركز [5]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذْ

١/ ينظر: لسان العرب، ابن منظور (ت: ٧١١هـ) ١ / ٣٦١ (فصل القاف). والقاموس المحيط، الفيروز آبادى، ١ / ٩٦١.

٢/ ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ)،٥/ ١٠٩ (فصل: القاف والعين والدال). ولسان العرب، ٣ / ٣٦١ (فصل القاف).

٣/ ينظر: معجم مقاييس اللغة، ٥ / ١٠٩ (القاف والعين والدال). والمخصص، ابن سيده (ت: ٤٥٨هـ، ١/ ١٢٣. تاج العروس، الزبيدي، ٥ / ٢٠١ (قعد).

٤/ ينظر: لسان العرب، ١ / ٣٦١ (فصل القاف). وتاج العروس، ٩ / ٦٠ (قعد)

٥/ ينظر: أساس البلاغة، الزمخشري، ٢ / ٩١ (ق – ع – ر). وتاج العروس، الزبيدي، ٩/ ٦٠ (قعد).

غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ { آل عمران: ١٢١ }.﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ ﴾{النور: ٦٠} ، اصله النساء الثابتات المستقرات في بيوتهن ، وامراة قاعدة اذا اتت عليها سنون لا تزوج[١].

يقال: قد قعدت وهي قاعدة، وجمعها قواعد ايضا. وتأويلها انها قد ثبتت على ترك الحمل..

يظهر لنا في ضوء تعريفات أعلام اللّغويّين، الذي تكَّشفَ عن القاعدة أتت من استقرار مدلول الأصل الثلاثي: (للقاف والعين والدال) أي بمعنى (قَعَدَ)، فهي متأتية من هذا (الأصل).

وظهر لي في ضَوْء العلاقة بين هذه الألفاظ والقاعدة في اللغةِ: أن القاعدة (أساس) من صوب ثبوتها، واستقرارها، كذلك أصل من جهة موضوعاتها، كما في قوله تعالى:(عقروها) مأخوذة من مادة (عقر) ومعناها في الأصل أساس الشيء وجذره، وهذا أضاء لنا ونبهنا، إلى أن موافقة المعصية، أساس عذابهم للمزيد [٢]، كما إن القاعدة جاءت (مركز) من جانب اقتران فروعها ومسائلها.

نخلص إلى القاعدة حملت معنى (أساس، أصل، مركز)، ولعل هذا ما أضاء به المعنى اللَّغوي من كون القاعدة ثابتةً كلّية مطردة، وهو ما أشار إليه (ابن فارس).

القاعدة اصطلاحا:

طرق أهل العلمَ للقاعدةِ في البيان الاصطلاحيّ تأصيلات عدّة وجاءت جلّها متقاربة، اتحدت مضموناً، وأن اختلفت عباراتها، نوضح إلى ما نحسبه أكثر دقة وصواباً على المراد بالقاعدة: –

١ –((الحكم المنطبق على جميع جزئياته)) [٣].

٢ – القاعدة هي اجتماع فروعٍ من أبواب شتى، والضابط: يجمع فروعًا من باب واحد [٤].

١/ ينظر:التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي ،١٠/ ٤٥٩.

٢/ نقلت الروايات إن الذي قتل ناقة صالح كان واحدا لا غير . . . إلا أن القرآن يعبر عن هذا الفعل بصيغة الجمع (فعقروها). وهذا التعبير لأن الآخرين كانوا راضين بعمله ويضمون أصواتهم إلى صوته، ويعتقدون بمعتقده وتنفتح نافذة من هنا على أصل اسلامي، وهو أن العلائق الفكرية والمذهبية تجعل المنتمين إليها في صف واحد، وتكون عاقبتهم واحدة. للمزيد: ينظر: الأمثل في تفسير كتابِ اللهِ المُنزَل، مكارم الشيرازي ١١ / ٤٣٧.

٣/ حاشية رد المحتار، ابن عابدين (ت: ١٢٥٢ هـ)، ٥ / ٥٤.

٤/ معجم المصطلحات والالفاظ الفقهية، محمود عبد الرحيم عبد المنعم، ٣ / ٦١.

٣-سُمّيتِ القاعدةُ (قانونًا) فهي: حكم أو الأمر الكُلّيُّ المنطبق على جميعِ جزئياته التي يفهم أحكامها منه [١]. نلحظ في التعريف جعل القاعدة مقابل القانون والتي كلٌ منها نظام يجب الالتزام بها وتطبيقها.

٤-القاعدة: ((الضابط أو الامر الُكلّي ينطبق على جزئياتهِ مثل كل أذون ولود وكل صموخ[٢] بيوض سوى الخفاش))[٣].

ضوابط التفسير: هي عبارة عن الحدود المانعة للمفسّر عن الوقوع في الخطأ في عمليّة التفسير، لجهة تطبيق القواعد التفسيريّة، أو لجهة صحّة المباني التفسيريّة التي يعتمدها، أو لجهة الخطوات التي يسلكها في عمليّة التفسير، أو لجهة توافره على الشروط الذاتيّة والمعرفيّة والمنهجيّة للخوض في عمليّة التفسير أو لجهة تطبيق المناهج التفسيريّة، وهي بذلك تشمل القواعد التفسيريّة والقرائن التفسيريّة وشروط المفسّر وخطوات التفسير ومناهج التفسير [٤].

قواعد التفسير: وهي عبارة عن قضيّة كلّيّة، أو أمر كليّ ينطبق على أُمور جزئيّة في عمليّة التفسير، بهدف التوصّل بها إلى استنباط معاني القرآن ومقاصده. وهي بمنزلة الأعمدة للبناء التفسيريّ، كالعناية بالتمييز بين المعنى الحقيقيّ، والمعنى المجازيّ، والعناية بالدلالات والمفاهيم، والعناية بالمحكم، والمتشابه، وغيرها من القواعد [٥].

فالقاعدة: هي الدَّلالةُ الكلّية التي تنطبق على الجزئيات، الذي في ضوئه انكشاف أنها منه ويصدق عليها، والقصد من تطبيق الجزئيات، هي معرفة وبيان الحكم.

تبدَّى لنا في ضوءِ الأوامر الإلهية الصادرة في الخطابِ القرآني قال تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[الحج: ٧٧] ، من الجزئيات الموجودة (أركعوا- اسجدوا- اعبدوا) فهنا جاءت أوامر ظاهرة في

١/ ينظر: كتاب التعريفات، الجرجاني / ١٧١ (باب القاف). والأشباه والنظائر، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)، ١ / ١١.

٢ / صموخ: هو خرق الأذن الباطن الماضي إلى الرأس – خلاف الاذون سوى الخفاش. المعجم الوسيط، مجمع اللغة، ٢/ ٧٤٨ (باب القاف).

٣/ الوسيط في قواعد فهم النصوص الشرعية، د. عبد الهادي الفضلي/ ١٤.

٤/ ينظر: أساسيات في علم التفسير، مركز المعارف الإسلامية / ٣٣.

٥/ ينظر: المصدر نفسه/ ٣٢.

الوجوب ومن ثم كلّ ظاهر في الوجوب فهو حجة ، فجاءت الجزئيات دلالة للفوز ،والفلاح ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ ﴾{ المائدة: ٦} ،الأمر الصادر من الله ﷻ :(فاغسلوا)(الأساس) أمر بالطهارة وهي من الواجبات ؛ لأنَّ جزئياتها تبنى عليها ،و(الأصل) لأن جزئياتها تتفرع عنها ، كونها المدخل الأَول للصلاة وقبولها وهي الطهارة ، ما نعنيه من الصلاة وتحقق الصلاة معه وهو معنى الطهارة[1] .

رقب على هذه التعاريف أنها تتّفق في المعنى الاصطلاحي، فإنهم عبروا عنها بالقضية، والأمر الُكلّيّ وغيرها، والتعبير بالقضية أولى؛ لتناولها جميع أركان المعرف، على وجه الحقيقة للقاعدة، وأنها قضية كلّية ينطبق حكمها على جميع أفرادها، بحيث لا يخرج عنها فرد، وإذا كان هناك شاذ، أو نادر، خارج عن نطاق القاعدة، فالشاذ أو النادر لا حكم له، ولا ينقض القاعدة، فلذلك اشتهر القول بأنه (ما من قاعدة إلا ولها شواذ)، حتى أصبح قاعدة عند الناس. وأن هذه التعريفات، عامة في جميع العلوم، فإن لكل علم قواعد، فهناك قواعد أصولية ونحوية وقانونية وغيرها.

القواعد المتفق عليها:

المراد بها: القواعد التي يمكن أن يلتزمها المفسّر عندما يفسّر آية من القرآن ويبدو على بعض هذه القواعد أنها بمثابة الفوائد، فمنها ما يكون لغويٌّ، ومنها أصوليّ، ومنها ما يكون بلاغيًّا وغير ذلك وسأذكر مجموعة متفرّقة من هذه القواعد؛ نظرًا لقلة ما سأرده منها، كون القواعد الخاصة بالتفسير كثيرة والتي وسمناها في بحثنا هذا بالقواعد المتفق عليها كون المبحوث لا يتعدَّى هذه الأنواع الآتية:

أولاً: المنع من اتخاذ الإسرائيليات في التفسير [2].

لا يخفى على الباحث في علوم القرآن، حجم امتزاج التفاسير القديمة، بالخرافات والنصوص التاريخية، المقتبسة من الفكر والتراث (اليهودي)، والتي لا أصل لها في أي مصدر إسلامي، ويحدد (الباحثون) بعض المحاور التاريخية، كقصة خلق السماء والأرض، وخلق آدم، وغيرها

---

١ / ينظر: مفتاح الأصول، محمد الطباطبائي (ت: ١٢٤٢هـ) / ١٠١ .

٢/ معنى: إسرائيليات جمع إسرائيلية، نسبة إلى بني إسرائيل، وإسرائيل هو: يعقوب عليه السلام . ينظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت: ١٤٠٣هـ) / ١٢.

ثم هناك من التفاسير التي اشتملت على النصوص التاريخية، الإسرائيلية استطاعت التغلغل في تفاسير المسلمين، بغض النظر عن التفاوت في الأخذ ، وجاء دسُّ اليهود لخرافاتهم منذ أول ساعات احتكاكهم بالإسلام، أضف إلى ذلك أنَّ الأيام الأولى، للإسلام لم يكن هناك أي أثر نصرانيّ، أو غير يهودي، في الثقافة العربية الإسلامية، ثم بعدئذ، لما دخلت الثقافات غير اليهودية، وظهر أثرها في العقلية المسلمة، بقيت المعلومات اليهودية، هي الغالبة على جميع المعلومات، بجميع مصادرها خاصة في التفسير، فقد ظهر احتكاك المسلمين بالثقافة اليهودية، والمعلومات الإسرائيلية في أيَّامهم الأولى [١].

لفظ إسرائيليات، وإن كان يدل على القصصِ التي تروى عن مصادر يهودية ، يستعمله علماء التفسير والحديث ، ويطلقونه على ما هو أوسع واشمل من ذلك ، فهو في اصطلاحهم، يدلُّ على كلِّ ما تطرق إلى التفسير، والحديث ،والتاريخ ، والعقل، من أساطير قديمة منسوبة في أصل رواياتها إلى مصدر يهوديّ، أو نصرانّي، بل توسّع بعضُ المفسّرين والمُحَدّثينَ ،فعدوا من الإسرائيليات ،على التفسير والحديث من أخبار لا أصل لها حتى في مصدر قديم ، وإنما هي من صنع أعداء الإسلام ، صنعوها بخبث نية وسوء طوية ، ثم دسوها على التفسير ،والحديث ليفسدوا بها عقائد المسلمين[٢].

لقد كانت لهذه الأخبار الإسرائيلية التي أخذ بها بعض المفسِّرين عن أهل الكتاب، وشرحوا بها كتاب الله تعالى أثرٌ سيّئ في التفسير؛ وذلك لأن الأمر لم يقف على ما كان عليه في عهد الصحابة، بل زادوا على ذلك، فَرَوَوْا كلَّ ما قيل لهم إن صدقًا وإن كذبًا، بل تعدَّى ذلك إلى هذا النوع من التفاسير، فأدخلت فيه القصص الخيالية والمخترعة، مما جعل الناظر في كتب التفسير التي هذا شأنها، يكاد لا يقبل شيئا مما فيها، والحق أن المكثرين من هذه الأخبار، وضعوا الشكوك، في طريق المشتغلين بالتفسير [٣].

١/ ينظر: مناهج المفسرين، د. مسلم آل جعفر، محيي هلال السرحان / ٨٠ – ٨١.

٢/ ينظر: التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، محمد هادي معرفة، ٢ / ٥٩٥.

٣/ ينظر: أصول التفسير وقواعده، خالد عبد الرحمن العك / ٢٦١.

الإسرائيليات من حيث الأخبار تنقسم الى ثلاث أقسام [١].

الأول: منها ما هو صحيح لموافقته لما قصَّه الله تعالى في كتابه، أو أخبر به رسوله الكريم ﷺ، وعلمت صحة عنه فهذا مقبول، ولا شك فيه.

الثاني: منها ما هو معلوم البطلان؛ لمخالفته كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، فجاء مناقضًا، لما عرفناه في شرعنا، وهذا لا يصح قبوله ولا روايته، إلَّا مع التنبيه على أنه يخالف شرعنا.

الثالث: ما يحتمل الصدق والكذب، فهذا الذي أمرنا بالتوقّف فيه وهو ما سكت عنه، لا هو من قبل الأول، ولا من قبل الثاني، فهذا القسم ا نؤمن به، ولا نكذبه، فقيل فيه: ((إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدّقوهم ولا تكذبوهم وقولوا: آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم))[٢] .

أما من رأى بأن ابن عباس كان يجالس كعب الأحبار، وإنه أكثر من نشر علمه، فالحديث أشد وهمًا وافتراء؛ نعم أظهر المستشرق جولد تسيهر، في تصريح له بأنه من الجدير التصديق بالأخبار التي تفيد أن ابن عباس لا يرى غضاضة أن يرجع في الأحوال التي يخامره فيها الشك إلى من يرجو عنده علمها، إذ زعم فيها مراجعته لأهل الكتاب، ولعل هذا الراي كان مستند لغيره ، لمن تشبث به من غير تحقيق بقوله: لقد دخل بعض هؤلاء اليهود في الإسلام، فتسرب منهم إلى المسلمين كثير من هذه الأخبار، ودخلت في تفسير القرآن يستكملون بها الشرح، ولم يتحرّج حتَّى كبار الصحابة مثل ابن عباس عن أخذ قولهم[٣]

وهناك رأي آخر ينقله فضل عباس عن أحمد أمين فيقول :((إن ابن عباس وأبو هريرة أكبر من نشر علم اليهود، كذلك ما رواه الطبري بإسناده إلى أبي جهضم موسى بن سالم مولى ابن عباس، منها ان ابن عباس سأل (كعب الاحبار)، عن تفسير تعبيرين قرآنيين: أم الكتاب، والمرجان، كذلك سؤاله وكيف تجد نعت رسول الله ﷺ ،في التوراة)) [٤]، وبهذا الصدد

١/ ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ)، ٢ / ١٧٦. وتحفة الأحوذي، المباركفوري (ت: ١٢٨٢هـ)، ٨ / ٣٧٠. التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، محمد هادي معرفة، ٢ / ٦٠٢.

٢/ مسند أحمد ابن حنبل، ٢٨/ ٤٦٠. وفتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر (ت: ٨٥٢هـ)، ٦ / ٣٦١

٣/ ينظر: التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، د. فضل حسن عبَّاس،١/ ٢٢٩.

٤/التفسير والمفسرون اساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، / ٢٢٦ – ٢٢٧.

يذكر المحقق هادي معرفة قوله: ((ولكنا راجعنا تلك الموارد ، فلم نجدها شيئاً ، كسراب بقيعة يحسبه الظَّمآنُ ماءً))[١]

أوضح الجواد الكاظمي (ت: ق١١هـ) في مسألة أخذِ ابن عباس من أهلِ الكتاب، إن الصحابة كانوا يسألون علماء اليهود الذين اعتنقوا الإسلام، ولكنهم لم يقبلوا كلَّ ما يروى لهم، على أنه صواب، لا يتطرق إليه شكٌّ، بل كانوا يحكمون دينهم وعقلهم فما اتفق الدين والعقل، صدقوه وما خالف ذلك نبذوه، وما سكت عنه القرآن، واحتمل الصدق والكذب توقفوا فيه [٢].

ويدلو الذّهبي برأيه مناقشًا جولد تسيهر، وأحمد أمين: والحق أن هذا غلو في الرأي، إنما كان سؤال علماء اليهود إن وقع فعلاً من ابن عباس أو غيره من الصحابة الكرام، إنما كانوا يسألون من اعتنقوا الإسلام ولم يكن سؤالهم عن شيء يمسّ العقيدة، أو يتصل بأصول الدين، أو فروعه، كذلك لم يكن جهل منهم بكتاب الله تعالى وسنة نبيه وإنما كان عن بعض القصص، والأخبار الماضية ،[٣].

إن البحث في سبر أغوار الصحابة الخلص، وابن عباس بالذات، حاشا أن يراجع بسؤال أشكل عليه إلى اليهود، ويترك الخلص من علماء الإسلام أمثال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، الذي كان علمه مورثاً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في شمول وعموم.

لذلك كان لابدَّ لكلّ مَنْ يريدُ تفسير القرآن من اتَّخاذ موقف ثابت حيال الأخبار الإسرائيلية في كتب التفسير وأن يلتزم ببعض المعايير لكشف الإسرائيليات منها:

أ- موافقة القرآن وعدم مخالفته: أن القرآن وحيٌ من الله تعالى، لا ينفذ فيه شكٌ، ولا باطل، وهو معيار لقبول الأحاديث وردها، وهذا ما ورد في روايات المدرستين [٤]. ففي الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن على كلّ حقٍ حقيقة، وعلى كل صواب نورًا، فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه))[٥]. ومثال ذلك الاختلاف ما رواه ابن ماجة (ت:

١/التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ١ / ٢٢٦- ٢٣٠.

٢/ ينظر: مسالك الأفهام إلى آيات الاحكام، ١ / ١٨. (الملقب: بالشهيد الثاني) .

٣/ينظر: التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، ١ / ٥٦.

٤/ ينظر: المناهج التفسيرية عند الشيعة والسنة، محمد علي اسدي / ١٣٤.

٥/ الكافي، الشيخ الكليني، ١ / ٦٩.

٢٧٣هـ) عن ابن عباس: ((لما مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ قال، إن له مرضعةً في الجنةِ ولو عاش لكان صدّيقًا نبيًّا. ولو عاش لعتقت أخواله القبط، وما استرق قبطي)) (١).

إنَّ هذا الحديث مخالف لصريح القرآن، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾{الأحزاب: ٤٠} فهذه الآية الشريفة تدل على عدم وجود نبي بعد رسول الله ﷺ ، فأنه خاتم النبيين ، فكل تعبير يدل على وجود نبي بعد الرسول ﷺ ، ولو على صورة الفرض والاحتمال ، يكون باطلاً وكذباً .

ب- موافقة السنة الشريفة ومخالفتها: فهي مصدرًا ثانٍ للإسلام، ومعيارًا آخر بجنب القرآن الكريم، أن نبي الله يوسف عليه السلام كان من الأنبياء العظام ومتطهرا من جميع الذنوب والزلات، وامتحنه الله بالمحن الكبار فنجح في جميعها (٢). لكنَّ وردت في الإسرائيلياتِ قصةٌ منافيةٌ لتلكَ السُّنَّةِ: والتي نُسِبت إلى ابن عباس ومجاهد وغيرهما(٣)؛ والتي تذكر: إن نبي الله يوسف عليه السلام جلس من أمرئة عزيز مصر مجلس الخائن (٤). عن الإمام عليّ بن الحسين السجاد عليه السلام : قال : ((قامت امرأةُ العَزِيز إلى الصنمِ فألقت عليه ثوبًا فقال لها يُوسفُ عليه السلام أتستحيينَ مِمن لا يسمعُ ولا يُبصِرُ ولا يَفقَهُ ولا يأكلَ ولا يشربُ ولا أستحيّ أنا ممَّنْ خَلَق الإنسانَ وعلمهُ))(٥)؛ والتفسير لهذه الحادثة والذي إليه نُمِيْلُ هو ما فَسّرهُ الطوسيّ (ت: ٤٦٠هـ): على أنها همت بالمعصية، وقد بين الله جل جلاله ذلك من، أن يوسف عليه السلام لم يهم بالفاحشة ولا عزم عليها ،قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾{يوسف: ٢٤} ، ومِنْ ارتكبَ الفاحِشة لا يوصف بذلك.﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾{ يوسف: ٢٨}، فنسب الكيد إليها دونه﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴾ {يوسف: ٢٩}، فَخصُّها بالخِطابِ وأمرها بالأستغفارِ دُوْنهُ (٦).

١/ سنن ابن ماجة، ٢ / ٤٧٥.

٢/ ينظر: المناهج التفسيرية عند الشيعة والسنة، محمد علي أسدي / ١٣٨.

٣/ ينظر: تفسير الجلالين، جلال الدين السيوطي / ١٥.

٤/ ينظر: تفسير الثوري، سفيان الثوري (ت: ١٦١هـ)، / ١٤٠. وجامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٢ / ٢٤١.

٥/ عيون أخبار الرضا عليه السلام ، الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١هـ)، ١/ ١٧٩. وبحار الانوار، المجلسي ،١١/ ٨٢.

٦/ ينظر: التبيان في تفسير القرآن، ٦/ ١٢٣.

ت- مخالفة الاعتقادات الإسلامية الصحيحة، التي تعد معيارًا قطعيًا لكشفِ بعض الإسرائيليات، فإذا رسخ قدمه في ذلك وعلم من نفسه صحة الذهن، بحيث لا تتروج عليه الشبهة على الدليلِ، إن الاعتقادات الإسلامية والقوى الأخلاقية والمعنوية، استطاعت أن تنتصر على الأفكار الاستعمارية المعاصرة، وإن دلَّ ذلك على شيء فإنما يدلُّ على أثرِ العقائد الدينية، الإيجابية، والمعنوية إلى أقصى حد في المسائل الاجتماعية والسياسية [١].

ومن الروايات الإسرائيلية، التي يؤسف من ركون بعض التفاسير لها، ما جاء في تفسير قوله تعالى:﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ **{ لأعراف: ١٩٠}** ، روي في قصة هذه الآية، أن حواء لما حملت أول حمل، لم تدر ما هو؛ فجزعت بذلك، فوجد إبليس السبيل فأتاها في صورة رجل، فقال: ما هذا الذي في بطنك؟ قالت: ما أدري! قال: إني أخاف أن يكون بهيمة، فقالت ذلك لآدم عليه السلام ، فقال إن دعوت الله فولدت إنسانًا فتسمينه بي؟ قالت نعم، قال: فإني أدعو جل جلاله، فجاءها وقد ولدت فقال: سميه باسمي، فقالت: وما اسمك؟ قال: الحارث ولو سمي لها نفسه لعرفته فسمته عبد الحارث [٢].

أما التفسير الراجح فهو أن المراد من النفس الواحدة هو الواحد النوعي، أي أن الله خلقكم جميعًا من نوع واحد، كما خلق أزواجكم من جنسكم أيضًا [٣].

ث- العقل، فإنه أداة الفكر، وقد وردت النصوص الكثيرة في مدح العقل، وجعله حجة على الناس، كما أن الرسل حجّةٌ عليهم [٤] ، قال الإمام الكاظم عليه السلام : ((يا هشام إن لله على الناس حجتين : حجة ظاهرة وحجة باطنة ، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام، والباطنة العقول))[٥] . ومن الروايات الإسرائيلية التي جاءت مخالفة للعقل لما فرغ نوح عليه السلام من اتخاذ السفينة، أمره الله تعالى أن يجمع إليه من الحيوانات لكلّ جنس منها زوجين، ما خلا الفأر والسِّنَّور، وإنهم لما شكوا إليه العذرة، والقذر، دعا بالخنزير فمسح جبينه فعطس فسقط من أنفه

١/ ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ٦ / ٥٦٨.

٢/ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ٧ / ٣٣٨.

٣/ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٥ / ٣٢٩.

٤/ ينظر: النص والاجتهاد، السيد شرف الدين (ت: ١٣٧٧هـ) / ٨.

٥/ الوافي، الفيض الكاشاني ،١ / ٩١.

زوج فأرة، فتناسل، فلما كثروا وشكوا إليه منهم، دعا بالأسد ومسح جبينه فعطس فسقط من أنفه زوج سنور [١]. فجاءت هذه الرواية بما لا يحمله العقل على الصحة.

والتفسير الصحيح، أنه عليه السلام لم يؤمر بحمل ما جرت العادة بتكونه من عفونة الأرض، كالفأر والحشرات، بل أمر بحمل ما يحتاج إليه، إذا نجا ومَنْ معه من الغرق لئلا يغتموا لفقده ويتكلفوا مشقة جلبه من الأصقاع النائية التي لم يصلها الغرق، فكأنه قيل: قلنا: احمل فيها من كل ما تحتاجونه إذا نجوتم زوجين اثنين [٢].

وكان من الآثار السيئة التي خلفتها مراجعة أهل الكتاب رغم نهي النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنها أن خلطت الافتراءات والأكاذيب الإسرائيلية بالتفسير والحديث الوارد عنه صلى الله عليه وآله وسلم والأخيار من الصحابة الأجلاء، فشوهت وجه التفسير فضلا عن التاريخ والحديث.

أما التفاسير الحديثة فيكاد يكون رفض الاسرائيليات والإعراض عن النصوص التاريخية الواهية طبعًا عامًا في اكثرِها. إذ جاء بينوا إن أكثر ما روي في التفسير بالمأثور أو كثيره، حجاب على القرآن وشاغل لتاليه عن مقاصده العالية الزكية للأنفس، المنورة للعقول [٣] .

وقد تعامل الطَّباطبائيُّ ، مع الإسرائيليات من جهّةِ انسجامها من عدمهِ مع الجو القرآنيّ إذ يقول : ((أحدهما افراط في الركون إلى الآثار وقبول الحديث كيفما كان وإن خالف صريح العقل ومحكم الكتاب فلعبت بأحلامهم الإسرائيليات وما يلحق بها من الأخبار الموضوعة المدسوسة وأنستهم كلَّ حق وحقيقةٍ ، وصرفتهم عن المعارفِ الحقيقية))[٤].ولهذا النحو من التعاطي مع الإسرائيليات، والحكم بأنها ذات دور سَلْبيّ، وتخريبيّ، في فَهْمِ آيات القرآن الكريم، وأنها حجابٌ يصدُّ عن إدراكِ أهدافِهِ الحقيقيّةِ، حضور واسع في جميعِ تفاسير القرن الرابع عشر الهجري [٥].

وفي ضوء القراءة للإسرائيليات وبما ورد من ذكرٍ لأمثلتها إنه يجبُ على المفسّرِ أنْ يكون يقظًا فطنًا إلى أبعد حدود اليقظة، ناقدًا إلى نهايةِ ما يصل إليه الناقد من دقةٍ ورويةٍ حتى

١/ تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي ،٥ / ٢٧٢.

٢/ ينظر: زبدة التفاسير، فتح الله الكاشاني (ت: ٩٨٨هـ)، ٣ / ٢٧٧. وروح المعاني ،الألوسي، ١٢ / ٥٤.

٣/ ينظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ١ / ١٠

٤/ تفسير الميزان ، ١١/ ١٣٤.

٥/ ينظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ١ / ١٧٥.

يستطع أن يستخلص من هذه الأخبار ما يناسب روح القرآن، والعقل السليم، ويجب عليه ألا يرتكب النقل عن أهل الكتاب إذا كان في سنة نبينا محمد ﷺ بيان مجمل القرآن الكريم، ذلك ما نهى عنه الرسول ﷺ في المنع عن مراجعة أهل الكتاب أطلاقاً، لا في كبيرة ولا في صغيرة.

ثانيًا: الارتباط بين أجزاء القرآن.

لا شك في أنَّ القرآن الكريم هو كلام الله المعجز في نظمه وترابط كلماته ووحدة موضوعاته. قال أمير المؤمنين عليه السلام: ((كتاب الله تعالى ينطق بعضه ببعض، أي يفسّر بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض)) (١). وقوله عليه السلام: ((ولا تهذّهُ (٢)هذَّ الشعر ولا تنثرهُ نثر الرمل)) (٣).

أن العلاقة الترابطيّة بين أجزاء القرآن، سواء كان الجزء جملة، أو آية، أو سورة، إذ يقوم المفسّر باكتشاف نوع العلاقة الرابطة، بين هذه الأجزاء، وقد فصّلَ الزركشيُّ بيان ذلك بقوله: ((وكذلك المناسبة في فواتح الآيات، وخواتمها ،ومرجعها والله أعلم إلى معنى ما رابط بينهما ،عام أو خاصّ ،عقليّ أو حسّي أو خياليّ وغير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهنيّ ، والسببُ والمسببُ والعلّةِ والمعلول والنظيريّن والضدّين ونحوه أو التلازم الخارجي كالمرتب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبرِ وفائدتهُ جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء))(٤).

إن الأجزاء المختلفة لأي نصٍ، تعُّد قرينّة لِفْهم ذلك النصُّ، فقد يوجب بعض الأجزاء تخصيص الآخر، أو التقيد، أو يوضح بواسطة نقطة خفية فيه، والقرآن حاله حال النصوص العقلائية الأخرى من هذه الجهة، ومن هنا كانت انطلاقة، واهتمام بعض المفسرين المتأخرين بأسلوب تفسير القرآن بالقرآن والتفسير الموضوعي لآيات القرآن الكريم (٥)

١/ شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني (ت: ٦٧٩هـ)، ٣/ ١٦٠.

٢/ الهذّ سرعة القراءة أي لا تسرع فيه كما تسرع في قراءة الشعر ولا تفرّق كلماته بحيث لا يكاد تجتمع كذرّات الرمل، والمراد به الاقتصاد بين السرعة المفرطة والبطؤ المفرط. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الهاشمي الخوئي (ت: ١٣٢٤هـ)، ٨/ ٧ (الهامش).

٣/ الكافي، الكليني، ٢ / ٦١٤.

٤/ البرهان في علوم القرآن، ١/٣٥- ٣٦.

٥/ ينظر: منطق تفسير القرآن، محمد علي الرضائي/ ٣٩٩ – ٤٠٠.

فعليه تعدُّ الآية القرآنيّة اللَّبنةَ الأساسَّية في تكوينِ السورة، وترتبط أجزاؤها ،سواء أكانت مفردات أم جملاً، بروابط تشد بعضها إلى بعض فتأتي المفردات بعناية وكلّ في مكانِها المناسب مما يشكلُّ ترابطًا وثيقًا بين اللفظِ والمعنى، تملؤك بالإعجازِ روعةً ،وتحضُرُك عندَ تصورِها هيبةٌ تحيطُ بالنفس ،من أقطارِها تعلقاً باللفظ ،من حيثُ هو صوتٌ مسموعٌ ،وحُرُوفٌ تَتوالى في النُّطق، كلُّ ذلك لما بينَ معاني الألفاظ ،منَ الاتَّساق العجيب ، إذ اتَّضحَ اتَّضاحًا لا يَدَعُ للشكَّ مجالاً، فالألفاظ لا تتفاضل من حيثِ هي ألفاظ بل الفضيلة ،في ملائمة معنى اللفظة للمعنى التي تليها، أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ[1].

فأعتبر مراعاة الآيات القرآنية الأُخرى، والاهتمام بها من شروط المفسّر وأصوله، إذ ينبغي الالتفات إلى ذلك الترابط بين الآيات، وأهميته في بيان المقصود.

أن السورة القرآنية، تمثّل نصًّا متكاملًا مُترابطَ الأجزاء مساقة لغرض واحد، يظهر من خلال ائتلاف المقاطع مع بعضها، والتحام الآيات، وهي تُشكّلُ وحدة موضوعيّة، تتضمن أجزاءً متناسقةً فيما بينها تجتمع هذه الأجزاء وتتشابك لتصب في هذه الوحدة؛ وعليه لا يمكن النظر إلى كّل جزء أو آية على أنها منفصلة، ولا علاقة لها بالأجزاء الأخرى، وعلاقة هذه الأجزاء جميعًا بوَحْدة الفكرة والموضوع؛ لأن هذا يجعل النص القرآنيَّ مبعثرًا فاقدًا لوحدته الفكرية والموضوعية التي استهدفها [2]. وقد شبّهَ السّيدُ الخوئيُّ ذلك الترابط بقوله: ((ولعمري أن هذه إحدى الجهات المحسنة لأسلوب القرآن، الذي حاز به الجمال والبهاء، فإنه مع انتقاله من موضوع إلى موضوع يتحفظ على كمال الربط بينهما، كأن كل جملة منه درة في عقد منتظم)) [3] ، عن جابر الانصاري قال: قال الإمام الصادق عليه السلام : ((إن للقرآن بطنًا وللبطن ظهرًا إن الآية لتنزل أولها في شيءٍ وأوسطها في شيءٍ وآخرها في شيءٍ)) [4].

١/ ينظر: دلائل الاعجاز، عبد القاهرالجرجاني (ت: ٤٧١ هـ) / ٥٤.

٢/ ينظر: البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الاسلامي: د. محمود البستاني/ ١٦٦.

٣/البيان في تفسير القرآن/ ٩٣.

٤/ تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي (ت: ٣٢٠هـ)، ١ / ١١. وبحار الانوار، ٨٩ / ٩٤.

فعدم الإحاطة الدقيقة في اسلوب القرآن الكريم هو ما يجعل كتاب الله أبعد من عقول البشر، وعليه فإنَّ معرفة أساليب القرآن الكريم في الخطاب والحوار مهم جداً في تفسير النصّ والكشف عن معاني آياته، فضلاً عن إن أهل البيت عليهم السلام هم أول من بين ملامح هذه الأساليب.

يقول الطَّباطبائيُّ:((كل سورة مسوقه، لبيان معنى خاص، ولغرض محصل، لا تتم السورة الا بتمامة)) [١] ؛ ومثالاً على ذلك: قصة موسى عليه السلام ، مع العبد الصالح :﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ { الكهف: ٦٠}، هذه القصة إذا انتزعت بصورة مستقلة ولم تلاحظ فيها مسألة السياق(الترابط)، فسوف تكون عملية فهمها ومعرف الهدف منها عملية محدودة ،وغير واضحة، وسوف يتساءل المطالع للقرآن عن المقصود من هذه القصة باعتبار أن القرآن الكريم ليس كتاب قصة ، بل هو كتاب هداية ، وعندما نربط بين هذا المقطع من القصة، وبين الآيات والمقاطع الأخرى ذات العلاقة، ومن خلال البحث التفسيري سوف نتمكن من إظهار كثير من المفاهيم والمعاني الجديدة، وسوف نتمكن من الإجابة عن هدف ذكر القرآن الكريم لهذه القصة، وغير ذلك من المسائل الأخرى [٢].

قال الرازيُّ :((أكثر لطائف القرآن، مودعة في الترتيبات والروابط، وهو أمر معقول، إذا عرض على العقول تلقتهُ بالقبول)) [٣]. ومثل هذا التناسب نلمسه في سورة (عبس) التي خُتمت بوعيد الكفرةُ بيومِ الصاخة لجحودهم بما لهذا القرآن من التذكرة؛ وابتدأت سورة (التكوير) التي تليها، بإتمامِ الصورة لذلكَ اليوم المهيب، والأمر كذلك بالنسبة إلى سورتي البقرة وآل عمرانَ؛ إذ فصلتَا أواخرَ الفاتحة فاختصت الأولى بالتعريفِ بالمغضوبِ عليهم، وفصلت الثانيةُ في التعريفِ بالضالين [٤]. فالمتأمل في مطلع كل سورة سيجدها في غايةِ المناسبة، لما ختم به السورة قبلها، ثم هو يخفى تارةً ويظهرُ تارةً أُخرى [٥].

١/ تفسير الميزان، ١ / ١٦.

٢/ ينظر: تفسير سورة الحمد، السيد محمد باقر الحكيم / ١٢٠

٣/ مفاتيح الغيب، ١٠ / ١٤٠.

٤/ ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، ٢١/ ٢٧٥.

٥/ ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، السيوطي، ١ / ٥٢.

كافتتاح سورة الأنعام بالحمد، فإنه مناسب لختام المائدة من فصل القضاء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ {الزمر: ٧٥}، وكافتتاح سورة فاطر بالحمد أيضًا[١] .

وإمّا أن يكون بين الآيات المشتركة في الافتتاحيّة، كالآيات التي تبدأ بالحروف المقطّعة نفسُها، فإنك إن تدبرت بعض التدبر في تلك السور المشتركة في الحروف المفتتح بها: كالميمات، والراءات، والطواسين، والحواميم، وجدت المضامين فيها تتشابه وتترابط السياقات ما ليس بينها وبين غيرها من السور[٢].

إنّ ثمرة بحث الترابط بين أجزاء القرآن، هو إيجاد علاقة بين كلّ أجزاء القرآن الكريم، ومن ثمَّ إثبات أحكام كتاب الله تعالى وكماله وأنّه ليس ككتب البشر، ومن هنا عُدَّ بحث ترابط الآيات والسور، من البحوث المتعلّقة بإعجاز القرآن الكريم [٣].

فبحث التَّرابط ينتجُ لنا معانيًا أُخرى، لا يلتفِتُ لها بالتفسّير المجرّد للآيات القرآنيّة، وبهذا نقل السيوطي عن ابن العربي في (سراج المريدين): ((ارتباط آي القرآن بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني، علم عظيم)) [٤]. ودليل ذلك : إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة، فيضنها الجاهل إفْك من المعاني، حُشِيْت حشوًا وأوزاعًا من المباني جُمعت عفوًا، لكن إذا تدبرت ببُنِيةٍ متماسكة قد بُنيت من المَقَاصّد الكُلّية على أسسٍ، وأصول وأُقِيمَ على كلِّ أصلٍ منها شعبٍ وفصول، وامتد من كلِّ شعبةٍ منها فروعٌ تقصرُ أو تطولُ، فلا تزَالَ تنتقلُ بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنيةٍ في بنيانٍ واحدٍ، لا تحس بشيءٍ من تناكّرِ الأوضاع في التقسيمِ والتنسيق، بل ترى بين الألفاظ المختلفة تمام الألفة والالتحام، دون تكلفٍ ولا استعانةٍ بأمرٍ، من خارج المعاني نفسها، إنما هو حسن السياقة ولطف التمهيد في مطلع كل غرضٍ، فيريك المنفصل متصلاً والمختلف مؤتلفاً [٥].

١/ ينظر: البرهان في علوم القرآن، ١ / ٣٨.

٢/ ينظر: تفسير الميزان، محمد حسين الطباطبائي ، ١٨ / ٨. وتفسير الأمثل، ١٥ / ٤٦٤.

٣/ ينظر: الأمثل، مكارم الشيرازي ،٤٠ / ٩٦.

٤/ الاتقان في علوم القرآن، ٢/ ٢٨٨.

٥/ينظر: النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد بن عبد الله دراز (ت: ١٣٧٧هـ) / ١٨٨.

قال الزرقاني: ((إن القرآن تقرؤه من أوله إلى آخره، فإذا هو محكم السرد، دقيق السبك، متين الأسلوب، قوي الاتصال، آخذٌ بعضه برقاب بعض، في سوره وآياته وجمله، يجري دم الإعجاز فيه، كله من ألفه إلى يائه، كأنه سبيكةٌ واحدةٌ، ولا يكاد يوجد بين أجزائه تفكك ولا تخاذل، كأنه حلقةٌ مفرغة، أو كأنه سمطٌ وحيد، وعقدٌ فريد يأخذ بالأبصار، نظمت حروفه وكلماته، ونسقت جمله وآياته، وجاء آخره مساوقاً لأوله، وبدا أوله مؤاتيًا لآخره)) (١) . روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام : ((إنَّ الآية من كتاب الله عز وجل، كانت تجيء بشيء ما، ثم تجيء منقطعة المعنى بعد ذلك، وتجيء بمعنى غيره، ثم تعطف بالخطاب على الأول))(٢) ، ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ﴾{ لقمان: ١٣} ، وبهذا الخصوص قال الإمام عليه السلام : ((ثم انقطعت وصية لقمان لابنه))(٣)،﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ ﴾ { لقمان: ١٤ }، الى قولهِ :﴿ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ { لقمان: ١٥ }، ثم عطف بالخطاب على وصيةِ لقمان لأبنه فقال: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾{ لقمان: ١٦} ، فمن الاستطراد الواقع في الآية الكريمة في قوله :﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ﴾ ، فمن سياق التَكَلّم مع غيره إلى سياقِ التَكَلّم وحده في قولهِ تعالى :﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ ﴾ ، لقصدِ التأكيد لما فيهِ من النهيِ عن الشِّرْكِ باللهِ ، وَلِما للوالدين من حقوقٍ على الوَلد هي من أشد الحقوق واعظمها وجوبًا فجعل الشكر لهما مقترنًا بالشكرِ لله متمثلًا بطاعتهما ألَّا في الشركِ بالله(٤)

من هنا يتبين إنَّ الانتقال من سياق المخاطب، إلى سياق التكلم، في الآيتين، إذ إنه يبين عقيدة التوحيد لله تعالى، والنهي عن الشرك به، وأهمية شكر النعم التي أنعمها تعالى على الإنسان، وأعظمها نعمة الوالدين، فربط الشكر للوالدين بالشكر لله جل جلاله ، للدلالة على

١/ مناهل العرفان، ١ / ٤٤.

٢/ بحار الانوار، العلامة المجلسي، ٩٠ / ٣٠

٣/ المصدر نفسه، ٩٠/ ٣٠.

٤/ ينظر: التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، ٨ / ٢٥٧.

وجوب شكر الوالدين، كوجوب الشكر لله تعالى، بل هو من شكره تعالى لانتهائه إلى وصيتهِ وأمرهِ ﷻ ، فشكرهما عبادة له سبحانه وتعالى، وعبادتهُ شكرٌ [1].

نخلصُ إلى أنَّ الذي نؤمن به من غيرِ ريبٍ، هو الذي بينَ دفتيّ المصحفِ كلام الله جلَّ شأنه أنزلهُ على نبيه ﷺ لا مدخليه للبشرِ في صفةٍ من أوصافهِ ولا في حرفٍ من حروفهِ، ولا مجالَ للاجتهادِ في ذلك الترتيب المعجز لآياته وسورهِ فإنما ثَبُتت بأمرهِ وحكمة تعالى.

ثالثاً: تأثير أهداف السور والآيات على التفسير.

إنَّ الالتفات إلى أهداف السور والآيات، أثر بالغ في فَهْمِ الآيات والسور، ومن هنا أصبح هذا الموضوع، مورد عناية المفسرّينَ والباحثينَ في القرآن.

إن القرآن الكريم كتابٌ لصلاح أمر الناس كافةٌ ورحمةٍ لهم؛ لتبليغهم مراد الله تعالى منهم، قال ﷻ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾{النحل: ٨٩} ، فكان المقصد الأعلى منه صلاح الأحوال الفردية والجماعية والعمرانية ، فالصلاح الفردي يعتمدُ على تهذيبِ النفوس وتزكيتها ، وقوام ذلك هو صلاح الاعتقاد ؛ لأنَّه مصدر الآداب والتفكير ، أما الصلاح الجماعيّ فيتحصّلُ ذلك مِنَ الصلاح الفردي أولًا ، ولا يصلح الكلّ إلاّ بصلاحِ أجزائه ، وهذا بطبيعتهِ يقودُ إلى ضبط تصرف الناس مع الآخر، وهو ما يُعبَّرُ عنه بعلمِ المعاملات ، ويعبر عنه الحكماء بالسياسيةِ المدنيةِ ، أما الصلاح العمراني فهو أوسع من ذلك إذ هو حفظ نظام العالم الإسلامي ، ومراعاة المصالح الكليّة الإسلامية ، فمراد الله سبحانه من كتابه الكريم هو بيان تصاريف ما يرجع إلى حفظ مقاصد الدين وقد أودع ذلك في ألفاظ القرآن الكريم التي خاطبنا بها خطابًا واضحًا بينًا [2]. قَالَ تَعَالَى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾{ص: ٢٩} .

ومن الذين كانت دراستهم التفسيرية قائمة على إيراد أهداف السور، أبو القاسم الخوئي (ت: ١٤١٣هـ) إذ يورد في نهاية بحثه في السورةِ خلاصةً لها [3] .وكذا محمد حسين الطباطبائيُّ يقول: ((أن الأغراض والمقاصّدَ المُحصّلَّةُ من السورِ مختلفةٌ، وأن كلَّ واحدة منها مسوقةٌ لبيانِ

١/ ينظر: تفسير الميزان، محمد حسين الطباطبائي، ١٦/ ٢١٦

٢/ ينظر: أصول التفسير وقواعده، خالد عبد الرحمن العك / ٦٣.

٣/ ينظر: البيان في تفسير القرآن / ٤٢٣ (خلاصة سورة الفاتحة).

معنى خاصٌ و لغرضٍ مَحَصّل لا تتمُ السورة إلا بتمامهِ))[١] ؛ ومثالًا لذلك : ففي بدايةِ تفسير سورة يوسف عليه السلام : يذكر الطباطبائي ، من إن غرض السورة بيان ولاية الله لعبده الذي أخلص إيمانه له تعالى إخلاصا و امتلأ بمحبته تعالى لا يبتغي له بدلا ، و لم يلو إلى غيره تعالى من شيء، و أن الله تعالى يتولى هو أمره فيربيه أحسن تربية فيخلصه لنفسه و يحييه حياة إلهية و إن كانت الأسباب الظاهرة أجمعت على هلاكه، و يرفعه و إن توفرت الحوادث على ضعته[٢]. فذكر أهداف السور قبل البدء في تفسيرها، يستوجب على المفسّرِ معرفة الهدف العام للقرآن وتشخيصه، ومراعاتها عند تفسيره تماشيًا معها وخوفًا من تعارضها.

وعليه فمن تطلع إلى البحث في تفسير كلام الله تعالى من أي مفسر، ولا يأتي بجديد لم يسبق إليه ولو بفكرة وهدف واحد في التفسير كله يخالف فيها من تقدمه من أهل التفسير، فذلك المفسر لا يملك عقلًا واعيًا، وإنما يملك عقلًا قارئًا يرتسم فيه ما يقرأه لغيره دون محاكمة، تماما كما يرتسم الشيء في المرآة على ما هو من لون وحجم [٣]. وهنا يكمن السر في قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :((ذلك القرآن الصامت، وأنا القرآن الناطق))[٤].

لنزول القرآن أهداف كثيرة منها [٥].

١- للإنذار: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ **{الفرقان: ١}.**

٢- للبيان: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ **{النحل: ٨٩}.**

٣- للتعقل: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ **{البقرة: ٢٤٢}.**

٤- للتفكر: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ **{الحشر: ٢١}.**

٥- للذكرى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ **{الذاريات: ٥٥}.**

١/ تفسير الميزان، ١/ ٨.

٢/ ينظر: المصدر نفسه، ١١/ ٣٩.

٣/ ينظر: التفسير الكاشف، ١ / ٣٩.

٤/ بحار الانوار، العلامة المجلسي، ١٠٦ / ١٥٤.

٥/ ينظر: تفسير القرآن الكريم، مصطفى الخميني (ت: ١٣٩٨هـ)، ١ / ٩ وما بعدها. والتفسير الحديث، محمد عزة دروزة، ١/ ١٦٢ وما بعدها ج٢ / ٢٤٩. وتفسير الأمثل، مكارم الشيرازي، ٤ / ٣٨٢. وتفسير سورة الحمد، السيد محمد باقر الحكيم / ٦٥ وما بعدها. ومنطق تفسير القرآن، محمد علي الرضائي / ٤٠٢ – ٤٠٣.

٦- للهداية والرحمة والبشرى: ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ {النحل: ٨٩}.

٧- الإسلام دين عالمي: ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ {القلم: ٥٢} ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ {الأنبياء: ١٠٧}.

الهدف النهائي:

هدف المفسِّر أن يعلم المقاصد الأصلية التي جاء القرآن لتبيانها، ولنا عرض بحسب ما بلغ إليه استقراء الباحثين بهذا الشأن وللمزيد من الاطلاع [١]، وهي كما يلي:

أولاً: إنَّ الهدف الأساسيّ للقرآن الكريم هو عملية التغيير الاجتماعي، باعتبار القرآن الكريم هو المجسد للنظرية الإسلامية، فسيكون هذا هو الهدف الأساسيّ للنظرية أيضًا، أي إصلاح الاعتقاد وتعلم الصحية منها، وهذا أعظم سبب لإصلاح الخلق، ﴿ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾{ هود: ١٠١}، فأسند لآلهتهم زيادة تتبيبهم وليس هو من فعلِ الآلهة ، لكنه من آثارِ الاعتقاد الخاطئ بالآلهة[٢].

ثانيا: معرفة التغيير الذي يستهدفه القرآن الكريم هو تغيير سلوك الإنسان وعلاقاته بالمحتوى النفسي والروحي له باتجاه الكمال المطلق المتمثل بالله تعالى ، فتكامل الإنسان الذي أفضل مخلوق لله تعالى ، وهذا لا يتحقق إلا في ضوء تكامل سلوكه، وبهذا الشأن نطلعُ على ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((إن الله عزّ وجلّ أدّب نبيه فأحسن أدبه فلما أكمل له الأدب ، فكان خلقه القرآن))[٣] ،﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ { القلم: ٤} ، وهذا المقصد قد فهمه عامة العرب وعليه لا بد من معرفة الأمور المؤثرة في سلوك الإنسان ، التي تغيره أما باتجاه الكمال والسمو ،أو النقصان والانحطاط[٤].

١/ ينظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ)، ١ / ٤٠- ٤١. والقرآن في الإسلام، الطبطبائي/ ١٣. وتفسير الميزان، الطبطبائي، ٥ / ١٧٣ – ج٧ / ٣١٧. وأصول التفسير وقواعده، خالد عبد الرحمن العك / ٦٤ – ٦٦. وتفسير سورة الحمد، محمد باقر الحكيم (ت: ١٤٢٥هـ) / ١٧٦. وبحوث في الفقه المعاصر، حسن الجواهري، ٣/ ٣٧٧ وما بعدها.

٢/ ينظر: التحرير والتنوير ،١/ ٤٠. وتفسير سورة الحمد، / ١٠٦.

٣/ المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت: ٢٧٤هـ)، ١ / ١٦٢.

٤/ ينظر: تفسير سورة الحمد، محمد باقر الحكيم / ١٧٦.

ثالثًا: التشريع وهو الأحكامُ خاصةُ وَعَامَّةُ،﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ ﴾ {النساء: ١٠٥}، لقد جمع القرآن جميع الأحكام جمعًا كليًا في الغالب، وجزئيًّا فِي الْمُهِمّ، فقوله:﴿ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ ﴾{النحل: ٨٩}، وَقَوْلُهُ تعالى:﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾ { المائدة: ٣}، الْمُرَادُ بِهِمَا إِكْمَالُ الْكُليات، فالقرآن على اختصاره جَامِع والشريعة تمت بِتمامه، ولا يكون جامعا إلا والمجموع فيه أمور كلية[١].

رابعًا: سياسةُ الأمة وحفظ الشَرِيعة، الهدف منهُ صلاح الأمة، وحفظُ نظامها، كالإرشاد إلى تكوين الجماعة [٢] بقوله:﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾**{ آل عمران: ١٠٣}، :﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ ﴾{ الأنفال: ٤٦ }.**

خامسًا: قصَصُ وأخبار الأممِ السالفة، للتأسِّي بصالح أحوالهم، ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾**{يوسف: ٣}** ، وَلِلتَّحْذِيرِ مِنْ سوءاتهم[٣]، قال تعالى: ﴿ وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ ﴾ { إبراهيم: ٤٥}.

سادسًا: التعليم بما يناسب حالة عصر المُخَاطَبِينَ، وما يؤهلهم إلى تلقي الشريعة (علم الشائع) ونشرها وكان ذلك مبلغ علم مخالطي العرب مِنْ أهل القرآن، وقد زاد القرآن على ذلك تعليم حكمة ميزان العقول ،وصحة الاستدلال ،في أفانين مجادلاته للضالين ،وفي دعوته إلى النظر، ثمَّ نوَّه بشأنِ الحكمة فقال:﴿ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾**{ البقرة: ٢٦٩}** وهذا أوسع باب انبجست منه عيون المعارف، وانفتحت به عيون الأميين إلى العلم، وقد لحق به التّنبيه المتكرر على فائدة العلم، وذلك شيءٌ لم يطرق أسماع العرب من قبل، إنما قصارى علومهم أمور تجريبية، وكان حكماؤهم أفرادا اختصوا بفرطِ ذكاء تضم إليه تجربة وهم العرفاء فجاء القرآن بقوله: ﴿وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴾**{ العنكبوت: ٤٣}،﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴾{ القلم: ١}،** فنبّه إلى مزيّةِ الكتابة.

١/ ينظر: الموافقات، الشاطبي، ٤ / ١٨١.

٢/ ينظر: حقائق التأويل، الشريف الرضي (ت: ٤٠٦هـ) / ٦٧. والتحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ١/ ٤٠.

٣/ ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي (ت: ٥١٦هـ) ،٢/ ٤٠٨. والتحرير والتنوير، ١/ ٤١.

سابعًا: المواعظ، والإنذار، والتحذير، والتبشير، وهذا يجمع جميع آيات الوعد والوعيد، وكذلك المحاجّة والمجادلة للمعاندين، وهذا باب التَّرغيب والتَّرهِيب [١].

ثامنًا: الإعجاز، ليكون آية دالة على صدق النبي ﷺ إذ التصديق يتوقف على دلالة المعجزة بعد التحدي، والقرآن جمع كونه معجزةً بلفظه والتحدي وقع فيه [٢]،﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ {البقرة: ٢٣}.

فغرضُ المفسّر بيان ما يصل إليه أو ما يقصده من مراد الله تعالى في كتابه بأتم بيانٍ يحتمله المَعنى ولا يأباهُ اللّفظ مِنْ كل ما يوضح المراد من مقاصد القرآن، أو ما يتوقف عليه فهمه أَكملَ فهمٍ، أَو يخدم المَقصّد تفصيلاً وتَفريعاً.

الأهداف العامة للسورة (سورة الاسراء) مثالًا [٣]:

ان لكل سورة قرآنية هدفاً تعمل على متابعتها، في مسيرة الهدف الأصلي والأساسي للقرآن الكريم، أي الهداية الإلهية، وكأن هدف السورة يشبه خيط المسبحة، يربط آيات السورة ببعضها البعض، وانتظمت في شكل بديع، يجمعها وحده الهدف، وعدم اخذه بنظر الاعتبار يؤدي إلى التراجع السلبي في التفسير وتفرقه وعدم ترابطه.

يمكن بيان المحاور التي دارت عليها السورة، وهذا الكشف يأتي كما أوضحها مكارم الشيرازي في تفسيره[٤] .

١- الإشارة إلى أدلة النبوة وبراهينها، وفي مقدمتها معجزة القرآن، وقضية المعراج.

٢- ثمَّةَ بحوثٌ في السورةِ، ترتبط بقضية المعاد وما يرتبط به من حديثٍ عن صحيفةِ الأعمال، وقضية الثواب والعقاب المترتب على نتيجة الجزاء.

٣- تتحدثُ السورة في بدايتِها وخاتمتها عن قسمٍ من تاريخِ بني إسرائيل المليء بالأحداث.

١/ينظر: تفسير الميزان، الطبطبائي، ٥/ ٢٠٠. والتحرير والتنوير، ٨/ ٥٢.

٢/ينظر: إحياء علوم الدين، الغزالي، ٢/ ١٩٩. وشرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين التفتازاني (ت: ٧٩٢هـ)، ٢/ ١٧٧.

٣/ ينظر: تفسير الأمثل، ٨ / ٣٨٠ – ٣٨٦. ومنطق تفسير القرآن، محمد علي الرضائي/ ٤٠٢ – ٤٠٤.

٤ / ينظر: ناصر مكارم الشيرازي، ٨/ ٣٧٩– ٣٨٠.

٤- تتعرض السورة إلى حريةِ الاختيار لدى الإنسان وأنه غير مجبرٌ في أعمالهِ، إذًا فعليه تحملَ مسؤوليّة هذه الحرية من خلالِ تحمله أعباء أعماله سواء كانت حسنة أو سيئة.

٥- تبحث السورة قضية الحساب والكتاب في هذه الدنيا، وعلى الإنسان أن يعي ذلك .

٦- تشير إلى الحقوق في المستويات المختلفة، خصوصا فيما يتعلق بحقوق الأقرباء، وبالأخص منهم الأم، والأب.

٧- تتعرض السورة إلى حرمة الإسراف، التبذير، البخل، قتل الأبناء، الزنا، وأكل مال اليتيم، البخس في المكيال، التكبر، إراقة الدماء.

٨- في السورة بحوث حول التوحيد، ومعرفة الله تعالى.

٩- تواجه السورة مواقف العناد، المكابرة، إزاء الحق، وأن الذنوب تتحول إلى حجب تمنع الإنسان، من رؤية الحق.

١٠- تركز السورة، على أفضلية الإنسان على سائر الموجودات.

١١- تؤكد السورة على تأثير القرآن الكريم في معالجة الأشكال المختلفة من الأمراض الأخلاقية والاجتماعية.

١٢- تبحث السورة في المعجزة القرآنية، وعدم تمكن الخصوم وعجزهم عن مواجهة هذه المعجزة.

١٣- تحذر السورة، المؤمنين من وساوس الشيطان وإغواءاته، وتنبههم إلى المسالك التي ينفذ من خلالها إلى شخصية المؤمن.

١٤- تتعرض السورة إلى مجموعة مختلفة من القضايا، والمفاهيم، والتعاليم الأخلاقية.

١٥- أخيرًا تتعرض السورة إلى مقاطع من قصص الأنبياء عليهم السلام ليتسنى للإنسان استكناه الدروس والعبر من هذه القصص.

في كُلِّ الأحوال تكشفُ سورة الإسراء في مضمونها ومحتواها العقائدي والأخلاقي والاجتماعي، لوحةٍ متكاملةٍ ومتناسقةٍ لسمو البشر وتكامله في المجالاتِ المختلفةِ، فالقرآن كلٌّ لا يتجزأ متحدٍ مترابط الآيات، ذو هدف واحد وروح واحدة، وعدم الالتفات لذلك يؤدي إلى عدم الحصول على تفسّيرٍ كامل أو معبر للقرآن الكريم.

رابعاً: جامعيّة المفسّر للشروط:

لقد كثرت مدونات مناهج التفسّير وكتب علوم القرآن من الحديث عن شروط المفسِّرِ ومؤهلاته، وما يحتاج إليه من علوم ومقدمات تمكنه من ممارسةِ العملية التفسيرية على وجهها الصحيح ، فعدت العملية التفسيرية عملية دقيقة وحساسة جدًا؛ لكونها محاولة بحثية لاستكشاف معاني القرآن الكريم وحقائقهِ، ومن هذا المنطلق، لا بدَّ لهذه العمليّة من ضوابطَ معرفيّة ومنهجية وتطبيقيّة وفنية تضبط هذه العملية وترشدها وتوجهها وجهتها الصحيحة والسليمة، إذ شكلت قواعد التفسير الضوابط العمليّة والتطبيقية للتفسير، في حين تشكّل شروط المفسِّر ومؤهّلاته وقدراته ومهاراته الشروط الفنّيّة لعمليّة التفسير.

وعليه لا بدَّ للمفسّر في عملية التفسير من توافره على مجموعة من الشروطِ والمؤهّلات والقدرات الخاصّة التي تتيح له مباشرة العمليّة التفسيريّة، فيما يرتبط بسلامة فهم النصّ القرآنيّ وصحّته، والكشف عن معانيهِ وَمقَاصده التي تحيط به، بما ينسجم مع الشروط الأخرى المعتبرة في العمليّة التفسيريّة نفسها [1].

فلا شك إن تفسير أي كلام، يجب أن يستند إلى أسسٍ مسلَّم بها، وتصدق هذه القاعدة على عمليةِ تفسير القرآن، لأن مقتضى النهج العقلائي، كما جاء ذلك في القاعدة التفسيّرية، في مستند التفسير إلى أسس، ودلائل، في بيانِ الغرض الاستعمالي، والغرض الحقيقي؛ لذا فأن الجهد التفسيريّ يستنبط الشواهد والادلة معتمدا على العلم التفسير ومنهجه [2].

قال الزركشي:((القرآن يحوى سبعة وسبعين ألف علم ومائتي علم، وإن لكل كلمة علم، ثم يتضاعف ذلك ، إذ لكل كلمة ظاهر وباطن، وحد ومطلع، فهذه الأمور تدل على أن فهم معاني القرآن مجالاً رحباً، ومتسعاً بالغاً، وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس ينتهي الإدراك فيه بالنقل، والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير، ليتقي به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتسع الفهم ولاستنباط، والغرائب التي لا تفهم إلا باستماع فنون كثيرة))[3].

١/ ينظر: السيوطي: الاتقان، ٢ / ٤٦٧، علوم القران، محمد باقر الحكيم/ ٢٨٠-٢٨٤، و اساسيات في علم التفسير، اعداد: مركز المعارف الإسلامية / ٣٩.

٢/ ينظر : بحوث في منهج تفسير القران الكريم: محمود رجبي / ١٨٣ .

٣/ البرهان في علوم القرآن، ٢ / ١٥٥.

إن فكرة استنطاق النص بالمفهوم القرآني محددة بشروط وقواعد التفسير، ففكرة ناطقيه القرآن ومبدأ الاجتهاد على وفقِ الاختصاص في التفسّير بعد انقطاع الوحي هو ايذانٌ بتحولِ التفسّير والتأويل في ضوءِ قراءة النصّ الى حركية العقل البشريّ، فإنَّ مَا ينقله المفْسّر أو الدارس لنصّ القرآن هو فَهْم القارئ للنصّ، أي أن المعنى في أحدِ وجوهه وليد الوعي البشريّ على وفقِ محددات ثقافية وسياسية وزمنية وشرعية في باب الدراسات الإسلامية، وتلك الاشكالية تمثل قلب الدراسات التي تدور حول النصّ القرآنيّ [1].

المؤهّلات الشخصيّة الذاتيّة: وهي عبارة عن مجموعةٍ من المواصفاتِ النفسيّة، الّتي ينبغي توافرها في المفسِّر عند عمليّة التفسير، وقد اثرى الباحثون مدوناتهم بها[2].

١- فهم حقائق الألفاظ المفردة الّتي أودعها القرآن بحيث يحقق المفسّر ذلك من استعمالاتِ أهل اللغة، وأن يدققَ بحسبِ المعاني التي كانت مستعملة في عصرِ نزول القرآن، والأفضل أن يُفْهَمَ الّلفظ من القرآنِ نفسه ، بأن يجمع ما تكرر في مواضع منه وينظر فيه، فربما استعمل بمعان مختلفة كلفظ (الهداية، الرحمة) وغيرهما، ويحقق كيف يتفق معناه مع جملة معنى الآية، فيعرف المعنى المطلوب من بين معانيه، فالقرآن يفسر بعضه ببعض، وإن أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ، موافقته لما سبق له من القول واتفاقه مع جملة المعنى، وائتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملته.

٢- على المفسّر أن يمتلك فهمًا شموليًّا جمعيًّا للقرآن الكريم، فلا يتناوله بنحو مجتزأ متناثر؛ لأنّه يحوي وحدة موضوعيّة بين آياته وسورهِ، فعليه مراعاتها وأنْ يربط بينها، وإلّا فإنّه لا يستطيع تفسير القرآن وفهمهِ فهمًا صحيحًا وسليمًا ، قال تعالى: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَّثَانِيَ**﴾{الزمر:٢٣} ، بمعنى أنّ بعض آيات القرآن ناظرةٌ إلى بعضها الآخر، وأنّ كلَّ قسمٍ

١/ ينظر: تأويل القرآن الكريم بين النقاد والمفسرين في العصر الحديث، أحمد طه ياسين الشيخ علي / ١٣٢.

٢/ ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي ،٢ / ١٠٨. والإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٢ / ٤٦٧. والمناهج التفسيرية في علوم القرآن، جعفر السبحاني / ١٨ وما بعدها. والتفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، د. فضل حسن عبَّاس،١ / ٢٢٣. والوافي في تاريخ القرآن وعلومه، أ. د. عامر عمران الخفاجي/ ٢١٩ وما بعدها. ومحاضرات في علوم القرآن، غانم بن قدوري / ٢٢٠ – ٢٢٣.ومنطق تفسير القرآن، محمد علي الرضائي / ٩٩ وما بعدها. وأساسيات علم التفسير، دار المعارف الإسلامية الثقافية / ٤٠ – ٤٥. و تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي /٥٣ وما بعدها.و أصول التفسير وقواعده، خالد عبد الرحمن العك / ٨١ –٨٣.

منّها يوضّح القسم الآخر ويفسِّرهُ، قال تعالى: ﴿**أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا**﴾{النساء:٨٢}. وعن الإمام عليّ عليه السلام :((كِتَابُ اللَّه تُبْصِرُونَ بِه ـ وتَنْطِقُونَ بِه وتَسْمَعُونَ بِه ـ ويَنْطِقُ بَعْضُه بِبَعْضٍ ـ ويَشْهَدُ بَعْضُه عَلَى بَعْضٍ))(١).

٣- معرفة المفسِّر بالأساليب الرفيعة للغةِ، ويتحصّلُ ذلك بممارسةِ الكلام البليغ ومزاولته، مع التفطُّن لنكته ومحاسنه، والعناية بالوقوف على مراد المتكلم منه، للقدرة على التحليل والتركيب، لتكون له قدرة تحليليّة للنصّ القرآنيّ الذي يُرِيدُ اكتشافَ معانيه وَفَهْم مَقَاصّدهُ ،وهي ليست بمعنى تجزئة المعلومات والمعطيات للنصّ كيفما شاء، بل ينبغي أن يكون التحليل ضمن ضوابط وقواعد محدّدة تأخذ بعين الاعتبار تشابك محتوى النصّ القرآنيّ ورسالته وأهدافه ومبادئه الأساسيّة، وتجنّب التحليل الذي يؤدّي إلى انكسار المعنى وانقطاعه عن النظام المعرفيّ للنصّ القرآنيّ ، وكذلك الأمر بالنسبة لعمليّة التركيب، فعلى المفسّر أن يكون ملمّاً بعناصر التركيب المحلّلة سابقاً وبالعلاقة الواقعة فيما بينها، بهدف إيجاد أو استنتاج تركيب جديد مؤلّف العناصر ضمن انسجام وتوليف معرفيّ واضح ومفيد، لا يتعارض مع رسالة القرآن وأهدافه العامّة ومبادئه الأساسيّة.

٤- لا بدّ للمفسّر من أن يمتلك معتقدًا سليمًا صحيحًا، لجهة مصدر القرآن الغيبيّ ووحيه، كونه كتاب هداية للبشريّة، كذلك لجهة فَهْم القرآن وتفسيره، بالاستنادِ إلى صلى الله عليه وآله وسلم والاعتقاد بنبوّته ورسالته، وإلى أهل البيت عليهم السلام والاعتقاد بولايتهم ودورهم ومرجعيّتهم الفكريّة والدِّينية؛ فالّذي لا يملك اعتقادًا سليمًا بهذه المسائل، لا يعتقد له أحراز فَهْمَ القرآن فهمًا صحيحًا وسليمًا.

٥- ومن شرطهِ صحةُ الَمقَصَّد فيما يقول ليلقى التسديّد، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ **جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا**﴾ {العنكبوت: ٦٩}، وإنما يخلَّص له القَصّد إذ أزهد في الدنيا، لأنه إذا رغب فيها لم يؤمن أن يتوسل به إلى عرض يصدّه عن صواب قصده، ويفسد عليه صحة عمله.

٦- أن يكون موضوعيّاً في تفسيرهِ للقرآن، بحيث يتجرّد عن الآراء والقناعات المسبقة، والميول، والرغبات الذاتيّة، فلا يقوم بإسقاطها وتحميلها على القرآن، بل عليه أن يسير إلى حيث تأخذه

---

١ / نهج البلاغة، ٢/ ١٧ (من خطبة له عليه السلام في صفة القرآن وصفات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأوصاف الدنيا وبيان حكمة الله تعالى في خوف الموت ثم وصف الحالة الناس في المباغضة).

الآيات، لا يأخذها إلى حيث أفكاره ومعتقداته المسبقة ويُلزِم القرآن بها، حتّى لا يقع في محذور التفسير بالرأي المنهيّ عنه في الروايات المستفيضة الواردة عن النبيّ وأهل بيته ﷺ.

٧- الحضور القلبيّ والعقليّ مع القرآن، إن معاني القرآن لا يدركها، ولن يدركها على حقيقتها وعظمتها إلّا من يحسّها في أعماقهِ، ويسلّم معها بقلبه وعقله، ويختلط إيمانهُ بدمهِ ولحمه، وكيفيّة تحقيق هذا الأمر تكمن بالتفكّر في كلّ آية من الآياتِ الشريفة وتطبيق مفادها في النفس ورفع نقصانها بواسطة هذا التطبيق.

٨- التأمّل والتدبّر، فلا بدّ للمفسّر من التأمّل والتفكّر دوماً في القرآن؛ لأنّ القرآن غضّ طريّ لا تنفد معانيه ومعارفه على المُدَارسة، على من يَرِده متأمّلاً ومتفكّرًا ، والتّدَبُّر: هو تأمّل عقليّ ذاتيّ دقيق وعميق في تعابير القرآن الكريم، للحصول على نكاتٍ دقيقةٍ، تربويّةٍ وأخلاقيّةٍ وعقديّةٍ وغيرها، وذلك ضمنُ ضوابطَ وشروطَ مراعيّة الإجراء، مع كون هذه النكات احتماليّة تبقى في دائرة الرؤية ووجهة النظر الخاصّة بالمتدبّر، ولا يمكن نسبتها على نحوِ الجزم إلى المرادِ الإلهيّ ، لأنّه لا بدّ وأن يُفتَح للناس طريق الاستفادة من هذا الكتاب الشريف، الذي هو الكتاب الوحيد في السلوك إلى الله، والكتاب الأحديّ في تهذيب النفوس والآداب والسنن الإلهيّة

٩- الثقافة العلمية المعاصرة، على المفسر ان يكون مطلعاً على العلوم الأخرى، مثل: الفلك والطب والاقتصاد والسياسة علم النفس وغيرها من العلومِ، ومتابعًا للأحداثِ السياسية والفكرية والاجتماعية، حيث كلّما أزداد ثقافةً فيه الجوانب أزداد إدراكًا للأبعاد العلميّة للآيات القرآنية.

نجدُ إنَّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قدّ بينَ هذه المؤهلات بدقةٍ ،قائلاً : ((إنَّ علم القرآن ليس يعلم ما هو إلاَّ من ذاق طعمهُ فعلمَ بالعلمِ جهلهُ ، و بصَرَ به عماه و سمع به صممه ، وأدرك به علم ما فات ، وحيي به بعد إذ مات ، و اثبت به عند الله الحسنات ، و محا به السيئات ، و أدرك به رضواناً من الله تبارك و تعالى ، فاطلبوا ذلك من عند أهله خاصة))[1]، أي إنَّ العلم الخاصّ بالقرآنِ والذي يشملُ جميعَ العلوم لا يعرفهُ إلا من عرفَ حقيقته وكيفيته وانواعه كحقيقة أحساس الإنسان بحواسهِ الطبيعية، فأحاط به وادركه قلبه وان لم يسمعه،

١/ الكافي، الشيخ الكليني، ٨/ ٣٩٠ والوافي، الفيض الكاشاني، ٢٦ / ٨٧.

وتدارك به ما فات مما جهله من هذا العلم، الذي هو سبباً لحياة القلب، فهو موجب لثبوت الحسنات عند الله ، وتمحا به السيئات[١] ، وقد أسس له الإمام عليه السلام في مقالهِ هذا.

وهذا الشرط قريب، مما سماه الشيخ الطبرسي (علم الموهبة) إذ وصفه: ((بأنه علم يورثه الله من عمل بما علِم، فإذا كان العالم جامعا لهذه العلوم، مع رسوخ قدم فيها، وفضل تحقيق، صلح لأن يكون مفسرًا))[٢] .

وبذلك إنه لا محيصَ للمفْسّر، من تبنى ما أشرنا إليه من مؤهلات، لتوقف فَهْمُ الآية عليها، وإنَّ هذه العلوم يجب أن تدعمَ بدعاماتٍ أساسيةً تظهرُ على صاحبِ التفسيُّر من آدابٍ وأخلاق ربانيةً لأنه يتعامل مع نص مقدس، وبالابتعاد عن أهدافِ القرآن الكريم وامتلاء تفسيرهُ ببحوثٍ وأفكار لا ربطَ لها بمعاني القرآن الساميةُ يصبح تفسيره موجبًا للظلمةِ والحجابِ مانعًا للنورِ والهدايةِ، فالتفسيّر علّمٌ عظيمٌ مشتمل على علوم وفنون كثيرةً، ومستلزم لمقومات عديدة يجب على المفسِّر من تحصيلها.

خامساً: التوقي من التفسير بالرأي.

لزوم الحَذر من الرأي، وعدم تحكيم النظر الباطل في القرآن، والعنايةُ بكشفِ مَقَاصَد القرآن الكريم بالطرق الصحيحة.

الرأي في اللغة:

الرأيُّ: جمع على الآراء، تقول: ما أضل آراءهم، ورأيت بعيني رؤية؛ فالراء والهمزة والياء أصل يدل على نظر وإبصار بعين أو بصيرة؛ فالرأي ما يراه الإنسان في الأمر[٣]، وقوله نظر من جهة النظر: أي نظره من صوب الحق والتبصر والاسترشاد لهداه الله ولكنه يقصد معاندة الحق والإعجاب برأيه[٤].

الراي في الاصطلاح:

١/ شرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني، ١٢/ ٥٥٩-٥٦٠.

٢/ تفسير مجمع البيان، ١ / ٢٤.

٣/ ينظر: العين، الخليل الفراهيديّ(ت:١٧٠هـ)، ٨/ ٣٠٧ (باب الراء). ومعجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢/ ٤٧٣(رأى)

٤/ ينظر: شرح أدب الكاتب، موهوب بن أحمد الجواليقي (ت: ٥٣٩هـ) / ٣٢.

هو استحضار المفسّر في بيان الكلمة أو الآية مالا يؤيّده ظاهر اللفظ بوجه من الوجوه، ولا يوجد نصّ يؤيده في رأيه عن النبي ﷺ أو أهل بيته عليهم السلام[1] . كذلك: هُوَ إجالة الخَاطر فِي الْمُقدمَاتِ الَّتِي يُرْجَى مِنْهَا إنتاج الْمَطْلُوب [2]. وايضاً: عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد، بعد معرفة المفسِّر لكلامِ العرب ومناحيهم في القولِ، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالاتها، واستعانته بالشعر ووقوفه على أسباب النزول والناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغيرها مِنَ الأدوات الّتي تنفع المفسِّر [3].

إذاً فهو لا يَعدو من إنّ المفسِّر يتخذ رأيًا خاصًا في موضوعٍ لسبب من الأسبابِ ثمّ يرجعُ إلى القرآن حتى يجد له دليلًا من الذكر الحكيم يُعَضد به رأيه، فهو في هذا ليس بِصَدد فَهْم الآية وإنّما هو بِصَدد إخضاع النصَّ لرأيهُ وفكرهُ، وبذلك يبتعد عن التَفسِّير الصحيح للقرآن.

موقف العلماء من التفسير بالرأي:

أختلف المفْسِّرون منْ قديمِ الزمان أزاء تفسير القرآن بالرأي ما بين معارض وموافق، فقوم تشدَّدوا في ذلك، فلم يجرؤوا على تفسير شيء من القرآن، ولم يبيحوه لغيرهم، إذ لا يجوز لأحد تفسير شيء من القرآن، وإن كان عالماً، أديباً، متسعاً في معرفة الأدلة، والفقه، والنحو، والأخبار، والآثار، وإنما له أن ينتهي إلى ما روى النبي صل الله عليه واله وسلم، وعن الذين شهدوا التنزيل من الصحابة رضى الله عنهم، أو عن الذين أخذوا عنهم من التابعين.

وقوم كان موقفهم على العكس من ذلك، فلم يروا بأساً من أن يفسِّروا القرآن باجتهادهم، ورأوا أن مَنْ كان ذا أدب وسيع، فموسَّع له أن يُفسِّر القرآن برأيه، واجتهاده، والفريقان على طرفي نقيض فيما يبدو، وكل يُعَزِّز رأيه ويُقَوِّيه بالأدلة والبراهين.

القائلين بنفي جواز التَفْسِّير بالرأي مستدَّلينَ بما يلي:

١-إنَّ التَفْسيّر المنهي عنَهُ هو أن يكونَ للإنسان مذهبُ إليه يميل بطبعهِ، فيتأُول القرآن على وَفقِ رأيه، لو لم يكن لهُ ذلك الميلُ لَمَا خطر له ذلك التأويل سواءً أكانَ لرأيه مَقصّد صحيح أو غير صحيح، كما يستعمله بعض الوعاظِ تحسينًا للكلامِ وترغيبًا للمستمعِ فهو ممنوع منه؛ كذلك من

١/ ينظر: تفسير القرآن المجيد، الشيخ المفيد (ت: ٤١٣هـ) / ٢١.

٢/ينظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي (ت: ١٠٩٤هـ) / ٤٨٠.

٣/ينظر: التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، ١/ ١٨٣.

تسرع إلى تَفْسِير القرآن بظاهرِ العربيةِ منْ غيرِ استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن والألفاظ المبهمة، فلم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباطه بمجرد فهم العربية، دخل في جملة من يفسر القرآن بالرأي [١].

٢-الظهور الشخصيّ وهو الَفْهَم الذيّ يختصُّ به شخصٌ مِنَ الناس معتمد عادةً على قوتهِ الذهنيةِ والذوقية ،إذ تجعلهُ تحتَ تأثيرٍ معيَّنٍ فيفهمُ منَ الكلامِ معنًى خاصًا لا يفَهَمهُ غيره ، وهذا النحو من الَفْهَم للقرآن الكريم هو فَهمٌ شخصيٌّ ،إي تفسير للقرآن بالرأي المنهيّ عنه، كَتفاسير بعض أصحابِ العقائدِ الفاسدة الَّذينَ لهم ذهنيات ومصطلحات خاصة تكونت ضمن ثقافتهم ، فيفسرون القرآن على وفق ذلك، وهذا النحو من التفْسّيرِ يختلف تمامًا عن فَهْم القرآن وتفسيره اعتمادًا على الخلفيةِ الذهنية والعقائدية الصحيحة للمَفْسِّر [٢].

٣- أن المفسِّر بالرأي ليس على يقينٍ بأنه أصابَ ما أراد الله تعالى، ولا يُمكِنَهُ أن يقطع بما يقول، وغاية الأمر أنه يقول بالظن، والقول بالظن قول على الله بغير علم [٣]، ودليلهم على ذلك قوله تعالى:﴿ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ { الأعراف: ٣٣ }.

٤-استدلوا بقوله تعالى:﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ ﴾ {النحل: ٤٤}، أضافة البيان إليه ﷺ، فَعُلِمَ أنّه ليس لغيره شيء من البيانِ لمعاني القرآن، وأجاب المجيزون عن هذا فقالوا: ((نعم إنَّ النبي ﷺ مأمُور بالبيانِ ولَكنَّه مات ولم يبيّن كلَّ شيءٍ فما ورد بيانه عنه ﷺ ففيه الكفاية عن فكره من بعده، وما لم يرد عنه ففيه حينئذ فكرة أهل العلم بعده، فيستدلون بما ورد بيانه على ما لم يرد))[٤]،والله تعالى يذكر في آخر الآية:﴿ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ .والتفسير بالرأي المنهي عنه في الأخبار، هو حملُ الآيات على خلافِ ظَوَاهرها، أو على أحدِ محتملاتها مع عدم كونها ظاهرةً في شيءٍ منها، على ما وقع من أكثر المفسرين من العامّة ويحتمل أن يكونَ

١/ينظر: تفسير القرآن المجيد، الشيخ المفيد (ت: ٤١٣هـ) / ٢٢ – ٢٣. ومناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني (ت: ١٣٦٧هـ)، ٢/ ٤٩. والتفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، ٢/ ٤٤. ومباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح/ ٢٩٤.

٢/ينظر: الاعتصام، الشاطبي، ٢/ ٤٩٨-٤٩٩. ومباحث في علوم القرآن، مناع القطان / ٣٥٢. والمناهج التفسيرية في علوم القرآن، جعفر السبحاني، ٣/ ٦-٧. والتفسير والمفسرون، ١ / ١٨٣. وعلوم القرآن، محمد باقر الحكيم / ٢٣٣.

٣/ينظر: تفسير مجمع البيان، الطبرسي، ١/ ٢٦-٢٧. وزبدة التفاسير، فتح الله الكاشاني، ١/ ١٠. ومناهل العرفان في علوم القرآن، ٢/ ٥٤. والتفسير والمفسرون، ١/ ١٨٣.

٤/ ينظر: التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، ١ / ١٨٦.

المرادُ بالأخبارِ الناهيةِ عن التَفْسِير بالرأي هو استقلال العمل بالكتاب؛ بلا مراجعة الأئمة الإطهار عليهم السلام ، وأمّا العمل بظواهر الكتاب بضميمة مراجعة الروايات لاحتمال التَّخصِيصَ والتقييد وغيرهما من القرائن على المرادِ فلم يدل على المنع عنه دليل [١] .

٥- تضافرت الروايات الناهية عن التفسير بالرأي، ما رواه ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((اتقوا الحديث عنى إلَّا ما علمتم، فمَن كذبَّ عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار، ومَن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعدهُ من النار)) [٢] . وما روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: ((قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال تعالى: ما آمن بي من فسّر برأيه كلامي)) [٣]، ومن الآثار الّتي تدلُّ على أن السلف كانوا يُعَظِّمون تفسير القرآن ويتحرَّجون من القول فيه بآرائهم. هو ما سُئل عنه أبو بكر الصِدِّيق (ت: ١٣هـ) في تَفْسِير حرف من القرآن فقال: ((أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني، وكيف أصنع إذا قلتُ في حرف من كتاب الله بغير ما أراد تبارك وتعالى)) [٤]

المجيزون للتَفْسِير بالرأي:

١- أن التفهم لأسرار المعاني مما استخرجه أهل العلم، من أسراره بقدر صفاء عقولهم، وشدة استعدادهم، وفحصهم وملاحظتهم للأسرار والعبر، فغير ممنوع منه، بل لكل واحد منهم حد في الترقي إلى درجة منه بقدر استعداداتهم بعد اشتراكهم في الظاهر المحتاج إلى النقل معه[٥].

٢- أُرِيدَ (بالرأي) ذَاكَ الَّذي يشده البرهان، وَيَشهَد له الدليل فالقول به جائز، فالنهي على من كان يعرف الحق، ولكنَّه لهُ في الشيءِ رأى وميل من طبعه وهواه، فيتأوَّل ليحتج على تصحيح غرضه ومدعاه [٦].

٣- ما ورد من آيات تحثُّ على التدبر والتأمل، وفهم القرآن، واخذ معانيه ، والاهتداء بهديه ،﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾{محمد: ٢٤}،﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ

١/ ينظر: مصباح الأصول (موسوعة الإمام الخوئي)، وتقرير بحث السيد الخوئي للبهسودي ، ٤٧ / ١٤٦ .
٢/ مسند احمد بن حنبل، ١/ ٢٩٣. وعوالي اللئالي، ابن ابي جمهور الاحسائي، ١ / ١٨٦. وبحار الانوار، ٢/ ١٦١.
٣/ الامالي، الشيخ الصدوق / ٥٥. وبحار الانوار، العلامة المجلسي، ٢ / ٢٩٧.
٤/ الارشاد، الشيخ المفيد، ١ / ٢٠٠. ومجمع الزوائد، الهيثمي، ٩ / ٢٤٠. وفتح الباري، ابن حجر، ٦ / ٢١٢.
٥/ ينظر: ينظر: عوالي اللئالي، ابن ابي جمهور الاحسائي، ٤ / ١٠٤.
٦/ ينظر: التفسير الصافي، ١ / ٣٦

غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾{النساء: ٨٢} وهذه الآيات تختلفُ من صوب المضمون عن تلك الآيات الّتي تشير إلى وجود النور والهدى في القرآن الكريم، وذلك لاحتوائها على أمر المسلمين بالتدبر والتفكر في معاني القرآن ، ومثل هذه الأوامر تكون أوامر لا فائدة منها، لو فرضنا بأن القرآن الكريم ، لا يمكن أن يفهم مباشرة، إلَّا بالاستعانة بالروايات والاحاديث الشريفة خصوصا وأن هذه الروايات لم تأت إلَّا في عصور متأخرة [١] .

٤- السيرة الواضحة والمتواترة للائمة عليهم السلام : إذ جاءت عدّة أحاديث عنهم عليهم السلام واستشهادهم على الأحكام الّتي يصدرونها بأنَّها قرآنيَة ،يدلُّ هذا على إمكانية فَهْم هذا الحكم فهمًا مباشرًا من الآية القرآنيّة ؛ إذ لو كانَ النصّ القرآنيّ مغلقًا لما كان لهذا الاستشهاد معنى قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾{الحج: ٧٨} فقد استشهدَ عليه السلام ، بهذه الآية في مقامِ استنباط حكم شرعيّ من قاعدةٍ كُلّية وهي قاعدةُ (لا حرجَ) ، وقد علّمَ عليه السلام السائلَ كيفَ يستنبط هذا (الحكم) من تلك القاعدةِ الكليةِ ، وهذا معناهُ إنَّ هذه الآية يمكن أَن يفهمها الإنسان وبشكلٍ مباشر ، مما يدلُ على صحةِ فَهْم المعنى مِنَ النصّ القرآني مباشرةً، وأن اعتمد على جهد الباحث[٢] ؛ قال الإمام عليٌّ عليه السلام :((يعرف هذا واشباهه من كتاب الله))[٣]

ينكشفُ لنا في ضوءِ البحث في التَفْسِير بالرأي أن الله تعالى لم يجعل الآيات مغلقةً يستصعبُ فهمها؛ بل جعلها في متناول أعمال اللبِ والتدبر والتفكر الصحيح، وجاء هذا مُدّعمٌ، بما أرشد إليه سبحانه وتعالى في ضِل الآيات الناطقة بذلك، وبما جاء عن أهل البيت عليهم السلام ، ونتيجةً لهذِهِ القراءةِ يظهر لنا هنالك نوعان من الرأي ، وهو التفسير الوارد ويطلق عليه (بالمحمود) ولآخر غير الوارد يطلق عليه (المذموم) ، وهو المنهي عنه في التفسير.

أولاً: التفسير بالرأي المحمود

المرادُ بالرأي المحمود هنا الاجتهاد، فإن كان الاجتهاد موافقًا أيّ مستندٍ إلى ما يجب الاستناد إليه، بعيدًا عن الجهالةِ والضلالة فالتَفْسِير به محمود، وإلَّا فمذمومٌ، إذ يستعين المفسِّر بهذا اللون بقواعدِ اللغة واساليب البيان، من غير أن يخالفَ تفسيرًا عن النبي صلى الله عليه وآله أو يتنافى

١/ ينظر: علوم القرآن، محمد باقر الحكيم / ٢٣٣

٢/ ينظر: علوم القرآن، محمد باقر الحكيم / ٢٤١، وتفسير سورة الحمد / ٥٣.

٣/ الكافي، الكليني، ٣ / ٣٣. وتهذيب الاحكام، الطوسي، ١ / ٣٦٣.

مع اسباب النزول الّتي صَحتْ طرق أثباتها[١] ، وكما يعتمدُ هذا اللون التَفسِيري على الاستنباط العقليّ، في بيانِ معاني النصّ القرآنيّ، ملتزمًا بشروطِ ضابطة، وقد وردت الكثير من الروايات الّتي تبين هذا القسم من التفسير، عن النبي ﷺ قال :((القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن الوجوه))[٢]، إي باهتداء المفسِّر إليه بعدَ التفكر والتأمل في مفردات الآية ، وجملها وسياقها ونظائرها من الآيات ، وايضاً على الخلفية العقائدية الصحيحة ، فهي تصورات عقائدية مأخوذة من القرآن ومفاهيمه[٣] ، كذلك ورود الروايات التي تبين جواز التفسير بالرأي، ولكن ضمن حدود وشروط معينة .فعن الإمام عليٍّ عليه السلام حين سُئل: هل عندكم شيء من الوحي الا ما في كتاب الله؟ فقال:((لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه إلا فَهْمًا يعطيه الله رجلًا في القرآن)) [٤]. وعنه ايضًا عليه السلام : ((إيّاك أن تفسر القرآن برأيك حتى تفقهه عن العلماء))[٥]، فأنّ ما كان من تأويل آي القرآن الذي لا يدرك علمه إلاّ بنصّ بيان الرسول ﷺ الدال عليه، فغير جائز لأحد القول فيه برأيه، بل القائل في ذلك برأيه وإن أصاب الحقّ فيه فمخطئ فيما كان [٦].

ومن الأمورِ الّتي يجب الرجوع إليها في التفسير بالرأي نذكر ملخصه، إذ أن الناظر في القرآن لطلب التفسير مآخذ كثيرة أمهاتها أربعة [٧].

١. أن يطلب المعنى من القرآن أولاً، فإن لم يجده طلبه من السنة مع التحرز عن الضعيف والموضوع، لأنها شارحة للقرآن فإن أعياه رجع إلى قول أئمة أهل البيت عليهم السلام، فإنهم أدرى بالتنزيل وظروفه وأسباب نزولهُ، فوق ما امتازوا به من علم.

١/ ينظر: مناهل العرفان، الزرقاني، ٢ / ٤٢.

٢/ سنن الدار قطني، الدار قطني (ت: ٣٨٥هـ)، ٢ / ٨٢.

٣/ ينظر: تفسير سورة الحمد، محمد باقر الحكيم / ٤٧.

٤/ كتاب الام، الشافعي (ت: ٢٠٤هـ)، ٧ / ٣٤٠. وصحيح البخاري، ٤ / ٣٠. والايضاح، الفضل بن شاذان (ت: ٢٦٠هـ) / ٤٥٩.

٥/ التوحيد، الشيخ الصدوق / ٢٦٤. وبحار الأنوار، المجلسي، ٨٩ / ١٠٧.

٦/ ينظر: المناهج التفسيرية في علوم القرآن، جعفر السبحاني ،٤٠ / ٩.

٧/ ينظر: عوالي اللآلي، ابن ابي الجمهور الاحسائي، ٤/ ١٠٤. والبرهان في علوم القرآن الزركشي ٢ / ١٥٦ وما بعدها. والإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٢ / ٤٧٣ – ٤٧٤. ومناهل العرفان، عبد العظيم الزرقاني، ٢ / ٣٦. وتفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، ١ / ٩. والتفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، محمد هادي معرفة، ١ / ٤٤٦– ٤٤٧.

٢. الأخذ بقول الصحابي، فقد قيل إنه في حكم المرفوع مطلقًا، وخصه طائفة بأسباب النزول ونحوها مما لا مجال للرأي فيه.
٣. الأخذ بمطلق اللغة مع الاحتراز عن صرفِ الآيات في غير ما يدل عليه كلام العرب.
٤. الأخذ بما يقتضيه الكلام ويدل عليه قانون الشرع وهذا النوع الرابع هو الذي دعا به النبي ﷺ لابن عباس في قوله :((اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل))(١).

إذًا من فَسّرَ القرآن برأيه، أي باجتهاده وجب عليه الوقوف عند هذه المرادات، معتمدًا عليها فيما يرى، من معاني كتاب الله كانَ تفسيره سائغًا، جائزًا، خليقًا بأن يسمى التفسير المحمود، ومن حادَ عن هذه الأصول، وفسر القرآن غير معتمد عليها كان تفسيره، ساقطا مرذولا خليقا، بأن يسمى التفسير المذموم.

وخلاصة ما مضى أنه يجب على من جاء بأعلى مراتب التفسير بالرأي أن يأخذ حذره، وأن يتحصَّنَ بالعلوم كلّها التي أشرنا إليها آنفًا؛ ليكون مصيبًا المرادَ.

ثانيا: التفسير بالرأي المذموم

لقد بيّن أهل البيت عليهم السلام، الأسلوب والمنهج المناسبين لفَهْم معاني كلام الله، وكيفية الإحاطة بأسرار هذه المأدبة السماوية ورموزها؛ وعليه فإن التفسير الذي بلغنا عنهم في إطارِ الروايات يحتوي على صبغةٍ أنموذجية تمّ تقديمها إلى الناس، كي يتعلموا منها الأساليب التفسيرية، فالمسائل الدقيقة التي ذكروها في تضاعيف الكم الهائل من المسائل التَفْسِيرية تكشف عن عمق رغبتهم الشديدة في إعداد المفسرين الأكفاء (٢).

وبهذا يجب أن يكون المفسر للقرآن في صدد فَهْمَ القرآن فهمًا صحيحًا، وفهمًا علميًا، ويحاول تشخيص النظرية القرآنية النهائية، عن طريق خلاصة الآيات وجمعها وحصر الروايات ودراستها ، وكذلك ممارسة الأدلة العقلية والعلمية ، لا أن يكون في صدد إثبات آرائه بالقرآن ، فهذا التفسير غير معتبر وغير صحيح ؛ لأنه ينتهي الى التفسير بالراي(٣). وإن لم يقصد المفسر أن يفسر النص الكريم بهواه ورأيه الخاص، لكنه لم يستند إلى العلوم والضوابط والشروط

١/ تفسير جوامع الجامع، الطبرسيّ، ١/ ٥١. وفهرست التراث، محمد حسين الجلالي، ١/ ٩٩.
٢/ ينظر: التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، محمد هادي معرفه، ١ / ٤٤٦- ٤٤٧.
٣/ ينظر: منطق تفسير القرآن، محمد علي الرضائي / ٤٢٣- ٤٢٤.

الحاكمة في التفسير، فأنه سيكون مفسراً للنص الكريم برأيه ، قال النبي ﷺ :((من فسر القرآن بغير علم جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار))[١] ، فاللجام : الحبل او العصا الّتي تدخل في فمِ الدابة، لقيادتها ويسد به فمها[٢]، كذا فمن تكلَّم بالتفسِير من دونِ علم، فان الله يلجم فمه ، يوم القيامة بلجامٍ من نار جزاء على ذلك.

إذًا نجده ﷺ يشدد على ضرورة الاستناد الى العلم في التفسير، فقال ﷺ: ((فما علمتم منه فقولوا وما جهلتم به فكلوه إلى عالمه)) [٣]، فإن كان المفسر مستنداً إلى علم، فلا حرج عليه أن يبيّن المعنى والمراد، أما إذا لم يصل إلى قرينةٍ يمكن أن تكون دليلاً على تفسير الآية، فيجب الترك لمن هو أحق في تفسيرها، فقوله (فكلّوهُ إلى عالمه) أي اتركوه إلى من له مفاتيح هذا العلم وهم الرسول ﷺ وأهل بيته عليهم السلام

ظهر للبحث أمرٌ نلوح به هو أن معاني القرآن لا يدركها، ولن يدركها على حقيقتها، ويعرف عظمتها إلاّ من يحسها من أعماقه، وينسجم معها بقلبه وعقله، ويختلط إيمانه بها بدمه ولحمه، وهنا يكمن السر في قول الأمير علي عليه السلام بقوله :((ذاك القرآن الصامت، وأنا القرآن الناطق)) [٤].

سادساً: الالتفات إلى ظاهر الآيات وباطنها وتجنب الفهم الذوقي والشخصي للقرآن.

مما اهتم ببيانه والتأكيد على معرفتهِ، هو النص القرآني يتضمن معنى ظاهر وآخر باطن، وقد نقل هذا الأمر في روايات الشيعة، والسنة، وعدّها قسمًا صحيحة، وهو ما أتفق عليه جمهور المفسرين في ذلك[٥].

حازت قاعدة الالتفات إلى بطون القرآن الكريم، على مر الزمن أهميّةٍ كبيرةً، فعندما تضاف كلمة البطن إلى القرآن الكريم سيعطي مفاداً وهو أنّ القرآن يحوي معاني لا تظهر للناظر بمجرّد قراءته بتمامها، بل تقتضي بعض الكلمات إلى تأمّل وتدبر ومقاربة ومقارنة بين

١/ مسند احمد بن حنبل، ٢ / ٢٩٦.وسنن ابن ماجه، ١ / ٩٦، والامالي، الشيخ الطوسي / ٣٧٧.

٢/ينظر: الصحاح، الجوهري (ت: ٣٩٣هـ)، ٦ /٢٣٨٨.ولسان العرب، ١٢/ ٥٣٤.

٣/ مسند احمد بن حنبل، ٢ / ١٨٥. وبحار الانوار، ٣٠ / ٥١٣. وتفسير الميزان، ٣ / ٨٣.

٤/ بحار الانوار، العلامة المجلسي، ١٠٦ / ١٥٤.

٥/ ينظر: المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء، الفيض الكاشاني، ٢ / ٢٥١. وروضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، محمد تقي المجلسي الأول (ت: ١٠٧٠هـ)، ٧/ ١٨

نصوصه وآياته الشريفة، وتأخذ هذه القاعدة أهميّتها في سياق افتراض بناء الخطاب القرآني، فبنية الخطاب القرآني تظلّ مسألةً بالغةِ الأهميةَ في التفاهم والتفهيم والمحاورة [١]. قال تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾{ البقرة: ١٥٣}، (مع) فيها وجهان الأول: أنه معهم بالمعونة والنصرة. والثاني: أن المراد هو معهم بالتوفيق والتسديد أي يسهل عليهم أداء العبادات و الاجتناب من المقبحات؛ و لا يجوز أن تكون (مع) هنا بمعنى الاجتماع في المكان لأن ذلك من صفات الأجسام تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا[٢]. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾{ الرحمن: ٢٧}، (وجه) معناه اللغوي معروف وهو القسم الأمامي للشيء بحيث يواجهه الإنسان في الطرف المقابل، ومع ذلك هذا يخالف للآية التي تبين بأن الله لا يشبه أي شيء ، استعمالها بخصوص لفظ الجلالة يقصد به الذات المقدّسة [٣]؛ وعليه يجب أدراك أهمية قاعدة البطون لما لها من دورًا أساسيًّا لكشف بنية النصّ القرآنيّ، الأمر الذي يترك أثرًا على عملية تفسير القرآن الكريم عامّة[٤].

وهناك من الروايات والأحاديث المتواتره التي تصرح بوجود البطن للقرآن الكريم، قال ﷺ : ((إنّ للقرآن ظهرا وبطنا))[٥] ، وعن أبي الدّرداء(ت:٣٢هـ): ((لا يفقهُ الرجل حتّى يجعل للقرآن وجوهًا))[٦] ، وقال أخرون:((لكلّ آية ستّون ألف فهم وما بقي من فهمها أكثر))[٧] .

وقد اهتم أهل البيت عليهم السلام بهذا المنهج في تفسير القرآن، فهذا منهجهم عليهم السلام فهم يطبقون الآية من القرآن على ما يقبل أن ينطبق عليه من الموارد وإن كان خارجا عن مورد النزول [٨]عن الفضيل بن يسار قال: ((سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الرواية ما في القرآن آية إلا ولها ظهر

١/ ينظر: نظرية البطون وبنية الخطاب القرآني نظرية فضل الله أنموذجاً، حيدر حب الله / ٢(بحث منشور).

٢/ ينظر: تفسير مجمع البيان، الطبرسي ،١/ ٣٩٦.

٣/ ينظر: تفسير الأمثل، مكارم الشيرازي، ١٧ / ٣٩٨.

٤/ ينظر: نظرية البطون وبنية الخطاب القرآني نظرية فضل الله أنموذجاً، حيدر حب الله / ١

٥/ المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء، الفيض الكاشاني، ٢ / ٢٥١.

٦/ البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ١/ ٤٥٤. والإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٢/ ٤٨٧. والمحجة البيضاء في تهذيب الأحياء، ٢ / ٢٥١.

٧ /الإتقان في علوم القرآن، ٢/ ٤٨٧. والمحجة البيضاء في تهذيب الأحياء، ٢ / ٢٥١.

٨/ تفسير الميزان، الطباطبائي ،١ / ٢١.

وبطن وما فيها حرف إلا وله حد، ولكل حد مطلع ما يعني بقوله: ظهر وبطن؟ قال : ظهره تنزيله وبطنه تأويله، منه ما مضى ومنه ما لم يكن بعد، يجري كما يجري الشمس والقمر، كلما جاء منه شيء وقع الحديث)) (١).

إن أهم ما يمكن أن نركن إليه، هو ما دلّ على أنّ القرآن فيه تبيان لكل شيء، وقد ورد التصريح بذلك في جملة من الآيات والروايات، فإنّه لا يمكن فهم هذا التبيان إلا بفرض نصّ يحمل بطونًا لا متناهية، تبعاً لكثرة مصاديق عنوان (كل شيء).

فنرى هنالك من الفقهاءِ والمفسّرينَ قد أعتمد بعد الرسول ﷺ على ظاهرِ القرآن؛ الكريم لتوضيح بعض الأحكام الشرعية أو استنباطها، ومثال هذا عندما أفتى عبد الله بن مسعود في عدّة المتوفى عنها زوجها وهي حامل، سواء أكانت مطلقةً، أم متوفى عنها زوجُها؛ وهي وضع الحمل (٢)، قال ﷻ :﴿ **وَأُوْلَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُن**﴾ {الطلاق:٤}. وأيضًا استدلَّ الأمامُ الصادقُ عليه السلام بقاعدةٍ انتزعها من ظاهرِ القرآنِ الكريمِ على حكمٍ فقهي فرعي، عن عبد الأعلى بن أعين مولى آل سالم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ((عثرت فانقطع ظفري فجعلت على أصبعي مرارة فكيف أصنع بالوضوء؟ قال: يُعرف هذا وأشباهه من كتاب الله تعالى: ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾ امسح عليه))(٣). فقال عليه السلام :((يُعرف)) بصيغة المجهول، ولم يقل ((تعرف)) لغرض الإشارة على حصول فهم ذلك لكل ناظر متأمل في كتاب الله تعالى(٤).

المراد من هذا أن ظاهر القرآن، لا يجوز العدول عنه، إلا بدليل يجب الرجوع إليه، قال ابن جرير: ((غير جائز ترك الظاهر المفهوم من الكلامِ إلى باطن إلا بدليل)) (٥)، فالدليل قد يدلُّ بحسبِ نظام اللُّغة وأساليب التعبير على حكم دلالة واضحة، بحيث توجب اليقين أو الاطمئنان بان هذا الحكم هو المدلول المقصود، فيسمى: نصًا ليس له ظهور قابل للتأويل

١/بصائر الدرجات، محمد بن الحسن بن فروخ الصفار (ت: ٢٩٠هـ) / ٢١٦(باب في الأئمة انهم أعطوا تفسير القرآن الكريم والتأويل).

٢/ ينظر: الموطأ، رواية محمد بن الحسن: ٢ / ٥٦٣. وأصول الفقه، محمد أبو زهرة / ٧٢.

٣/ الكافي، الشيخ الكليني ، ٣ / ٣٣ (باب الشك في الوضوء ومن نسيه أو قدم أو أخر). والاستبصار، الشيخ الطوسي، ١ / ٧٧ (باب المسح على الجبائر).

٤/ ينظر: دروس تمهيدية في القواعد التفسيرية، علي أكبر السيفي المازندراني، ١ / ١٩٩.

٥/ جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ١ / ٢٧٢.

[1]، وقد يدل على أحد أمرين، أو أمور مع أولوية دلالته على أحدهما، بنحو يتبادر إلى الذهن تصورًا على مستوى المدلول التصوري، وتصديقًا على مستوى المدلول التصديقي، وإن كانت إفادة المعنى الآخر تصورًا وتصديقاً، بالدليل المذكور ممكنة ومحتملة أيضاً، بحسب نظام اللغة، وأساليب التعبير، وهذا هو الدليل الظاهر[2].

قال الفخر الرازي: ((ترك الظاهر في موضع الدليل لا يوجب تركه في سائر المواضع لغير دليل)) [3]. لكنَّ هذا في محكمات الآيات ومبيّناتِها مما انعقد له الظهور، وأما في مشابهاتها ومجاملاتها لا مناص في تفسيرها، وكشف المراد منها بالرجوع إلى الرسول ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام، الذين هم الراسخون في علم القرآن، وحدود الله تعالى[4].

كما أن حدَّ الظهور، هو الحصول على حقيقةٍ يمكن أن تعلم بسهولة من ظاهر اللفظ [5]، وهذا ما أشار إليه الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام بقوله: ((إن قسمًا يعرفه الجاهل والعالم وقسما لا يعرفه إلا من صفا ذهنه، ولطف حسه، وصح تمييزه، ممن شرح الله صدره للإسلام، وقسما لا يعرفه إلا الله وامناؤه والراسخون في العلم)) [6]، بخلاف الباطن الذي لا يمكن أن يدرك إلا للخواص وبالخواص.

من الأمور التي يجب مراعاتها في هذا الشأن وهي كما يلي:

١-أنّ معاني القرآن دقيقة، لا يَفهمها الإنسان العادي، بل تحتاج إلى متخصّص وناظر ومتأمل، فعبّر بالبطون عنها، مشبّهًا عدم رؤية الذهن العادي لها بالحجاب أو البطن؛ لأنّ البطن تحجب عن رؤية الأمعاء والمعدة وما فيها. فيكون المراد الدعوة إلى عدم الاستخفاف بالمَقَاصدِ القرآنيَّة والتأمّل في النصِّ، أو الدعوة إلى حصرِ فَهْم القرآن بأشخاص معيّنين [7] مثل أهل البيت عليهم السلام.

١/ ينظر: المستصفى، أبو حامد الغزالي / ١٩٦.

٢/ ينظر: قواعد التفسير لى الشيعة والسنة، محمد فاكر الميبدي / ٢٧٣.

٣/ مفاتيح الغيب، ١ / ٦٧.

٤/ ينظر: دروس تمهيديه في قواعد التفسير، علي أكبر السيفي المازندراني، ١ / ١٩٨- ١٩٩.

٥/ ينظر: تفسير التبيان، الطوسي: ١٤٥/١. ومجمع البيان، السيخ الطبرسي، ١٥٦/١

٦/ الاحتجاج، الطبرسي ٣٧٧/١. وبحار الانوار، ٨٩ / ٤٥.

٧/ ينظر: نظرية البطون وبنية الخطاب القرآني، حيدر حب الله / ٣٨.

٢-إنَّ بطن القرآن هو المدلول الألتزامي عند بعض الباحثين القرآنيين المعاصرين ، وهذا الموضوع يمكن جمعه مع ظاهر القرآن، إذ إنه لازم للمفسر أن يتوجه إليه ، والمدلول الألتزامي من المَدْلولات اللفظية المعتبرة ، بلحاظ خفاء دلالة الآيات عليها أي المصاديق التي شملتها الآيات على أساس إلغاء خصوصية وتنقيح المناط، وذلك بنظر الخفاء الابتدائي لانطباق الآيات عليها فتسمى البطن، لكن لابدَّ للمفسر من الالتفات إلى أن هذا القسم من البطون يدور في حدود الدلالة العقلائية للألفاظ في المعاني، واعتبر بعض المفسرين أن المراد من بطون القرآن، في لسان الأحاديث هو الوجوه أو الأبعاد القابلة للتفسير في القرآن الكريم(١).

٣-أن بطن القرآن هو الفَهْم الذوقيّ، والإستحسانيّ، وأشار بعض المختصين بالقرآن ، إلى أنه لا مانع من ذكر هكذا مطالب ذوقية، من باب تداعي المعاني مع كل آية ، ولكن لا بعنوان أنها تفسير أو معنى ينسب إلى الله تبارك وتعالى(٢).

٤-القرآن الكريم ما يزالُ يُقرأ عبر العصور المختلفة ويظلّ غضًا طريًا تنهل من معينه الأجيال، ولا يمكن تفسير هذه الظاهرة إلا بالالتفات إلى قاعدة بطن القرآن التي لها القدرة على حمل هذا المعنى المستديم، والذي يمكن إن نسميه من ناحيةٍ أخرى (ديمومة الاستنباط من القرآن الكريم) ،عندما يكون النصّ معجزًا يظلّ مفتوحاً على قدرة تحمّل أكبر من النصوص الطبيعية؛ لهذا يستدعي الإعجاز نفسه استبطانَ النصَّ لِما يفوق قدرة تحمّله العادية، ومن ثمّ لا يمكن تحقّق ذلك إلا بفرض البطون؛ لأنّ الظواهر لا تستطيع محاكاة هذا الوضع (٣).

٥-إنَّ الطريق الوحيد لتحصيل المعاني الباطنية، هو الأخذ بروايات النبي ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام؛ لأنَّ ليس بالمقدور إدراكها أو تحصيلها وفقًا لأصول المحاورة وقواعدها العقلائية، وعليه فلا اعتبار لأي معانٍ باطنية يستنبطها الآخرون وعرضها كتفسير للقرآن، كون بعض مراتب هذه البطون لها خفاء شديد؛ فيحتاج لفهمها كلام المعصومين وإرشاداتهم؛ لتكون لنا قرينة على بيان البطن الصحيحة (٤).

١/ ينظر: منطق القرآن أصول وقواعد التفسير، محمد علي الرضائي / ٤١٥.

٢/ ينظر: المصدر نفسه / ٤١٦-٤١٧.

٣/ ينظر: نظرية البطون وبنية الخطاب القرآني، حيدر حب الله / ٣- ٤.

٤/ ينظر: منطق تفسير القرآن واصول قواعد التفسير / ٤١٦.

٦-من فرضيات تفسير هذه القاعدة، فيما يراد من الباطن، اللوازم التي يكون بعضها عادةً أخفى من بعض، فكلّما زادت درجة الخفاء في اللازم اتسم بأنّه من الباطن، ثم باطن الباطن[١].

وِلمَّا كان الهدف المنشود من عملية تفسير القرآن، هو فَهْم مراد الله تعالى من كلامه، فلا مرية من الالتفات والعناية بظاهر القرآن وباطنه، كونها من القواعد التفسيرية إذ هي المبدأ في فَهْم كل أية من كلام الله تعالى، مع الإفادة من روايات النبي ﷺ واهل البيت عليهم السلام والصحابة الكرام ، ويجب الاحتراز من الفهم الذوقي، الخالي من الدليل ضمن تفسير النص القرآني.

سابعاً: اتخاذ المنهج الصحيح في استعمال المصادر والقرائن والوثائق.

إن استعمال المصادر والقرائن والوثائق أو الأصول الدلالية في التفسِير، هي التي تنتظم بها عملية التفسِير، ومن الأمور التي تحقق ذلك اتخاذ المنهج الصحيح إذ يعدُّ من لوازم فهم النصوص القرآنيّة وتفسيرها.

القرينة: هي الأمارة الّتي تَدّل على أمر خفي، مصاحب لها بواسطة نصّ أو عرف أو سنة أو غيرها، فالمَفْسِّر الذي لم تكن لديه التفاته واطلاع، على تلك القرائن الحافهُ بالنصّ، وكيفية التعامل معها [٢].

إذًا: هي الدالة على إرادة ذلك المعنى من اللفظ ابتداء من غير انتقال إليه مما وضع اللفظ له وإن شئت قلت: إن اللفظ دال عليه بتوسط تلك القرينة المنضمة إليه[٣].

وعليه قد يكون المقَصود باستعمال اللفظ إفادة له، أو للمقصود إفادة غير ما وضع له ابتداء، في الغالب يكون الموضوع له واسطة في الانتقال إليه بمعونة القرينة الدالة عليه من غير أن يراد ذلك من اللفظ، وقد لا يكون المعنى الموضوع له واسطة في الانتقال إليه، بل تكون القرينة هي المفهمة لإرادة ذلك المعنى من غير انتقال إلى معناه الموضوع له أصلًا [٤].

إن الوصول إلى معاني النص القرآني (مقصود المتكلم) يكمن في سلوك المنهج المتعارف في فَهْمِ النصوص وتفسيرها ، والاستفادة من سنة ﷺ وأهل البيت عليهم السلام ،والتي

١/ ينظر: محاضرات في أصول الفقه، السيد الخوئي، ١/ ٢٤٣. والتفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، محمد هادي معرفة، ١/ ٢٤.

٢/ ينظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ابو البقاء الكفوي ، ٤ / ٧٣.

٣/ ينظر: هداية المسترشدين، محمد تقي الرازي (ت: ١٢٤٨هـ) ،١ / ١٤٤.

٤/ المصدر نفسه ،١ / ١٤٦.

تشمل قولهم وفعلهم وتقريرهم ، لتوضيح معاني آيات القرآن ومقاصدها ، كما تكمن الاستفادة من روايات الصحابة والتابعين في تفسير القرآن الكريم في موارد خاصة ، وأن الكثير من أقوالهم في التفسير يعدّ مفيدًا ونافعًا [١]، عن ابن مسعود قال :((كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن))[٢] ، وفي هذا الخصوص وَرَدَ عن أمير المؤمنين عليه السلام : ((ليس كلّ أصحابُ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يسألونه ويستفهمونه ، حتى أن كانوا ليحبون أن يجيء الأعرابي فيسأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى يسمعوا كلامهُ ، وكان لا يمرَّ بي من ذلك شيء إلَّا سألته عنه ، وحفظته))[٣].

ففي قول امير المؤمنين عليه السلام ،دلالة واضحة على التمحيص والتفتيش، عن المصادر المعتبرة في الأخذ بتلك الأقوال الواردة عن الصحابة والتابعين وليس من عامتهم؛ وندعم هذا بما ذكره العلماء منهم. قال أبو حامد الغزالي: ((فإنّ من يجوز عليه الغلط والسّهو ولم تثبت عصمتهُ عنه فلا حجّة في قوله، فكيف يحتجّ بقولهم مع جواز الخطأ)) [٤] .

فالتفسير المعتبر هو ما تم في ضوء القرائن الداخلية من النص (الآيات القرآنية الأخرى)، والقرائن الخارجية (كالسنة، والعقل، والعلم القطعي)، وأما التفسير الناتج عن مصادر غير معتبرة مثل التفسير عن غير المعصوم فهو تفسير لا حجة ولا اعتبار له هذا من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرى لا يجب أن يكون التفسير مخالفًا للمصادرِ المعتبرة [٥].

ونجد مصاديق تفسير النص القرآني معتمدًا على الآيات القرآنية الأخرى وهي غير مجاورة، سواء كانت في السورة نفسها أم في سورة أخرى، ومن ذلك سؤال الإمام الرضا عليه السلام عن قوله تعالى:﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ ﴾{البقرة: ٧ } ، أجاب عليه السلام من إن الختم هو:(

١/ ينظر: مناهج التفسير واتجاهاته، محمد علي الرضائي / ٩٥.

٢/ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري ،١/ ٥٦. والتبيان في تفسير القرآن، الطوسي، ١/ ١٧

٣/ نهج البلاغة، من خطبه له عليه السلام/ ٣٢٧ (الصادقون الحافظون). والاحتجاج، الشيخ الطبرسي، ١ / ٣٩٥.

٤/ المستصفي / ١٦٨.

٥/ ينظر: منطق تفسير القرآن أصول وقواعد التفسير، محمد علي الرضائي / ٤١٧.

الطبع) على قلوب الكفار عقوبة على كفرهم [1] ، كما **في قوله تعالى**﴿ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾{ **النساء: ١٥٥**}.

فالإمام عليه السلام التفت إلى القرائن المعتبرة والمصادر الصحيحة في بيان المراد من النصّ القرآنيّ في تفسيره للكشف عن مراد الله تعالى، وهو من القرآن نفسه ففسَّر عليه السلام الآية (٧) من سورة البقرة في الآية (١٥٥) من سورة النساء.

نعضد الراي بما أشار إليه الطبطبائي قائلًا: ((التفسير لكلام الله عزوجل دون التزام القواعد والضوابط من أدلة وقرائن يستند إليها المفسر في تفسيره هذا لمنهي عنه، أمر راجع إلى طريق الكشف دون المكشوف، إنما نهى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام عن تفهم كلام الله تعالى على نحو ما يتفهم به كلام غيره، وإن كان هذا النحو من التفهم ربما صادف الواقع والدليل)) [2].

ولنا بيان التزام أهل البيت عليهم السلام للمنهج الصحيح في التفسير في ظل الرواية الواردة عن ابي جعفر الصادق عليه السلام في تفسير القرآن الكريم، اعتمادًا على القواعد النحوية، كون القرآن نزل بلغة العرب ففهموه: عن زرارة بن أعين(ت:١٤٨هـ) قال: ((قلت لأبي جعفر عليه السلام :أما تخبرني من أين علمت وقلت: إنّ المسح ببعض الرأس وبعض الرجلين؟ فضحك وقال: يا زرارة قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ونزل به الكتاب من الله؛ **فقال** : ﴿فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾، فعرفنا أنّ الوجه كلَّه ينبغي أن يغسل ، ثمّ قال: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ فوصل اليدين إلى المرفقين بالوجه فعرفنا أنّه ينبغي لهما أن يغسلا إلى المرفقين ثمّ فصّل بين الكلاميين فقال:﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ﴾ فعرفنا حين قال :﴿بِرُءُوسِكُمْ ﴾ أنّ المسح ببعض الرأس لمكان الباء ، ثمّ وصل الرجلين بالرأس كما وصل اليدين بالوجه فقال:﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾{ المائدة: ٦} فعرف حين وصلهما بالرأس أنّ المسح ببعضهما))[3].

١/ ينظر: الاحتجاج، الطوسي، ٢ / ١٩٧. وسائل الشيعة، الحر العاملي، ١٦ / ٢٩٣. و حياة الإمام الرضا عليه السلام ، باقر شريف القرشي، ١ / ٢٩٨.

٢/ تفسير الميزان، ٣ / ٧٦.

٣/ الكافي، الشيخ الكليني ، ٣ / ٣٠ (باب مسح الرأس والقدمين). ومن لا يحضره الفقيه ، الشيخ الصدوق ،١ / ١٠٣.

ولهذا لا يمكن الاكتفاء بالمحاورة العرفية وأصولها في التفسير، بل يجب ملاحظة القرائن النقلية واعتمادها، من الروايات والقرائن العقلية.

المطلب الثاني: القواعد المختلف فيها:

أولاً: السياق.

لقد أولى المهتمين في بيان مراد الله تعالى للسياق عناية خاصة؛ لِما له من دور فاعل في دراسة المعنى، والكشف عن الدلالة الكامنة خلفه، وهو بهذا عُدّ من أعظم الطرق الموصلة للفَهْم الصحيح لكتاب الله ﷻ .

إذ إن النظر في سياق الآية، من حيث سابقها ولاحقها يعين على تعيين القول الراجح، وقد اهتم المفسرون بالسياق في ترجيح أحد الأقوال أو ردها لمخالفتها السياق، وقد يكون اللفظ عامّاً محتملاً لأكثر من معنى فيحدد بالسياق أحد هذه المعاني؛ لأنه أولى به وأقرب إليه، مع أن غيره من الأقوال محتمل كما سيجيء بيان ذلك في عدم مخالفة السياق لسنة قطعية.

فهناك من عَدَّ السياق هو الطريق الموصل إلى فهم بعض القرآن، الذي لم يقم فيه حديث معتبر [١] . كذلك: ((هو عبارة عن خصوصية الكلمة، أو الكلام الحاصل من ارتباط العبارات، وتعتبر إحدى القرائن المرتبطة بالكلام، وتأثيرها في الظهور، وما يراد بالمعنى للمفردات والجمل، في فَهْمَ وتفسير الآيات القرآنية)) [٢]. قال محمد باقر الصدر (ت: ١٤٠٠هـ):((كلّ ما يكشف اللفظ الذي نريد فهمه من دوالّ أخرى، سواء كانت لفظية كالكلمات التي تشكّل مع اللفظ الذي نريد فَهْمَه كلامًا واحدًا مترابطًا، أو حالية كالظروف والملابسات التي تحيط بالكلام وتكون ذات دلالة في الموضوع)) [٣].

يُستوحى من ذلك أنَّ السياق عبارة عمَّا يحيط باللفظ، من قرائن ودلالات، تصرف الذهن عن المعنى القريب المأنوس، والمتبادر من اللفظ إلى معنى آخر يكون هو المقصود والمراد للمتكلِّم، وأنَّ هذه الدلالات تكون تارة لفظيّةً فتضم مع اللفظ الأوّل وينظر إلى مجموعها معاً،

١/ ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢ / ١٧٦.

٢/ منطق تفسير القرآن أصول قواعد التفسير، محمد علي الرضائي / ٣٥٣.

٣/ دروس في أصول الفقه، ١ / ٩٠.

وتارة أخرى حاليّةً ومقاميّةً تقتنص من الظروف المصاحبة مع اللفظ ولا يفسّر بمعزلٍ عنها. كما أنَّ هذه القرائن، قد تفيد أحياناً معنىً زائداً على المعنى المتحصّل من الكلمات أو الهيئات مجرّدة من دون أن تلغيه أو تبدّله [1].

في ضوءِ ذلك حرص أهل الشأن على الحيلولة دون العبث بالنصوص، فعمدوا بعد استقراءٍ وجمعٍ إلى وضعِ مجموعة من القواعدِ والمعالم التي تعين على التفسير السليم للنصوص؛ ولتكون بمنزلة الميزان الذي يعرف به التفسير المقبول من غيره، ولبيان كيف كان تأثير دلالة السياق في قصة مريم عليها السلام في الكشف عن المعنى المراد وإظهاره، من اظهار هذه القواعد والقرائن، حيث وقف المفسرون على دورهِ المتميز، فأنزلوهُ منزلته اللائقة به.

إن جذع النخلة الّتي أمرها الله تعالى أن تهزَّه كان جذعًا يابسًا، فلما هزته جعله الله تعالى نخلة ذات رطب جني ليتساقط لها ؛ والذي يفهم من سياق السورة المباركة: أن الله أنبت لها ذلك الرطب، على سبيل خرق العادة، وأجرى لها ذلك النهر على سبيل خرق العادة؛ ولم يكن الرطب والنهر موجودين قبل ذلك، سواء قلنا: إن الجذع كان يابساً أم نخلة غير مثمرة، إلا أن الله أنبت فيه الثمر وجعله رطباً جنياً مسترشدين من ووجه دلالة السياق على ذلك في قوله ﷻ :﴿ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ﴾ {مريم: ٢٦}، يدل على أن عينها إنما تقر في ذلك الوقت بالأمور الخارقة للعادة؛ لأنها هي التي تبيّن براءتها مما اتهموها به [2].

لقد آتت هذه القواعد ثمارها، وبرزت آثارها، فصار لها حضور مشهور لدى المفسرين، الذين عنوا بها منذ وقت مبكر؛ تفصيلاً وتأصيلاً وتطبيقاً، فحازوا فضل السبق في ذلك كله.

فالسياق القرآني: بيان المعنى للمفسر في ضوء تتابع المفردات والجمل والتراكيب القرآنية المترابطة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾{البقرة: ٢٠٨}،﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا ﴾ { الأنفال: ٦١} وقوله ﷻ :﴿ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ ﴾ { محمد: ٣٥} ، فالسلم في الآية الأولى، يراد به الإسلام، لأنَّ الدين كلّ لا يتجزّأ، فـ (كافّة) ترجع إلى الإسلام لا إلى المؤمنين . وأمَّا السلم في الآيتين الأخريين، فيراد به المسالمة والصلح، إن مالوا إلى

١/ ينظر: المصدر نفسه،١/ ١٠٣.

٢/ ينظر: أضواء البيان، الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) ٣ / ٣٩٧.

لذلك دون أن يكون لكم عندهم حقوق وكنتم في مركز قويّ فأجيبوهم ، و الآية الثالثة، تحذر المسلمين من أن يخضعوا إلى عدوّ الله وعدوّهم[١]. هكذا نرى كيف يرجّح السياق حمل الكلمة على المعنى الأليق بها في كشف معنها في ضوء اللغة.

الغرض الأساس من السياق وأهميته تكمن في النقاط الآتية:

١-الوصول إلى المراد الحقيقيّ والمَقَصُود من الكلام، وذلك لأنَّ المتكلِّم عندما يُبرزُ القرائن في حديثه فهو يلقي نوعًا من الإشارة، والعلامة إلى ما يقَصد، فتحسب على أنَّها جزءٌ متمِّم لكلامه، وأشبه بلغة يستعان بها عرفًا في التوضيح، وكأنَّ أجزاء الكلام بمعيّة الدوال المحيطة به-وترابطها وتناسقها تعضد بعضها بعضًا في إحكام المعنى تمامًا كما تُسهم اللَّبِن المتراصة في تشييد البناء المحكم [٢].

٢-تظهر أهمية السياق عند ابن جرير الطبري بقوله ((توجيه الكلام إلى ما كان نظيراً لما في سياق الآية، أولى من توجيهه إلى ما كان منعدلاً عنه)) [٣].

٣-ذكر ابن تيمية أن أهمية السياق أنه: ((من تدبر القرآن وتدبر ما قبل الآية وما بعدها وعرف مقصود القرآن: تبيّنَ له المراد وعرف الهدى والرسالة وعرف السّداد من الانحراف والاعوجاج، وأمّا تفسيره بمجرد ما يحتمله اللفظ المجرد عن سائر ما يبيّنُ معناهُ فهذا منشأُ الغلط من الغالطين؛ لا سِيّمَا كثير ممّن يتكلَّمُ فيه بالاحتمالات اللغويةِ))[٤].

٤-تظهر أهمية السياق في (تقيد المطلق)، في حال عدم اقترانه بالقيود الدالة على التقييد، كالصفة والحال والشرط وغيرهما؛ كذلك (تخصيص العام)، وهذه الميزة قد أشار اليها الطبري [٥].

٥-اقتناص الكثير من محاسن الكلام، ودقائقه، ولطائفه، التي تختبئ وراء الارتباطات المصاغة بطريقة متناسبة ومقصودة [٦].

١/ينظر: التفسير الكاشف، ١ / ٣١١ – ج٣ / ٥٠٣. والتفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، د. فضل حسن عبَّاس، ١ / ٢٨٦.

٢/ ينظر: السياق ودوره في التفسير، عبد الرؤوف حسن/ ٢٣.

٣/ جامع البيان عن تاويل آي القرآن، ٣/ ١٨٦.

٤/ مجموع الفتاوى الكبرى، ١٥ / ٩٤.

٥/ ينظر: جامع البان عن تأويل آي القرآن ،٩ / ٩٥. والبرهان في علوم القرآن الزركشي، ٢/ ١٢٣.

٦/ ينظر: السياق ودوره في التفسير، عبد الرؤوف حسن/ ٢٤

٦-عدم الوقوع في مطبَّات ومحذورات خطيرة نتيجة الفهم المبتور للكلام، فعلى سبيل المثال فهم البعض من هذه الآية: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾{الصافات: ٩٦ } أنَّ اللهَ سبحانه خالقٌ لأعمالنا كما هو خالق لنا؛ فذهبوا إلى فكرة الجبر ونفي الاختيار، وأحد الأسباب وراء هذا الفهم المنحرف أنّهم بتروا الآية عن سياقها واتصالها بما قبلها [١] .

يمكن أن نقرر على هدًى في ضوء الفهم من العرض السابق: أن فهم النص متعلّق بالسياق، إذ عدّ من جليل الأصول الموصلة إلى الفهم الصحيح لكتابه ﷻ ، فمن رام الفهم الصحيح لهذا الكتاب الكريم فعليه بالنظر للسياق بمجموع قرائنه ودلالاته؛ فالسياق أفضل قرينةٍ تقوم على حقيقة معنى اللّفظِ موافقته لما سبق من القول، واتفاقه مع جملةِ المعنى، وائتلافه مع القَصْدِ الذي جاء له الكتاب بجملتِه [٢] .

إستبان الحديث في أفضلية السياق، إذ يعتبرُ من تفسير القرآن بالقرآن، فالسياق قرينة متصلة ومستفادة من ألفاظ النص، وهو أحد الأصول المهمة الموصلة إلى كشف المعنى، إذ يعتبر قرينة الفهم الحاصلة من انسجام النص، وهو بذلك من أشرف أصول التفسير، ونتيجة لذلك اعتبرت مراعاة السياق من الأمور المهمة التي لا ينفك المفسر من الاهتمام والالتزام بها وأن يحتكم إليها، لما له إثر من ضبط التفسير.

ثانياً: الجري والانطباق.

إن القرآن الكريم كتاب دائم لكلِ زمان، تسري احكامه على جميع من في الأرض ، فيجري في الغائب كما يجري في الحاضر، فالآيات النازلة في حكمٍ ما في عصر النبوة يسري ذلك الحكم في العصور التالية أيضًا؛ مثلًا الآيات التي تمدح أو تذم بعض من يتحلى بصفات ممدوحة أو مذمومة تشمل من يتحلى بها ممن لم يعاصر النبي ﷺ فإن مورد نزول آية ما لا يكون مخصصًا لتلك الآية نفسها، وعني بذلك لو نزلت في شخص أو أشخاص معينين،

١/ ينظر: المصدر نفسه/ ٢٤

٢/ ينظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ١ / ٢٠.

لا تكون الآية جامدة في ذلك الشخص، أو أولئك الأشخاص، بل تسري في كل من يشترك مع أولئك في الصفات التي كانت موردًا لتلك الآية [١].

فالجري في عرف المفسرين: عبارة عن استيعاب وشمول ألفاظ القرآن وآياته على غير ما أنزل فيه[٢] ،فالجري : هو جريان الحكم . وأما الانطباق فهو : انطباق الآية على فرد خاص من بين مصاديق الآية القرآنية المعنية [٣]. وهو انطباق الحكم على مصاديق كثيرة على غير ما نزلت عليه الآية . ومثال ذلك: انطباق (الصادقين، والمتقين، والمحسنين) وغيرها من الفاظ، على أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ؛ لكونه أتم مصداقًا لهذه المفاهيم بدلالة قوله تعالى:﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ {البقرة: ٢٦٥}، روي أبي بصير (ت:١٥٠هـ) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((علي أمير المؤمنين أفضلهم، وهو ممن ينفق ماله ابتغاء مرضات الله)) [٤] .

وبهذا المعنى تصبح دائرة المفهوم الموسع، القابل للانطباق على أفراد كثيرين ضيقة، وينطبق المفهوم العام على المصداق الأتم [٥].

لذا فإن المقصود بقاعدة الجري والانطباق هو: العناية بإمكان الوصول إلى ما خفي من المعاني، أو ما خفي من المصاديق، بعد التوجه إلى المعاني الظاهرة الحاصلة من الالفاظ المفردة وتراكيبها، ثم بيان بعض التأويلات ورفض البعض الاخر [٦]

يبدو إنَّ هذه القاعدة قد نشأت من استعمال مادة (الجري)، فيما ورد من نصوص عن أهل البيت عليهم السلام وهم ممن تفرد به عليهم السلام كما سيتضح، فوضعوا دعائمه الخاصة به في فهم النص، ولهذه القاعدة من التفسير خصوصية علمية، ذات بعد مرتبط بالقدرة على استنطاق باطن النص، وكشف معانيه كشفًا يزيلُ عنها كل حجب؛ لينطلق إلى باطن الآية، متحررًا من قيود

١/ ينظر: القرآن في الإسلام، محمد حسين الطباطبائي/ ٢١.

٢/ ينظر: قواعد التفسير عند الشيعة والسنة، محمد فاكر الميبدي / ٣٠١.

٣/ ينظر: المصدر نفسه / ٣٠٢.

٤/ تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي (ت: ٣٢٠هـ)، ١ / ١٤٨. وشواهد التنزيل لقواعد التفضيل، الحاكم الحسكاني (ت:ق ٥هـ)، ١ / ١٣٤. وتفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي (ت: ١١١٢هـ، ١/ ٢٤٨

٥/ ينظر: قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، محمد فاكر الميبدي / ٣٠٣.

٦/ ينظر: أصول وقواعد التفسير الموضوعي، مازن شاكر التميمي / ٢٧٧.

الزمان، والمكان، والقدرة على الانطباق على معانٍ متجددةً، تمثل مصاديق يشملها النصّ فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

لقد أثبت الإمام الباقر عليه السلام هذا المبدأ عندما سئل عن تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾{الرعد: ٧} فقال الإمام عليه السلام :((الهاديّ، ومنَّا الهاديُّ، فقال(السائل): فأنت جعلت فداك ، قال: صدقت: ان القرآن حي لا يموت، والآية حية لا تموت، فلو كانت الآية إذا نزلت في الاقوام وماتوا ماتت الآية لمات القرآن، ولكن هي جارية في الباقين كما جرت في الماضين))[1] .وورد ذكر هذه القاعدة عند ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، فقال: ((لم يقصدوا أن حكم الآية مختص بأولئك الأعيان دون غيرهم، فإن هذا لا يقوله مسلم ولا عاقل على الإطلاق)) [2]. فاذا كان القرآن، يجب الاخذ والعمل به، على الناس إلى يوم القيامة، لابدّ من دوام ندائه، وبقاء أحكامه، إلى يوم القيامة وعدم انقطاعه بحوادث الدهر، ولا تتغير المضامين المستفادة منها بموت البشرية، وانقراضها، وهذه الخصوصية لا تلائم، إلا مع قاعدة (الجري)، بهذا المعنى العام بأدلَّةٍ، وهي:

أ- الدليل العقلي: القرآن الكريم كتاب خالد ودستور صالح لكل زمان فإن انحصر تطبيق مفاهيمهُ على وقت النزول ولم يتعدها إلى العصور اللاحقة، لمات القرآن وأصبح حبيس ذلك العصر فقط، وبناءً على ذلك: فيرتبط خلود القرآن وحياته في جميع العصور بقاعدة الجري [3] .

ب- الآيات القرآنية: اعتبرت بعض الآيات القرآنية، دليلاً على قاعدة (الجري والانطباق)، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾{يوسف: ١١١}،العبرة بالحالة الّتي يتوصل بها من معرفة المَشَاهد إلى ما ليس بمشاهد ، فعلى العقلاء أن يشاهدوا ماضي الأنبياء واقوامهم أو يسعوا إلى أن يعتبروا ويأخذوا منها درساً لحياتهم ، والتأمل والاعتبار بحالهم ، كلها تشير بنحو من الاشارة إلى قاعدة الجري والانطباق ،إذ لا يمكن أن تشير تلك الآيات

١/ البرهان في تفسير القرآن، هاشم البحراني، ٣ / ٢٣١. وبحار الانوار، المجلسي، ٣٥ / ٤٠٤. والبيان في تفسير القرآن، أبو القاسم الخوئي/ ٢٢.

٢/ مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية / ١٦.

٣/ ينظر: القرآن في الإسلام ، الطباطبائي / ٢١. ودروس تمهيدية في القواعد التفسيرية، المازندراني / ٢١٠، ومنطق تفسير القرآن أصول قواعد التفسير، محمد علي الرضائي / ٢٧٩.

لمحض الأخبار التاريخية عما جرى لتلك الأمم السابقة ، بل هي آيات قابلة للتكرار ولها مصاديق متجددة على مرّ العصور يمكن انطباقها على الحاضر [١] .

ت- ما دلت عليه الروايات عن أهل البيت عليهم السلام حول جري القرآن وانطباقه: قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام : ((وفي القرآن نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم)) [٢]. وعن يعقوب بن السكيت النحوي (ت: ٢٤٤هـ)، قال: سألت الإمام الهادي(٢٥٤هـ) عليه السلام : ما بال القرآن لا يزداد على النشر والدرس إلا غضاضة؟ قال: ((إن الله سبحانه لم يجعله لزمان دون زمان ولا لناس دون ناس، فهو في كل زمان جديد، وعند كل قوم غض إلى يوم القيامة)) [٣] .

إذًا وفق هذه القاعدة يكون الإنسان في كلِّ زمان ومكان، مقصوداً في الخطابات القرآنية الواصلة إليه، وفي ضوء قراءة ما ورد عن أئمة اهل البيت عليهم السلام، من أن الآية جارية بأحكامها ومفاهيمها، فمن الضروري أن نميز عند التفسير بين سبب النزول وبين الجري والانطباق فان سبب النزول: هو الحادثة التي نزلت الآية بسببها، وان الجري والانطباق يعني ان حكم الآية منطبق على تلك الحادثة، او ذلك الشخص باعتباره أحد المصاديق ، وهذا الإيضاح اظهر لنا، أن قاعدة (الجري) عدة معيناً في البيان والكشف عن المعنى المراد من الآية؛ لأنه يشخص ويعّين على مصاديق الآية، وهو نوع من رفع الإبهام وإنارة المقصود من الآية.

ثالثًا: ان لا يكون التفسير مخالفا للقطع العقلي.

لقد أهتم القرآن الكريم بالنظر العقلي، والدعوة إلى التفكر والتدبر وتجلى هذا الحث بوضوح في القرآن، إذ تكررت مادة (عقل) كثيرًا أضافةً إلى أن القرآن يشتمل على الكثير من الآيات التي تتضمن دعوة الناس إلى التفكر أو التذكير أو التعقل أو التدليل على أثبات الحق وأبطال الباطل؛ ولم يأمر الله عز وجل عبادة أن يؤمنوا بشيءٍ من دون بصيرة وتدبر، حتى أنه ذكر الكثير من الاحكام في سياق التعليل [٤]. قال تعالى:﴿ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾{البقرة: ٧٥ }،﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾{ الأنفال: ٢}. ففي

١/ ينظر: منطق تفسير القرآن أصول قواعد التفسير / ٢٨٠

٢/ نهج البلاغة، ٤ / ٧٤.

٣/ الأمالي، الشيخ الطوسي / ٥٨٠. وبحار الانوار العلامة، المجلسي، ١٧ / ٢١٣.

٤/ ينظر: نظرية العلم في القرآن ومدخل جديد في التفسير، غالب حسن / ٥

هذه الآيتين دليلٌ واضح على اعتبار العقل في الشرع وبيان قيمته الكبيرة، لأنه لا يمكن تحقيق فهم نصوص الشريعة، واستنباط الأحكام من أدلتها، وادارك قواعدها وموازينها إلا بالعقل، الذي هو مناط التكليف وأساسه [١]. ونتيجة لحظوة العقل نذكر من وصية الإمام موسى بن جعفر (ت: ١٨٣هـ) عليهما السلام ، لهشام بن الحكم (ت: ١٧٩هـ) ، بخصوص العقل وفيها كلام طويل ننقل النزر من تلك الوصية: ((يا هشام إن الله تبارك وتعالى بشر أهل العقل والفهم في كتابه ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾{الزمر :١٧– ١٨}؛ يا هشام، إن الله تعالى أكمل للناس الحجج بالعقول ، وافضى إليهم بالبيان))[٢] . فالعقل: ((هو العلم والفَهْم الناتج عن القوةِ المتهيئة في الإنسان لقبول العلم بالأشياء وفهمها))[٣]. فالشرع مؤكّد لحكم العقل فيما أدركه من حسن الأشياء وقبحها كحسن الصدق النافع والإيمان وقبح الكذب الضارّ والكفران، وليس المراد أنّ العقل يوجب أو يحرّم، وقد لا يستقلّ بذلك بل يحكم به بواسطة ورود الشرع بالحسن والقبح، كحكمه بحسن الصلاة في وقت الظهر وقبحها في وقت الاستواء [٤] . ورد في الحديث: ((إن العقل حجة باطنية))[٥] ، فعدَّ أحدَ مصادر التفسير، إذًا لا حجية ولا اعتبار لكلَّ تفسير يعارض حكمة قطعية للعقل[٦]. والدليل على ذلك: هناك من فسّر قوله عز وجل: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ { الفتح: ١٠}، تفسيراً يصرحُ فيه إن لله تعالى يد مما يلزم التجسيم تعالى سبحانه عن ذلك علوًا كبيرًا، وهذا المعنى يتنافى تمامًا مع الحكم القطعي للعقل، بأن الجسمية محالة على أساس البرهان العقلي، وعليه فالتفسير لا حجية له ولا اعتباراً أو قيمة [٧]

كما إن العقل أدرك أن ظاهر هذا النص غير مقصودٍ؛ لأنَّ القاعدة الشرعية القطعية المستفادة من نصوص كثيرة محكمة في الكتابِ والسنةِ، تفيد تنزيههُ تعالى عن مشابهة

١/ ينظر: صحيح شرح العقيدة الطحاوية، حسن بن علي السقاف / ١٩٩.

٢/ الكافي، الكليني، ١/ ١٣ (كتاب العقل والجهل).

٣/ المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، / ٥٧٧.

٤/ ينظر: الفوائد المدنية والشواهد المكية، محمد أمين الإسترآبادي ، السيد نور الدين العاملي(ت: ١٠٣٣هـ) / ٤٥٣.

٥/ مصباح الهداية، على البهبهاني / ٤١. و دليل تحرير الوسيلة، علي اكبر السيفي المازندراني / ١٦٦.

٦/ ينظر: منطق تفسير القرآن أصول قواعد التفسير، محمد علي الرضائي / ٤١٩.

٧/ ينظر: المصدر نفسه / ٤١٩.

المخلوقات وعن الحلول فيها، والعقل أساس التكليف؛ لأنه هو الذي يدرك معاني النصوص الشرعية وما هو المراد منها وبفقده يفقد التكليف.

وهنالك من أوضح هذه القاعدة إنه: في حالة معارضة الدليل النقلي، الدليل العقلي لزوم تقديم العقلي، والمقصود، بالنقلي هو الآحاد أو نصّ غير قطعي الدلالة، ومرادهم بالعقلي إدراك العقل تظافر أدلة كثيرة على معنى ما[1].اذا كان النص متواتراً وقطعي الدلالة وجب تقديمه على العقل.

إنّ التعقل الدقيق الذي يؤدي إلى نتائج مضبوطة وناضجة وذات مستوى رفيع على صعيد الفكر؛ يستوجب وعيًا بالحقائقِ والمعطيات [2]، وهذا يكشفه قوله تعالى:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾{ يوسف: ١٠٩}. في ضوء الآية الكريمة يتّضح أنَّ الشريعة الإسلاميَّة لم تُهمل العقل أو تلغ دوره، ولم تأمرْ أتباعَها بتعطيلِهِ وعدمِ تشغيلِهِ، كما فعلت باقي الديانات المحرَّفة، التي كانت تأمرُ أتباعَها بالتسليمِ الأعمى، أما تقديم العقل على النص والاستقلال بفهمه دون ضابط أو نص في التفاسير المختلفة ومناهجها لدراسة القرآن الكريم، على ما في كلامهم من تناقضِ ونقائص فهذا مردود على صاحبه[3].

رابعًا: عدم تعارض التفسير مع المأثور النقلي الصحيح.

أن فَهْمَ الدين لا يَتُم وفق الذوق والمزاج والميول ونمط الحياة؛ بل يجب فَهْمه من خلال قَصَد مَصدرِهِ ؛ ومصدرهُ الإسلام ومنزله هو الله تعالى، أي أن فَهْمَه محصور بقصد الله فقط، وهو المعيار لا غيره، ولا مدخليه لقَصد الإنسان وأهدافه وتمنياته في ذلك، وينتج عن هذه الحقيقة أن معرفة قصد الله وقراءة شريعته، تحتاجان إلى تخصص عميق في فَهْم قَصد الشارع

١/ ينظر: تفسير مجمع البيان، ٦ / ٢٩٩. و شرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني (ت: ١٠٨١هـ)، ١/ هامش صفحة (٢٨٥) و الفوائد الطوسية، الحر العاملي (ت: ١١٠٤هـ)/ ٤١٧ . والعناوين الفقهية، الحسيني المراغي (ت: ١٢٥٠ هـ)، ١ / ٤٢٤. صحيح شرح العقيدة الطحاوية، حسن بن علي السقاف / ٢٠٢.

٢/ ينظر: نظرية العلم في القرآن / ٢١.

٣/ ينظر: زبدة التفاسير، فتح الله الكاشاني، ١/ ١٢.

ونصِّه المقدس والصحيح من سنَّة نبيِّه وأهل بيتهِ عليهم السلام ؛ لا ريبة من أن القرآن الكريم هو المصدر الأول لتفسير القرآن وعَدّ النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم مصدراً ثانيًا لتفسير القرآن [1] ،﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ { النحل: ٤٤} ، فالمفتاح الرئيس لفهم القرآن فهماً صحيحاً ، يردُّ به إلى العترة الطاهرة عليهم السلام ، فهم ورثة علمه صلى الله عليه وآله وسلم وليس هناك من سبيل لتفسير القرآن الكريم سوى التزوّد من معينهم الذي لا ينضب [2]، قال عز وجل :﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ ﴾{الأنعام: ٩٠} .

إذاً كلُّ تفسير يخالف الأخبار القطعية، يعدُّ تفسيرًا مسلوب الاعتبار والقيمة، فلابدَّ من أن تتم عملية التفسير من خلال الالتفات، إلى القرائن النقلية لاسيما الأحاديث الشريفة، فموافقة التفسير يجب أن تكون موافقة للحديث، بل إن الضابطة هي عدم تحقق المخالفة الواضحة للسنة القطعية مثال: وردت روايات كثيرة في خصوص قوله تعالى:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى ﴾ { المائدة: ٣} وقد فسرت بإمامة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في يوم الغدير وعليه سيكون تفسير هذه الآية بأن إكمال الدين يتم من خلال أحكام تحريم اللحوم، مخالفة للسنة القطعية، فلا اعتبار له[3]. نقول : وان كان قد اتفق اغلب المفسرين وخاصة الشيعة على انها نزلت في غدير ، فإنها ايضاً تشمل ما تضمنته الآية من تحريم بعض الأطعمة لأنها كانت مما تعم به البلوى حينئذ وهي أيضاً من إتمام الدين .

رُبَ سائل يطرح سؤالاً: لماذا نتعبّد بالنصوص الشرعية مع كونها ظنيّة لا قطعيّة مع وجود مناهج معرفية ترقى إلى مستوى القطع مثل التجربة؟

والجواب: ان قطعي الحجة والمعروف من النصوص الشرعية هو، إما قطعي الثبوت قطعي الدلالة، أو قطعي الثبوت ظني الدلالة، أو ظني الثبوت قطعي الدلالة، أو ظني الثبوت ظني

١/ ينظر: التفسير الأثري الجامع، محمد هادي معرفة، ١/ ١٢١.

٢/ ينظر: التفسير ومفسران في ثوبه القشيب، محمد هادي معرفة، ١/ ٥٢٦.

٣/ ينظر: منطق تفسير القرآن أصول وقواعد التفسير، محمد علي الرضائي / ٤١٨. ٤١٩.

الدلالة ، وهذا الاخيران غير موجودان في القرآن هذا ما هو معروف عندنا[١]. وهنا يجب ان يعلم السائل ان ايات التوحيد كلها قطعية الدلالة.

وعليه ليس من المعقول أن نفصل الدين وفق أمزجتنا وأهوائنا، بل أن غايات الدين ومقاصده تُعرف حصرًا من الجهة الّتي أنزلت الدين وشرّعت أحكامه [٢]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ ﴾{ البقرة: ٨٥} ، يقول محمد جواد مغنية ، في مقدمة تفسيره الكاشف:((نظرت إلى القرآن على أنَّه في حقيقته وطبيعته كتاب دين وهداية، وإصلاح وتشريع، ويهدف قبل كل شيء إلى أن يحيا الناس جميعًا حياة تقوم على أسسٍ سليمة، يسودها الأمنَ والعدل، ويغمرها الخَصب والرفاهية))[٣].

والمتأمل فى الأحكام الثابتة يقينًا، يدرك أنها منطقية عقلًا، ومناسبة زمانًا ومكانًا، وصالحة أحوالًا، ولا فرق بين ثبوت الأحكام بالقرآن الكريم أو السنة النبوية، فالثابت من جهتهما ليس محلًّا للاجتهاد بإجماع العلماء.

خامسًا: لا يجوز تفسير القرآن بالنظرية العلمية(التجربه) بل بالحقيقة العلمية الثابته.

وردت الدعوة إلى الهدى في القرآن بأساليب كثيرة ومتنوعة، والاستدلال على خلق ﷻ ، فلا عجب أن يشتمل القرآن على المعارفِ والعلوم الطبيعية التي وَضَحَ فَهْمَها للناسِ شيئًا فشيئًا، ومقاصد القرآن راجعة إلى عمومِ الدعوة وهو معجزة باقية، لا بدَّ أن يكون فيه ما يصلح وضع البشرية؛ لأنّ تتناولهُ أفَهام منّ يأتي مِنَ الناس في عصورِ انتشار العلوم في الأمة، فكل مَنْ كان نَصِيبَهُ من العلومِ أكثر كان حظه من علمِ القرآن أجزل [٤].

والمراد بالعلوم التجريبية: هي العلوم الطبيعية، التي تشمل المنظومات المعرفية الناظرة إلى الظواهرِ الطبيعية ومتغيراتها، واطلاع المَفْسِّر على حدٍ معيَّن من العلومِ التجريبية، قبل

١/ بحوث في الفقه المعاصر، حسن الجواهري، ٧ / ٤٢.

٢/ ينظر: المناهج التفسيرية في علوم القرآن، جعفر السبحاني، ٤ /٩.

٣/ التفسير الكاشف، ١ /١٣.

٤/ ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي ٢ / ٢٥.

أن يبدأ بعملهِ التفسيريّ أو يقارنهُ، وذلك باعتبار تناول القرآن الكريم لمجموعة من القضايا الطبيعية، الّتي يتوقف فهمها على هذا الاطلاع [١].أن التجربة يمكن أن تفتح لَنَا آفاقًا في فَهْمِ النصَّ القرآنيّ، من حيثِ تعدد المصداق وتشخيص المعنى، وتطرح أمامنا احتمالات جديدة، ولكن لا يمكن أن تعطينا القطع والجزم بالمعنى القرآنيّ، من خلال رؤيتها.

ذكر تعالى حجةً على ربوبيته، ووحدانية، فأتبعها مرة بإضافته إلى أولي العقل، ومرة إلى السامعين، ومرة إلى المفكرين، ومرة إلى المتذكرين، تنبيها أن بكل قوة من هذه القوى يمكن إدراك حقيقته منها [٢]، وذلك نحو قوله:﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾**{النحل: ١٢}**، وغيرها من الآيات.

عَمَد الله سبحانه وفي إطار هداية الإنسان إلى توضيح وتبيين سلسلةً من الظواهرِ في عالمِ الطبيعة، من قبيل الإنسان، والحيوان، والنباتات، والسماوات وما إلى ذلك، وعملَ على توظيفها في طرحِ المسائلَ الاعتقادية، والأخلاقية، وتعدُّ العلوم التجريبية مؤثِّرةً للغايةِ في الَفَهْمِ الصحيح والتام لهذه المجموعة من الآيات، ففي تفسير هذه الآيات وفي ضوء توظيف العلوم التجريبية نشهد انكشاف أمور كانت خافية على المفسرين المتقدمين [٣].

يذكر الطاهر بن عاشور في تفسيره: إِنَّ علاقة العلوم بالقرآن عَلَى مَرَاتِبَ منها:

أولاً: علوم تضمنها القرآن كَأَخبار الأَنبياء والأُممِ، وتهذيب الأَخلاق والفقه والتشريع والاعتقاد والأصول والعربيّة والبلاغة.

ثانياً: علوم تزيد المفَسّر علما كالحكمة والهيأة وخواص المخلُوقاتِ.

ثالثاً: علوم أَشار إِليها أَو جاءت مؤيدة له كعلم طبقات الأرض والطب والمنطق [٤].

فالدعوة إلى التفكير وامتلاك المنهج تأخذ بعدين في نظر القرآن الكريم.

أ- دعوة الانسان إلى تدبّر آيات الكون وصفحات الوجود وآفاقه، من خلال الكشف عن حقائقه المذهلة، وعرض تجليّات القدرة الخلاقة، وصور الإبداع في هندسة الوجود، وهذا يعني الحثّ

١/ ينظر: تفسير سورة الحمد، محمد باقر الحكيم / ٦٢.

٢/ينظر: البرهان في علوم القرآن، ٢ / ٢٥.

٣/ ينظر: التمهيد في علوم القرآن، محمد هادي معرفة، ٦/ ٢٩١

٤/ التحرير والتنوير، ١ / ٤٥.

على التأمّل الجدّي، وتعقّل ما وراء ذلك.قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ {البقرة :١٦٤ }، فهنا دعوة إلى النظر والاستقصاء والتعقّل(١).

ب- إنه يحدّد وظيفة الفرد المسلم على التعيين بضرورة التفكير ويأمره صراحة بذلك، قال ﷻ:﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأَخِرَةَ ﴾{ العنكبوت: ٢٠}،﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ { آل عمران: ١٩١}﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾{ **يونس: ١٠١}** ، فالنظر والتدبّر هنا على سبيل الوجوب، ولذلك ذهب علماء الملّة الإسلامية إلى (وجوب النظر) أي الاستدلال وتحصيل البرهان في المسائل الاعتقادية (٢).

لهذا السبب يؤكد أمير المؤمنين علي عليه السلام في مواعظه الحكيمة لولده الإمام الحسن عليه السلام على هذه النقطة بعينها، فيقول:((أي بني: إني وإن لم أكن عمرتُ عُمرَ مَن كان قبلي، فقد نظرتُ في أعمالهم، وفكرت في أخبارهم، وسرت في آثارهم حتى عدت كأحدهم، بل كأني بما أنتهي إليه من أمورهم، قد عمرت مع أولهم إلى آخرهم، فعرفت صفو ذلك من كدره، ونفعه من ضرره، فاستخلصت لك من كل أمر نخيله)) (٣).

إنّ القرآن الكريم لم يكتف بالدعوة إلى اعتمادِ منهج سليم للتفكير فحسب، بل يضع الطريقة السليمة العلمية للوصول إلى الحقائق ويعرّفنا في هذا المجال وضمن إطار الفهم العميق لأسرار الوجود أساسيات المنهج وأبعاده، فهو منهج يقوم على البرهان الوجداني، قال ﷻ :﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ﴾{ **الزمر: ٣٨}** ، فالقرآن حَرَّكَ الوجدان واستنطقه ، فدعا الإنسان إلى القيامِ برحلة داخلية مع نفسهِ

١/ ينظر :عقائد الإمامية، محمد رضا المظفر (ت: ١٣٨٣هـ) / ٣١. والتمهيد في علوم القرآن، محمد هادي معرفة ،٦/ ٢٩١

٢/ ينظر: عقائد الإمامية / ٣١-٣٢.

٣/ نهج البلاغة، ٣ / ٤١.

(حوارٌ مع الذاتِ)، فيه الصراحة المتناهية ، وهكذا نجد أنّ القرآن عندما يفرغ من عملية استنهاض وحثَّ منطق الوجدان ، في أي عملية تأمّل ، كذلك يدعو القرآن إلى اعتماد الأدلّة والبراهين العلمية في الإثبات، ويعطي للعقل البناء حركة يتوصل به إلى الإدراك الصحيح ، والاستعانة بالحواس، وهذا أساس آخر من أسس المنهج [1] .

إنّ القرآن الكريم يخبرنا إنّ البحث والتأمّل في الآفاق وفي الأنفس وفي ما حولنا يجب أن يلتزم البرهان والدليل ويتوسّل بالحسّ والتجربة كلّما أمكن ذلك[2].

يبدو الخطوات التي يمكن أن تتبع للوصول إلى الحقائق، وتأسيس القناعة المطلوبة، تكون بالمنهج الذي يحدّده القرآن، ويضعه بين أيدينا، منهجا علميا منتجا.

فالقرآن الكريم يدعو إلى عملية التأمّل ، والتأمّل هنا عملية التفكير، يمكن أن تتمّ بانفراد، وهذا هو الشائع، ويمكن أن تتمّ بصورة مشتركة، وهذه التفاتة بارعة من القرآن الكريم في التنبيه إلى أهمّية البحث والتفكير المشترك، قال ﷻ :﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ ﴾{ سبأ: ٤٦}، ثمّ يتّجه القرآن الكريم إلى الدعوة لطرح الافتراضات الممكنة ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ { الطور: ٣٥} ، ثمّ يصعد إلى مرحلة اختبار الافتراض وتقليب الوجوه في المسألة ، بقوله:﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾ { الواقعة: ٦٤} ، هكذا تتم في خطوات علمية: فرض، واختبار الفرض، واستنتاج مبنيّ على المنطق والتجربة والعقل، يرسم القرآن الكريم أبعاد المنهج، ويدعو إلى التمسّك به في سائر المجالات، فالقرآن يعلّمنا أن ننطلق أولا من مسلّمة لدى الطرفين، أو من افتراض مقبول ، وهو ما صرّح به القرآن قائلاً :قَالَ تَعَالَىٰ:﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾{ آل عمران: ٦٤} ، ثمّ يبدأ الاستدلال بعد ذلك ولكن على شرط أن يقدّم كلّ واحد دليلا على ما يقوله ،﴿ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ { البقرة: ١١١} ،وهو يشترط في الدليل أيضا أن يكون علمًا أي أمرًا يقينيًا ، لأنّ غير العلم لا يجدي ولا ينتج المطلوب ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾{ يونس: ٣٦}، ثمّ إذا استقرّ الحقّ وثبت

١/ ينظر: التمهيد في علوم القرآن، محمد هادي معرفة ،٦ / ٢٩٣.

٢/ينظر: المصدر نفسه، ٦ / ٢٩٤.

الأمر بالبرهان والدليل القاطع فلا بدّ حينئذ من التصديق به واعتماده، والإقرار به ،﴿ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ ﴾ { يونس: ٣٢}، وهنا لفتة بارعة في ضرورة استثمار الحقيقة والانصياع إليها(١).

فالعلم التجريبي خادم للنص القرآني، وليس حاكما عليه، كما أثر العلم التجربي الحديث في زيادة إيضاح المعاني وتوسيع المدلولات ؛ وأسهم العلم التجريبي الحديث في زيادة الإيضاح وتوسيع الدلالة، كما أن الكشف عن معاني بعض الآيات باستخدام حقائق العلم التجريبي، يظهر لنا صلاحية القرآن لكل زمان ومكان (دليل اعجازيته النص القرآني وانجازيته) ، ويزيد المؤمنين إيمانا، كما فيه دعوة لمعرفة مكامن الخلل ، في المجتمعات الإسلامية ، و تشخيص أسباب ضعفها في العلوم التجريبية، حتى لا نبقى عالة على غيرنا ننتظر منه كل جديد في العلوم، ثم نبحث عما يوافق في شرعنا ، فمطالبة القرآن بالتأمل في الكون والنظر في الآيات للوصول إلى المعارف، فتصديق القرآن لتلك العلوم جاء من باب أنه كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وعلى هذا يجب أن يكون أسلوب العرض الذي يقدم.

١/ ينظر: التمهيد في علوم القرآن، محمد هادي معرفة ،٦ / ٢٩٥

هناك من يرى أنَّ علم التفسير وأصوله وعلوم القرآن شيء واحد، وأنّهما مترادفان، هذا من باب عدّ كلًّا منها خادم للنصَّ القرآنيّ، في إعانتها للكشفِ عن مَقَاصده، وتبين مراده في الوصولِ للمطلوب؛ فتلك العلوم وإن تعددت مسمياتها؛ فجميعها تمثل خير غوث ومؤازر للباحث في كلام الله ﷻ.

كما عدّت جميع المعلومات، والبحوث التي تتعلق بالقرآن الكريم، من جهة نزولهُ وترتيبه وجمعه وكتابته وقراءاته وتفسيره وإعجازه وناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابه فالقرآن له اعتبارات متعددة، وهو بكل واحدة من تلك الاعتبارات موضوع لبحث خاص [١].

وعند التدقيق في موضوع قواعد التَفْسّير نجد أنَّ مواضيعها مستمدة من علومِ القرآن، وهذه العلوم بطبيعتها تتناول كل ما يتعلق بالقرآن الكريم مِنْ مختلفِ الجوانب كما هو ظاهر مِنْ اللفظة، فهي علوم كثيرةٌ، والتفسِّير علم من علومه، وهذا أمرٌ معلوم ومقرر عند العلماء من أهل التحقيق والاختصاص في هذا الباب [٢].

فهناك من قال :((قواعد التفسير جزءًا من أشرف وأهم العلوم القرآنية، والنسبة بينهما هي نسبة الجزء من الكلِّ ،هذا وقد تطلق (قواعد التفسير) على جملةِ علوم القرآن، هذا إما أن يكون من باب إطلاق الجزء على الكل، وإمَا لكون علوم القرآن والكتب المصنفة في ذلك تشتمل على قواعد كثيرة من قواعد التفسير منثورة في أبوابه المختلفة)) [٣].

وقد جعل الزركشي في (برهانه)، مباحث في قواعد وأصول التفسير: ((لو أعطى العبد بكل حرف من القرآن ألف فهم لم يبلغ نهاية ما أودعه في آية من كتابه؛ لأنه كلام الله، وكلامه صفته وكما أنه ليس لله نهاية، فكذلك لا نهاية لفهم كلامه ; وإنما يفهم كل بمقدار ما يفتح الله عليه))[٤]. واتبعه السيوطي في إتقانهِ فقال:((علوم القرآن وما يستنبط منه بحر لا ساحل له))[٥].

١/ ينظر: علوم القرآن، محمد باقر الحكيم / ٢٠. مناهل العرفان، عبد العظيم الزرقاني، ١ /٢٠.

٢/ ينظر: قواعد التفسير – إشكالية المفهوم والعلاقة، سعود فهيد العجمي / ٧٣٤.

٣/ قواعد التفسير جمعاً ودراسة، خالد عثمان السبت، ١ / ٣٣.

٤/ البرهان في علوم القرآن ،١/ ٩.

٥/ الاتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٢ / ٤٧٩.

فمواضيع القرآن وآلياته. وبذلك عدّت تلك الوسائل الباب الذي نتمكن عن طريقه معرفة كلام الله تعالى وفهمه المذكور في القرآن الكريم والوصول إلى المَقَصد الحقيقي الكامن وراء ذلك الخطاب الإلهي.

المطلب الأول: النسخ

يعد موضوعه أحد الموضوعات المهمة والمؤثرة في عملية التفسير، وبالنظر لأهميته فقد كتب علماء التفسير فيه كُتبًا خاصةً[١]، كذلك لا يكاد يخلو كتاب مِنْ كتبِ التَفْسير من تناولِ هذا الموضوع ؛لأن المُفْسَّر للقرآن الكريم لابد له من الإحاطةِ بالنسخ لأهميته الكبرى لبيان مراد كلام الله تعالى؛ لأنَّه متعلق بنصّينِ من القرآنِ الكريم يتفرع عليهما حكمان متغايران في النفي حيث يكون النفي للمنسوخ والإثبات يكون للناسخ .

النسخ لغةً:(النون والسين والخاء)، أصل واحد، أُرِيْدَ به الإزالة والنقل، رفع شيءٍ وإثبات غيرهُ مكانه، أو تحويل شيء إلى شيءٍ، منه نسخت الريح آثار الدار: غيرتها، فهو كلُّ شيءٍ خلف شيئاً فقد استنسخه، فيقال نسخت الشمس الظل، والشيب الشباب [٢].

النسخ اصطلاحًا: قال الراغب في مفرداته: ((هو إزالة الحكم بحكم يعقبه، **قَالَ تَعَالَى:﴿ ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِها نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها ﴾**{البقرة :١٠٦} قيل في معناه : ما نزيل العمل بها أو نحذفها عن قلوب العباد، وقيل ايضًا: ما نوجده وننزله من قولهم نسخت الكتاب، وما ننسأه أي نؤخره فلم ننزله))[٣] . فهذا الوصف للتعريف نجد صاحبه لا يخرجه تقريبًا عن معناه اللغوي، والذي يتضح فيه حكم الرفع للتخفيف من الله تعالى لعبده لحكمة أرادها.

١/ على سبيل المثال لا الحصر: الناسخ والمنسوخ في كتاب الله تعالى، قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٧ هـ) ، تح ، د . حاتم صالح الضامن، كلية الآداب – جامعة بغداد، مؤسسة الرسالة. و الآيات الناسخة والمنسوخة (من رواية أبي عبد الله محمد بن إبراهيم النعماني) ، علي بن الحسين بن موسى الشريف الرضي (ت: ٤٣٦هـ) ، تح ، علي جهاد الحساني ، مؤسسة البلاغ دار سلوني ، ط١، ١٣٢١هـ – ٢٠٠م. الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، لابن حزم الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ)، تح، د. عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.

٢/ ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: ٣٩٣هـ) ،١/ ٤٣٣. ومعجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٥ / ٤٢٤.

٣/ المفردات في اللفاظ القرآن الكريم / ٨٠١.

إما الخوئي فله رأي آخر: ((هو رفع أمر ثابت في الشريعة المقدسة بارتفاع أمده وزمانه، سواء أكان ذلك الأمر المرتفع من الأحكام التكليفية أم الوضعية، وسواء أكان من المناصب الإلهية أم من غيرها من الأمور التي ترجع إلى الله تعالى بما أنه شارع، وهذا الأخير كما في نسخ القرآن من حيث التلاوة فقط، وإنما قيدنا الرفع بالأمر الثابت في الشريعة؛ ليخرج به ارتفاع الحكم بسبب ارتفاع موضوعه خارجاً، كارتفاع وجوب الصوم بانتهاء شهر رمضان، وارتفاع وجوب الصلاة بخروج وقتها)) (١).

نسترشد من تعريف السيد الخوئي هو أن يكون الحكم الذي تم وضعة للناس، من الله تعالى مقيداً بزمان خاص معلوم عنده ﷻ ، مجهول عند الناس، ويكون انتفاءه، أو رفعه، بعد انتهاء أمد الزمن الذي قيد به، لمنفعة معلومة أو مجهولة.

إنَّ اعتبار آية قرآنية منسوخة يعني تجميد العمل بمدلولها، وانتهاء أمد فاعليتها وحجيتها، وهذه مسألة في غاية الأهمية، فلا بدَّ للمفسِّر من الدقةِ في هذا الموضوع لمعرفة ما إذا كانت هذه الآية منسوخة أم لا؟ ولأجل ذلك؛ قال أبن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ) :((ليس من العلوم كلها علم، هو واجب على العلماء، وعلى المتعلمين، وعلى كافة المسلمين، من علم (ناسخ القرآن ومنسوخه)، لأنَّ الأخذَ بناسخهِ واجب فرضًا، والعمل به واجب لازم ، والمنسوخ لا يعمل به أو ينتهي إليه، فالواجب على كلِّ عالم علم ذلك، لئلا يوجب على نفسهِ وعباد الله أمرًا لم يوجبهُ ﷻ، أو يضع عنهم فرضًا أوجبه الله تعالى)) (٢) . وقال الزركشيُّ:((لا يجوز لأحد أن يَفْسر كتاب الله تعلى إلَّا بعد أنْ يعرف منه الناسخ والمنسوخ)) (٣)، أيضاً: ((مرّ الإمام عليّ عليه السلام على قاضٍ فقال: أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ فقال: لا، قال عليه السلام : هلكت وأهلكت)) (٤).

وتأخذ المسألة جديتها حينما نجد القرآن الكريم نفسهُ يتعرض لهذا الموضوع، **قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَا**

١/ البيان في تفسير القرآن / ٢٧٧.

٢/ جامع بيان العلم وفضله، ٢/ ٢٨.

٣/ البرهان في علوم القرآن، ٢ / ٢٩.

٤/ تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، ١ / ١٢. والبرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢ /٢٩. وسائل الشيعة، الحر العاملي، ٢٧ / ٢٠٢.

نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾{البقرة : ١٠٦ } ، وفي هذا دليل صريح بجواز وقوعِ النسخ في القرآن .

فهذا ما أجمع عليه المسلمون، من جواز وقوع النسخ، وهو نسخ الحكم مع بقاء التلاوة، أي أن الآية باقية، وهي جزء من القرآن، يتلوها المسلمون، غير ان حكمها معطل تعطيلاً نهائيًا؛ لاستبداله بغيره من الأحكام، كآية النجوى، لقد أجمع المفسرون أنها نزلت في شأن أمير المؤمنين علي عليه السلام وكان المتصدّق الوحيد؛ وهو مما أجمع عليه المسلمون كافة(١). وما روي عنه عليه السلام : ((إنَّ في كتابِ الله آية ما عمل بها أحدٌ قبلي ولا يعمل بها أحدٍ بعدي، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ ﴾{ المجادلة: ١٢} ،كان لي دينار فبعته بعشرة دراهم، فكلما أردت أن أناجي النبي صلى الله عليه وآله وسلم قدمت بين يدي نجواي درهمًا، حتى فنيت، ولم يفعل بذلك أحد من المسلمين)) (٢)، فأنزل جل جلاله :﴿ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾{ المجادلة: ١٣}. إذ يتضح إن من دواعي معرفة النسخ، هو بيان: الاختلاف بين الحكمين من ناحية الموضوع، أو الخروج الحكمي، مع بقاء الموضوع وهذا يتعلق بالتخصيص، أو بقاء الحكم والموضوع واستمرار الحكم لمصلحة يقتضيها أمر التشريع، وقد انتهى أمدها وقد أقام حكمة آخر مكانها (٣).

إذًا لا بدَّ للمفسر من معرفةِ الناسخ والمنسوخ، لِما لها من أثرٍ جلي في فهم التشريع الإسلامي إذ لا يمكن استنباط حكم شرعي ما، ما لم يكن للمفسر حظ وافر مِنَ معرفةِ الناسخ والمنسوخ؛ روي عن الصادق عليه السلام إنه قال :((اعلموا رحمكم الله: أنَّه من لم يعرف من كتابِ الله عز وجل الناسخ مِنَ المنسوخ والخاص من العام والمحكم مِنَ المتشابه فليس بعالم بالقرآن ولا هو من أهله)) (٤). ولا طريق إلى معرفةِ النسخ من ناحيةِ العقل، وإنَّما الاقتصار في ذلك

١/ ينظر: شرح الاخبار القاضي النعمان المغربي (ت: ٣٦٣هـ)، ٢ / ٢٨٢.

٢/جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، ٢٨ / ٢٧. وشرح الاخبار، النعمان المغربي، ٢ / ٢٨٢. وبحار الأنوار/ المجلسي، ٣٥ / ٣٨٠. والبيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي / ٣٧٥.

٣/ ينظر: الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، د.عُدَي جواد علي الحجار ، / ٣١٤.

٤/ التفسير الصافي، الفيض الكاشاني، ١ / ٣٩. وبحار الانوار، المجلسي، ٩٠ / ٤ – ٥.

على النقلِ؛ لأنَّ العقلَ قاصر عن الإتيان بالأحكام الواقعية التي تجمع بين مرضاة الله تعالى، ومصالح المكلفين على الأمد البعيد، وعلى هذا فالنسخ يدل على أهمية مراعاة الظروف، والمقتضيات الزمانية، وهو نوع من تبدل الأحكام ومراعاة المكلفين [١].

مثلًا: في بداية مبعث الرسول ﷺ أمر المسلمون بمداراة أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾{ البقرة: ١٠٩} ، وبعد مدة أنهي هذا الحكم وأمروا بمقاتلتهم ،﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ ﴾ {التوبة: ٢٩}،أريد بهذا أن للحكم الأول كانت مصلحة زمنية ، وأثر مؤقت خاص، تعلن الآية الناسخة انتهاء ذلك الزمن المحدود وزوال الأثر [٢].

لذلك تشتمل مباحث النسخ على مفرداتٍ دقيقة، ينبغي للمفسَّر أن يتنبه إليها، لما يترتب عليها من دلالات الخطاب، لتوظيفه في كشف المراد، كنسخ التخفيف، ونسخ التخيير، ونسخ آية بآية، ونسخ آية متأخرة تلاوة، بأخرى متقدمة عليها بالتلاوة.

لذا يعد النسخ مِنْ الموضوعات الخاصة المهمة بقواعِد التفسير، التي يوظفها المَفْسِّر، إبان عمله التفسيري، فلا يسع جهله لمن شرع إلى التفسير [٣]، فلمعرفةُ هذا الباب فائدته كبيرة، لا يغفل عن معرفتها العلماء، ولا ينكره إلا الجهلة ؛ لما يترتب عليه من النوازل في الاحكام، ومعرفة الحلال من الحرام [٤] ، فالنسخ لا يثبت بالترتيب في المصحف، ولا بكون أحد الحكمين أخف من الآخر، والأخف هو الناسخ ولأغلظ هو المنسوخ، ولا بكون أحدهما يوافق الحظر،

١/ ينظر: الفصول في الأصول، الجصاص (ت: ٣٧٠هـ)، ٢/ ٢٧١. و المستصفي، أبو حامد الغزالي / ٣٤٤. والدرر النجفية من الملتقطات اليوسفية، المحقق البحراني (ت: ١١٨٦هـ)، ١ / ٢٨٢.

٢/ينظر: القرآن في الإسلام، السيد الطبطبائي / ٥٠.

٣/ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ)، ١ / ٢٥٤.

٤/ ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ،٢ / ٦١.

والآخر الإباحة، حيث الانتقال من الحظر إلى الإباحة، يعين العود إلى الإباحة ثانيا، وعليه فلا بدَّ من دليلٍ على النسخ [١].

وبهذا لا يكفي معرفة أفراد الناسخ والمنسوخ فحسب، بل لا بد من معرفةِ ما يتعلق بالنسخ من شروط وأحكام؛ حتى لا يُدعَى النسخ في غيرِ موضعه، أما جهلاً، أو تعصبًا، أو تخففًا من الاحكامِ الشرعية.

المطلب الثاني: إرجاع المتشابهات إلى المحكمات.

من القواعد المهمة في تفسير النص، إذ عد أحد القواعد المستفادة من القرآن الكريم، ارجاع المتشابهات إلى المحكمات؛ اذ إنَّ للنصَّ القرآني قابلية غير محدودة في بيان آياته وهي من خواصّه الإعجازية، الّتي لم يبلغ مكنوناتها إلَّا الخواص، والّتي تحتاج لدراية وقدرات مميزة وهذا الموضوع بحث بحثاً مفصَّلاً في علومِ القرآن، وسنتناوله هنا تناولاً مختصراً، معرجين على هذه القاعدة، ولكل من المحكم والمتشابه معنى في أصلِ اللغة، ومعنى في عرف الشرع.

المحكم: (الحاء والكاف والميم)، أصلٌ واحد تدور على معنى الصرف والمنع، ومنه حكمة اللجام للحديدة، الّتي تمنع الفرس مِنَ الاضطراب والجموح ومنه الإحكام بمعنى الإتقان؛ لأنه منع للشيء من الخلل والخطأ، يقال: بناءٌ محكم أي متين لا وهن فيه ولا خلل، وأحكمت الشيء: استحكمته أي صار محكماً، ومنه؛ حكم الحاكم؛ لأنه منع للظالم من وضع يده على حق غيره، ومنه الحكيم، لأنه يمنع نفسه، من اتباع هواها، وارتكاب ما لا يليق [٢].

المتشابه: (الشين والباء والهاء) أصلٌ واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله؛ إذ عبر أهل اللغة، بأنَّه ما التبس أمره التشابه والمشابهة فَهُم يرونَ أن المتشابه ما كان معناه مشكوكا، والمراد منه ملتبسا، والمشتبهات من الأمور، المشكلات والمتشابهات المتماثلات. وشُبِّهَ عليه الأَمر تشبيهاً: لبس عليه وخلّط، أي ما لم يُتَلَقَّ مَعْناه من لَفْظِه [٣]

١/ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) ، ٣ / ٢٣٢ .

٢/ ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢/ ٩١(مادة حكم). ولسان العرب: ابن منظور ١٢/ ١٤١ .

٣/ ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٣ / ٢٤٢ (باب: الشين والباء والهاء) ولسان العرب، ابن منظور، ١٣ / ٥٠٥ (فصل الشين). وتاج العروس، الزبيدي، ١٩ / ٥١ (شبه).

المحكم شرعاً: ما أخبر لفظهُ عن معناه، من غير اعتبار أمر ينضم إليه أكان اللفظ لغويًا أم عرفيًا، ولا يحتاج إلى ضروبٍ من التأويل [١]، كذلك: هو الذي أحكمت عبارتها بأن حفظت مِنَ الاحتمالِ والاشتباه ومتشابهات محتملات [٢]. أيضا: ((هو ما علم المراد بظاهره من غير قرينة تقترن اليه ودلالة تدل على المراد به لوضوحه)) [٣]، نحو قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ ﴾{النساء: ٤٠} . كذلك هو: ما اتضحت دلالته على مراد الله تعالى منه[٤].

المتشابه شرعاً: هو الذي تردد الذهن في بيان معناه وأدراكه، فتختلف الأنظار في ترجيح المقصود من لفظه، كما أنَّه لم يوجد ما يفسِّره تفسيرًا قاطعًا أو ضنيًا، من الكتاب أو السنة [٥] قال تعالى:﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾{ الزمر: ٦٧} ، كذلك: هو الامر الذي وقع فيه اللبس فلم يعرف بظاهره حتى يقترن بغيره لرفع ذلك الالتباس [٦]﴿ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ ﴾{الجاثية :٢٣}.

اتضح في مساق المفاهيم الأنفة: إن الآيات المحكمات، ما دلت على معناها بوضوح، لا خفاء فيها ولا يلتبس بها أمر آخر، وهي ما لا يحتمل إلا وجهًا واحداً، من التفسَّير، غير المتشابه، الذي لا يدرك كنهه وتأويله إلا الله ﷻ ، والراسخون في العلم؛ وصف سبحانه كتابه العزيز بالإحكام، قال تعالى :﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾{ هود: ١} إن في المسألة ثلاثة أقوال : أحدها: أن القرآن كلَّه محكم لقوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾، الثاني: كله متشابه لقوله تعالى:﴿ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ ﴾ {الزمر: ٢٣} ، الثالث: وهو الصحيح انقسامه إلى محكم ومتشابه للآية المصرح بها ، والجواب عن الآيتين أن المراد بإحكامه إتقانه،

١/ ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ١ / ٩

٢/ ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود الزمخشري، ١ / ٤١٢. وتفسير جوامع الجامع، الطبرسي، ١/ ٢٦٥. وعمدة القاري، العيني (ت: ٨٥٥هـ)، ١٨ / ١٣٨.

٣/ المنتخب من تفسير كتاب التبيان، ابن إدريس الحلي (ت: ٥٩٨هـ ،١ / ١١٤.

٤/ ينظر: مناهل العرفان، عبد العظيم الزرقاني ١٩٥/٢

٥/ ينظر: مبادئ الوصول إلى علم الأصول، العلامة الحلي (ت: ٧٢٦هـ) / ٦٦. ومتشابه القرآن ومختلفه، ابن شهر أشوب (ت: ٥٨٨هـ)، ٢ / ٢٨٨.

٦/ ينظر: المنتخب من تفسير كتاب التبيان ،١ / ١١٤.

وعدم تطرق النقص والاختلاف إليه ، وبتشابهه كونه يشبه بعضه بعضًا في الحقِ والصدق والإعجاز [١].

وقد اختلفت كلمة المفسرين في تفسير (المتشابه) في هذه الآية الذي جعل وصفًا لعامة آيات القرآن الحكيم، إن المتشابه ما يحتمل وجوهاً، ثم إذا ردت الوجوه إلى وجه واحد وأبطل الباقي صار المتشابه محكما؛ فالمحكم أبدا أصل ترد إليه الفروع، والمتشابه هو الفرع [٢]. كذلك هناك من ذهب إلى إنهم لو رجعوا إلى الآية نفسها وأمعنوا النظر فيها لارتفع الابهام، وذلك أنّه سبحانه وتعالى يأتي بعد كلمة (متشابهاً)، قوله (مثاني)، فهو يفسر معنى المتشابه، فالقرآن الكريم يشتمل على آيات متكررة المضمون، يُشبه بعضها بعضًا، ويؤيد بعضها بعضًا، فقد كرر القصص والمغازي، كذلك ما يرجع إلى التوحيد بأقسامه، وغيرها من المعاني المتكررة وعلى ضوءِ ذلك فلا منافاة بين الآيتين اللتين تصفان القرآن بالإحكام تارة وبالتشابه أُخرى [٣]. فالتقابل بين الأحكام والتشابه ،وبدليل ما تعطيه الآية من التنديد والرفض لأسلوب إتباع المتشابه، حتى اعتبر أصحاب هذا المنهج بأن ﴿ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ ﴾ يعرف أن المقصود بالتشابه هنا هو الالتباس، وفقدان الوضوح، ويكون فالقرآن الكريم فيه آيات واضحات هن الأصل في الرجوع إليها، واعتمادها في فَهْمِ المَقَاصد القرآنيَّة ﴿ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾، وفيه آيات غير واضحات، لا يصح التعويل عليها والتذرع بها، لتثبيت مفاهيم وأحكام غير صحيحة لا تدل عليها الآيات المحكمة، التي هي أصل القرآن وأمه، كما يفعله الذي في قلوبهم زيغ ابتغاء الفتنة، لأدعاء أن هذه المعاني التحريفية ، هي المعاني الواقعية المقصودة في علم الله تعالى، بينما يقول الله تعالى أن تلك المعاني الواقعية ما يعلم تأويلها إلا الله والراسخون في العلم[٤]. لذلك يتفاوت الناس في استيعابهم لمراد ﷻ كله وفهمه والإحاطة بمعانيه ومدلولاته [٥] ، أي

١/ ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢/ ٦٨. الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٢/ ٥

٢/ ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٤ / ١٠.

٣/ ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ٢٣ / ٢٥٠. المناهج التفسيرية، جعفر السبحاني، ٧ / ١٦.

٤/ينظر: مقدمات في علم التفسير، صدر الدين القبنجي، / ٦٨.

٥/ ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ا بن عطية الأندلسي، ١ / ٤٠١.

ما كان معقول المعنى يكون إمَّا بالظهور أو بالتأويل ، أي المعنى الواضح الذي لا يتطرق إليه الإشكال [١].

كما إن روايات أهل البيت عليهم السلام قد دلت على إمكان نيل المعارف القرآنية من القرآن الكريم، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام :((إن كتاب الله ليصدق بعضه بعضًا ولا يكذب بعضه بعضًا))[٢] ، نلمح منْ قول الإمام علي عليه السلام أنّ القرآن بيَّنَ بعضه بعضاً، بإرجاع بعضه إلى بعض المتشابه إلى المحكم ، ومنها ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: ((إن لكتاب الله ناسخًا ومنسوخًا، ومحكمًا، ومتشابهًا فمن زعم إنَّ كتاب الله مبهم فقد هَلَكَ وأهلك)) [٣] . أي إنَّ كتاب الله مفهوم المعنى، يمكن الوصول والرشاد إلى مراده جل جلاله من آياته الكريمة، في ضوء المحكم نسترشد به في الوصولِ إلى المبهمِ؛ أي متشابه.

أن المسلمين لما وجدوا المتشابه في القرآن الكريم ، وأرادوا التعامل معه ، أوقفهم نفس النص بين ثنائية الأخذ بالظاهر القرآني، الذي يؤدي إلى التجسيم و التشبيه مثلًا في الآية الكريمة ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ {طه: ٥}، ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾{ الفتح: ١٠}، وبين خطورة التأويل للمتشابه ، الذي قد يؤدي إلى الانزلاق في الزيغِ أو هو الزيغ بعينه فَمن أخذ بالظاهر ولم يميز المحكم عن المتشابه، فقد وقع في التجسيم ، ولكن إرجاعها إلى قوله تعالى : ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ { الشورى: ١١} ، يرتفع هذا الظهور ويتبين مقصدها الحقيقي ، وتزول عن الذهن شبهة التجسيم ، ويفهم معناها المجازيّ بقرينةِ الآية المحكمة ، وهو التدبر والحاكمية والقدرة وانتظار الرحمة والثواب الألهي[٤].

يقول الطَّبَاطبائيُّ: ((إنَّ تَفسَّير القرآن بالقرآن، يكون من خلالِ استيضاح معنى الآية من نظيراتها؛ وذلك بالتدبر الذي يحثُّ عليه القرآن الكريم، والتعرف على المصاديق بما تهبه الآيات من خواصها، وحاشا أن يكون القرآن الكريم تبياناً لكل شيء ولا يكون تبياناً لنفسه)) [٥].

١/ ينظر: الفصول في الأصول ،١ / ٣٧٣.

٢/ كنز العمال في فقه القرآن، المقداد السيوري، ١ / ٦١٩. وبحار الانوار، العلامة المجلسي، ٩٠ / ١٢٧.

٣/ المحاسن، أحمد بن خالد البرقي (ت: ٢٧٤هـ، ١/ ٢٧٠.و بحار الانوار، ٨٩ / ٩٠

٤/ ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢ / ٧٦. والتمهيد في علوم القرآن، محمد هادي معرفة، ٣ / ٥٢.

٥/ تفسير الميزان، ١ / ١١.

نعم القرآن نزل فيه ما يستوضح به بعضه على البعض الأخر في ضوء تقابل الآية الكريمة بنظيرتها؛ لكن نجد هناك آيات لم تكن مفهومة المعنى من خلال ذلك التقابل على سبيل المثال، عدد ركعات الصلاة، وما تعلق بالحج من أركان، إذ لم تأتِ مفصلة، فتم بيان ذلك عن طريق النبي ﷺ ، وأهل بيته عليهم السلام من بعده ونستدل على رأينا هذا بقوله تعالى :﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ {الأنبياء: ٧} ؛ونستضيء ايضًا بروايةٍ عن الإمام الباقر عليه السلام فقال :((فرسول الله ﷺ أفضل الراسخين في العلم قد علمه الله تعالى جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل وما كان الله لينزل عليه شيئا لم يعلمه تأويله وأوصياءه من بعده يعلمونه كله))(١).

والاهتمام في رد بمتشابه القرآن إلى محكمه، يبدأ من ظاهرة لها أهميتها في تفسير القرآن الكريم، الظاهرة التي دعا إليها الإمام الرضا عليه السلام بمنهجه في رد متشابه القرآن إلى محكمه، كما في قوله عليه السلام: ((من رد متشابه القرآن إلى محكمه هدي إلى صراط مستقيم، ثم قال: إن في أخبارنا متشابها كمتشابه القرآن، ومحكما كمحكم القرآن، فردوا متشابهها إلى محكمها، ولا تتبعوا متشابهها دون محكمها فتضلوا))(٢).

فمعرفة المحكم والمتشابه أهمية في فهم القرآن الكريم؛ بإرجاع الآيات المتشابهة إلى المحكمة منها والراسخون في العلم، كما أشارت إلى ذلك الرواية المتقدمة عن المعصومين عليهم السلام ، فالمتشابه بحاجة إلى التأويل والإرشاد إلى الوجه المتعين من الوجوه المحتملة، وإذا أُرجعت المتشابهات إلى المحكمات ارتفعت جميع جوانب الإبهام والتشابه أو كثير منها.

المطلب الثالث: أسباب النزول.

١- ضرورة مراعاة سبب النزول في فهم الآيات وتفسيرها:

من المصطلحاتِ المرتبطة بالدراساتِ القرآنية الّتي برزت نتيجة الحاجة إليها بعد زمن النبي ﷺ إذ لم يكن هنالك نص صريحٌ عنه ﷺ يقول إن نزول الآية كذا ولكن أول من

١/ بصائر الدرجات، محمد بن الحسن بن فروخ (الصفار) / ٢٢٤. وسائل الشيعة، الحر العاملي، ١٨ / ١٣٢ (باب عدم جواز استنباط الأحكام النظرية من ظواهر القرآن إلا، بعد معرفة تفسيرها من كلام الأئمة عليهم السلام).

٢/ عيون أخبار الرضا عليه السلام ، الصدوق (ت: ٣٨١ هـ)، ١ / ٢٦١. الاحتجاج، الطبرسي، ٢ / ١٩٢.

أولج هذا المصطلح بعد الرسول الأعظم ﷺ الأمام علي عليه السلام ، وصحابته ﷺ ،عن عامر بن واثلة (ت:١٠٠هـ) ، قال : خطبنا أمير المؤمنين علي عليه السلام على منبرٍ في الكوفةِ قال : ((أيها الناس سلوني فو الله لا تسألوني عن آية من كتاب الله الَّا حدّثتكم عنها متى نزلت بليلٍ أو نهار، في مقامٍ أو مسير ، أم بسهل أو جبل ، وفي مَنْ نزلت في مؤمن أو منافق وما عنى الله بها أعامّ ام خاصّ))[١].

أسباب النزول: هي أخبار وردت عن أئمة أهل البيت عليهم السلام أو الصحابة الكرام، حدثت في زمن الوحي، فنقلوها، فهو منطق فهم الروايات [٢]. لذلك عُدَّ من علوم القرآن الرائدة التي اعتنى بها علماءُ المسلمين من المتقدمين والمتأخرين، وقد دل على مدى اهتمامهم بهذا العلم وكثرة الجهود المبذولة في سبيلِ تدوينه، وإفرادهم له بالعديد من المؤلفات الخاصة وتنصيصهم على أنِّه علم لازم لكل من أراد تفسير القرآن.

معرفة أسباب نزول القرآن الكريم هي الخطوة المتقدمة التي ينبغي الالتزام بها وأولى ما يصرفُ العناية إليها، لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها، ولا يَحلُّ القول في أسبابِ نزول الكتاب إلَّا بالروايةِ والسماع ممن شاهد التنزيل ووقفوا على الأسبابِ، وبحثوا عن عَلمِها وجَدُّوا في طلبه [٣]. فالجهل بأسباب التنزيل موقع في الشبهِ والإشكالات، ومورد للنصوص الظاهرة مورد الإجمال حتى يقع الاختلاف، وذلك مظنة وقوع النزاع[٤] .

نزل القرآن منجما على الرسول ﷺ، حسب مقتضيات الأمور والحوادث، وهذا يفصح أن فهم كثير من الآيات القرآنية، متوقف على معرفة أسباب النزول، وهي بمنزلة قرائن تجلي ما احتجب من بيان للنص، وقد حرم العلماء المحققون الإقدام على تفسير كتاب الله لمن جهل أسباب النزول، ولذا كان الإقدام على تفسير كتاب جل جلاله محرما على أولئك الذين يجهلون أسباب

١/شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، الحاكم الحسكاني، ١ / ٤٢. وسعد السعود، ابن طاووس (ت: ٦٦٤هـ) / ١٠٩. وبحار الانوار، المجلسي، ٣٦/ ١٩٠.

٢/ ينظر: التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، د. فضل حسن عباس، ١ / ١٥٧. دروس تمهيدية في القواعد التفسيرية، علي أكبر السيفي المازندراني، ١ / ١٤٧.

٣/ ينظر: أسباب النزول، الواحدي (ت: ٤٦٨هـ) / ٤. (وعنه نقل صاحب نفحات الازهار، على الميلاني، ٨ / ٢١٢.

٤/ينظر: الموافقات، الشاطبي ٤ / ١٤٦.

النزول، ويحاولون معرفة معنى الآية، أو الآيات دون الوقوف على أسباب نزولها وقصتها، وبلغ اهتمام علماء التفسير بأسباب النزول إلى حد عده من أهم أنواع علوم القرآن [١].

فالمعرفة بها تسهم في فهم معنى الآية، وتبيين المراد منها، وإيضاح مقاصدها، من خلال دراسة كلام الله تعالى في قرآنه من حيث ارتباطه بالأحداث والوقائع التي وقعت أيام الدعوة، فمعرفة أسباب النزول يعين كثيراً في ذلك؛ لأن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب، وإنه لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها، وبيان نزولها، فبيان النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن [٢].

إذًا هي: الأمر أو الحادثة التي وقعت في عصر الوحي واقتضت نزوله بشأنها [٣]. هذا فإن أسباب النزول يعتمد على ما نقل عن أهل البيت عليهم السلام وصحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والغرض منه، ضبط ما يتعلق بالآيات من اقترانها بالمناسبة، ليتعرف المفسر على وجه الحكمة المؤدية إلى إيجاد الحكم أو غيره من المسائل المتعلقة بالنص القرآني، فمعرفة أسباب النزول أمر جليل الخطر لا يستغنى عنه ولا يجب إهماله أو إغفاله [٤]. إذ عدت بمنزلة هوية الآية التي تجيب عن خمسة أسئلة، وهي: لماذا نزلت الآية؟ ومتى نزلت؟ وفي أي مكان نزلت؟ وفيمن نزلت؟ وكيف نزلت؟ وهذه الهوية ترشد المَفسر إلى ما هو واقع [٥].

كما إن هناك من زعم من أنه لا فائدة من معرفة أسباب النزول، وأنها لا تعدو أن تكون تاريخاً للنزول أو جارية مجرى التاريخ، وقد أخطأ فيما زعم، ومع مخالفة هذا الادعاء، لما ذكره الأئمة والعلماء، كما عرفنا تصريحهم، بأن معرفة أسباب النزول، مما يلزم للمفسر، حيث لا يمكن الوقوف على التفسير بدونه، بل يحرم كما قيل. لذا فإن لأسباب النزول فوائد متعددة لا فائدة واحدة [٦]، ومن هذه الفوائد ما يأتي:

١/ ينظر: مجلة تراثنا، مؤسسة آل البيت عليهم السلام ، العدد: ٤ / ٢٥.

٢/ ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ١ / ٢٢. وكشف الظنون، حاجي خليفه، ١ / ٧٦.

٣/ تفسير الميزان، السيد محمد حسين الطباطبائي، ١ / ٤٢. وعلوم القرآن، محمد باقر الحكيم / ٣٨

٤/ينظر: أسباب النزول، محمد بن علي الواحدي النيسابوري / ١٠

٥/ ينظر: قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، محمد فاكر الميبدي/ ٣٧٩.

٦/ ينظر: الاتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٢٨/١ ومناهل العرفان، عبد العظيم الزرقاني ،١ / ٨٧ – ٨٨. و مجلة تراثنا، مؤسسة آل البيت عليهم السلام ، العدد: ٤/ ٢٥

١- معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، وفي ذلك نفع للمؤمن وغير المؤمن أما المؤمن فيزداد إيمانا على إيمانه ويحرص كل الحرص على تنفيذ أحكامه. وأما الكافر فتسوقه تلك الحكم الباهرة إلى الإيمان إن كان منصفا حين يعلم أن هذا التشريع الإسلامي قام على رعاية مصالح الإنسان لا على الاستبداد والتحكم والطغيان خصوصا إذا لاحظ سير ذلك التشريع وتدرجه في موضوع واحد (التدرج في تحريم الخمر) (١).

٢- الاستعانة على فهم الآية ودفع الإشكال عنها، حتى ذكر الواحدي: ((لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها)) (٢)

٣- العبرة بعموم اللفظ أم بخصوص السبب؟ وقد اختلف العلماء في هذه المسألة، فذهب الجمهور إلى القول بأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وذهب آخرون إلى أن العبرة بخصوص اللفظ لا بعموم السبب، ومعنى ذلك عندهم: أن لفظ الآية يكون مقصورًا على سببه(٣). ((تخصيص الحكم بالسبب عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ، أن اللفظ قد يكون عامًا، ويقوم الدليل على تخصيصه، فإذا عرف السبب قصر التخصيص على ما عدا صورته، فإن دخول صورة السبب قطعي)) (٤). مثلاً: في قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ** ﴾{النور: ٦}، نزل في هلال بن أمية الرافعي لَمَّا قذف امرأته عند النبي ﷺ بشَريك بن سَحْماء، والآية وإن نزلت بشأن قذف هلال بن أمية لامرأته، إلا أنها عامة في الأزواج الذين يقذفون زوجاتهم بالزنا، ولم يكن لهم شهداءُ يشهدون لهم بصحة ما قذَفوهن به من الفاحشة، فعلى كلٍّ منهم أن يشهد أربع شهادات إنه لصادق فيما رماها به من الزنا، والشهادة الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين فيما اتهمها به(٥)

١/ ينظر: البرهان في علوم القرآن، ١/ ٢٢. والاتقان في علوم القرآن، السيوطي،١/ ٨٧.

٢/ أسباب النزول، محمد بن علي الواحدي النيسابوري / ٤.

٣/ ينظر: دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل/ ١٧٠.

٤/ البرهان في علوم القرآن،١/ ٢٢. والإتقان في علوم القرآن، ١/ ٨٧.

٥/ ينظر: التبيان في تفسير القرآن، الطوسي، ٧/ ٤٠٥. تفسير مجمع البيان، الطبرسي، ٧/ ٢٠٠.

٤- معرفة من نزلت فيه الآية على التعيين حتى لا يشتبه بغيره فيتهم البريء ويبرأ المتهم[١].

قد يتبادر إلى الذهن سؤال، هل ثمة فارق بين قولهم: (سبب النزول) أو (شأن النزول)؟ إن كانت هناك مشكلة حاضرة، سواء أكانت حادثة أبهم أمرها، أم مسألة خفي وجه صوابها، أم واقعة ضل سبيل مخرجها، فنزلت الآية لتعالج شأنها وتضع حلًا لمشكلتها، فتلك هي أسباب النزول، أي السبب الداعي والعلة الموجبة لنزول قرآن بشأنها ؛ وهذا أخصّ من قولهم: (شأن النزول)، لأن الشأن أعمّ موردا من السبب في مصطلحهم بعد أن كان الشأن يعني: الأمر الذي نزل القرآن ، آية أو سورة لتعالج شأنه بيانًا وشرحًا أو اعتبارًا بمواضع اعتباره، كما في أكثريّة قصص الماضين والإخبار عن أمم السابقين، أو عن مواقف أنبياء وقدّيسين، كانت مشوهة وكادت تمسّ من كرامتهم أو تحط من قدسيتهم، فنزل القرآن ليعالج هذا الجانب، ويبيّن الصحيح من حكاية حالهم والواقع من سيرتهم بما يرفع الإشكال والإبهام، وينزّه ساحة قدس أولياء الله الكرام وعليه فالفارق بين السبب والشأن – اصطلاحا – أنّ الأول يعني مشكلة حاضرة لحادثة عارضة. والثاني مشكلة أمر واقع، سواء أكانت حاضرة أم غابرة. وهذا اصطلاح ولا مشاحّة فيه [٢]. فقولهم: نزلت في كذا أعمّ، قد يراد السبب العارض، وقد يراد شأن أمر واقع في الغابر وأحيانا يراد بيان حكم وتكليف شرعي دائم، وكانت عادة الصحابة والتابعين أنّ أحدهم إذا قال: نزلت هذه الآية في كذا، فإنّه يريد بذلك أنّ هذه الآية تتضمّن هذا الحكم، لا أنّ هذا كان السبب في نزولها [٣].

فحينما نبحث عن شأن نزول آية أو جملة آيات ينبغي أن نتناول بالبحثِ كلّ ما من شأنه أن يلقي الضوء على جانبٍ من الجوانبِ المتصلة بنزول الآية؛ كالوقائع التاريخية ذات الصلة بموضوع الآية، سواء أكانت سببًا مباشراً لنزول الآيات أم لا، وسواء أكان زمان حصول تلك الواقعة أو الوقائع مقارنة لنزول الآية أم لا. فمثلًا: واقعة (هجوم أبرهة)، تعد شأن النزول

١/ ينظر: التمهيد في علوم القرآن، محمد هادي معرفه، ١ / ٢٤١.

٢/ ينظر: التمهيد في علوم القرآن، ١/ ٢٥٤. وقواعد التفسير لدى الشيعة والسنة محمد فاكر الميبدي / ٣٨٠.

٣/ البرهان في علوم القرآن، الزركشي/ ٣١.

سورة الفيل، ولا تعد سببا لنزولها؛ لأنها لم تحصل في زمان نزول الآيات وهي إخبار عن وقائع ماضية حدثت قبل النزول [1].

وقد تكون واقعة تتصف بشأن النزول وسبب النزول في آن واحد؛ مثل واقعة (ليلة المبيت) وفداء الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في تلك الليلة للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾{ البقرة: ٢٠٧} ، فعدَّ ذلك شأنًا وسببًا للنزول معًا، وقد تكون واقعة سببا للنزول، ولا تكون شأنا للنزول، كما هو الحال بالنسبة إلى ما ورد من حادثة إنفاق الإمام علي عليه السلام بخصوص قوله جل جلاله: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ { المائدة: ٥٥}، إذ عدت الحادثة سببا للنزول، وليست شأنا للنزول، نظراً إلى أن سياق الآية ومضمونها يتحدثان عن الولاية وبيان واقعها الخارجي دون بيان مزية الإنفاق[2]

فلهذا العلم دور مهم في فهم معاني القرآن الكريم، وكذلك له دور بارز في حلّ معضلات التفسِير؛ لإنّها ترفع النقاب عن وجوه كثير من الآيات نزلت لتعالج مشكلة في وقتها، لكنها في الوقت نفسه ذات وجه عام تعالج مشاكل الأمّة عبر الحياة. وربّما كان الوقوف على الحادثة الأولى، والمناسبة الأولى التي استدعت نزولها، من خير الوسائل لكشف الإبهام عن وجه الآية؛ إذ فيها الإشارة لا محالة إلى تلك الواقعة [3].

فالمتتبع لـ(أسباب النزول – وشأن النزول) يدرك أهميتهما للمَفْسر لكتاب الله تعالى، فهي تعدُّ مِنْ أهم الوظائف الّتي تعنى بالكشفِ والإبانة وإظهار المعنى المراد، لأنّ الهدفَ منها تقريب المعاني للأذهان، ولأن ربط الأسباب بالمسبباتِ، والأحكام بالحوادثِ، والحوادث بالأشخاص، والأزمنة والأمكنة، كل ذلك مِن دواعي تقرير الأشياء، وثبوتها في الذهن وسهولة استذكارها، عند استذكار مقارناتها في الفكر، وهذا يتحصل بحسبِ الفَهْم العربي للنصوص تارةً ، وبحسب الفهم الديني تارة أخرى ، كما عدَّت أهميتها في حلِ المعضلات العقدية ، كما وسمها بذلك محمد هادي معرفة، كالسعي بين الصفا والمروة، والتوجه نحو القبلة في الصلاة،

١/ينظر: الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ١/ ٩٣.

٢/ ينظر: أساسيات علم التفسير، اعداد: مركز المعارف الإسلامية / ١١٤– ١١٥.

٣/ ينظر: التمهيد في علوم القرآن، محمد هادي معرفة، ١/ ٢٤١ – ٢٤٢.

إذ إنّها ترفع النقاب عن وجوه كثيرة من الآيات، نزلت لتعالج مشكلة في وقتِها، لكنَّها في نفسِ الوقت ذات وجه عامّ تعالج مشاكلَ الامّة عبر الحياة ، الأمر الذي لا محيد عنه من الوقوف على أسباب النزول بعد أن كانت الآية مرتبطة بالحادث المستدعي للنزول وناظرة إليه إذ عدَّ ذلك طريقاً قويّاً في فَهْمِ معاني كتاب الله تعالى(١).

٢- سبب النزول وشأنه لا يوجب حصر معنى الآية في موردها.

مهما قلنا بضرورة رعاية أسباب النزول الخاصة، حتى كاد بعضهم يقصر الألفاظ القرآنية العامة، على ما وردت فيه في عصر النبوة، وهذا لا يقبل بحال، كون القرآن الكريم وآياته الشريفة لم يجعل لزمان دون زمان، ولا لقوم دون قوم(٢)، نلحظ هذا المعنى في ظلِ الروايةُ الواردة وعن أبي جعفر الصادق عليه السلام قال:((أن القرآن حيٌّ لا يموت، والآية حيّة لا تموت، فلو كان نزول الآية في قومٍ وماتوا لماتت الآية ومات القرآن، ولكنَّها جارية في الباقين، كما جرت في الماضين)) (٣) ، فالقرآن قضاياه قضايا حقيقية متحركة، فالآية النازلة في شأن إفراد أو قضية ما، لا بد من سريانها على غيرهم، وهذا هو الأصل المسلم في باب التفسير ان النظر بعموم اللفظ لا خصوصية المورد (٤).

اتفق جلّ المفسرين على أن الآية النازلة في واقعة تتعدى إلى غير سببها، ويعبر عن مورد النزول بالتنزيل، وعن الذي تتعدى إليه الآية بالتأويل (٥). أن رجلًا سأل أبا عبد الله عليه السلام ، قال: جعلت فداك، كيف كان القرآن جديدًا أبدًا؟ قال: ((لأنه لم يجعل لزمان دون زمان فتخلقه الأيام، ولو كان كذلك لفني القرآن قبل فناء العالم)) (٦)، كذلك : اتفق المحققون من العلماء: إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وقد جاءت آيات لها أسباب نزول، واتفقوا على

١/ ينظر: المصدر نفسه ، ١/ ٢٤٢.

٢/ ينظر: قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، محمد فاكر الميبدي / ٣٨٤.

٣/ تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، ٢/ ٢٠٣. وبحار الانوار، ٣٥ / ٤٠٣. موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ، هادي النجفي، ١٢ / ٨.

٤/ ينظر: بدائع الكلام في تفسير آيات الأحكام، محمد باقر الملكي / ٣٩.

٥/ ينظر: التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، ٢/ ٤٣٦. وعلوم القرآن، محمد باقر الحكيم / ٤١. وقواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، محمد فاكر الميبدي/ ٣٨٤.

٦/ بحار الأنوار، المجلسي، ١٠/ ٢٠٩. والبرهان في تفسير القرآن، هاشم البحراني ٥/ ٧٤٩.

تعديتها إلى غير أسبابها، كنزول آية الظهار في سلمة بن صخر (ت: ق١هـ)، ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ﴾ {المجادلة: ٢ }، وآية اللعان في شأن هلال بن أمية(ت: ق١هـ) الذي تخلف عن غزوة تبوك مع النبي ﷺ ، ثم تعدت إلى غيرهم [١]. وهذا السبب مازال قائماً إلى يومنا هذا، وأن كان النازل خاص في شخص سلمة بن صخر، الا أن سريان أمر النهي عن الظهار الى قيام الساعة، فالعبرة جاءت بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، إذ يجوز أن يكون السبب خاصا والوعيد عامًا؛ ليتناول كل من باشر ذلك القبيح، وليكون ذلك جاريا مجرى التعريض [٢].

كذلك: قد يجيء كثيرًا من هذا الباب في قولهم إن هذه الآية نزلت في كذا، لا سيما إن كانَ المذكور شخصًا، فالذين قالوا ذلك لم يقصدوا أن حكم الآية يختصُّ بأولئك الأعيان دون غيرهم، فإن هذا لا يقوله مسلم ولا عاقل على الإطلاقِ والناس بإن تنازعوا في اللفظ العام الوارد على السبب: هل يختص بسببه؟ فلم يقل أحد إن عموميات الكتاب والسنة تختص بالشخص المعين، وإنما غاية ما يقال إنها تختصّ بنوع ذلك الشخص فيعم ما يشبهه، ولا يكون العموم فيها بحسب اللفظ. والآية التي لها سبب معين إن كانت أمرا أو نهيًا فهي متناولة لذلك الشخص ولغيره ممن كان بمنزلته، وإن كانت خبرا يمدح او ذم، فهي متناولة لذلك الشخص ولمن كان بمنزلته [٣]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ {المائدة: ٣٨}؛ ورد في بيانها إنَّها وأن نزلت في أشخاص معلومين، إلَّا إنها جارية في كلِّ سارق وسارقة؛ وذلك لأنَّ القرآن كتاب عام دائم لا يتقيد بزمان أو مكان، ولا يختص بقوم أو حادثة خاصة [٤] .

وهذا ما أكّده الطباطبائيُّ قائلاً :((أن القرآن نزل هُدىً للعالمين، يهديهم إلى واجبِ الاعتقاد والعمل وما بَيَّنَهُ من المعارفِ النظرية حقائق لا تختص بحال دون حال، ولا زمان دون زمان ، وما ذكره من فضيلة أو رذيلة أو شرعه من حكم عملي لا يتقيد بفرد دون فرد ولا عصر

١/ ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ١ / ٢٤. وكيف نتعامل مع القرآن العظيم، محمد الغزالي/ ٢٥٢. وقواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، / ٣٨٥.

٢/ينظر: تفسير الكشاف، الزمخشري، ٤ / ٢٨٣. وزبدة التفاسير، فتح الله الكاشاني، ٧/ ٥١٠.

٣/ ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١٣ / ٣٣٩. الاتقان في علوم القرآن،السيوطي، ١/ ٩١.

٤/ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٥ / ٣٦٤. و أسباب النزول ، الواحدي / ١٣٠ .

دون عصر لعمومِ التشريع ؛ وما ورد من شأن النزول ، وهو الأمر أو الحادثة التي تعقب نزول الآية أو الآيات في شخص أو قضية، لا يوجب قصر الحكم على الواقعةِ لينقضي الحكم بانقضائها ويموت بموتها لأنَّ البيان عام والتعليل مطلق)) [١].

ظهر في ضوءِ العرض السابق أهمية معرفة سبب النزول في التفسير، إذ لو جمدت هذه الآيات النازلة على تلك الحادثة او الواقعة، لخمد نور القرآن الكريم الذي به يهتدى من نزل فيهم، وانقطع الحجاج به في واقعة من الوقائع التي بعد عصر التنزيل، وتعطل العمل بمضمونه؛ إلَّا إنَّ الناظر لكلام الله تعالى يجد فيه الخطاب الصالح لكلِّ زمان ومكان وعلى مدى الدهر واختلافاته فيجري في اللاحق كما جرى في السابق.

٣- معرفة ثقافة المعاصرين للنزول دور مهم في فهم وتفسير القرآن الكريم.

من الأمور التي لها تأثير في كشف المعنى عند تفسير القرآن الكريم، هو معرفتك بالخصائص والقرائن المحيطة بالنص التي كانت داعية لنزولِه والتي تعد من القواعد المؤثرة في فهم النص القرآني، هي ثقافة المعاصرين للنزول، وما رافق ذلك من ملابسات كانت سببا في النزول.

المقصود من الثقافة: هي الآداب، والسنن، والعقائد، والعلوم والجو الفكري، والاجتماعي والسياسي، لعصر نزول القرآن، والتي كانت سائدة عند عرب الجزيرة العربية عند نزول الوحي [٢]. فمعرفة هذه العناصر تشكِّلُ أرضية وقرينة لفهم بعض الآيات؛ كونها ناظرة إلى الوقائع والسنن والآداب لذلك العصر، وأن عدم الاهتمام بها يشكل عقبة في فهم القرآن.

قال الواحدي:((ولا يحل القول في أسبابِ نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب وبحثوا عن علمها)) [٣]. فهي أَمَّا أن تكون مروية عن طريق أحد المعصومين ﷺ أو الصحابة الكرام [٤] . أو من خلالِ المناسبات الزمانية والمكانية والشخصية والجماعية الّتي نزلت فيها آيات معينة، بيانًا لحكم فيما استشكل فهمه، أو أغمض عليهم

١/ تفسير الميزان، ١ / ٣٨٦.

٢/ ينظر: منطق تفسير القرآن أصول وقواعد التفسير، محمد علي الرضائي / ٣٤٦- ٣٤٧.

٣/ أسباب النزول، محمد بن علي النيسابوري/ ٤ .

٤/ ينظر: دروس تمهيدية في القواعد التفسيرية، علي أكبر السيفي المازندراني، ١/ ٨٩

تفسيره، إذعدَّ البعض إنَّه لا يمكن معرفة تفسير الآية من غيرِ الوقوف على قصتها وبيان نزولها عن طريق تلك الرواية أو النقل عَمن شاهد التنزيل، إذ هي أول ما يجب الوقوف عليها ويصرف العناية إليها، لامتناع معرفة تفسير الآية وقَصد سبيلها دون الوقوف على قصتِها وبيان نزولها [١].

سأل محمد بن سيرين (ت: ١١٠هـ)، عبيدة بن عمر السلماني (ت: ٧٢هـ) عن آية من القرآن فقال:((اتق الله وقل سدادا، ذهب الذين يعلمون فيم أنزل الله القرآن))[٢] فهو أمر يتحصل بالمعرفة بقرائن تحتف بالقضايا، وقد عرفنا في الفقرة السابقة من أن طرق معرفة أسباب النزول هي روايات الصحية والمشاهدة للنازل في ضوء الملابسات التي كانت من دواعي النازل.

ففي سبب نزول آية التبليغ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ { المائدة: ٦٧} ، يكون الخبر الصدق الوارد عمن شاهد التنزيل ووقفوا على الأسباب، فيجب التصديق به والإعراض عن غيره ؛ لأنَّه من الكذبِ على القرآن ، ومن كذّبَ على القرآن فليتبوأ مقعده من النار[٣]. فما يذكره الصحابي في باب النزول، إنما يكون عن علم وجداني حصل عندهم بمشاهدة القضايا، ووقوفهم على الأسباب، فيكون إخبارهم عنها من باب الشهادة [٤].

مثال آخر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ ﴾{ البقرة: ١٨٩}، في نظرةٍ أولية لهذه الآية، يقدح في الذهنِ هذه الرؤية، وهي أنَّ دخول البيوت من أبوابها أمر طبيعي، فلماذا يذكره القرآن؟ وبعد التأمل في ثقافةِ العرب السائدة آنذاك أنَّهم في حال الإحرام لا ينبغي أن يدخلوا البيت من الباب الاعتيادي، بل المستحسن هو الدخول من ظهر البيت

١/ ينظر: لباب النقول في أسباب النزول، السيوطي/ ٣. خلاصة عبقات الانوار، حامد النقوي (ت: ١٣٠٦هـ)، ٨ / ٢٢٣.
٢/ أسباب النزول، محمد بن علي الواحدي، النيسابوري / ٥. والاتقان في علوم القران، السيوطي، ١ / ٩٢.
٣/ ينظر: خلاصة عبقات الانوار، حامد النقوي ، ٨ / ٢٢٣.
٤/ ينظر: مجلة تراثنا، مؤسسة آل البيت عليهم السلام ، العدد: ٤/ ٣٧.

فجاء رجل من الأنصار فدخل مِنْ باب البيت فكأنَّه عُيِّرَ بذلك فجاءت هذه الآية رادّة على هذه الخرافة الجاهلية، فهو عمل مستقبح ومستهجن [١] .

ففهم الثقافة لزمان النزول في بيان الآيات، هي أمر موافق لسيرة العقلاء، وثَّمةَ شواهد قرآنيَّة متعددة تؤيدها، وهو ما صرح به من المحققين في التفسير وقواعده ،قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾{التوبة: ٣٧} ، النسيء تأخير الشيء ، فمعنى الإنساء تأخير الأشهر الحرم عما رتبها الله سبحانه عليه ، فكانت العرب تحرم الشهور الأربعة وهي من المواريث المكتسبة في ثقافتها والسبب فيه أنّ العرب كانوا أصحاب غارات وحروب، فشقّ عليهم أن يمكثوا ثلاثة أشهر متوالية لا يغيرون فيها وقالوا : إن توالت ثلاثة أشهر حرم لا نصيب فيها شيئا لنهلكن فلهذا كانوا يؤخرون تحريم المحرم إلى صفر فيحرمون الصفر ويستحلون المحرّم ، وهذا التأخير ما كان يختصّ بشهر وأحد بل كان حاصلًا في كلّ الشهور، وهي إحدى العادات الجاهلية [٢] ؛ومن الأمور التي حاربها الإسلام والتي كانت نتاج الثقافة الجاهلية ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾{ الأحزاب: ٣٦} ، نزلت في قصّة زيد بن حارثة(ت: ٨هـ) عندما خطب له النبي ﷺ بنت عمّته زينب بنت جحش(ت: ٢٠هـ) فاستنكرت ، فلما نزلت الآية قالت: رضيت يا رسول الله ﷺ وجعلت أمرها إلى رسول الله ﷺ فالقضية ليست قضية شخصية، بل الظاهر أنها كانت اجتماعية ولا سيما بعدما طلقها زيد وتزوّجها النبي ﷺ ، فكأنّ الغرض من ذلك كلّه نقض عادتين خرافيتين من عادات الجاهلية : الأولى الاشمئزاز والاستنكاف من تزويج امرأة قرشية لمولى من الموالي ، والثانية اعتبار كون الأدعياء أبناء وكون أزواجهم في حكم أزواج البنين[٣].

١/ ينظر: صحيح البخاري، ٥ / ١٥٦. والسنن الكبرى، النسائي، ٦/ ٢٩٨. وعمدة القرئ، العيني، ١٨ / ١٠٨وتفسير الأمثل، مكارم الشيرازي، ٢/ ١٤. منطق تفسير القرآن أصول وقواعد التفسير، محمد علي الرضائي / ٣٤٧.

٢/ ينظر: مجمع البيان، ٥ / ٤٤. وكشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، ٢ / ٥. وتفسير مقتنيات الدرر، مير سيد علي الطهراني (ت: ١٣٥٣هـ)، ٥ / ١٣٨.

٣/ ينظر: تحفة الأحوذي، المباركفوري (ت: ١٢٨٢هـ)، ٩/ ٥٥. ونظام الحكم في الإسلام، الشيخ المنتظري ،١/ ٣٢.

وعليه فأن الوصول إلى المقصد الصحيح من الآية يكمن بالوقوف على هذه الثقافة، التي كانت شائعة عند العرب في زمنها.

ومن جانب آخر ، نجد القرآن يقبل العناصر الإيجابية في الثقافة الجاهلية ، من ذلك قوله ﷻ :﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ {البقرة: ١٥٨} ، فعن الإمام الصادق عليه السلام : كانَ المسلمون يرون أن الصفا و المروة ، مما ابتداع أهل الجاهلية فأنزل الله هذه الآية و إنما قال: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾، و هو واجب أو طاعة؛ لأنَّه كان على الصفا صنم ، يطلق عليه إساف، وعلى المروة صنم ، يقال له نائلة، وكان المشركون إذا طافوا بهما مسحوهما فتحرج المسلمون عن الطواف بهما لأجل الصنمين فأنزل الله تعالى هذه الآية، فرجع رفع الجناح عن الطواف بهما إلى تحرجهم عن الطواف بهما لأجل الصنمين لا إلى عين الطواف ، فرفع الله ذلك الجناح من قلوبهم ، وأمرهم بالطواف ، فثبت أنها نزلت رداً على من كان يمتنع من السعي [١].

هنا نجد القرآن قبل العناصر الإيجابية، في الثقافةِ الجاهلية، ورقاها؛ كمراسم الحج الإبراهيميّ، إذ كان عربُ الجاهلية يقيمونها، وقد أكدَّ عليها الإسلام ومِنَ الطبيعي، أن يكون للقرآن هدف في عرض الأمثال، والكنايات والصناعات الأدبية؛ وذلك لأنه نزل بلغة القوم، وكل أمر له وجود حقيقي في الثقافة العربية مثل مبحث الجن والملائكة والشيطان، نجد القرآن الكريم تناوله بالتوضيح، وأما الأمور الباطلة والخيالية فقد نأى القرآن بنفسه عنها ولم يذكرها[٢].

٤-زمان النزول ومكانه لهما دور مؤثر في تفسير القرآن الكريم.

من الأمور المهمة التي يستضيء بها المفسر وتكوين الفهم للآيات القرآنية هو معرفة زمان النزول ومكانه مكية السور ومدنيتها، فهي من الموضوعات الّتي تبحث عادةً في علوم القرآن، لا سِيَّما أن مثل هذه الموضوعات لها الأثر البين في الوقوفِ الصحيح على مقصد النص القرآني؛ إذ تعرضت كثير من الأحاديث لبيان مكان نزول الآيات أو نوع الحادثة التي وقعت الآية في أثنائها أو بعدها، وهذا الأمر له تأثير مهم في توضيح مفاد الآية.

١/ ينظر: تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، ١/ ٤٠٤. البرهان في علوم القران، الزركشي ،٢ / ٢٠٢.

٢/ ينظر: منطق تفسير القرآن أصول وقواعد التفسير، محمد علي الرضائي / ٣٤٩.

فبعض آيات القرآن نزلت في مورد خاص، وخصوصية ذلك المورد محل تأمل، ونرصد أنموذجًا لمثل هذه الآيات. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴾ {آل عمران: ١٧٣}، عن أبي رافع، قال: أنّ النبي ﷺ وجّه عليّا عليه السلام في نفر في طلب أبي سفيان بن حرب (ت: ٣٢هـ)، فلقيه أفراد معدودون من الأعراب، قيل: من خزاعة، أو ركب من التجار، وقيل: من غيرهم، فقال له:﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ ﴾، يعني: أبا سفيان وأصحابه، فإن المراد من الآية، ومن لفظة (الناس)، لا يفهم إلا من خلال معرفة زمان النزول ومكانه، ويتضح بعد ذلك أن المقصود من الناس [١]. فان مفردة الناس المراد بيان مَقَصدها في النصّ الكريم، لا تشمل عموم الناس، بل هم أفراد مخصوصين بأعينهم، وهذا لا يمكن تحصيله إلا من خلال معرفة زمان النزول ومكانه الذي من أجله نزلت الآية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾{المائدة:٦٧}.فإن فهم هذه الآية منوط بالعامل الزمان والمكان، حيث اختلف المفسرون في تحديد المقصود من قوله تعالى: (ما أنزل إليك) بين قائل إنه عبارة عن الجهاد والقتال مع المشركين، وقائل إنَّه عبارة عن سبِ الأصنام وذكر معايبها، وما إلى ذلك من آراء، ولكنَّ المقصود يتضح بعد تحديد زمان الآية ومكانها، إذ تواترت الروايات بشأن نزول هذه الآية في حجة الوداع في غدير خم، وهذا التدقيق في النزول الزماني والمكاني لم يبق أي مجال للأقوال سوى نزولها يوم الغدير [٢].

وعلى أية حال، فمسألة المكي والمدني والقرائن التاريخية المكانية والزمانية، لها دور مؤثر في فهم القرآن، ومن اللازم على مَفْسر القرآن العناية بها، والعناية بها تحقق ما يأتي:

١. بيان المقصود والمراد من الآية ومفرداتها.

١/ ينظر: تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، ٢ /٤٤٧. والدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، ٢ / ١٠٣. وتفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، محمد بن محمد رضا القمي المشهدي (ت: ١١٢٥هـ)، ٣ / ٢٦٩.

٢/ ينظر: مناقب آل ابي طالب، ابن شهر آشوب (ت: ٥٨٨هـ) ، ٢/ ٢٢٤ . واساسيات علم التفسير، اعداد: مركز المعارف الإسلامية، / ١١٧.

٢. تحديد المصاديق الفعلية والمفترضة للآية.

٣. استبعاد المعاني الأخرى المتصورة للآية بمعزل عن عاملي الزمان والمكان [١].

أننا نرى إنَّ لعاملي الزمان والمكان، ما يعين على فَهْمِ الآيات القرآنيَّة فهمًا قويمًا، إذ أستوجب من القارئ أو المفسر للقرآن الكريم أن يكون ملّمًا بهما، وبالأحداث التي رافقت نزولها، والشواهد على هذا الارتباط بين أسباب النزول وظروفها ودواعيها الذي بدوره يعين كثيرًا على فَهْمَ الآية القرآنيَّة كثيرًا.

المطلب الرابع: الآيات القرآنية بألفاظها ومعانيها من الله تعالى.

القرآن الكريم كلام ﷻ المعجز في نظمهِ وتأليفه، وترابط كلماته، ووحدة موضوعه، فهو كلامه تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بينِ يديه، وقد نزل على نبيه ﷺ بألفاظه وحروفه فبلَّغَهُ ﷺ إلى أمتهِ كمَّا نزلَ دون زيادة أو نقيصة، فقد جاء في بناء محكم، متماسك السبك متين الأسلوب، متصل بعضه ببعض، كأنه عقد منتظم تناسقت حروفه وائتلفت كلماته وجمله وآياته، والتحمت معانيه في انسجام تام حتى جاء أوله مرتبطاً بآخره، وآخره مؤتلفاً مع أوله [٢]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٤٢ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٣ ﴾{ الحاقة } لو فصل بين اختيار المتكلم العظيم وأخر من البشرِ، تبين لنا وجه مفارقة اللفظ والاسلوب القرآني للفظ وللأسلوب البشري، من حيث أن طبيعة الإنسان مهما كانت ثقافته، ومهما اتسعت معارفه، تجعله لا يستطيع أن يطوع ألفاظ اللغة لكل ما يتصوره، من دقائق المعاني، ولطائف الأخيلة ؛ بيد أن القرآن الكريم لا يعجزه إطلاقا، أن تكون الكلمة دومًا على مستوى المعنى المراد، وبأدق وجه، وفي أكمل صورة، وهذا سر إعجازه وآية من آيات بلاغته وروعته [٣].

ولهذا قيل: ((إن كلام الله – جل ثناؤه – أعلى وأرفع من أن يضاهي أو يقابل أو يعارض به كلام، كونه في نهاية التلاؤم المنافي للتنافر في تأليف اللفظ والمعنى، وكيف لا يكون

١/ ينظر: اساسيات علم التفسير، اعداد: مركز المعارف الإسلامية / ١١٧

٢/ ينظر: عقائد الإمامة، محمد رضا المظفر (ت: ١٣٨٣هـ) / ٥٩. وبداية المعارف الإلهية في شرح العقائد الامامية، محسن الخزازي، ١ / ٢٨٥. وبحوث في تاريخ القرآن وعلومه، مير محمدي زرندي / ١٨٣.

٣/ ينظر: الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، د. محمد كريم الكواز / ٢٧٢.

كذلك، وهو كلام العلي الأعلى خالق كلَّ لغةً ولسان)) [١]. فالمتصديين لفَهْم معاني القرآن، لا يصلونَ إلى منتهاه بالرغم من إن لسان العرب أوسع الألسنة مذهبًا، وأكثرها ألفاظًا ، لأنَّه غير متناهي المعاني، بل وفيها دلالة على إن معاني القرآن لا تنقص أصلاً، ولا نعلمه يحيط بجميع علمهِ إنسان غير نبيه ﷺ [٢].

فاختيار الألفاظ في القرآن الكريم جوانب متعددة ، من حيث الدلالة على المعنى دلالة فائقة الوضوح، فقد تعبر الكلمة بجرسها عن المعنى، وقد راعى في اختيارها مشاكلة الفواصل، وقد تندرج ضمن فن بلاغي يزيد المعنى وضوحا، إلا أن ذلك وغيره ينبع من أصلٍ كبير وهو الدقة المتناهية في الاختيار؛ لأنَّ المعنى القرآني يتأنق في اختيارِ ألفاظه تأنقٍا فائقًا، يلحظ فيه الفروق الدقيقة بين معاني الكلمات، فيستعمل منها ما يؤدي المعنى في دقة فائقة، تشعر قارئه كأن هذا المكان أو الموضوع ، إنما خلقت له تلك الكلمة بعينها، وأن كلمة أخرى لا تستطيع توفية المعنى الذي وفت به أختها، فكل لفظة وضعت لتؤدي نصيبها من المعنى أقوى أداء[٣] ، ولا شك في أن هذا الحكم ينطبق على كل الألفاظ القرآنية ؛ فلفظة (**ٱلۡحَمۡدُ**) في قوله تعالى: ﴿ **ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ** ﴾**{ الفاتحة: ٢}** ، مختارة من ألفاظ قريبة منها كالمدح والشكر وغيرهما، ولكن بين كل زوج من هذه الكلمات فروق دقيقة لوحظت في سياقها من القرآن الكريم، فمعنى الحمد لله تعالى الثناء عليه بالفضيلة، وهو أخص من المدح[٤].

من هنا تفهم الدقة التي كان عليها رسول الله ﷺ في تلقيه للوحي الإلهي، حتى على مستوى مفردة (قل) حيث كان يحرص على نقلها ،﴿ **قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ **{الإخلاص: ١}** ﴿ **قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ** ﴾ **{الناس: ١}**؛ ﴿ **قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ** ﴾**{الفلق: ١}** في حين أن الأمر إذا كان من شخص آخر فإنه قد يحذف مفردة (قل)؛ غير أن النبي ﷺ ولغرض حفظ الأمانة كان ينقل المفردة النازلة باعتبارها قرآنا موحى به ، فلا معنى لقول القائل: إن المعاني النازلة على النبي ﷺ هي وحيٌ والألفاظ من صنع النبي ﷺ ؛ بل إن الإعجاز اللفظي للقرآن

١/ التبيان في تفسير القرآن، الطوسي، ٦ / ٩٢.

٢/ينظر: الرسالة، الشافعي / ٤٢. والأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم /٢٤.

٣/ ينظر: الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، د. محمد كريم الكواز / ٢٧٣.

٤/ ينظر: المصدر نفسه/٢٧٣.

الكريم المتمثل بالفصاحة والبلاغة وغيرهما متوقف على هذا الأمر، وإن الاختلاف بين أحاديث النبي ﷺ والقرآن هو في قضية الإعجاز، وهي نفسها شاهد حقيقي على أن آيات القرآن ليست من صنع البشر، فمعاني القرآن والأحاديث النبوية كلٌّ من عند الله تعالى ؛ غير أن الفارق يكمنُ في مستوى الكلاميين على أن ألفاظ الأحاديث النبوية من النبي ﷺ ، وألفاظ القرآن هي من الله تعالى، ومن هذا يمكن أن يُدرك أن أصل تفسِير القرآن هو ذات الألفاظ القرآنيَّة الموحى بها للنبي ﷺ والتي وصلتنا بالتواتر [١]

إذ عد هذا من القواعد المهمة في تفسير النص، فإنَّ للنصَّ القرآني قابلية غير محدودة، في بيان آياته وهي من خواصه الإعجازية، التي لم يبلغ مكنوناتها إلَا الخواص، والتي تحتاج الى دراية وقدرات مميزة.

١/ ينظر: منطق تفسير القرآن أصول وقواعد التفسير، محمد علي الرضائي / ٣٤٦.

المطلب الاول: مفهوم التفسير المقاصدي، ضوابطه و مشروعيته.

أولا : المقاصد لغةً واصطلاحًا:

في اللغة :

من المسلم به أنَّه لم يكن غائباً عن علمائنا المتقدمين العمل بالمقاصد واستحضارها في اجتهاداتهم وآرائهم، إذ تطلق مادة (ق ـ ص ـ د) في عرف اللغويين وترد بعدّة معانٍ منها:

١. اسْتقامة الطَّرِيقة، قصد يقصد قصداً فهو قاصد، والقصد في المعيشة ألاَّ يسرف أو يقتر[١].

٢. الاستقامة والاعتدال، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾{ لقمان: ١٩} أي: على الله تبيين الطريق المستقيم، والدعاء بالحجج والبراهين الواضحة [٢].

٣. إتيان الشيء، أي: قصدته، وقصدت إليه وقصدت له بمعنى واحد [٣].

٤. الاكتناز والامتلاء، تقول العرب:((ناقة قصيد، أي مكتنزة ممتلئة من اللحم)) [٤].

٥. أَصل (ق ص د)، ومواقعها في كلام العرب الاعتزام والتوجه والنهوضُ نحو الشيء، على اعتدال كان ذلك أَو جَوْر، هذا أَصله في الحقيقة وإن كان قد يخص في بعض المواضع بقصد الاستقامة دون الميل، أَلا ترى أَنك تَقْصِد الجَوْرَ تارة كما تقصد العدل أُخرى فالاعتزام والتوجه شامل لهما جميعاً [٥]، وصرح الراغب الأصفهاني بقوله: جاء لفظ (قصد) في القرآن في ستة مواضع، يفيد أغلبها التوسط، والاستقامة، والاعتدال [٦]. نخلص من كلام اللغويين أن مادة (قصد) في الاستعمال اللغوي تدل على معان مشتركة ومتعددة، إلَّا أن الغالب عند إطلاقها انصرافها إلى أمّ الشيء وإتيانه والعزم عليه والتوجه نحوه.

١/ ينظر: العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ٥ / ٥٤ (ق. ص. د). وتهذيب اللغة: محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ)، ٨ / ٢٧٤، وينظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي /٣١٠

٢/ ينظر: لسان العرب، ابن منظور،٣ /٣٥٣، (فصل القاف)..

٣/ ينظر: لسان العرب، ٣ / ٣٥٣ (فصل القاف). ومجمع البحرين، فخر الدين الطريحي (ت: ١٠٨٥هـ)، ٣ / ١٢٨. تاج العروس، الزبيدي، ٥ / ١٩٠ (قصد).

٤/ معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٥/٩٥- ٩٦.

٥/ ينظر: لسان العرب، ٣ / ٣٥٥ (فصل القاف). وتاج العروس، ٥ / ١٩٠ (قصد).

٦ / ينظر: مفردات ألفاظ القرآن / ٦٧٢ (قصد).

في الاصطلاح:

استعمل المفسرون وغيرهم من الفقهاء والأصوليون هذا المعنى تحت العديد من المسميات والتي عنوا بها الألفاظ المستعملة بمعنى المقاصد ومن تلك الألفاظ: الحكم، والحكمة، والأسرار، والغايات، والأهداف، والأغراض [١].

١- المقاصد: بيان مصالح الطاعات والمعاملات وسائر التصرفات وليجتهد العباد في تحصيلها، وبيان مقاصد المخالفات ليسعى العباد في درئها، وبيان مصالح العبادات ليكون العباد على خبر منها، والشريعة كلها مصالح، إما تدرأ مفاسد أو تجلب مصالح [٢]. يظهر إن مقاصد القرآن هي بيان الغايات التي أنزل الله تعالى القرآن لأجلها؛ تحقيقًا للمصالح العباد، **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾{البقرة: ٢}.

٢- ساق الشاطبي في معرض حديثه عن المقاصد: هو الخطاب الموجه إلى العباد تفهيم ما لهم وما عليهم، مما هو مصلحة لهم في دنياهم وأخراهم، وهذا يستلزم كونه بيّنًا واضحًا لا إجمال فيه ولا اشتباه[٣].أورد في بيانه كلمة (تفهيم) وهي إشارة تنبئ عن المقصود من الخطاب.

٣- كذلك: هي علم يدرك منه مقاصد السور وموضوعاتها إي كل سورة على حيالها، وغرضه معرفة الصواب من تفسير كل آية من تلك السور، ومنفعته التبحر في علم التفسير، فإنه يثمر التسهيل والتيسير. ونوعه: التفسير، ورتبته:((أوله فيشتغل به قبل الشروع في التفسير، فإنه كالمقدمة له من حيث إنه كالتعريف؛ لأنه معرفة تفسير كل سورة إجمالاً)) [٤]. نلحظ في التعريف إنّ المقاصد توقف عليها بيان المراد على مستوى الآية والسورة برمتها، وهو المتوخى الذي يسمو إليه المفسر من عملية تفسيره لكشف مراد الله تعالى، و يلحظ أيضًا إن البقاعي اوجوب المعرفة التامة به لعظيم الأثر، وجليل القدر، في الكشف عن المراد الحقيقي لمراد الله، من تفسير آياته بقدرة الطاقة البشرية.

١/ ينظر: مقاصد القرآن من تشريع الاحكام، عبد الكريم حامدي، ١/ ٢١.

٢/ ينظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام، عزالدين بن عبد السلام الملقب بسلطان العلماء (ت: ٦٦٠هـ)، ١/ ١٠- ١١.

٣/ينظر: الموافقات، ٤ / ١٤٠

٤/ينظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي، ١/ ١٥٥.

٤- كذلك هي: ((معرفة مراد الله من كتابه العزيز وبيان تصاريف ما يرجع إلى حفظ مقاصد الدين وقد أودع ذلك في ألفاظ القرآن التي خاطبنا بها خطابا بيّنا وتعبّدنا بمعرفة مراده والاطلاع عليه)) (١).قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾{ ص: ٢٩} .

نلمح في التعريف المقصد الأعلى الذي روعي في كلام الله سبحانه والمودوعة في ثنايا الخطاب الإلهي وألفاظه، وأشار ابن عاشور عن هذه المقاصد بإنها بينة ومعروفة للشارع لتحقيق مقاصد الناس النافعة، وحفظ مصالحهم العامة.

٥- ونلمح راي آخر لمعنى المقاصد: ((هي العلم والإحاطة بدقائق الأمور؛ وحدود الأشياء التي تفصلها عن سواها))(٢). نرصد في التعريف الاطلاع الواسع على كل من شأنه إن يسهم في بيان المقصد المراد من الخطاب الإلهي، مع العناية التامة بدقائق الأمور وحدودها التي ينبغي التحرز من الوقوع من الخطأ.

٦- وهناك من عرفها :((هي البدء ببيان مفاد الآية الأصلي بحسب أساليب اللغة العربية وطرائقها في التعبير، ونكت بلاغتها، ثم يوسع ذلك المعنى ويرتبه في تسلسل منطقي دقيق حتى ينتهي إلى ما يريد من مسائل الفلسفة والعلم التي تفضي إلى تقوية الإيمان ورد الشبهات وبيان عظمة القرآن وإعجازه العلمي، وإظهار مقاصده وأهدافه العالية السامية)) (٣). نرى في التعريف الخروج بمحصلة مستخلصة في ضوء الاستقراء التام للآية، مع الاحاطة بكل ما يتصل به المعنى من أدوات يمتلكها المفسر في الكشف عن مقصد الآية والتي عبر هنا الباحثين بلفظ المعنى.

٧- وقال عبد العظيم الزرقاني: ((التفسير في الاصطلاح علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى، بقدر الطاقة البشرية)) (٤).نلمح في التعريف رغم أنه تعريف للتفسير، إلا إنه لم يقصد فقط بيان المعنى، من حيث المراد اللغوي، هذا وحده لا يفي بالقصد، فهو ألصق بإن يكون بالقشرة المحيطة باللب؛ أنما المطلوب بلوغ اللباب وهو

١/ التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ١ / ٣٩.

٢/ من هدى القرآن، محمد تقي المدرسي، ١ / ١٢٣.

٣/ علوم القرآن والتفسير، أ. د. كاصد ياسر الزيدي، د. ابتهال كاصد ياسر الزيدي / ١٦٥.

٤/ مناهل العرفان، ٢ / ١٣٣.

المقصود الحقيقي والذي يوسم بالمعرفة، إذ نلحظ إنه أخضعه لبيان الدلالة وهو القصد من الخطاب كون الاتيان بالبيان اللغوي فقط دون الوقوف على المقصد المراد، لا ينسجم مع قوله تعالى:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾{ محمد: ٢٤}.

يتضح في ضوء التعريفات أنَّ التفسير المقاصدي يعدّ تفسيرًا جديدًا، وإن كانت سابقة لفظ المقاصد قديمة قدم التشريع، واستعمال لفظها ومعانيها مشهور منذ العهد الأول للنزول، إلا إن إدخال المقاصد في التفسير ظهر في القرون المتأخرة، ابتداء من مفسري الحركة الإصلاحية ، إي عصر محمد عبده (ت: ١٣٢٣هـ)، ورشيد رضا(ت: ١٣٥٤هـ)، ثم ابن عاشور، ومن هدى القرآن لمحمد تقي المدرسي وغيرهم ممن كتب في التفسير المعاصر، وأن كان منهم لم يشير تصريحا في تفسيره للتعريف ، إلا إننا نلحظ ذلك واضحاً في ضوء منهجيتهم، وطريقتهم في تناول المقاصد لا غموض فيها، ولعل ابن عاشور حاول في تعريفه للتفسير بمعناه الاصطلاحي أن يحدد ملامح هذا النوع من التفسير، في مقدمات تفسيره.

نتيجة لما ذكر من تعريفات للمقاصد عمومًا، عدت خير عون لنا في صياغة مفهوم للتفسير المقاصدي للقرآن الكريم: هو نوع من التفسير الذي يروم من خلاله المفسر بيان المقاصد التي تضمنها القرآن، وشرعت من أجلها أحكامه وغاياته؛ ليكشف عن معاني الألفاظ والتوسع في دلالاتها، مراعيًا في ذلك قواعد التفسير الأخرى، وعلوم القرآن؛ من مناسبات، وسياق، وأسباب نزول، ومحكم ومتشابه وغيرها التي من شأنها كشف المقصد المراد من اللفظ بقدرة الطاقة البشرية.

ثانيًا: الضوابط المتوخاة أن يلتزمها المفسر في بيانه لمقاصد التفسير:

ينبغي أن توضع الأسس والقواعد التي يبنى عليها هذا اللون من التفسير؛ حتى لا تكون المقاصد مطية للخوض في كتاب الله ﷻ بدون ضوابط ومحددات؛ يقوم عليها المفسر الذي هو أحد المتلقين يرتبط بالنص ارتباطا أوثق من غيره؛ وحتى يكون في هذه المكانة لا بدَّ من استكماله لضوابط يجب أن تتوفر فيه، وفي الوقت نفسه هل جاءت هذه الضوابط مختلفة عن تلك التي يلتزمها المفسر في غير هذا اللون من التفسير، وهي كالتالي:

١- يفهم من المقصد (قصد المتكلم)، لا (قصد المفسر) إذ التعويل في الحكم على قصد المتكلم، والألفاظ لم تقصد لنفسها وإنما هي مقصودة للمعاني، والتوصل بها إلى معرفة مراد المتكلم

كونها في مقام الأفهام، فمن عرف مراد المتكلم بدليل من الأدلة وجب اتباع مراده، والألفاظ لم تقصد لذواتها، وإنما هي أدلة يستدل بها على مراد المتكلم [١]،ومن الأدلة على مراد الله من قولهتَعَالَىٰ:﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ﴾{الإسراء: ١}،أسرى بعبده يقصد بروح عبده أم بجسده ، إن الأدلة الواضحة والأخبار المتتابعة عن رسول الله ﷺ أن الله أسرى به على دابة يقال لها البراق ولو كان الإسراء بروحه لم تكن الروح محمولة على البراق، لأنَّ الدواب لا تحمل إلا الأجسام [٢].

٢-إلمام المتصديين لهذا اللون بمقاصد السور القرآنية فهي أداة فعالة لتوجيه ذهنه وحفظه من الخطأ في تفسيرها؛ ذلك لأنه يتتبع البعد المقاصدي ويدور في فلكه، ووفقا لهذه الرؤية فإنه يسهم في الوقوف على الحق من معاني الآيات حار بتفسيرها المفسرون [٣].

٣-مراعاة القواعد النحوية والتزامها واستبعاد أي فهم لا تعين عليه الأعراف اللغوية؛ لأنه مظنة لتغير الفهم، لكن ليس كل ما صح لغة صح تفسيراً، ولا كل ما صح إعرابًا صح تفسيرًا، وقد نبه ابن هشام المصري ، بشيء من التفصيل بهذه المسألة مشيرًا إلى أنه قد تأتي أوجه من اعراب للفظ تسوغ لغةً ونحواً لكن لا تسوغ تفسيراً؛ ذكرها تحت عنوان الجهات التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها وهي عشرة [٤]، مثال ذلك القول: في (مهما)، قَالَتَعَالَىٰ:﴿ وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾{الأعراف: ١٣٢} ، قال الزمخشري: ((وهذه الكلمة في عداد الكلمات التي يحرفها من لا يد له في علم العربية؛ فيضعها في غير موضعها ويحسب (مهما) بمعنى: متى ما، ويقول: مهما جئتني أعطيتك، وهذا من وضعه وليس من كلام واضع العربية في شيء، ثم يذهب فيفسرها بمعنى الوقت؛ فيلحد في آيات الله تعالى وهو لا يشعر))[٥] ، والصحيح هو (مَهْمَا) هي (ما) المضمنة معنى

١/ ينظر: المستصفى، أبو حامد الغزالي / ٢٢٨. ووقاية الاذهان محمد رضا النجفي (ت: ١٣٦٢هـ) / ٥٠٢.

٢/ ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، ١٥ / ٢٣.

٣/ ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ١/ ١٨. ومقاصد القرآن الكريم عند النورسي ودورها في بناء الحضارة والعمران، د. أردوان مصطفى إسماعيل / ١٣٠ والتفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم، د. وصفي عاشور/ ١٨.

٤/ ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، أبي محمد عبد الله جمال الدين بن هشام المصري (ت٧٦١هـ)، ٢/ ٥٢٧.

٥/ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري ٢/ ١٠٧.

الجزاء ، قَالَ تَعَالَى:﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ ﴾{ النساء: ٧٨ }. فهو يجب ان يكون على وصف السيوطي :((ممتلئاً من عدة الإعراب لا يلتبس عليه اختلاف وجوه الكلام)) (١) .

٤-أن يكون عالماً بأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والفقه وأصوله، والأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم، وأصول الدين، وعلم القراءات، والاشتقاق، والتصريف، والمعاني والبيان والبديع، وأن يكون موهوباً وعلم الموهبة هو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم(٢).إذ تعد من الخصوصيات المعلومة لدى المتلقي للخطاب، فإن الخصوصيات المعلومة لدى مخاطبي القرآن، هي قرينة في فهم آيات القرآن، وأن فهم المقاصد الإلهية يتم في ضوء ذلك (٣).

٥-صحة الاعتقاد فإن من كان مغموصاً عليه في دينه لا يؤتمن على الدنيا، فكيف على الدين! ويجب اعتماده في النقل عن النبي ﷺ واهل بيته عليهم السلام والصحابة الكرام ومن عاصرهم، وإذا تعارضت أقوالهم وأمكن الجمع بينها فعل، نحو التكلم حول الصراط المستقيم، وأقوالهم فيها ترجع إلى شيء واحد، فيأخذ منها ما يدخل فيها الجميع (٤).

٦-التزام الموضوعية في التفسير يتبع القرآن وعدم محاولته لي النص، إي أن يتبعه القرآن ليدعم آراءه التي يدعوا إليها، وأن يكون بمستوى سعة القرآن،قَالَ تَعَالَى:﴿ لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾{النساء: ٤٦}،فوجب عليه أن يكون محتاطًا بالمقومات الأساسية في معرفة مضامينه وخطوطه العامة، وأن يكون ممن يظهر خلق القرآن على لسانه، فيكون عفاً في فكره ولسانه، مهذباً في أدائه، منصفاً مع من يخالفه في الرأي(٥).

٧-الإحاطة بدقائق الأمور فتكون له إدراك بالموضوعات المتميّزة في سور القرآن، وما يميّز هذه الموضوعات عن مثيلاتها في سائر السور واطلاعه على العلوم والمعارف الجديدة التي تُستلهم من كل سورة أو آية، بل حتى الآية الواحدة التي ترد في القرآن مرتين، ينبغي أن

١/ الإتقان في علوم القرآن ،٢ / ٣٥٢.

٢/ ينظر: المصدر نفسه، ٢/ ٣٥٩-٣٦٠.

٣/ ينظر: بحوث في منهج تفسير القرآن الكريم، محمود رجبي/ ١٥٥.

٤/ ينظر: الإتقان في علوم القرآن، ٢/ ٣٥١.

٥/ ينظر: منهاج التفسير . إشكالية تحريف القرآن، مجموعة من الباحثين (مجلة المنهاج – ١٣) ١/ ١٣٢- ١٣٣.

تبحث فيها المعارف الجديدة التي تميّز الآية عن سابقتها أو التي تلحقها بسبب اختلاف السياق [1].

يظهر مما سبق أننا لم نرقب أثناء بحثنا على ضوابط خاصة للتفسير المقاصدي، إنما هي ذاتها التي يعنى الالتزام بها لأي كاشف لمراد الله تعالى، إذ أتضح هذا في ضوء الاستقراء لما نقله العلماء من مفسرين وأصوليين وغيرهم في هذا الخصوص، عند بيانهم للأغراض والمقاصد القرآنية، التي أوجبوا الالتزام بها فتم استمداد ذلك من تلك الكتب القيمة، وتوظيفها لهذه الخدمة القرآنية.

ثالثاً: مشروعيته:

لقد زخر القرآن الكريم بالنصوص على ذلك ومن ذلك نور على سبيل المثال لا الحصر، **قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ {يس: ٦}** ، فإنذار الناس هنا مقصد عام من مقاصد نزول القرآن ، وأما من السنة، كما في قول النبي ﷺ :((إنما بُعثت لأُتمم مكارم الأخلاق))[2]، وكذلك قوله ﷺ : ((إن الله لم يبعثني معنفاً ولكن بعثني معلمًا ميسرًا))[3]، وايضاً ((لا ضرر ولا ضرار))[4].ففي هذه الأحاديث تصريح بثلاثة مقاصد كلية، أحدهما: قصد الشارع إلى إقامة الأخلاق في هذه الأمة، والثاني: قصده إلى التيسير ورفع المشقة عن الأمة، الثالث: رفع الضرر عن أفرادها. ومقاصد القرآن يمكن أن تأتي صريحة، **قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ { النساء: ١٦٥}، يمكن أن تأتي مُقدّرة "مختفية" كقوله عز وجل في سورة الممتحنة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ { الممتحنة: ١}** فالمقاصد القرآنية موجوده منذ نزول القرآن الكريم، كما إنها نالت اهتمام المتقدمين ممن

١/ ينظر: من هدى القرآن، محمد تقي المدرسي، ١/ ١٢٣.

٢/ كنز العمال، المتقي الهندي، ٣/ ١٥.

٣/ مسند احمد بن حنبل، احمد بن حنبل، ٣/ ٣٢٨. تحفة الاحوذي ، المباركفوري،٩/ ١٦٣.

٤/ رسائل الشريف الرضي ، الشريف الرضي ، ١/ ١٧٨. جامع المقاصد ، المحقق الكركي (ت: ٩٤٠هـ) ، ٤/ ٣٨٢.

اشتغلوا بالتفسير بعد جني اليانع من ثمارها على أيديهم، فالناظر إلى تراث أئمة الدراسات القرآنية سيلاحظ مدى حرصهم العالي على ذكر المقاصد العامة للقرآن الكريم في مصنفاتهم، وهذه بعض الشواهد الدالة على ذلك نوردها دون تعقيب؛ لأن القصد من إيرادها إنما هو بيان مدى عنايتهم وتركيزهم عليها، إذ يعد الشاطبي في موافقته ، واضع الحجر الأساس لهذا العلم ، أما البقاعي أول من تضلع في الكلام عن هذا اللون من التفسير، إذ عد في طليعة المفسرون الذين أفردوا الدراسة لهذا اللون من التفسير بكتب خاصة وهي في كتابيه: (مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور)ويُسَمَّى ايضاً: (المقصد الأسمى في مطابقة اسم كل سورة للمسمى) و(نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) وخصص الإمام الغزالي الفصل الثاني والثالث من كتابه(جواهر القرآن) لحصر وشرح مقاصد القرآن الكريم، إن سر القرآن، ومقصدهُ الأقصى، دعوة العباد إلى الجبَّار الأعلى، فلذلك انحصرت سور القرآن وآياته في الأنواع الاتية : هي السوابق والأصول المهمة، والرَّوادف والتوابع المغنية المتمة [1]، ودخول الخلف من المفسرين المعاصرين والسير على خط اسلافهم، ألف الفيروز أبادي كتابًا عنوانه: (الدر النظيم المرشد إلى مقاصد القرآن العظيم) ، وألف محمد صديق حسن خان(ت: ١٣٠٧هـ) كتابا عنوانه:(فتح البيان في مقاصد القرآن) في عشرة أجزاء.

ونلمس مشروعية هذا اللون من التفسير، من خلال ما برع فيه ابن عاشور في تفسيره، بالرد على المنكر الذي يحسبه لوناً من التفسير، إذ انبرى لهذا العلم واجاد في مسائله، في تفسيره الشهير التحرير والتنوير.

ومن دلائل مشروعية هذا اللون نذكر الآتي.

١. إنّ من زعم إنَّ الاطلاع على تمام مراد الله تعالى غير ممكن ، وهو خلاف لا طائل تحته إذ القصد هو الإمكان الوقوعي لا العقلي، فلا مانع من التكليف باستقصاء البحث عنه بحسب الطاقة ومبلغ العلم مع تعذر الاطلاع على تمامه ، وقد اختار الله تعالى أن يكون اللسان العربي مظهرا لوحيه ، ومستودعا لمراده ، وأن يكون العرب هم المتلقين أولاً لشرعه وإبلاغ

١/ ينظر: جواهر القرآن، أبو حامد محمد الغزالي / ٢٣.

مراده لحكمة علمها ، منها كون لسانهم أفصح الألسن وأسهلها انتشاراً، وأكثرها تحملا للمعاني مع إيجاز لفظه، وكان كثير من القرآن مقصودا به خطابهم خاصة ، وإصلاح أحوالهم[١].

٢. يعد الإلمام بقاصد السور القرآنية أصلاً أصيلاً في فهم كلام الله سبحانه وتدبره؛ ذلك أن معاني السور لا تتحقق إلا من خلال قراءة مستوعبة لجميعها واستكشاف مقصده [٢]، إذ نحت الشاطبي رأيه فقال:((اعتبار جهة النظم في السورة لا يتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر؛ فالاقتصار على بعضها غير مفيد للمقصود منها، كما أن الاقتصار على بعض الآية في استفادة حكم ما لا يفيد إلا بعد كمال النظر في جميعها))[٣].

٣. عند تدقيق النظر في رأي (البقاعي) حول مشروعية هذا اللون من التفسير، يبدوا إنه قد لمح لمشروعية الاشتغال به، إذ يظهر ذلك في ضوء ما يلي:

أ- الأمر الكلي المفيد لمعرفة مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر المقصود الذي سيقت له السورة وتنظر ما يحتاج إليه ذلك القصد من المقدمات والنظر ايضاً إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب [٤].

ب- انها تجلي وجه إعجاز القرآن الكريم، وبلاغته، وكماله، وإيفاءه بمتطلبات كل عصر، فَهَم المفسر اجلاء هذه الوجوه للقرآن التي يروم من اظهارها في عملية التفسير المقاصدي [٥].

ت- إن القرآن الكريم ينطوي على أسمى المقاصد، وهو ينبوع النقول والعقول، وإن جميع المقاصد الشرعية في جملتها أو تفصيلها، تصريحًا أو تضمينًا نابع من هدي القرآن أن يصغي إلى موارد الكلام، ويفهم دقائق معانيه، وغامض أسراره من قلبه [٦].

٤-كما نرقب المشروعية في ضوء تصريح صاب تفسير(من هدى القرآن)، فيقول:((كل آية جديدة تنزل من السماء مرة جديدة لابدّ أنْ تحمل فكرةً جديدةً أيضًا، ففي تفسيرنا للآيات

١/ ينظر: تحرير التنوير، الطاهر بن عاشور، ١/ ٤٠

٢/ ينظر: مقاصد القرآن الكريم عند النورسي ودورها في بناء الحضارة والعمران، د. أردوان مصطفى المزوري / ١٣١.

٣/ الموافقات، ٤ / ٢٦٨.

٤/ ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ١ / ١٨.

٥/ ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ،١ / ١٧٧ – ١٧٨.

٦/ ينظر: المصدر نفسه ،١/ ٣٧٦.

ومعرفتنا للسورة القرآنية وموضوعاتها يجب أن نبحث عما يميّزها عن سائر الآيات والسور، في نفس الوقت الذي نبحث عن الخطوط العامة المشتركة بينها وبين سائر السور)) (١).

٥-عن عائشة (رض):أن رسول الله ﷺ بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بقوله تعالى:﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾{ الإخلاص: ١ }، فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال سلوه لأي شيء صنع ذلك فسألوه فقال لأنها صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأ بها، قال: ((أخبروه أن الله يحبه))(٢)، فهذا الصحابي تنبه إلى مقصد السورة، وأنه في وصف الرحمن، وأقره الرسول ﷺ على ذلك، بل أخبره أن الله أحبه بسببها (٣) .

فمقاصد القرآن عدت من الأمور التي يتوجب على المفسر أن يعنى بها والالتفات لها، سواء كان التفسير تحليلاً أو موضوعياً، وعليه فقد تضمن القرآن الكريم باعتباره خطاب الله تعالى للإنسانية – كل القواعد والأحكام التي تتيح الصلاح لها في العاجل، وتحقق لها الفلاح في الآجل، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾{يونس: ٥٧ }، وقد نصت كثير من آيات الكتاب الكريم على مقاصده العامة والخاصة والجزئية، فكان هذا وغيره جديراً بأن يكون كلية الشريعة، وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وإذا كان كذلك لزم ضرورة لكل من رام الصلاح في العاجل، والفلاح في الآجل أن يحرص و يسعى في إدراك مقاصده؛ لأنه إن فعل ذلك يوشك أن يفوز بالبُغْيَة، وأن يظفر بالطلبة، وأن يجد نفسه من السابقين إلى الله رب العالمين(٤).

المطلب الثاني: الفرق بين مقاصد القرآن ومقاصد الشريعة.

الفرق بين المقاصد القرآنية ومقاصد الشريعة.

أن الالتفات إلى مقاصد الشريعة كان مبكرًا وملازمًا للشريعة نفسها، فقد نشأت المقاصد، مع نشأة الأحكام التي بيّنها رسول الله ﷺ وبلّغها، فعدَّ المقصد الشرعي أحد

١/ محمد تقي المدرسي، ١/ ١٢٣.

٢/ السنن الكبرى، للنسائي، ١/ ٣٤١.

٣/ ينظر: علم مقاصد السور وأثره في تدبر القرآن الكريم، د. عبد المحسن المطيري / ٢٨.

٤/ ينظر: الموافقات، الشاطبي، ٤ / ١٤٤.

الأمور الملتفت إليها والمعول عليها في فهم الأحكام واستنباطها، سواء من قبله ﷺ، أو من قبل عترته الطاهرة ﷺ وصحابته الأجلاء، وعمدتهم في ذلك المصدر هو القرآن المجيد، الذي ينطوي على أرقى المقاصد وأعلاها، إذ هو أصل الأصول ومصدر المصادر.

قبل ذلك: أن ما نعنيه اليوم بمقاصد القرآن، ذلك أن علماء المسلمين قد عبروا بتعابير ومصطلحات متعددة، عن غايات القرآن ومقاصده الكلية مثل مصطلحات حكم، ومعاني، وأسرار، وأغراض، وعلل، ومصلحة، ومراد الشرع، وغيرها فكل تلك الاسماء وغيرها قد استعملت وما زالت تستعمل للتعبير عن المقاصد [١].

قبل الشروع في بيان الفرق بين مقاصد القرآن والشريعة، لا بدَّ من بيان مفاهيمي للشريعة لغةً واصطلاحاً للكشف عن رؤية واضحة حول مفهوم المقاصد في الشريعة.

جاء على لسان أهل اللغة:

الشريعة: الموضع الذي ينحدر إلى الماء. والشرعة: في كلام العرب شرعة الماء، مورد الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون منه ويستقون؛ والعرب لا تسميها شريعة حتى يكون الماء عِدّاً لا انقطاع له ويكون ظاهرة معيناً [٢]. وهي: ما سنَّ الله من الدين وأمر به قال تعالى:﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا** ﴾ {الجاثية: ١٨}. والملة، والمنهاج، والطريقة لأنه طريق إلى المقصد الذي أراده تعالى [٣].

اصطلاحًا:

عرفها محمد بن علي الملقب بابن عربي (ت: ٦٣٨هـ) بأنها: ((الائتمار بالتزام العبودية)) [٤]. وقال ابن تيمية: اسْمُ الشَّرِيعَةِ وَالشَّرْعِ وَالشِّرْعَةِ: ((فإنه ينتظم كل ما شرعه الله من العقائد والأعمال))[٥] .كذلك :((هي ما شرع الله لعباده من الأحكام التي جاء بها نبي من الأنبياء ﷺ سواء كانت متعلقة بكيفية عمل وتسمى فرعية وعملية أو بكيفية الاعتقاد وتسمى أصلية))[٦]

١/ ينظر: مقاصد القرآن قراءة معرفية وتقويمية، د. محمد المنثار/ ٢٠٦٨.

٢/ ينظر: ابن منظور، ٨ / ١٧٥(فصل الشين). تاج العروس، ١١ / ٢٣٨(شرع)

٣/ ينظر: أحكام القرآن، محمد عبد الله أبو بكر ابن عربي الاشبيلي (ت: ٥٤٣هـ)، ٤ / ١٢٢.

٤/ الفتوحات المكية، ٢/ ١٣٣

٥/ مجموع الفتاوى، ١٩ / ٣٠٦.

٦/ ينظر: شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين التفتازاني(ت: ٧٩٢هـ) ، ١/ ٦ .

إذا نظرنا إلى تعريفات السابقة للشريعة نجدها منصبةً على هذا المفهوم الذي ساقة حسن الجواهري للشريعة: ((هي مجموعة أحكام شرعها الله سبحانه وتعالى للعباد، تشتمل على كل مساحة الحياة، وهو أصلح تشريع للإنسانية وضعه الله تعالى؛ العالم بما تحتاجه البشرية وبما يصلحها ويقومها ويسددها))[١].

مقاصد الشريعة كمركب، لها تعريفات عدة عند المتقدمين والمتأخرين.

عرفه أبو الحسن بن علي الآمدي (ت: ٦٣١هـ):((المقصود به شرع الحكم إما جلب مصلحة أو دفع مضرة، أو مجموع الامرين بالنسبة إلى العبد، لتعالى الله سبحانه عن الضرر والانتفاع. وربما كان ذلك مقصودا للعبد لأنه ملائم له، وموافق لنفسه))[٢]. وايضاً: هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها؛ بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة [٣]. نلحظ في تعريف ابن عاشور أنه تناوله من جانب تفسيري، وهذا يظهر في ضوء صياغته للتعريف إذ تناول جميع معاني القرآن وملاحظتها وهو الذي يخص دراستنا وهذا غير ما تناوله الآمدي الذي نلمس فيه الجنبة الفقهية كون قصد بيان الحكم المترتب، وهي في الوقت نفسه أغراض ومقاصد كون الهدف أما جلب مصلحة أو دفع مضره، وهو المتوخى من حكمة التشريع.

إذاً : هي الأغراضُ الَّتي لأجلِهَا شرعَ اللهُ الشَّرائعَ، وليسَ يخلُو شيءٌ شرعَهُ الله من غرضٍ أُريدَ بهِ، وما منْ شيءٍ من تلكَ الأغراضِ إلاَّ وهو عائدٌ على المُكلَّفِ بالنَّفعِ والمصلحَةِ، وذلكَ مُتحققٌ لهُ في الدُّنيَا أوفي الآخرَةِ [٤]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ { الملك: ١٤} . فمقاصد الَشريعِة: هي ما نبه عليه القُرآنُ والنبي ﷺ العباد من كلِّ حكم تشريعي على هذه المقاصِد أو الأغراض، في كل كلمة في كلامه سبحانه وتعالى التي راعها الشارع في التشريع عموماً وخصوصاً، من أجل تحقيق مصالح العباد.

١/ بحوث في الفقه المعاصر، ٣ / ٥٠.

٢/ الإحكام في أصول الأحكام، ٣ /٢٧١.

٣ / ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، الطاهر بن عاشور، ١/ ٢٥١.

٤/ ينظر: تيسيرُ علم أصول الفقه، عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب الجديع العنزي / ١٧٧.

من المسائل التي تزيد من عدم فهم المقاصد مسألة التباين بين مفهومي مقاصد القرآن ومقاصد الشريعة. ويجد المتأمل أن ثمة فروقاً تميز مقاصد القرآن عن مقاصد الشريعة، فمع تآلف مقاصدية اللفظين: القرآن، والشريعة، إلا أنه على الفور ينقدح في الذهن هذا السؤال: هل مقاصد القرآن هي مقاصد الشريعة؟ وهل يمكن إطلاق أحدهما على الآخر؟

١- من ناحية التعريف عند الاعلام المتقدمين ذكروا أن (لمقاصد الشريعة) تعبيرات ومعان عديدة منها (الحكم – والمعاني – والغايات – والاغراض او جلب المصالح ودرء المفاسد – والمحافظة على الكليات الخمس) [١]، أما المقصد القرآني: فهو إبراز الأغراض والمقاصد، أو الأسرار والغايات التي أنزل الله ﷻ من أجلها القرآن، وشرع سبحانه من أجلها أحكامه، فإن ذلك إظهار لعظمة القرآن، وبيان للمقاصد التي جاءت لتحقيقها المقاصد التي تضمنها القرآن الكريم وشرعت من أجلها أحكامه [٢].

٢- مقاصد الشريعة هو لقب العلم من علوم الشريعة المختصة ببيان مقاصد الشارع في الأحكام، وهو ألصق بعلم الفقه وأصوله، وقد عرف العلماء علم مقاصد الشريعة بأنه: المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال الشريعة أو معظمها [٣].

٣- مقاصد القرآن تستنبط من القرآن فقط، وأما مقاصد الشريعة فتستنبط من القرآن والسنة وأحيانًا من الإجماع واستنباط العلل والأحكام الفرعية، إما مقاصد القرآن فلا يمكننا استخراجها منها، بينما يمكننا فعل ذلك مع مقاصد الشريعة [٤].

٤- أن علم مقاصد القرآن مستمد من علوم القرآن كالتفسير وأسباب النزول وعلم المناسبات وغيرها، بينما علم مقاصد الشريعة مستمد من علم الفقه، وأصول الفقه، والقواعد الفقهية، والنظريات الفقهية [٥].

١/ ينظر: الموازنة بين المصالح والمفاسد في ضوء مقاصد الشريعة، د. إبراهيم عبد الرحمن العاني / ٥٩.

٢/ ينظر: التفسير المقاصدي إشكالية التعريف والخصائص، د. نشوان عبده خالد – د. رضوان جمال الأطرش / ١٣٥.

٣/ ينظر: مقاصد الشرع بين الإفراط والتفريط، مالك مصطفى وهبي العاملي/ ٢٠- ٢١

٤/ ينظر: التفسير المقاصد إشكالية التعريف والخصائص / ١٣٦. والبعد المقاصدي في الدراسات القرآنية، د. محمد عبد اللطيف عبد العاطي / ٩٥.

٥/ ينظر: مقاصد الشرع بين الإفراط والتفريط/ ٢٠- ٢١. والبعد المقاصدي في الدراسات القرآني/ ٩٦.

٥- لا بد أن يكون المقصود بالمقاصد تلك المنتسبة إلى الشريعة، فيقال مقاصد الشريعة، وهي لا تكون بهذا الوصف إلا إذا كانت من المصالح والمفاسد التي اعتنت بها الشريعة في دواعي التشريع أو متعلقاته، فليس كل مصلحة ومفسدة مقصدًا إلا إذا علم رعاية الشرع لها واهتمامه بها، سواء علمنا ذلك من نص شرعي أو من العقل، إذ لا يجوز أن ننسب إلى الله ﷻ مقصدًا لم نعلم اهتمامه أو رضاه به، قال تعالى:﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾{ يونس:٥٩}، لولا تقييد المقاصد بالشرعية لانعدم الحد الفاصل بين المصالح الناشئة من أهواء ومصالح شخصية ، وبين ملاكات الأحكام ، إذًا لا بد أن نثبت أن المصلحة أو المفسدة قد اهتم بها الشرع أولا، وحجم الاهتمام ثانيا، ثم نبني عليها المقتضي. ومن الطبيعي التفريق بين المصلحة التي قد تكون مقارنة لحكم من الأحكام، وبين أن تكون تلك المصلحة التي هي ملاك الحكم، فربَ حكم تقارنه مصلحة فلا تكون هي الملاك للحكم، فلا تكفي المقارنة المذكورة لنعتبرها مقصد شرعي [١].

٦- مقاصد القرآن الكريم تمثل قواعد وكليات ومنطلقات لغيرها من المقاصد والأحكام، أما مقاصد الشريعة فترجع إليها، فإذا نظرنا إلى رجوع الشريعة إلى كلياتها المعنوية، وجدناها قد تضمنها القرآن على الكمال، وهي الضروريات والحاجيات والتحسينات ومكمل كل واحد منها، نسترشد بأن مقاصد القرآن الكريم هي الأصل، ومقاصد الشريعة هي منبثقة عنها [٢].

٧- مقاصد الشريعة يمكن أن نلقبه: بعلم اقتصاد الشريعة؛ لأنه يُستثمر فيما وُضع له، معرفة غايات جنس الأحكام وحكمها، ومقاصدها وما تهدي إليه، وتدل عليه من حفظ نظام العالم، وتحقيق مصالح العباد في الدارين، وذلك في جنس التشريع العام وبه تتم معرفة حكمة التشريع في كل نوع من أنواع علوم الشريعة، مثل: العبادات، والمعاملات، والأنكحة [٣].

١/ ينظر: مقاصد الشرع بين الإفراط والتفريط، مالك مصطفى وهبي العاملي/ ٢٠- ٢١.

٢/ ينظر: الموافقات، الشاطبي، ٤ / ١٨٢.

٣/ ينظر: المصدر نفسه / ٢ (مقدمة المحقق: حسن آل سلمان ـ المشهور: أبو عبيدة).

٨- تشمل مقاصد القرآن الكريم كليات، وتشمل مقاصد الشريعة شرحها وتفصيلها، فمثلا تتضمن الأمر بالمصالح عموما وطرق حلها، والنهي عن المفاسد وطرق دفعها، فتفصل مقاصد الشريعة هذه القاعدة ضمن الأحكام الفقهية الجزئية [١].

٩- المقاصد القرآنية هي العلل الغائبة (الغاية منها) التي يراد من تشريع الأحكام للوصول إليها، سواء بتحقيقها إن كانت مصلحة أو باجتنابها إن كانت مفسدة [٢].

١٠- تقوم فكرة المقاصد الشرعية على مجموعة من الأسس والمسلمات، بعضها يعد علة فاعلية للمقاصد، وبعضها الآخر يعد علة غائية، فمن النوع الأول تكمن الإشارة إلى الاعتقاد بكون الأحكام الشرعية معللة بالأغراض والغايات؛ أي أن الله عندما شرع الأحكام على اختلاف ألوانها وأشكالها، شرعها لا لحاجة أو رغبة منه إليها، إنما شرعها لما في متعلقاتها من مصالح ومفاسد، وهذه المصالح تجمعها عناوين خمس أو أكثر أو أقل على الاختلاف في عدد المقاصد [٣]، وهذه الضروريات عند الشاطبي: العقل، والدين، والمال، والنفس، والنسل. وحول هذه الأقطاب الخمسة تدور رحى الأحكام الشرعية جميعها. فقد حرم الله الخمر حفظا للعقل، وحرم الفسق حفظة للدين، وحرم السرقة حفظة للمال، وحرم القتل حفظا للنفوس، وحرم الزني حفظة للنسل. هذا ما يمكن عده علة فاعلية أدت بالشاطبي وغيره إلى القول بوجود مقاصد الشريعة [٤].

١١- من حيث الاستعمال: يستعمل لفظ الشريعة بمعنى الدين كله على سبيل المجاز، بينما حقيقة إطلاقه تصدق على جانب الأحكام الجزئية العملية[٥]، وقد أشار إلى هذا الاستعمال الطبري في جامع البيان، وصديق حسن خان في أبجد العلوم، وقد أكده، د. يوسف حامد العالم،فقال: ((وبهذا المعنى تشمل كلمة الشريعة الجانب الاعتقادي، والجانب العملي، وكلاهما يطابق مفهوم الدين، إلا أن الشريعة في لسان الفقهاء تطلق على الأحكام العملية))

١/ ينظر: التفسير الوسيط، وهبة الزحيلي، ١ / ١٨٦٣. ولب الأثر في الجبر والقدر، تقرير بحث روح الله مصطفى الخميني (ت: ١٤٠٩هـ)، للسبحاني/ ١٦٧.

٢/ ينظر: مقاصد الشرع بين الإفراط والتفريط، مالك مصطفى وهبي العاملي / ٢١.

٣/ ينظر: و مقاصد الاحكام الشرعية وغاياتها، محمد علي أيازي ، ١ / ٩ .

٤/ ينظر: الموافقات، الشاطبي / ٥ (مقدمة المحقق).

٥/ ينظر: التفسير المقاصدي إشكالية التعريف والخصائص، د. نشوان عبده خالد – د. رضوان جمال / ١٣٦.

[1]، ويذهب ابن عاشور إلى حصر مفهوم الشريعة في أقل مما ذكر فيقول: ((وإني قصدت في هذا الكتاب مقاصد الشريعة الإسلامية خصوص البحث عن مقاصد الإسلام من التشريع في قوانين المعاملات والآداب التي أرى أنها الجديرة بأن تخص باسم الشريعة، والتي هي مظهر ما راعاه الإسلام من تعاريف المصالح والمفاسد وتراجيحها))[2]،وفي ضوء المفهومين عند ابن عاشور ويوسف العالم ، أن مقاصد القرآن تتضمن كليات الشريعة العامة والخاصة والجزئية ، وبهذا فإن مقاصد الشريعة هي جزء من مقاصد القرآن .

١٢- أن مقاصد الشريعة واقع بين اعتبارين: كونه مبحثًا من مباحث علم أصول الفقه كما اعتبره الشاطبي في الموافقات، وبين اعتباره مفهوماً مستقلًا كما نادى بذلك ابن عاشور، بينما مقاصد القرآن الكريم لم تدخل في حيز الاختلاف في الاعتبارات، فقد تحدث عنها الذين تناولوا المقاصد باعتبار واحد وهي أنها ملازمة للنص القرآني، وتستنبط منه، وأشار الشاطبي عند حديثه عن قول الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[محمد: ٢٤ }، فالتدبر إنما يكون لمن التفت إلى المقاصد ،وذلك ظاهر في أنهم أعرضوا عن مقاصد القرآن؛ فلم يحصل منهم تدبر، فظهر أنه يعتبر المقاصد القرآنية ملازمة للنص، ومرتبطة بتدبره، والخلاصة أن علم المقاصد القرآنية ليس له اعتبارات متعددة، بينما علم مقاصد الشريعة له اعتبارات فيمكن اعتباره ضمن القواعد الأصولية، ويمكن اعتباره مستقلا عنها. تلك هي أهم الفروق بين مقاصد القرآن ومقاصد الشريعة غير أن التفريق بينها ليس إلا نظرية؛ إذ أنهما متلازمان، والحاجة إليهما ضرورية، فمقاصد القرآن لا يستغني عنها مفسر، ومقاصد الشريعة لا يستغني عنها فقيه، ومجموعهما نافع للمفسر والفقيه [3].

المطلب الثالث: معيارية المقاصد في بيان النص القرآني.

علاقة المقاصد بفهم القرآن وكشف معناه، إذ العلم بمقاصد الشريعة ليس مقصودا لذاته كما سبق بيانه، إنما يراد به إعماله واستثماره في فهم النصوص القرآنية وتوجيهها؛ إذْ

١/ المقاصد العامة للشريعة الإسلامية/ ٢٠.

٢/ مقاصد الشريعة الإسلامية، ١/ ٤١٨.

٣/ ينظر: التفسير المقاصدي إشكالية التعريف والخصائص، د. نشوان عبده خالد – د. رضوان جمال / ١٣٧.

يستعين المفسر بالمقاصد في فهم النصوص واختيار المعنى المناسب لتلك النصوص وتوجيهها بما يخدمها، وقد يصل الأمر بالمفسر، أو الأصولي والمجتهد إلى تأويل النص، وصرفه عن ظاهره في حال مخالفة ذلك المعنى الظاهر لمقاصد الشريعة وكلياتها [١].

فليس مقصود القول الأخذ بظاهر النص للاكتفاء بالمعنى الذي يفهم من ظاهر النص (عبارة النص) مع نفي إمكانية استنباط معانٍ أخرى تفهم من النص بدلالة الإشارة أو الاقتضاء[٢]، أو الدلالة، وإنما المقصود عدم إهمال المعنى المأخوذ من ظاهر النص (عبارة النص) بحجة أن المعنى المقصود من النص غير ذلك، إلّا إذا دلَّ دليل على صرف اللفظ عن ذلك الظاهر [٣].

المراد بالظهور: البيان والوضوح إذ لا خلاف بين المهتمين من المفسرين والفقهاء في تشخيص المعنى، ولا يلتبس على معظمهم بمشابهه، مثل حفظ النسب الذي هو المقصد من مشروعية النكاح [٤].

فالتفسير بالمقاصد يعدّ من ألوان التفسير الحديثة التي كان منشأ ظهورها ظهور علم المقاصد، ولعل الشاطبي يعد باذر أسها الأول من التقعيد لعلم المقاصد في كتابه (الموافقات في أصول الشريعة) إذ ربط العلاقة بين الأحكام الصادرة وهدف الشريعة؛ وإن كان سبقه في الكلام عن المقاصد الغزالي، والجويني، والعز بن عبد السلام وغيرهم، وإذا نظرنا إلى استخدام لفظ المقاصد في التفاسير القديمة نلمحها قد استخدمت عند الأقدمين ولكن بتعبيرات أخرى كالحكمة، والغاية، والمعنى وغيرها

تستند إلى أصل قررته الآيات القرآنية الكريمة، والأخبار النبوية الشريفة، والتراث المروي عن أهل البيت عليهم السلام، وصحابته رضي الله عنهم، ويؤكّد هذه المعالم الناظر في تراثهم، ثم فصل ذلك المفسرون والأصوليون والفقهاء.

١/ ينظر: طرق الكشف عن مقاصد الشارع، د. نعمان جغيم / ٤٤.

٢/ هو: ((عبارة عن زيادة على المنصوص عليه يشترط تقديمه ليصير المنظوم مفيدًا أو موجبًا للحكم بدونه لا يمكن إعمال المنظوم)). أصول السرخي، محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي، ١/ ٢٤٨.

٣/ ينظر: طرق الكشف عن مقاصد الشارع، د. نعمان جغيم / ٦٢.

٤/ ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور/ ٤٥

إن طريق إثبات المقاصد هو استقراء أدلة القرآن الكريم والسنة النبوية، إضافة إلى ما تضمنه النتاج العلمي للعلماء السابقين واللاحقين؛ لأن المقاصد الكلية لا تستند إلى دليل واحد، بل إلى مجموعة أدلة تواردت على معنى واحد فأعطته صفة القطع[١]، قال الشاطبي: ((ومن المعلوم إن تخلف بعض الجزئيات عن مقتضى الكلي لا يخرجه عن كونه كلّيّاً))[٢]. فالاهتمام بدراسة قواعد القرآن الكريم وأحكامه ومعاني ألفاظه وآياته ينبغي أن يقترن بالاهتمام بمقاصده، وفقا لقاعدة الاعتبار بالمقاصد والمعاني في الأقوال والأفعال، وكذلك يبنى الحكم على المقصود لا على ظاهر اللفظ، أو الأمور بمقاصدها [٣].

وعليه فمن لم يتفطن لوقوع المقاصد في الأوامر والنواهي؛ فليس على بصيرة في أمر القرآن الكريم، وإنما تحصل درجة الاجتهاد لمن اتصف بوصفين أحدهما: فهم مقاصد القرآن الكريم على كمالها، والثاني: التمكن من الاستنباط بناء على فهمه منها [٤]. ومثل ذلك ما جاء عن ابن جرير الطبري، حينما استعمل (المعاني) مرادفة للمقاصد، إذ حدد مقاصد الزكاة في مقصدين أساسيين: من أن الله ﷻ جعل الصدقة في معنيين أحدهما: سد فاقة المسلمين، والثانية: معونة الإسلام وتقويته [٥].

فذكر معنيين ومراده: مقصدين؛ لإن الله سبحانه بنى شريعته على اعتبار المصالح، وأن المصالح إنما اعتبرت من حيث وضعها الشارع، لا من حيث إدراك المكلف؛ إذ أن المقصود الشرعي من الخطاب الإلهي الوارد على المكلفين تفهيم ما لهم وما عليهم، مما هو مصلحة لهم في دنياهم وأخراهم، وهذا يستلزم كونه بينًا واضحًا لا إجمال فيه ولا اشتباه [٦].

١/ ينظر: البعد المقاصدي في الدراسات القرآنية، د. محمد عبد اللطيف عبد العاطي / ٨٩. التفسير المقاصدي، إشكالية التعريف والخصائص، د. نشوان عبده خالد – د. رضوان جمال / ١٤٠.

٢/ الموافقات، ٢/ ٨٣.

٣/ ينظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، ٢/ ٦٢.

٤/ ينظر: الموافقات، ٥ / ٤٣٣. البعد المقاصدي في الدراسات القرآنية / ٧٨. مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور/ ٨٤.

٥/ ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٠ / ٢٠٩.

٦/ ينظر: الموافقات، الشاطبي، ٤ / ١٤٠.

إن استخراج المقاصد القرآنية وتقريرها وإثباتها من خلال أدلتها ومسالكها، فذلك شأن العلماء المتخصصين المتمكنين وفهمها كما هي مقررة ومحررة عندهم مع التسليم بأن استخراج المقاصد القرآنية، ومقاصد الشريعة، هو عملُ أهل الاختصاص والخبرة، فإن مما ينبغي التنبيه عليه أن فهم مقاصد القرآن، وأخذها مباشرة من نصوصها وأحكامها ليس دائما متوقفا على العلماء واجتهادهم واستنباطهم، بل هناك مقاصد وحِكَمٌ لا تكاد تخفى على أحد، ومنها ما لا يحتاج إلا القليل من الاهتمام والانتباه، فهي في ذلك شبيهة بهذه الثمار المتنوعة التي أنعم الله بها على عباده، منها ما هو ظاهر قريب، ومنها يحتاج إلى حفر وتنقيب لاستخراجه ، ومنها ما هو عال بعيدة المنال يحتاج إلى وسائل للوصول إليه كما إنها ليست من قبيل المبهم المضنون به على غير أهله، ولا من العلوم العقلية المضمرة المعقدة كالمنطق والفلسفة ونحوهما؛ بل هي تهم جميع المكلفين ويستفيد في التحري منها جميعهم، كل حسب قدره [1].

يلحظ إن الشاطبي وضع ثلاث جهات لمعرفة القصد القرآني وهي: إرادة التكليف، والمقصود الدلالي من الخطاب الشرعي، والمقصود الشرعي من الحكم [2].

ففي قوله تعالى:﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾{البقرة: ١٨٥}،﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾{ الحج: ٧٨}، الآيتين تفيدان كون الشارع قاصدًا التيسير ورفع الحرج عن المكلّفين، والمجالات التي يدخلها التيسير تحتاج لمعرفة تفاصيلها وضوابطها إلى استقراء ما ورد في الموضوع من نصوص وأحكام أخرى لتحديد ذلك. وقوله ﷺ:(لا ضرر ولا ضِرارَ) ظاهر من إن الشارع قاصدًا إلى منع الإضرار بالنفس وبالغير، وإيجاد توازن بين المصالح المتعارضة وما قد ينتج عنها من أضرار بدفع الضرر الأكبر في مقابل تحمّل الضرر الأصغر [3].

١/ ينظر: الذريعة الى مقاصد الشريعة، د . أحمد الريسوني / ١٠- ١١.

٢/ ينظر: الموافقات، ٣/ ٣٧٣، ٤/ ١٤٠.

٣/ ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد طنطاوي، ٨ / ٥٦٥. بحوث في الفقه المعاصر، حسن الجوهري، ٢/ ٣٥٠. وطرق الكشف عن مقاصد الشارع، نعمان جغيم /٦٣ – ٦٤. ومقاصد الشريعة الإسلامية، ابن عاشور / ٦٩.

ومن الأمثلة التي يظهر فيها أثر المقاصد في التفسير والتنزيل: مسألة (الإيلاء) المذكورة في قوله تعالى:﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾{ البقرة: ٢٢٦} ، يراد بالإيلاء هو الحلف، ومعناه في الآية: حلف الزوج ألا يطأ زوجته الدائمة ، فهذا الإيلاء لا يجوز، ومن وقع منه فقد أمهله الشرع أربعة أشهر على الأكثر، إن تخلى فيها عن إيلائه يغفر الله له، وإلا لزمه الطلاق رغما عنه(١)، وقد نهي عن ذلك وجوبًا، لما فيه من إضرار بالزوجة ، فالذين وقفوا مع اللفظ دون القصد حصروا الإيلاء وحكمه في حالة امتناع الزوج عن وطء زوجته الدائمة، بعد الحلف على ذلك والذين نظروا إلى مقصود الآية ومنطقها وهو رفع الضرر والتعسف والحرمان عن الزوجة، أدخلوا في الإيلاء كل ترك متعمد للوطء بقصد الإضرار، إذا طال أمده ولو كان بدون حلف، ولا شك أن الفريق الثاني هو الأكثر تجسيدًا لعدل الشريعة ومقاصدها الكريمة، وأنه المحقق لقاعدة النصوص بمقاصدها(٢).

لمعرفة المقاصد واهميتها في جلاء النص القرآني نقف عند ما يأتي:

١- مقاصد القرآن الكريم خير معين على فهم النصوص الشرعية وتفسيرها، وتحديد مدلولات الألفاظ ومعرفة معانيها؛ لتعيين المعنى المقصود منها؛ لأن الألفاظ والعبارات قد تتعدد معانيها وتختلف مدلولاتها، كما هو معروف في اسباب اختلاف الفقهاء فتأتي المقاصد لتحديد المعنى المقصود للشارع الحكيم (٣).

٢- إن إدراك المفسر للمقاصد القرآنية أمر مهم جدًّا في استنباط الأحكام، لكنه يبقى عنصر واحد من العناصر التي يحتاج إليها، ولا يمكن أن يصير بمفرده منهجًا للاستنباط الأحكام وبيان مراد الله ؛ بل يتم الفهم عبر خطوات تتمثل في: فهم النص ، وذلك يقتضي تمكُّنًا من اللغة العربية، ثم معرفة ما إذا كان ذلك النص ناسخًا أو منسوخا، ومعرفة سبب نزول الآية أو ورود الحديث إذا كان كلّ منهما لا يُفْهم إلَّا بمعرفة ذلك، ثم معرفة موقع ذلك النص من

١/ ينظر: الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، زين الدين العاملي المعروف: بالشهيد الثاني (ت: ٩٦٥هـ)، ٦ / ١٤٦.

٢/ ينظر: المبسوط، الشيخ الطوسي، ٥ / ١١٤- ١١٥. والسرائر، ابن أدريس الحلي (ت: ٥٩٨هـ)، ٢ / ٧٢١

٣/ ينظر: مقاصد الشريعة عند ابن تيمية، د . يوسف احمد محمد البدوي/ ١٦.

النصوص الشرعية الأخرى من حيث العموم والخصوص، والتقييد والإطلاق، ووجود ما يعارضه أو يعضده [١].

٣- أن يكون التفسير وفق قواعد ومقاصد الشريعة عموما، ووفق مقاصد القرآن وكلياته التي جاء بها، وفي هذه الحالة لن يخرج التفسير عن دائرة فهم ما في الكتاب والسنة [٢]. روى البخاري(ت:٢٥٦هـ)، عن أبي جحيفة السوائي(ت:٦٤هـ) قال: قلت لعلي ابن أبي طالب ﷺ :((هل عندكم شي من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال علي ﷺ : لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما أعلمه إلا فهمًا يعطيه الله رجلًا في القرآن)) [٣].

٤- فاعلية التفسير المقاصدي وقدرته لمعرفة مقاصد الفقه إذ يعد دوره حاسماً في تحديد حركته الإجمالية، فإن قيمة اجتهاد المجتهدين هي الأخرى تتوقف على مدى معرفتهم بأهداف الفقه ومقاصده، وكيفية تعاطيهم معها، أي مدى قدرتهم على استنباط الأحكام الإلهية مع التركيز على روح النصوص [٤].

٥- تظهر أهمية إستضار الضوابط في التوجه المقاصدي، في إحداث نقلة منهجية يتم من خلالها التحول من مرحلة التأصيل القائمة على التركيز على أهمية المقاصد ودورها في معالجة الاجتهاد المتعلق بقضايا الفرد إلى مرحلة بناء وتكوين ضوابط القبول أو الرفض لأي تأويل أو جهد، إذ يروم استحضار هذا النهج المقاصدي حاكمية النصوص بين الدلالة اللغوية والقرآنية ، أن الحكم ما كانت غايته أو مقصده الأساس المنع من الفساد بغية الإصلاح، ومن ثم فإنه لا بد أن يتسم بالإتقان، وأن يؤسس على الحكمة وهي إصابة الحق، والجمع بين العلم والعمل، والقضاء بالعدل؛ كما الإفادة من مناهج المتقدمين في الكشف عن المقاصد، إذ ظهرت بوادر هذه العملية المنهجية عند المتقدمين الأوائل(مفسرين – اصوليين – فقهاء) في مباحث مسالك التعليل مع ذلك، فقد ترك العلماء بذوراً

١/ينظر: طرق الكشف عن مقاصد الشارع، الدكتور نعمان جغيم / ٤١. والتفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم، د. وصفي عاشور / ١٨

٢/ينظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور البقاعي/ ٣٨٠. وتحرير التنوير، الطاهر بن عاشور، ١/١٥و٢٩.

٣/ صحيح البخاري ،٤/ ٣٠.

٤/ ينظر: مقاصد الاحكام الشرعية وغاياتها، محمد علي أيازي/ ٣٤

لها القدرة على النتاج إذا حسن استعمالها ، ولا تنسى أن الشاطبي أصَّلَ لمقاصد المكلفين، فبدت أهمية دوره في قدرته على استخراجه وصياغته لمنهج، جعل فيه تحكيم النص المسلك الأول، وسماه تبين المقصد الإلهي من مجرد الأمر والنهي الواردين في النصوص، فجاءت محاولته لتبرهن على قصد الشارع في المحافظة على القواعد الثلاث الضروريات، والحاجيات، والتحسينات [١].

٦- تبرز أهمية بيان المقاصد في المواجهة بين المؤسسة الدينية، وبين التيارات الفكرية الوضعية، التي تتحكم بالثقافة والسياسة والاقتصاد، فتتطلب من الأولى الأخذ بزمام المبادرة ومحاولة تلبية المقتضيات الاجتماعية والتصدي للأزمات وحل الإشكاليات، فالبحث في الملكات وتجاوز التعبد بالظاهر، يعكس مدى تطور الفقه ومدى التحول في نظم الشريعة وقواعدها من ناحية، ومن ناحية أخرى يسمح بتدوين أفضل القوانين والأنظمة وأكثرها انسجاما وملاءمة للشريعة [٢].

٧- حظوة المقاصد القرآنية في استنباط الأحكام للوقائع المستجدة مما لم يدلّ عليه دليل ومن ذلك: الاحتجاج بالمصالح المرسلة وبيان ذلك أن معرفة مختلف أنواع المصالح التي قصد الشارع إلى تحقيقها يحصل لنا منه اليقين بصورٍ كلّية من أنواع تلك المصالح، فنجعلها بعد ذلك أصولاً كلّية نقوم عليها ما يَجِدُّ من حوادث ليس لها حكم ولا نظير يبنى عليه في أحكام الشريعة، فنُدخلها تحت تلك الصور الكلّية، ونُثبِت لها مثل أحكامها. وهذا النوع من الإلحاق أَوْلى بالاعتبار من القياس، الذي هو إلحاق جزئي بجزئي آخر بجامع علة، غالبًا ما تكون مظنونة، في حين أن الإلحاق في المصلحة المرسلة يكون بكلّية ثابتة في الشريعة قطعًا، أو ظنًّا قريبًا من القطع، بما تظافر من أدلّة على اعتبار تلك الكلّيات [٣].

٨- تناول التفسير أبعاد النصوص ومدلولاتها عبر قاعدة المقاصد، في حين تتناول أنواع التفاسير الأخرى النصوص بناء على اعتبار الظاهر منها والحكم المصرح به كما في

١/ ينظر: الاسرة في مقاصد الشريعة، زينب طه العلواني / ٣٠٤ – ٣٠٨.

٢/ ينظر: مقاصد الاحكام الشرعية وغاياتها، محمد علي أيازي/ ٣٦.

٣/ ينظر: طرق الكشف عن مقاصد الشارع، د. نعمان جغيم / ٥٥.

التفسير بالمأثور والتفسير الفقهي، وبناء على اعتبارات قد لا تكون صائبة كما في التفسير العلمي والتفسير بالرأي المذموم [١].

٩- يتضمن إبراز الحكم والأسرار والغايات التي أنزل الله تعالى من أجلها القرآن، وشرع سبحانه من أجلها الأحكام فإن ذلك إظهار لعظمة القرآن، وبيان للمقاصد التي يروم لتحقيقها، وبهذا بأمكان المفسر أن يفسر القرآن وفقا للمقاصد الخاصة أو الجزئية التي دعا لها القرآن وأثبتها من خلال ما جاء في آيات الأحكام، والحدود، والمعاملات، أو من خلال العبادات عموما، والدعوة إلى الأخلاق، وإصلاح الفرد، والمجتمع، وكذلك من خلال القصص القرآني [٢].

١٠- وقوف المفسر على مقاصد النص القرآني يسدد ذهنه ويعصمه من الخطأ في تفسيرها غالبًا، لأنه يتقيد في توجيه الآيات وفقًا لهذا المقصد، لأن مقصد كل آية أو سورة إنما يقف عليه المفسر بعد استقراء وتأمل عميق لآياتها فيما تدل عليه من معان تحقق مراد الله تعالى من كلامه، وذلك بالنظر في فواتح السورة وخواتيمها، وسباق ولاحق آياتها وألفاظها [٣]. قال البقاعي:((إن علم المقاصد وغايته، معرفة الحق من تفسير كل آية من تلك السور ومنفعته: التبحر في علم التفسير)) [٤].

١١- تفسير القرآن باعتبار مقاصد السور يعد المنهج الأسلم الذي يجعل كلام الله منتظما على نحو يتضح فيه جليًا كمال نظمه، واتساق آياته ومناسبته، ويبرز إنجازه وبلاغته[٥]؛ لأن من تأمل المقصود من السورة، أدرك تلاؤم آيها وقصصها وعموم أجزائها[٦].

١٢- فهم النصوص وتفسيرها ومعرفة دلالتها وشرحها، فالشارع قصد من أحكامه تحقيق عبوديته وتحقيق مصالح عباده ودفع الفساد عنهم، فإذا وردت نصوص شرعية تحتاج إلى

١/ ينظر: التفسير المقاصدي إشكالية التعريف والخصائص، د. رضوان جمال الأطرش، د. نشوان عبده/ ١٤١.

٢/ ينظر: الجذور التاريخية للتفسير المقاصدي، د. رضوان جمال الأطرش، د. نشوان عبده / ١٩٨.

٣/ ينظر: علم مقاصد السور وأثره في تدبر القرآن الكريم، د. عبد المحسن المطيري / ٣٨.

٤/ مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ١ / ١٥٥

٥/ ينظر: علم مقاصد السور وتدبره في القرآن الكريم/ ٣٧ –٨ ٣

٦/ مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي، ١ / ١٤٩.

التفسير والبيان، فإن هذه النصوص تفسر ويحدد نطاق تطبيقها ومجال إعمالها في ضوء المقاصد التي وردت هذه النصوص لتحقيقها والحكمة التي جاءت من أجلها [١].

١٣- من حيث التطبيق الاستعمالي، يطبق التفسير المقاصدي على النصوص القرآنية مع الاستفادة من توسيع المفهوم اللغوي؛ لمراعاة جوانب التيسير ورفع الحرج، كما تستند المستجدات والأحداث إلى النص القرآني؛ لإظهار الحكمة والغاية المترتبة منها، بينما تقتصر بعض أنواع التفاسير على ذكر جانب لغوي واحد وفي ذلك تغييب لجوانب التيسير، ومن جانب آخر: تعمد على إسقاط النص القرآني على المستجدات والأحداث وقياس النص عليها، فيكون النص تابعاً وليس مصدراً، وفي هذا تنحية للغاية والمقصد الذي أنزل النص من أجله. وأما من حيث اشتراكه مع بقية الأنواع، فيشترك التفسير المقاصدي مع غيره من أنواع التفاسير في مجالات منها: تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة الصحيحة، وتفسير القرآن باللغة، ومع منهج التفسير التحليلي من جانب النظرة الكلية، والإحاطة بتفسير الآية، ويشترك أيضا مع التفسير الموضوعي في التركيز على قضية واحدة وتناول جميع أطرافها، ومع وجود التميز للتفسير المقاصدي في اتخاذ المقاصد منطلقا للتفسير وعلى الرغم من أنه من تفاسير مدرسة التفسير الحديثة إلا أن جوانب التأصيل له كنوع تفسيري لا تزال قليلة جدًا، الأمر الذي يتطلب توجيه جهود الباحثين نحو إثراء مناهجه، وإيضاح خباياه، وإبراز معالمه[٢].

١٤- إن تحديد الأهداف والمقاصد انطلاقا من المصالح والمفاسد المترتبة عليها، يتيح لنا تبويبات جديدة للأحكام والمسائل الشرعية، ويسمح بترتيب وتنظيم الأحكام وفقا لمقاصد الشريعة [٣].

١٥- تجلي المقاصد في توجيه الفتوى من تنزيلُ النصوصِ على الوقائع، وتحقيق مقاصد الشارع في آحاد المستفتين، ولَمَّا كانت مقاصد الشارع واحدة لجميع المستفتين، وفي

١/ ينظر: مقاصد الشريعة عند ابن تيمية (أطروحة دكتوراة)، يوسف احمد محمد البدوي / ١١٥. والجذور التاريخية للتفسير المقاصدي للقرآن الكريم، رضوان جمال الأطرش، ونشوان عبده / ١٩٨.

٢/ ينظر: التفسير المقاصدي إشكالية التعريف والخصائص، د. رضوان جمال، د. نشوان عبده خالد / ١٤٢.

٣/ ينظر: مقاصد الاحكام الشرعية وغاياتها، محمد علي أيازي/ ٣٦.

مختلف الظروف، وكان مدى تحقيق هذه المقاصد يخضع لحالة المستفتي، وظروف الفتوى، كان من اللازم على المفتي أن يتصرف في فتواه بما يحقق تلك المقاصد الثابتة والمشتركة، ومن ثَمَّ وجب مراعاة المرونة في الفتوى لتتغير بتغير ظروف وملابسات المفتي والواقعة محل الفتوى. فالمقصد ثابت ومشترك بين جميع الناس، والذي يتغير بتغير الشخص أو الظرف هو الفتوى، ويكون تغيرها بما يحقق ذلك المقصد [١].

١٦- تعتبر إحدى السبل الكفيلة بتنمية وتطوير الفقه والاستجابة للمقتضيات الزمانية المختلفة، من ثمرة المقاصد في التفسير، تنزيل الأحكام الشرعية على الظروف المكانية والزمانية، فقه الواقع وتحقيق المناط [٢]. وذلك لإن كل إثبات شرعي يعتكز على مقدمتان، الأولى: راجعة إلى تحقيق مناط الحكم، والثانية: ترجع إلى نفس الحكم فمقاصد الشريعة يحتاج إليها المجتهد لصحة فهم النصوص الشرعية وتطبيقها على الواقع، ولكي يحقق المقصد الشرعي لا بد أن يراعي العناصر السياقية والمقامية ولهذا كان من لوازم مراعاة المصالح الإحاطة بأعراف وعادات الناس والمكلفين، فربط النص بالأحوال المتحركة والظروف المتغيرة والأعراف المتبدلة [٣].

١٧- لقد اتفقت جميع كتب المفسرين على أن أحكام الله تعالى لا تخلو عن حكمة ومقصود، ولو خلت لما كانت رحمة للعالمين، ولهذا قرر بعض المفسرين ،عند تفسير قوله تعالى:﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾{ المائدة: ٨٩}، ذكر الله ﷻ الخلال الثلاث مخيرًا فيها، وعقب عند عدمها بالصيام، فالأولى هي الإطعام، وبدأ بها؛ لأنها كانت الأفضل في بلاد الحجاز؛ لغلبة الحاجة فيها على الخلق، وعدم شبعهم، ولا خلاف في أن كفارة اليمين على

١/ ينظر: طرق الكشف عن مقاصد الشارع، د. نعمان جغيم / ٤٧. مقاصد الاحكام الشرعية وغاياتها/ ١٢. ومقاصد الشريعة عند ابن تيمية، د. يوسف أحمد البدوي /١١٨- ١١٩.

٢/ ينظر: مقاصد الاحكام الشرعية وغاياتها / ٣٧. ومقاصد الشريعة عند ابن تيمية/ ١٢٠- ١٢١.

٣/ ينظر: الموافقات، الشاطبي، ٣ / ٢٣١.

التخيير، وإنما اختلفوا في الأفضل، قال: ابن عربي:((أنها تكون بحسب الحال، فإن علمت محتاجا؛ فالإطعام أفضل، ولما علم الله تعالى غلبة الحاجة؛ بدأ بالمهم المقدم)) (١). وهذا شاهد واضح على أن غرض المفسر بيان ما يصل إليه أو ما يقصده من مراد الله تعالى بأتم بيان يحتمله المعنى، ولا يأباه اللفظ من كل ما يوضح المراد من مقاصد القرآن الكريم، أو ما يتوقف عليه فهمه أكمل فهم، أو يخدم المقصد تفصيلًا وتفريعًا (٢).

١٨- يحقق الكشف المقاصدي للنص القرآني التوازن والاعتدال في الأحكام وعدم الاضطراب، وهذا يحتم على أصحاب الشأن والمهتمين في الأمر القرآني مثل: المفسر، والقاضي، والعالم ، والفقه ، والمجتهد، أن يضع مقاصد القرآن نصب عينيه؛ لتضيء له الطريق وتصحح المسار، وتعينه على الوصول إلى الحق والسداد؛ لأن المقاصد بمثابة المحكم الذي ترد إليه المتشابه، والكليات التي ترد إليها الجزئيات، فتجري الأحكام على اتزان واعتدال لا خلل أو اعتلال، فمقاصد الشريعة ضالة المجتهد أنى وجدها فهو أحق بها، يستضيء بنورها عند نظره في الجزئيات، فهي سور وحصن يجعل المجتهد لا يغادر القول السديد، وعن مراد الشارع لا يحيد (٣).

في ضوء التشييد التأسيسي في بيان أهمية التحري بهذا اللون التفسيري وعلاقته بالتفسير، فمجالات البحث المقاصدي التي أبصرنا في ضوئها على أهمية معرفة البعد المقاصدي في التفسير، ببيان الغاية من النص القرآني يجب أن يكون ركيزة مهمة في حركة المفسر في مختلف نواحيه، فتقصي المفسر وتحليلاته اللغوية أو البلاغية أو الكلامية، أو التشريعية أو الاجتماعية، كل ذلك يجب أن يصب في خدمة المقصد القرآني أساسًا. وهذا هو المعيار الذي يحكم عند مطالعة التفاسير ليعرف مقدار اتصال ما تشتمل عليه بالغاية التي يرمي إليها المفسر، فيوزن بذلك مدى ما أوفي به من المقصد ومقدار ما تحاوزه، فغاية

١/ احكام القرآن، ٢ / ١٥٧.

٢/ ينظر: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، القرطبي، ٦ / ٢٧٥. والبعد المقاصدي في الدراسات القرآنية، د. محمد عبد اللطيف عبد العاطي / ٩٦.

٣/ ينظر: مقاصد الشريعة عند ابن تيمية، د. يوسف أحمد البدوي / ١٢١- ١٢٢.

النص تعد مكوّناً رئيساً للمفسر، ومن خلالها يستطيع أن يجعل من التفسير منطلقا لإظهار حلاوة النص القرآني، وفاعليته في إحداث التغيير الاجتماعي.

المطلب الرابع: التقسيم المقاصدي للقرآن الكريم.

بناءً على ما أسلفنا من أن كل تشريع بصفة عامة إنما يشرع من أجل تحقيق غاية تتعلق بحياة الإنسان الذي من أجله كان التشريع، فإن المقاصد القرآنية هي الغاية التي من أجلها وضعت تلك الشريعة في كلياتها وجزئياتها متحرية أن تجري حياة الإنسان المشرع له على ما فيه خيره وصلاحه. وهذا المعنى للمقاصد ضبطه ابن عاشور:((مقاصد التشريع العامة هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها))(١)

إذًا: إن كان التفسير باعثاً مهماً في بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها توصلاً إلى الكشف عن مراد الله تعالى، في خطابه للمكلفين، فإنه ثمة داعياً مهمًا لا يمكن إغفاله في فهم كلام الله وتفسيره، أي إعمال المقاصد وعدها مُبَرّراً مُوجِباً في تفسير النص القرآني، فلا يمكن تدبر القرآن وفهمه فهما صحيحًا بمعزل عن فهم مقاصده وغاياته، ونلحظ ذلك في قول الشاطبي: ((إن السورة القرآنية الواحدة مهما تعددت قضاياها وأغراضها فهي تكون قضية واحدة تهدف إلى غرض واحد، ولا يتحقق ذلك الغرض دون النظر إلى القرآن كله)) (٢).

وإن كانت رؤية الدكتور: حكمت الخفاجي، في بيان الجانب الموضوعي، إنما أفادتنا في اشتمال النصوص القرآنية على كثير من المقاصد والأغراض، إذ لا يمكن للمفسر المضي في التفسير دون النظر والوقوف على تلك المقاصد (٣).

فبالرغم من قيام أعلامنا المتقدمين من النظر في تفسير كلام الله تعالى نظراً تسلسليا، ألا إنَّ بعضهم الآخر نظر إلى النص، والسور القرآنية، نظرة أحاطه وشمول، مع بيان المقاصد العامة، ثم أدخل هذه المقاصد العامة، وفي ثنايا الأحكام التفصيلية للشريعة، يمكننا البحث والتحدث عن مقاصد كل حكم من تلك الأحكام التفصيلية، فوجود مقاصد إجمالية عامة، لا يلغي المقصد الجزئي أو المقاصد الجزئية لكل حكم على حدته أو لمجموعة من الأحكام

١/ مقاصد الشريعة الإسلامية، ٢/ ٢١.

٢/ الموافقات، ٤/ ٢٧٤.

٣ / ينظر: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم وموضوعاته / ٢٦.

تتحد في مقصدها أو مقاصدها الخاصة بها والجزئية كما أن المقاصد العامة الكلية من جهة، والمقاصد الجزئية التفصيلية من جهة ثانية، لا تمنع من وجود مقاصد وسيطة لا هي بالعامة الشاملة، ولاهي بالجزئية المحصورة في حكم واحد أو بضعة أحكام في مسألة واحدة، بل تتعلق بأحكام كثيرة وبمجال تشريعي كامل، تكون له خصوصياته ومميزاته، فيكون للشريعة فيه تبعا لخصوصياته ومميزاته مقاصد خاصة بذلك المجال التشريعي(١).

وعليه فأن مقاصد القرآن باعتبار عمومها في كل الأحكام أو خصوصها ببعض الأحكام إلى مقاصد لا تخرج عن: (مقاصد عامة، ومقاصد خاصة، ومقاصد جزئية)؛ وبناءً على ذلك يمكن تقسيم المقاصد إلى ما يأتي:

أولاً: المقاصد العامة:

هناك اصطلاح آخر قريب وشبيه لها كون التنويع في العبارات قد يزيد المعنى وضوحًا واكتمالًا، إذ التعبير بالمقاصد العامة والمقاصد الخاصة، هي أن الشريعة بحسب المكلفين عامة، بمعنى أنه لا يختص الخطاب بحكم من أحكامها لمكلف دون آخر ما دام شروط التكليف موجودة، ولا يستثنى من الدخول تحت أحكامها أي مكلف (٢).

فيقال: المقاصد العامة بدل الكلية، وحينما يستعمل وصف العامة قد يقابل بالخاصة أو الجزئية أيضًا، إذ المقاصد العالية عند ابن عاشور، فوق المقاصد الكلية أو العامة، وهو يعني بالمقاصد العالية: المبادئ الشاملة التي تدخل تحتها وتنتمي إليها جميع المقاصد، جلب المصالح ودرء المفاسد (٣).

فالمقاصد العامة: هي التي تراعيها الشريعة وتعمل على تحقيقها في كل أبوابها التشريعية، وثبتت إرادة تحقيقها على صعيد الشريعة كلها، أو في الغالب الأعم من أحكامها، وذلك مثل حفظ الضروريات الخمس: (الدين، والنفس، والنسل، والعقل، والمال)،

١/ ينظر: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم وموضوعاته / ٢٦. والفكر المقاصدي قواعده وفوائده،د.أحمد الريسوني/ ١٦.

٢/ ينظر: المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، د. يوسف حامد العالم / ٤٢.

٣/ ينظر: التحرير والتنوير، ١٣ / ٤٥. ومقاصد الشريعة الإسلامية، ١/ ٤١٢ و٢/ ١٢٢.

ومثل: رفع الضرر، والحرج، وإقامة القسط بين الناس، وإخراج المكلف عن داعية هواه [١]، من خلال مقاصد الشريعة العامة المتعلق بحفظ الكليات الخمس أعلاه ، نجده حاضراً في قوله تعالى :﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾{ النور:٦}، ففي تفسير هذه الآية يلحظ إن الحكمة في تكرارها – أي الشهادة – التغليظ في الفروج والدماء على فاعلها لعله أن يكف عنها ، فيقع الستر في الفروج والحقن في الدم ، وهذا يفيد سد الذريعة عن ما ينتهك أعراض الناس فقد حرم الله ﷻ القذف وأحاطه بشروط دقيقة وصارمة؛ ورتب عليه حدًا[٢]، يقول يوسف حامد العالم:((وأما تحريم القذف وما يترتب على فعله من حد فهو من باب حماية الأعراض، وحرصا من الشارع على عدم إشاعة الفاحشة على ألسنة الناس، ولذلك وردت الآية بتكرير الشهادة أربع مرات))[٣].

فالمقصد القرآني من وضع الشريعة أنما لتحقيق مقاصد الشارع في انتهاض مصالحهم في الدين والدنيا معًا، واحرز في كل حُكم منها لحفظ شيء من الضروريات الخمس، التي هي أسس الفلاح المرعية في كل ملة، والتي لولاها لم تستوسق وتنتظم مصالح الدنيا على استقامة، وأفل النجاة في الآخرة[٤].

أنبأ ابن عاشور من إن للمقاصد العامة شروط[٥] ، وهي كالآتي:

١. أن تكون ثابتة: والمراد بالثبوت أن يكون تحقيقها للمصلحة (جلب نفع عام، أو دفع ضرر عام) مجزومًا بتحققه، أو مظنونًا ظنًّا قريبًا من الجزم.
٢. أن تكون ظاهرة: والمراد بالظهور أن يكون المقصد واضحًا، بحيث لا يختلف الفقهاء في تحديده والاعتداد به، إذْ لا يُعْقَل أن يُوصَف مقصد مَا بالعموم مع خفائه وكونه محلّ خلاف كبير بين الفقهاء.

١/ ينظر: مدخل الى مقاصد الشريعة، د. احمد الريسوني / ١٣– ١٤. طرق الكشف عن مقاصد الشرع، د. نعمان جغيم / ٢٦. مقاصد الشريعة تاصيلا وتفعيلا، د. محمد بكر إسماعيل / ٢٩٩.

٢/ ينظر: أحكام القرآن، ابن عربي، ٣ / ٣٥٣. والجامع الاحكام القرآن (تفسير القرطبي)، ١٢ / ١٨٧

٣/ المقاصد العامة للشريعة الإسلامية / ٤٥٨.

٤/ ينظر: الموافقات، الشاطبي ٢/ ١٧.

٥/ ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، ٣ / ١٦٥ – ١٦٧.

٣. أن تكون منضبطة: أي أن يكون للمقصد حَدٌّ معتبر لا يتجاوزه، ولا يقصر عنه، بحيث يكون القدر الصالح منه لأن يُعتبر مقصدًا شرعيًّا قدرًا غير مشكك، أي غير متفاوت الوجود في أفراده.

فمن هذه المقاصد العامة التي بعث بها ولأجلها جميع الرسل، وهي مقصد هداية الخلق الى خالقهم وهدايتهم الى عبادته والارتباط به، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾{ الأعراف: ٦٥}، كذلك : تعليم الناس وإرشادهم وتزكيتهم [١]، كما في دعاء نبينا إبراهيم ﷺ إذ قال ،﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾{ البقرة: ١٢٩}. إذ كانت الغاية من خلق الإنسان هي أن يكون خليفة في الأرض خلافة قائمة على العبادة كما تحدد ذلك في قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ ﴾{ البقرة: ٣٠}، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ { الذاريات: ٥٦}.ينتج من هذا الارتباط أن يقال إذن إن المقصد الأعلى للشريعة الإسلامية هو تمكين الإنسان من تحقيق ما فيه خيره ومصلحته بتحقيق غاية وجوده وهي الخلافة في الأرض، وذلك بصلاح الذات الفردية والهيئة الاجتماعية بما يفضي إلى سعادته في الدنيا والآخرة [٢].

ثانيًا: المقاصد الخاصة:

يراد بها المقاصد المتعلقة بمجال خاص من مجالات التشريع، كمقاصد الشريعة في أحكام الإرث وما يلحق به، ومقاصد الشريعة في مجالات المعاملات المالية، أو في مجال الأسرة، وقد يدخل ضمن المقاصد الخاصة المقاصد المتعلقة بعدة أبواب تشريعية، لكنها متقاربة ومتداخلة، كمقاصد الولايات العامة، ومقاصد العبادات.

وإذا كان ابن عاشور قد قصر بيانه على المقاصد العامة للشريعة فيما سبق من كشف فإنه في قسم آخر من كتابه (مقاصد الشريعة الإسلامية) ذكر المقاصد الشرعية الخاصة

١/ ينظر: الفكر المقاصدي قواعده وفوائده، د. أحمد الريسوني / ١٨ – ١٩.

٢/ ينظر: ينظر: مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، د. عبد المجيد النجار/ ١٦– ١٧.

وبيَّن أنها:((الكيفيات المقصودة للشارع لتحقيق مقاصد الناس النافعة، أو لحفظ مصالحهم العامة في تصرفاتهم الخاصة))[١]،وكان تناوله لتلك المقاصد[٢]، كالتالي:

١. مقاصد الشارع في أحكام العائلة.

٢. مقاصد الشارع في التصرفات المالية.

٣. مقاصد الشارع في المعاملات المنعقدة على الأبدان العمل والعمال

٤. مقاصد القضاء والشهادة.

٥. مقاصد التبرعات.

٦. مقاصد العقوبات.

ثالثاً: المقاصد الجزئية:

إن مقارنتها مع المقاصد الخاصة هي أدق وأخص، أو يمكننا القول الخاصة متضمنة للجزئية في أفراد مسائلها وأعم منها، إذ أن المقاصد الخاصة تتعلق بجميع أبواب الشريعة ومسائلها في آن واحد، وأما المقاصد الجزئية فتتعلق بكل مسألة من ذلك الباب على انفراده.

فالمقصود بالمقاصد الجزئية:((هي المقاصد المتعلقة بمسألة معينة دون غيرها، فهي خاصة بمسألة خاصة أو دليل خاص فما يستنتج من الدليل الخاص من حكمة أو علة تعتبر مقصداً شرعيًا جزئيًا))[٣]، لأن ما يقصده الشارع من كل حكم شرعي، من إيجاب أو تحريم، أو ندب أو كراهة، أو إباحة أو شرط أو سبب؛ تكون الغاية منه معرفة، الأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها [٤]، كذلك: أنَّ كل حكم شرعي فيه حق للعباد إما عاجلًا وإما آجلًا، لإن الشريعة إنّما وضعت لمصالح العباد [٥]، ورد فِي الحديث: ((حق العباد على الله تعالى إذا عبدوه ولم يشركوا به شيئًا أَلَّا يعذبهم))[٦].

١/ محمد الطاهر بن عاشور، ٢/ ١٢١

٢/ ينظر: المصدر نفسه:٢/٣٢٩، ٥٦٨.

٣/ مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، د. محمد سعد بن مسعود اليوبي / ٤١٥.

٤/ ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، علال الفاسي / ٧.

٥/ ينظر: الموافقات، الشاطبي، ٢/ ٥٣٨.

٦/ صحيح الخاري، ٧ / ٦٨. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٣هـ) ، ٢ / ١٤٣٦ .

فالأحكام الجزئيّة: هي الأحكام المتحركة التي يتمّ تحصيلها عن طريق الحنكة والتأني وبتوسّط البرهان العياني والحكم الجزئي هو الذي في محلّ تبدّل وتغيّر [١]. فهي ما يتعلق بالجزئيات الخارجية للموضوع الكلي، فالحكم الجزئي جزئي من جزئيات الحكم الكلي.

مثال ذلك: الصداق في النكاح مقصده: إحداث المودة بين الزوج والزوجة، والإشهاد مقصده: تثبيت عقدة النكاح دفعًا للتنازع والجحود، ومعلوم أن الإدراك الصحيح والكامل لمقاصد الشريعة لا يكون إلا بالبحث عنها، والنظر إليها من خلال هذه الأقسام الثلاثة كلها، بحيث لا يمكن الحديث عن المقاصد العامة للشريعة من غير إدراك لمقاصدها في كل باب من أبوابها، ولا يمكن إدراك مقاصد الأبواب ولا المقاصد العامة إلا بفحص المقاصد الجزئية وتتبعها واستخراج دلالاتها المشتركة، كما لا يصح تقرير العلل والمقاصد الجزئية للأحكام في معزل عن المقاصد العامة [٢].

ففي(عقد الرهن) مثلًا كون المقصد منه التوثق، وعقدة النكاح مقصده إقامة وتثبيت المؤسسة العائلية، ومشروعية الطلاق مقصدها وضع حد للضرر المستمر؛ وأكثر من يعتني بهذا القسم من المقاصد، هم الفقهاء؛ لأنهم أهل التخصص في جزئيات الشريعة ودقائقها، فكثيرًا ما يحددون أو يشيرون إلى هذه المقاصد الجزئية في استنباطاتهم واجتهاداتهم، إلا أنهم قد يعبرون عنها بعبارات أخرى: كالحكمة، أو العلة، أو المعنى، أو غيرها [٣].

فالمقاصد القرآنية يجب النظر إليها على نطاق الشريعة كلها، فنقف عند عموم مقاصدها، وأيضًا النظر إليها إلى جانب معين أو جانب من جوانب الشريعة، فتنكشف لنا مقاصد ذلك الجانب، ويمكن النظر إلى كل من أحكام الشريعة على حدته لنتبين من مقصوده الخاص به أو مقاصده إن كانت متعددة، وعلى هذا الأساس قسمت المقاصد إلى ثلاثة أقسام، وجميع هذه الأقسام أنما جاءت من قبل المشرع الأعلى وهو الله ﷻ وهي لمصالح العباد في العاجل والآجل معًا.

١/ ينظر: أصول استنباط العقائد ونظرية الاعتبار، محمد السند / ١٣٨.

٢/ ينظر: مدخل الى مقاصد الشريعة، د. احمد الريسوني / ١٦. نظرية المقاصد عند الامام الشاطبي أحمد الريسوني/ ٨. والقيم الضرورية ومقاصد التشريع الإسلامي، د. فهمي محمد علوان / ٤٥.

٣/ ينظر: نظرية المقاصد عند الامام الشاطبي، د. أحمد الريسوني / ٨

المطلب الأول: مقاصد القرآن عند القدماء والمحدثين.

لقد أدرك علماء المسلمين منذ وقت مبكر أهمية العلم بالمقاصد القرآنية فوجهوا إليها عناية فائقة، واهتموا بها أيَّما اهتمام، حتى انتهى الأمر بهم إلى أن خصوه علمًا قائمًا بنفسه يهتم بمقاصد القرآن الكريم، هو الذي أصبح معروفا بعلم مقاصد الشريعة، وأن كان مختلطا بالعلوم الشرعية الأخرى، وعلى الأخص منها علم أصول الفقه، إلا أنه انتهى اليوم إلى وضع صار فيه علمًا مستقلا، تؤلف فيه المؤلفات، وتوجه إليه الأطاريح والبحوث [١].

هناك من يرى ارتباط مصطلح المقاصد باسم واحد من أبرز من كتب حول المقاصد وحرر أفكارها، وهو أبو إسحاق الشاطبي في كتابه (الموافقات)، وبعد الاستقراء تبين إن هناك من أسلافه إذ سبقه إلى هذا الميدان، فكانت لهم إشارات قد تكون لبنه أولى من بنى عليها من جاء بعدهم، حتى أصبحت المقاصد إلى ما هو عليه اليوم من تطور واهتمام بهذا الميدان العلمي.

١. ما جاء عن الطبري، في تفسيره: إذ استعمل مصطلح (المعاني) مرادفة للمقاصد [٢].

٢. أبا بكر القفال الشاشي(ت:٣٦٥هـ)، يبدو ركنًا ريادياً في مجال المقاصد، ألف كتابه (محاسن الشريعة) [٣]. والكتاب يرمي أساسا إلى بيان حكم الشريعة ومقاصدها في أحكامها

---

١ / نورد على سبيل المثال لا الحصر: المؤتمر الدولي الذي ينظمه المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالتعاون مع المعهد العالي للحضارة الإسلامية – جامعة الزيتونة: تونس بعنوان: مقاصد القرآن الكريم في بناء الحضارة والعمران، للفترة: ١٨–٢٠ نيسان ٢٠١٧م برحاب جامعة الزيتونة. كذلك: مقاصد الشريعة الإسلامية، لمحمد الطاهر بن عاشور، وهو كتاب مطبوع، بمطبعة: دار الكتاب المصري – ودار الكتاب اللبناني. كذلك: مدخل إلى مقاصد الشريعة، أ. د. احمد الريسوني، التدريسي بجامعة محمد الخامس بالرباط. وهذا الكتاب مطبوع بمطبعة: دار الكلمة– مصر. و(التفسير المقاصدي عند مفسري الامامية) وهي رسالة ماجستير للباحثة: دُرَرَ عبد الله حمزة، بإشراف، أ. د. حكمت عبيد الخفاجي، جامعة بابل – كلية العلوم الإسلامية. كما سجلت كلية العلوم الإسلامية في بابل عنواناً اخر: (التفسير المقاصدي للقصص القرآني) للباحثة: براق فاضل عباس، بإشراف: أ. د. محمد طالب مدلول الحسيني. كذلك: رسالة الماجستير الموسومة: (المقاصد القرآنية عند المفسرين – دراسة تأصيلية)، للباحثة: سحر تركي مهجهج، بإشراف: أ. د. فاضل عباس النعيمي، جامعة بابل – كلية العلوم الإسلامية وغيرها.

٢/ سبق وإن بينا هذا في: المبحث الأول – المطلب الثالث من هذا الفصل /١٤٠–١٤١.

٣/ محمد بن علي بن إسماعيل، أبو بكر القفال الشاشي المعروف بالقفال الكبير، من الشاش، بما وراء النهر – وكان القفال أحد علماء الفقه والتفسير واللغة. رحل وطلب العلم، ولقي كبار شيوخ عصره. وكان شيخ الشافعية في وقته. ولد سنة إحدى

في القرآن الكريم ، مبين من خلال ذلك: وجوه الرحمة والمصلحة واليسر والنفع للعباد، فبين ذلك في مقدمة كتابه: غرض الكتاب من تأليفه، للدلالة على محاسن الشريعة، ودخولها في السياسة الفاضلة السمحة من أنها وقعت من حكيم عليم بالعواقب مستصلح[١]، كما أنه إذا ثبت أن أحكام الشرعية مصالح فمعقول أن المصالح تعلق بأمور كثيرة تخفى حقائقها على العباد ؛ لاتصالها بعواقب الأمور التي تقصر عنها معارف البشر ، إذ إنَّ الله تعالى لا يحلل ويحرم لحاجة في نفسه ﷻ ، وإنما ذلك لمنافع عباده واستصلاحهم[٢]. فالذي يسئل عن العلة في الشيء الخافي، فسبحانه وتعالى بنى أمور عباده وخليقته على أن عرفهم والهمهم معًا حلائلها وجملها دون دقائقها وتفصيلاتها، وكفى ذلك من تتبع مقاصده سبحانه وتعالى المختلفة والتي خرجت للعباد عن حكمة ومصلحة [٣]. ولهذا عدَّ القفال الشاشي من المكثرين في تعليل الأحكام، إذ صرح أحمد الريسوني بالقول: ((تميز كتابه محاسن الشريعة بتعليل الأحكام من أول الكتاب الى آخره))[٤]، وفي ضوء ذلك يتبين لنا كثرة استعماله لمصطلحات الحكمة والمصلحة والمنفعة، المرادفة للمقصد دلالة على أهميتها .

٣. الإمام الجويني(ت: ٤٧٨هـ)، في كتابه :(البرهان في أصول الفقه)، تكلم عن بعض جوانب مقاصد القرآن، وإن جاءت تحت مسمى مقاصد الشريعة، في الباب الثالث: تقاسيم العلل والأصول، مركزاً على مراتبها، إذ قسمها إلى خمسة أضرب وهي: الضروري ـ والحاجي ـ ما لا يتعلق بضرورة خاصة ولا حاجة عامة لكنه يلوح فيه غرض في جلب مكرمة أو في نفي نقيض لها ـ ما لا يستند إلى حاجة وضرورة وتحصيل المقصود فيه مندوب إليه ـ ما لا يلوح فيه للمستنبط معنى أصلًا ولا مقتضى من ضرورة أو حاجة أو استحثاث على مكرمة ومثال هذا القسم: العبادات البدنية المحضة؛ فإنه لا يتعلق بها أغراض دفعيه ولا نفعية، ولكن لا يبعد أن يقال تواصل الوظائف يديم مرون العباد على حكم

وتسعين ومائتين. ومات سنة خمس وستين وثلاثمئة وقيل ست وستين وثلاثمئة. ينظر: طبقات الصوفية، السلمي (ت: ٤١٢هـ) / ٢٣.

١/ ينظر: محاسن الشريعة في فروع الشافعية (كتاب في مقاصد الشريعة) / ١٧-١٨.

٢/ ينظر: المصدر نفسه / ٣٤.

٣/ ينظر: المصدر نفسه / ٢٧-٢٩.

٤/ محاضرات في مقاصد الشريعة / ٦٣.

الانقياد، وتجديد العهد بذكر الله تعالى ينهى عن الفحشاء والمنكر[١] .فهو يرى تعلق مسائل الشرع بوجوه من المصالح[٢]، ففكرة المقاصد كانت واضحة عنده واكثر نضوج في كتابه الموسوم (بالغياث)، وان لم يستعمل في عرضها العبارات والمصطلحات التي استعملها المتأخرون، كما استحضر مسائل عنون لها المحدثين وسمت بـ(طرق حفظ المقاصد) منها: مسألة حفظ الدين فقسمها إلى: حفظ الدين بأقصى الوسع على المؤمنين، ودفع شبهات الزائغين [٣].

يلحظ فيما سبق إن المقاصد القرآنية عنده لم تأتي على وجه التخصيص أي بمعنى (مقاصد القرآن) انما وردت في مباحثه، وخصوصاً في الباب الثالث من الجزء الثاني من كتابه، إذ لم تكن المقاصد هي الغاية الرئيسة للكتابة فيه، لذا نلمس فكرة المقاصد، إنما وردت في ضوء الاستقراء للأفكار الأساسية، إذ كانت إشارات واضحة على استقرار معنى المقاصد عنده، التي يمكن للمتمعن فيها أن تظهر له عند الفحص والتدقيق في ضوء عباراته، لذا يمكن القول: بإن الجويني عدّ من الممهدين للمقاصد القرآنية لمن جاء بعده.

وعليه يظهر إنَّ الفقهاء والأصوليون كانوا يبحثون في مقاصد القرآن، لكن بغير هذا الاسم في الغالب، مثلًا باسم: (علل الشريعة) [٤]،أو(حكمة الشريعة)[٥] ، أو ما يدور في فلكها ومعناها، وجاء هذا نتيجة لوجود ارتباط من أحد جوانب هذه المصطلحات، مع المعنى الإجمالي أو العام للمقاصد فقد استعمل الأصوليون ، مثلاً : لفظ الحِكمة : الذي عبر فيه عن جلب المصلحة ودفع المفسدة عن النفس[٦] ، لبيان المعنى المقصود من تشريع الحُكم، وما يترتب على هذا الحكم من جلب مصالح أو دفع مفاسد، فتحريم الشارع للزنا، أوجب على مرتكبه حدًا، والحكمة في ذلك المحافظة على الأنساب من الاختلاط ، كما أوجب

١/ ينظر: إمام الحرمين الجويني، الملقب (ابي المعالي)، ٢ / ٧٩.

٢/ينظر: الغياثي (غياث الأمم في التياث الظلم) / ٤٣٠.

٣/ ينظر: المصدر نفسه / ١٨٤.

٤/ينظر: المستصفى، الغزالي / ٣٤٠.

٥/ ينظر: الاحكام في أصول الاحكام، أبو الحسن سيد الدين علي الآمدي (ت: ٦٣١هـ)، ١ / ١٧٩.

٦/ ينظر: المصدر نفسه، ١/ ٩٠.

الشارع حدًا على شارب الخمر، والحكمة في ذلك المحافظة على العقل[١]، وغيرهما . وهنا يظهر جليًا أن معنى الحكمة من الحكم الذي استعمله الفقهاء، تتقارب وتتطابق مع مصطلح المقصاصد القرآنية الذي يسعى المفسر والفقيه لاستخراجه والكشف عنه.

٤. ابو حامد الغزالي(ت : ٥٠٥هـ)، لقد افاد من سابقيه في هذا المضمار والخوض فيه ، في كتابه (جواهر القرآن) وكذا في كُتُبه(إحياء علوم الدين)و(المستصفى) و(المنخول) ، و(شفاء الغليل) ، فقسمها في الجواهر إلى **ثلاثة، الأولى:** ملمات و متمات، الملمات هي: تعريف المدعو إليه ، وبصراطه المستقيم، وتعريف الحال عند الوصول إليه، أما المتمات فأحدها: تعريف أحوال المجيبين للدعوة ولطائف صنع الله فيهم؛ وسرّه ومقصودة التشويق والترغيب ،**وثانيها:** حكاية أحوال الجاحدين، وكَشف فضائحهم وجهلهم بالمجادلة والمُحاجَّة على الحق، وسرّه ومقصودة في جنب الباطل الإفضاح والتنفير، وفي جنب الحق الإيضاح والتثبيت. **وثالثها:** تعريف عمارة منازل الطريق، وكيفية أخذ الزاد والأهبة والاستعداد [٢]. فجلب المنفعة ودفع المضرة مقاصد الخلق، وصلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم، أما المقاصد الأساسية التي أمر الشرع المحافظة عليها خمسة وهي: أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة [٣]. وقد رتب المقاصد إلى ثلاث مراتب: الضروريات والحاجيات وما يقع موقع التحسين والتزيين [٤].

ذهب إلى إن أهم المقاصد وأعلاها رتبةً وأقواها هي المحافظة على الأصول الخمسة: (الدين والنفس والعقل والنسل والمال)، وقد شرع لحفظ الدين قتل الكافر المضل وعقوبة المبتدع الداعي إلى بدعته، وشرع لحفظ النفس إيجاب القصاص إذ يأمن الناس على نفوسهم، وشرع لحفظ العقل إيجاب حد الشرب حتى لا تفقد العقول، وشرع لحفظ النسل

١/ ينظر: الاحكام في أصول الاحكام، أبو الحسن سيد الدين علي الآمدي، ٣ / ٢٠٢

٢/ ينظر: جواهر القرآن، الغزالي / ٢٣ – ٢٤.

٣/ ينظر: المستصفي ، الغزالي / ١٧٤.

٤/ المستصفى/ ٢٠٨. وشفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل، الغزالي /١٦١.

إيجاب حد الزنا كي لا تختلط الأنساب، وشرع لحفظ المال إيجاب زجر الغصاب والسراق كي تحفظ الأموال [١].

لقد عد كتاب المستصفى خلاصة فكر الغزالي المقاصدي والنضج العلمي الذي وصل إليه، إذ جاءت مباحث المقاصد فيه محررة مع ذكر الأمثلة، ولقد أصبحت الخطوات التي سار عليها والتقسيمات التي حررها ونقّحها في مباحث مقاصد الشريعة هي المرجع لعامة الأصوليين إلى زمن الشاطبي [٢]. فأصبح الغزالي محطّ أنظار من جاء بعده في المقاصد فاستحق بجهوده تلك أن يكون صاحب الخطوة الثانية في مسيرة المقاصد بعد شيخه الجويني صاحب البذرة الأولى.

٥. لم ينحسر الفكر المقاصدي بالقامات الأنفة الذكر، بل واكبتهم قامة أخرى تعدّ رأسًا من رؤوس هذا الفكر، وهو أبو الحسن علي الآمدي ، إذ واصل ما ابتدأ به أساتيذه في كتاب الموسوم (الإحكام في أصول الأحكام)، وهو تلخيص للكتب الثلاثة: (المعتمد ، أبو الحسين البصري)[٣]، و(البرهان في أصول الفقه، للجويني) و(المستصفى، للغزالي)،فقد نص على ترجيح المقاصد الضرورية على الحاجية، وترجيح هذه على التحسينية ، كما ترجح المصالح الأصلية على مكملاتها، وترجح مكملات الضروريات على مكملات الحاجيات[٤]، بين إنه إذا عرف المقصود من شرع الحكم إنما هو تحصيل المصلحة أو دفع المضرة، فذلك إما أن يكون في الدنيا أو في الآخرة [٥]. كذلك نصّ صراحة على أن المقاصد منحصرة في الضروريات الخمسة فقط [٦]. بينما لم يصرح من قبله بانحصارها بل اكتفوا بالتعداد فقط. أيضًا تطرق إلى بيان كيفية ترتيب الضروريات الخمس والترجيح بينها، ودافع عن الترتيب

١/ ينظر: المستصفى/ ١٧٤. وشفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل/ ١٦٤.

٢/ ينظر: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، د. أحمد الريسوني /٥٢-٥٦، ومقاصد الشريعة تأصيلاً وتفعيلاً، محمد بكر إسماعيل /١٠١.

٣/ هو محمد بن علي الطيب البصري (ت ٤٣٦هـ)، أحد أئمة المعتزلة، من الأذكياء، من كتبه: شرح الأصول الخمسة. ينظر: الأعلام، خير الدين الزركلي /٢٧٥.

٤/ ينظر: الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي ،٣ / ٢٧٤.

٥/ ينظر: المصدر نفسه، ٣/٢٧١.

٦/ ينظر: المصدر نفسه،٣ / ٢٧٤.

الذي اختاره، على الرغم من ذكره للضروريات على ترتيب الغزالي، والتي لم تخل من رعايتها ملة من الملل، ولا شريعة من الشرائع، وهي: الدين والنفس، والعقل، والنسل، والمال [١]. نرى إنه عند تفصيل القول في الترجيح بينها، اختار تقديم حفظ النسل على حفظ العقل، كما هو الشأن في تقديم حفظ النفس على حفظ العقل؛ لأن حفظ العقل إنما هو فرع لحفظ النفس والنسل، فبحفظهما يقع حفظ العقل، وبفواتهما يفوت العقل أيضًا [٢].

٦. عز الدين بن عبد السلام (ت: ٦٦٠هـ)[٣] ، يعد من الذين أطالوا الكتابة والتفتيش والتأمل في المصالح وتحقيقها، والمفاسد ودرئها، ومن أبرز كتبه (قواعد الأحكام في مصالح الأنام)، وما وقف عليه من نظرات تبصر وتدبر في مقاصد الشريعة، نقف على مقتطفات مما كتبه ، إذ عقد فصولاً مطولة تكلم فيها عن مقاصد القرآن الكريم، وما انطوت عليه تلك المقاصد، من المصالح والمفاسد. ذكر في مقدمة مصنفه أعلاه: ((أمرهم بتحصيل مصالح إجابته وطاعته، ودرء مفاسد معصيته ومخالفته؛ إحسانا إليهم، وإنعاما عليهم؛ لأنه غني عن طاعتهم وعبادتهم، فعرفهم ما فيه رشدهم ومصالحهم ليفعلوه، وما فيه غيهم ومفاسدهم ليجتنبوه، فرتب مصالح الدارين على طاعته واجتناب معصيته، فأنزل الكتب بالأمر والزجر والوعد والوعيد)) [٤]. وتبعًا لذلك فقد قسم المقاصد إلى ثلاث أقسام: (الضروريات – الحاجيات – التكميلات). فهو يرأى إنَّ مصالح الدنيا والآخرة ثلاثة أقسام كل قسم منها في منازل متفاوتات، فأمَّا مصالح الدنيا فتنقسم إلى: الضرورات والحاجات و التكمِلات، وأما مصالح الأخرة، فعل الواجبات واجتناب المحرمات من الضروريات وفعل السنن المؤكدات من الحاجات، وما عدا ذلك من المندوبات التابعة للفرائض فهي من التتمِات التكمِلات، لذلك انقسمت الطاعات إلى الفاضل والأَفضل لِانقسام مصالحها إلى الكامل والأكمل، وانقسمت

١/ ينظر: الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي، ٣ / ٢٧٤.

٢/ ينظر: المصدر نفسه، ٣ / ٢٧٤– ٢٧٥.

٣/ عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن حسن بن محمد ابن مهذب السلمي شيخ الإسلام والمسلمين وأحد الأئمة الأعلام، الملقب بـ (سلطان العلماء) إمام عصره، المطلع على حقائق الشريعة وغوامضها العارف بمقاصدها، علمًا وورعًا، ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي السبكي (ت: ٧٧١ هـ)، ٨ / ٢٠٩.

٤/ قواعد الأحكام في مصالح الأنام، ١/ ٣.

المعاصي إلى الكبير والأكبر لِانقِسام مفاسدها إلى الرذيل والأرذل[١]. وبهذا يظهر أن المصالح والمفاسد ضربان، أحدهما ناجز والثاني متوقع، مثلًا: التداوي من الأمراض دفع لمفسدة ناجزة ، وقتال الكفار والبغاة درء لمفسدة ناجزة ، والأمر بالمعروف تارة يكون لمصلحة ناجزة كالأمر بالواجبات على الفور؛ وتارة يكون لمصلحة متوقعة أكثر من الناجزة ، ثم يقف عند نقطة مهمة وهي؛ إن منافع المقاصد تعود إلى الإنسان، لأنه لا يرجع شيء من جلب المصالح ودرء المفاسد وأشباهما إلى الديان تعالى لاستغنائه عن الأكوان وإنما يعود نفعهما وضرهما على الإنسان [٢].

٧. عند الدنو من القرن الثامن الهجري، يقترن فكرًا أخر لا يقل شأن من سابقيه في الفحص والتتبع عن المقاصد القرآنية: وهو ابن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، فهو واحد من رواد المقاصد والترجيح بين المصالح والمفاسد، الذي عنده إنَّ المقاصد والغايات المحمودة في مفعولاته ومأموراته هي ما تنتهي إليه تلك من العواقب الحميدة، تدلُّ على حكمته البالغة [٣]، ومن أبرز ما أضافه:

أ- إنَّه لا يرى حصر المقاصد الضرورية في خمسة، بل يضيف إليها مقاصد أخرى: مثل الوفاء بالعهود، وصلة الأرحام، وتهذيب الأخلاق، ومقاصد العبادات وغيرها، ويفصِّل في المقاصد ويوسع فيها، إذ يتبيّن له أن هذا جزء من أجزاء ما جاءت به الشريعة من المصالح [٤]. وهو بهذا يستدرك على جميع من تقدمه من العلماء ممّن كتب في المقاصد.

ب- أشاد كثيراً بأهمية المقاصد في مناسبات مختلفة لأجل الفَهم الصحيح للدين [٥].

ت- أنه يستخدم: العواقب ـ والغايات ـ والمنافع ـ والمقاصد ـ والحكم ـ والمطالب والمصالح ـ والمحاسن ، بمعنى أن لله تعالى غايات ومقاصد في خلقه وأمره على حد سواء، أن هذه الغايات مرادة الله شرعًا، ومحبوبة له سبحانه لأنها تحقق العبودية له وفيها صلاح العباد

١/ينظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام، ١ / ٢٢ – ٢٣.

٢ / ينظر: المصدر نفسه، ١/ ٤٤

٣ /ينظر: مجموع الفتاوى، ٣ / ١٩.

٤ /ينظر: المصدر نفسه ،٣٢ / ٢٣٤.

٥/ ينظر: المصدر نفسه، ٨ / ٣٦٤. و١٠ / ٤٢.

في المعاش والمعاد [١]. إن الله تعالى أكمل للناس الدين وأتم النعمة لهم فالشريعة لم تهمل مصلحة قط فما من شيء يقرب إلى الجنة إلا وقد حدثنا به النبي ﷺ أمّته به، ولَا شيئاً يبعد عن النّار إلَّا وقد حذَّر أمّته منه[٢]. يظهر أن ابن تيمية يناقش الذين مثلوا للمقاصد الخمسة بالأحكام السلبية وهي قتل المرتد وقطع يد السارق وحد السكران، ولم يلتفتوا إلى الجانب الإيجابي في حفظ المقاصد، وهو بهذا يلتقي مع الشاطبي في تقسيم حفظ المقاصد عل قسمين: وهما جانب الوجود والعدم أو لنقل الجانب الإيجابي والجانب السلبي [٣]. ويلتقي ابن تيمية مع كل المقاصديين، في أن الأحكام الشرعية لا تتصف بالثبات المطلق، بل إنها قد تختلف باختلاف الأشخاص والأحوال [٤].

٨-من الذين ذاع صيتهم في بيان المقاصد القرآنية، أبي إسحاق إبراهيم الشاطبي، فقد فصل مقاصد الشريعة في كتابيه المعروفين (الموافقات والاعتصام)، والمتتبع للكتابين يجدهما زاخره بدقائق البحث في المقاصد، وإن كان الشاطبي قد عنون الجزء الثاني من كتابه الموافقات بعنوان مقاصد الشريعة [٥]؛ إلا أنه لم يقف معها عند هذا الجزء فقط بل فصلها في كل أجزاء الموافقات مضافاً إليها ما كتبه عنها في الاعتصام. ولعلَّ أول من أنضج منهجاً واضحاً، في علم مقاصد الشريعة، هو في كتابه الموافقات [٦] .

لقد وصف الشاطبي بالرجل الفذُّ إذ أفرد هذا الفن بالتدوين [٧] ، كما عد صاحب نهضة جديدة في إصلاح شؤون الأخلاق والاجتماع، فهو من المجددين في الإسلام، فمثله كمثل الحكيم الاجتماعي عبد الرحمن بن خلدون، كلاهما أتى بما لم يسبق إلى مثله [٨].

١/ ينظر: مجموعة الفتاوى، ١١ / ٤١٥. مقاصد الشريعة عند ابن تيمية، د. يوسف أحمد محمد البدوي / ٥٢.

٢/ ينظر: مجموع الفتاوى، ١١ / ٣٤٤.

٣/ ينظر: المصدر نفسه، ٣ / ٢١

٤/ ينظر: المصدر نفسه، ٦ / ٦٠.

٥/ ينظر: الموافقات، ١ / ١٠

٦/ ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، ١ / ١٢.

٧/ينظر: المصدر نفسه، ١ / ١٢.

٨/ ينظر: الاعتصام، الشاطبي / ٥٥ (المقدمة، بقلم: محمد رشيد رضا).

فعلى الرغم من هذا الاهتمام بالمقاصد إلا إننا لم نجد إعطاءه حد وتعريف للمقاصد، ولعله اعتبر الأمر واضحًا، ويزداد وضوحًا بما لا مزيد عليه بقراءة كتابه المخصص للمقاصد من الموافقات، ولعل ما زهده في تعريف المقاصد؛ كونه كتب كتابه للعلماء من الراسخين في علوم الشرعية [١]. ومما يزيد الأمر وضوح في ذلك، بما نبه عليه بقوله: ((ومن هنا لا يسمح للناظر في هذا الكتاب أن ينظر فيه نظر مستفيد حتى يكون ريان من علم الشريعة أصولها وفروعها منقولها ومعقولها)) [٢]. فالشاطبي لم يرتض المسالك الضيقة لحصر الكلام في المقاصد، فيرى إن مقاصد الشريعة أوسع مجالاً وأعظم أثراً، فكانت خطوته الأولى في بنائه المقاصدي، أن أخرجها من القوالب التي وصفها فيها الأصوليون وأفردها بالبحث في كتابه (الموافقات) ،إنَّ هذه الشريعة المعصومة ليست تكاليفها موضوعة كيفما اتفق لمجرد إدخال الناس تحت سلطة الدين، بل وضعت لتحقيق مقاصد الشارع في قيام مصالحهم في الدين والدنيا معًا، وروعي في كل حُكم منها: إما حفظ شيء من الضروريات الخمس، التي مثلت أسس العمران المرعية في كل ملة، ولولاها لم تنصرم مصالح الدنيا على استقامة، و لفاتت النجاة في الآخرة، فحفظ شيء من الحاجيات؛ كأنواع المعاملات، التي لولا ورودها على الضروريات لوقع الناس في الضيق والحرج. وإما حفظ التحسينات، التي ترجع إلى مكارم الخلاق ومحاسن العادات. وإما تكميل نوع من الأنواع الثلاثة بما يُعين على تحققه. ولا يخلو بابٌ من أبواب الفقه في القرآن، عبادات ومعاملات وجنايات وغيرها، من رعاية هذه المصالح وتحقيق هذه المقاصد، التي لم توضع الأحكام إلا لتحقيقها [٣].

إن أهم ما قدمه الشاطبي وبرز فيه، هو مناهج فهم الكتاب والسنة فهما سليمًا متينًا، ولم يكن إبداعه في مقاصد الشريعة إلا ثمرة لتلك المناهج، فالضروريات الخمس ذكرها إنها تأصلت في الكتاب وتفصلت في السنة [٤].

١/ ينظر: نظرية المقاصد عند الشاطبي، د. احمد الريسوني / ٥.

٢/ الموافقات، ١ / ١٢٤.

٣/ المصدر نفسه، ١ / ٥.

٤/ المصدر نفسه ،٤ / ٣٧٤.

إن من أهم ما ينبني على نظرية المقاصد، والدافع عن صحته، يعد ضرورة أخذ النصوص بمقاصدها، وضرورة إدخال التفسير في معانيها وأحكامها إذ يتضح في ضوء هذا الكتاب ظهور قضية أخرى في فهم نصوص الشريعة، وهي أهمية الاعتماد على الكليات التشريعية وتحكيمها في فهم النصوص الجزئية وتوجيهها، وهو نوع من رد المتشابهات إلى المحكمات، والجزئيات إلى الكليات، فكليات الشريعة ومقاصدها العامة، هي أصول قطعية لكل اجتهاد ولكل تفكير إسلامي، فلا بد من إعادة الاعتبار إليها، ولا بد من وضعها في المقام الأول، ثم يرتب ما عداها عليها [١].

أبرز الجوانب المقاصدية التي عالجها الشاطبي:

١. أنه رتّب هيكلَ المقاصدِ ونسّقه بشكل بديع، من ذلك أنه قسّم المقاصد إلى قسمين: مقاصد الشارع ومقاصد المكلف، وقسم الأول إلى أربعة أنواع: من جهة قصد الشارع في وضع الشريعة ابتداءً، ومن قصده في وضعها للإفهام، ومن جهة قصده في وضعها للتكليف بمقتضاها، ومن قصده في دخول المكلف تحت حكمها، وفصَّل القول في كل نوع منها [٢].

٢. حلل مقاصد المكلف إلى أربعة أنواع، ثم أخذ يفصل كل نوع منها وأضاف إليها مقاصد المكلف في التكليف، وبسط هذا الجانب من العلم في اثنتين وستين مسألة وتسعة وأربعين فصلا من كتابه (الموافقات)، تجلى بها كيف كانت الشريعة مبنية على مراعاة المصالح، وأنها نظام عام لجميع البشر دائم مع بقاء الدنيا [٣].

٣. قَسَّم المقاصد أيضاً إلى الأصلية والتبعية [٤].

٤. جمع ما تفرّق عند غيره وما تطور عند سابقيه، لكن جمعه كان عملاً بنائياً منسّقاً مع مزيد من البيان والتتميم، ليخرج ذلك كله على شكل نظرية متكاملة في مقاصد الشريعة [٥].

١/ ينظر: الموافقات، ١ / ١٨ (المقدمة الأولى). ونظرية المقاصد عند الشاطبي، د. احمد الريسوني / ٤.

٢/ ينظر: المصدر نفسه، ١ / ٥

٣/ ينظر: المصدر نفسه، ١ / ٨

٤/ ينظر: المصدر نفسه، ١ / ٣٨٢.

٥/ ينظر: البحث في مقاصد الشريعة نشأته وتطوره ومستقبله: د. أحمد الريسوني / ٢٤.

٥. أصّل لقواعد المقاصد، إذ يوازن عبد المتعال الصعيدي (ت: ١٣٧٠هـ)، في ريادة الشاطبي بعلم المقاصد، والشافعي في علم الأصول؛ لأنه سبق هذا العصر الحديث بمراعاة ما يسمى فيه روح الشريعة، أو روح القانون، وهذا باهتمامه بمقاصد الشريعة، بهذا يكون للشاطبي ذلك الفضل الكبير بعد الشافعي [١].

يبدو أن مصطلح المقاصد سواء يراد به مقاصد القرآن الكريم أو الشرعية ، إذ إدراك ثقافة هذا المفهوم المقاصدي وفهمه ومراعات حيثياته ، ليس درس أو علم شاد صرحه وافصح عنه المتأخرون أو ابتكره المتقدمون ، لأنه من جوهر الدين؛ إذ القرآن الكريم والسنة النبوية يعدان أول من تكلم بمقاصد الشريعة، وأنبَأ عن أمثلتها ونماذجها الإجمالية والتفصيلية، فإنهما قد كشفا كثيراً من علل الأحكام ومقاصدها في العبادات والمعاملات وقاطبة أبواب التشريع، فقد اقترنت المقاصد العامة أو الخاصة، أو الكليات الخمس وغيرها بنصوصهما تصريح أو تلميح.

فكان قدامى العلماء من مفسرين وفقهاء وأصوليين يعبرون عن كلمة المقاصد بتعبيرات مختلفة، لذلك لم يبرز مفهوم دقيق للمقاصد يحظى بالقبول والاتفاق من قبل كافة العلماء أو أغلبهم، ونتيجة لذلك فلم يولوها حظاً من التدوين، تعريفاً وتمثيلاً وتأصيلاً ؛ لأن بعضهم كان يتعرّض للكلام عن المقاصد تبعًا لموضوع آخر في الأصول، كالعلل أو المصالح أو غيرهما، ولعلّ وضوح معنى المقاصد جعل هؤلاء الأوائل لم يعرّجوا على البيان الدقيق بالمقاصد؛ لأنه يُعبر عنها بأكثر من لفظ[٢] .

يظهر في ضوء دراسة المقاصد عند المتقدمين، أنهم عنوا بهذا العلم والتفتوا إليه وإن جاءت تعبيراتهم ودلالتهم عليه متنوعة، وهذا ما نلمحه من دراسات بينت تلك التعابير في أمهات كتبهم، وهذا التنوع لا يخرجهم من كون إن فكرة المقاصد كانت حاضره لديهم حتى نضجت واكتملت عند المتأخرين.

١/ينظر: المجددون في الإسلام من القرن ق١ – ق١٤/ ٢٣٤.

٢/ينظر: الاجتهاد المقاصدي حجية – ضوابطه – مجالاته، نور الدين الخادمي ١/٤٧– ٤٨. مقاصد الشريعة تأصيلا وتفعيلًا، د. احمد الريسوني / ١٦.

مقاصد القرآن الكريم عند المعاصرين:

١. تزايد الاهتمام بالمقاصد القرآنية عند المتأخرين وأول من يطالعنا، محمد رشيد رضا [١](ت: ١٣٥٤هـ) في كتابيه (تفسير المنار) و(الوحي المحمدي)، ففيهما أعطى مقاصد الشريعة مجالاً واسعًا، حتى أصبحت من معالم دعوته الإصلاحية، ومنهجه الفكري، ويظهر ذلك بجلاء في تفسير المنار.

دارت المقاصد القرآن عنده حول الرقي بالإنسان حسيًا وروحيًا، فرأى إنَّ التّفسير الذي نريد نيله هو فَهْم كتاب الله من حيث هو دين يهدي الناس إلى ما فيه سعادتهم في الدارين، وهذا لهو المَقصد الأَعلى منه[٢].أظهر مقاصد القرآن الكريم في كتابه (الوحي المحمدي)، بفصل سماه (مقاصد القرآن في تربية نوع الإنسان) [٣]، ثم تحدث عن هذه المقاصد حاصرًا إياها في عشرة أنواع[٤].

الأول: بيان حقيقة أركان الدين الثلاثة التي دعا إليها الرسل وضل فيها أتباعهم.

الثاني: بيان ما جهل البشر من أمر النبوة والرسالة ووظائف الرسل.

الثالث: من مقاصد القرآن إكمال نفس الإنسان من الأفراد والجماعات والأقوام.

الرابع: الإصلاح الإنساني – الاجتماعي – السياسي الوطني.

الخامس: تقرير مزايا الإسلام العامة التكاليف الشخصية، الواجبات والمحظورات.

السادس: بيان حكم الإسلام السياسي الدولي: نوعه، وأساسه، وأصوله العامة.

السابع: الإرشاد إلى الإصلاح المالي.

الثامن: نظرة عامة فى فلسفة الحرب والسلم والمعاهدات.

التاسع: إعطاء النساء جميع الحقوق الإنسانية والدينية والمدنية.

١/ من رجال الإصلاح الإسلامي المعاصر، قاد نهضة فكرية واسعة، يعدّ من المفكرين البارزين في أوائل القرن العشرين. ينظر: الأعلام، للزركلي، ١٢٦/٦.

٢/ينظر: تفسير المنار، محمد رشيد علي رضا،١/ ١٧.

٣/ ينظر: تفسير المنار، ٢ / ١٧٠. والوحي المحمدي، محمد رشيد رضا/ ١١٩.

٤/ ينظر: الوحي المحمدي / ١٢١– ٢٤٠

العاشر: من مقاصد القرآن تحرير الرقبة[١]. وأهتم ايضاً: بقواعد المصالح والمفاسد مع التطبيقات عليها [٢]، وتوظيف المقاصد في عملية الترجيح بين الأدلة المتعارضة [٣]، كما يلحظ عليه كثرة تكراره للضروريات الخمس مع وفرة الأمثلة عليها [٤]. لقد كان غرضه من ذلك كله أن ينهض بتوجيه المساع للكشف عن تفسير مقاصد القرآن العالية المزكية للأنفس المنورة للعقول، فالمفضلون للتفسير بالمأثور لهو شاغل عن مقاصد القرآن، لقد كان تطلعه إلى تفسير تتوجه العناية الأولى فيه إلى هداية القرآن على الوجه الذي يتفق مع الآيات الكريمة المنزلة في وصفه، وما أنزل لأجله من الهداية والإصلاح والإنذار والتبشير [٥].

٢. لا يوجد تطور ملحوظ بشأن مقاصد القرآن بعد الشاطبي، حتى ظهور محمد الطاهر بن عاشور، ففصل المقاصد باستقصاء مستقل في كتابه (مقاصد الشريعة الإسلامية) وأتى فيه بمباحث جديدة مبتكرة، ولم يأت كتابه اختزال لموافقات الشاطبي كما زعم الغير، بل انتفع بما وصل إليه، ولقد أحسن الوصف فيه، د. نعمان جغيم: الذي عده ثاني أبرز من كتب في مقاصد الشريعة بعد الشاطبي [٦]. وغيره وصفه بالمعلم الثاني بعد الشاطبي [٧]. ونصدق القول للوصفين السابقين من إن ابن عاشور عند وصف خطته في المقاصد، على أنه أفاد جد الإفادة من الشاطبي، وأنه أقتفي آثاره، ولكن لا بقصد نقله واختصاره بل بني على ما أسسه، ثم يضيف ما عنده [٨].

أستأنف ابن عاشور في تأصيله لمقاصد الشريعة، والذي عده علمًا منفصلًا عن أصول الفقه، ومكملًا له في ذات الوقت، ويتضح ذلك خصوصاً في المقدمة الرابعة: فيما يحق أنْ يكون غرض المفسر من كشفه لمراد الله تعالى[٩]. ورأى أن الغاية من ذلك كله

١/ ينظر: الوحي المحمدي / ٢٤٠.

٢/ ينظر: تفسير المنار، ٢ / ٢٦٤.

٣/ ينظر: المصدر نفسه ٢١١/٥.

٤/ ينظر: المصدر نفسه، ٦ / ١٦٣.

٥/ ينظر: المصدر نفسه ، ١ / ١٠.

٦/ ينظر: طرق الكشف عن مقاصد الشارع / ٢٥.

٧/ ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور /١٣٩(مقدمة المحقق: محمد الطاهر الميساوي).

٨/ ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، ١/ ٤١٨. و الذريعة الى مقاصد الشريعة، د. احمد الريسوني /٦٩

٩/ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، ١ / ٣٨.

إنما الوصول إلى تحديد أصول جامعة لكليات الإسلام [١]. فابن عاشور واصل الكلام في أهمية المقاصد ومدى الحاجة إليها، إن كان من قبل المفسرين لمراد الله ﷻ أو الاستنباط الفقهي للأحكام، كما واصل الكلام في طرق إثبات أهمية المقاصد، بالإضافة إلى مزيد من التعمق في القضايا المألوفة، كالمصالح وأقسامها.

إن أهم مقصد للشريعة عده ابن عاشور انتظامُ أمر الأمة، بجلب الصالح ودفعُ الضر والفساد عنها، بالرغم من أن الفقهاء في الدين استشعروا هذا المعنى في خصوص صلاح الأفراد، إلا إنهم لم يتطرقوا إلى بيانه وإثباته في صلاح العام؛ ولكنهم لا ينكر أحد منهم أنه إذا كان صلاحُ حال الأفراد، وانتظامُ أمورهم مقصد الشريعة، فإن صلاح أحوال المجموع وانتظامُ أمر الجامعة أسمى وأعظم [٢].

عدَّ ابن عاشور المقاصد الأصلية الجامعة للقرآن ثمانية [٣] وهي: إصلاح الاعتقاد ـ تهذيب الأخلاق ـ التشريع وهو الأحكام خاصة وعامة ـ سياسة الأمة وحفظ نظامها ـ والتأسي بصالح أحوال الأمم السالفة ـ التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين ـ المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير ـ الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة على صدق الرسول ﷺ.

أما تقسّيمه للمقاصد في كتابه (مقاصد الشريعة الإسلامية) إلى ثلاثة أقسام:

الأول: إثبات أن للشريعة مقاصد من التشريع، ففيه حاجة الفقيه إلى معرفة المقاصد وكيفية طرق اثباتها [٤].

الثاني: المقاصد العامة من التشريع، وما يندرج تحتها من مقاصد الشريعة الكلية [٥].

الثالث: مقاصد التشريع الخاصة بأنواع المعاملات بين الناس [٦].

١/ينظر: تفسير التحرير والتنوير ٣/ ٥٢.

٢/ينظر: المصدر نفسه، ٣ / ٣٩١.

٣/ ينظر: المصدر نفسه، ١ / ٤٠ – ٤١.

٤/ ينظر: المصدر نفسه / ١٥ وما بعدها.

٥/ ينظر: المصدر نفسه / ٨٣ وما بعدها.

٦/ ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية / ٢٥١ وما بعدها.

كما أدخل دراسة المقاصد في البرنامج الدراسي لجامعة الزيتونة، ففي فكره المقاصدي الذي أفشاه في عامة نتاجه الفقهي والأصولي والتفسيري والحديثي والفكري، وقام بتدريسه للطلبة الزيتونيين، فحاز قصب السبق في البناء المقصدي للتفسير [١].

٣. من الذين تأثروا بفكرة المقاصد القرآنية ،علال الفاسي(ت:١٣٩٤هـ)[٢] ، وكان خير نتاج لهذا التأثر ظهور كتابه(مقاصد الشريعة ومكارمها)، وكما يلحظ إن هنالك تشابهاً بين أفكار الرجلين(الطاهر بن عاشور و علال الفاسي) كونهما عايشا نفس ظروف الاحتلال الأجنبي و تردي أوضاع المسلمين، ودراستهما لموافقات الشاطبي واقتناعهما بفكرته عن المقاصد، إلا إنه يخالف ابن عاشور في دعوته لجعل مقاصد الشريعة جزءاً أصيلاً من علم الأصول، أما عنده لا يمكن فصله ، فكان تعرضه إلى اصول الشرعة وتناولها من جهة المقاصد اكثر مما تناولتها من جهة العلة وقد أوضح ذلك هو[٣]. إذ بين إنها ليست المقاصد الشرعية مصادر تشريع خارجية، بل الأدلة الأصلية والمقاصد جزء من المصادر الأساسية للتشريع الإسلامي، والحكم الذي نأخذه بطريق المصلحة أو الاستحسان أو غيرهما ضروب المآخذ الاجتهادية يعتبر حكما شرعيا، أي خطابا من الله متعلقا بأفعال المكلفين [٤].

فالشريعة تركز على وجدان الإنسان لا على قوة السلطان، ووجود العقوبات في الشريعة الإسلامية تعد زواجر لإصلاح حالة المجتمع، لأن الإنسان مسؤول أمام الله تعالى لإقامة العدل وضمان السعادة الفكرية والاجتماعية، والطمأنينة النفسية لكل أفراد الأمة [٥]. ينطلق من هذه الأمور لكي يقرر أن العدل، والإنصاف، والحرية، والكرامة الإنسانية، والسعادة الفكرية، والاجتماعية، والطمأنينة النفسية، إنما كانت مقاصد عامة، لكل التشريعات التي

١/ ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، ١ / ٤١٨. ومقاصد الشريعة نشأته وتطوره ومستقبله، د. أحمد الريسوني/ ٢٧-٢٦.

٢/ علال بن عبد الواحد بن عبد السلام بن علال بن عبد الله بن المجذوب الفاسي: زعيم وطني، من كبار الخطباء في المغرب ولد بفاس وتعلم بالقرويين. عمل في إنشاء (كتلة العمل الوطني السرية، التي ظهرت باسم الحزب الوطني) وشارك في إنشاء مدرسة تخرج منها بعض طلائع اليقظة المغربية الأولى. ينظر: الاعلام، للزركلي، ٤/ ٢٧٣ – ٢٧٤.

٣/ ينظر: مقاصد الشريعة ومكارمها، علال الفاسي / ٥

٤/ ينظر: المصدر نفسه/ ٤٥

٥/ ينظر: المصدر نفسه / ١٣.

عرفتها البشرية، كما يوضح وجهة نظره في إطلاق كلمة (المكلف) على الإنسان مسلمًا أو غير مسلم، بان فيه إشارة إلى معنى المواطنة الإنسانية في الدولة الكونية [١]. إذ يقصد أن كل إنسان ،مهما كان انتماؤه الفكري، أو العقائدي، فان عليه واجب الشعور بالمسؤولية ،تجاه تحقيق المقاصد العامة السابقة؛ لان فيها مصلحة البشرية عموما ،ولا تقتصر منفعتها على شعب دون آخر، والمقصد العام للشريعة الإسلامية هو عمارة الأرض ، وحفظ نظام التعايش فيها ، واستمرار صلاحها بصلاح المستخلفين فيها ، إذ يدلل على ذلك بقول الله سبحانه :﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾{ البقرة: ٣٠}، المراد بالإصلاح هنا اصلاح احوال الناس لا مجرد صلاح العقيدة ؛ كما يبين ذلك قوله تعالى في آية أخرى ،﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ﴾{ هود: ٦١} ،هذا الاصلاح هو الذي دعا اليه الرسل وظلوا يعملون على تربية الناس عليه [٢].

ومن إسهاماته المقاصدية في كتابه: مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها[٣]:

١-اعتنى بالمقاصد الشرعية في الإسلام.

٢-اعتنى بالمقاصد العامة في القرآن الكريم.

٣-أكّد على توظيف علم المقاصد في عملية الاجتهاد.

٤-ركّز على قاعدة جلب المصالح ودَرء المفاسد.

٥-أشار إلى بعض ضوابط المصلحة.

نخلص إلى إن فكرة علال الفاسي هي لبنة أخرى في البناء النظري للمقاصد، ففي الوقت الذي تكلم فيه الشاطبي في موافقاته عن البعد الفردي في المقاصد، تكلم ابن عاشور عن بعد الأمة، ثم تبعهم علال الفاسي عن البعد الإنساني، مستفهمين له بأن غاية الشريعة هي مصلحة الانسان كخليفة في المجتمع الذي هو منه؛ وكمسؤول أمام الله ﷻ الذي استخلفه

١/ ينظر: مقاصد الشريعة ومكارمها، علال الفاسي / ٢٢٥.

٢/ ينظر: المصدر نفسه / ٤٥ – ٤٦.

٣/ ينظر: المصدر نفسه / ٤٥- ١٩١.

؛على تطبيق العدالة ،وضمان السعادة الفكرية والاجتماعية ؛ والطمأنينة ا لجميع أفراد الأمة[١]، ففي الوقت الذي كان الفرد المسلم هو المكلف عند الشاطبي، والأمة هي المكلفة عند ابن عاشور، أصبحت الإنسانية بمجموعها هي المكلفة عند علال الفاسي، وفي الوقت الذي كان تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية ، هو مدار التكليف عند الشاطبي، وابن عاشور كان تحقيق العرف الإنساني، أو المقاصد العليا، لكل الشرائع سماوية وأرضية.

من هنا تعد المقاصد القرآنية أمر ملحوظ في المنظومة التشريعية، إذ توالت الأدلة والقرائن ومسلمات كثيرة على تقريره، فهو من المعطيات المهمة والضرورية لدى عموم المفسرين والمجتهدين وأغلب الفقهاء والأصوليين [٢].

وقد رغبَّ أحمد الريسوني بالعودة إلى المقاصد القرآنية والنهل من معينها؛ إذ اطلق عليها بـ((بالصحوة المقاصدية المعاصرة))[٣]. كما لا يخف التوسع الكبير في تدريس مقاصد الشريعة وتلقين قضاياها ونشر ثقافتها، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل استمر وترسخ وتضاعف أضعافًا كثيرة، فبعد وفاة علال الفاسي، إذ نجح بعض تلامذته في افتتاح أقسام للدراسات الإسلامية في كليات الآداب والعلوم الإنسانية، التي توجد في جميع الجامعات المغربية، فجعلت فيها (مقاصد الشريعة) مادة دراسية مستقلة يدرسها الطلبة بصفة منتظمة طيلة سنواتهم الجامعية، وهذا التطور أغدق على مقاصد الشريعة في سنة واحدة، بأضعاف مضاعفة عما كان يحصل على مدى قرون [٤].

بل امتدت الدراسة في المقاصد القرآنية إلى البحث العلمي الجامعي وإلى حركة التأليف والنشر، والمجادلات والندوات المتخصصة، فهذا ما عني بالصحوة المقاصدية المعاصرة، وقد أوضحنا بعضاً من هذه الدراسات في بداية هذا الفصل من البحث.

١/ ينظر: المصدر نفسه/ ١١.

٢/ ينظر: حاجة المجتهد إلى الاجتهاد المقاصدي، د. ماهر حامد محمد الحولي / ٢-٣ (بحث منشور).

٣/ الذريعة الى مقاصد الشريعة / ٧٠

٤ / ينظر: المصدر نفسه/ ٧٠

المطلب الثاني: علاقة التفسير الموضوعي بالتفسير المقاصدي .

مع تنامي الاهتمام بمقاصد القرآن الكريم والتعلق بها في هذا العصر، تتسارع كذلك الحاجة إلى الترشيد والتسديد لهذه الحركة المقاصدية، حتى تحقق مقاصدها وفوائدها ولا تحيد عنها. من جانب أخر، أخذت الدراسات المتعلقة بالمقاصد تتميز وتتخذ شكل علم أو تخصصاً علمياً مستقلاً، فمن هنا أضحت الحاجة ملحة لبيان الفوائد المتوخاة والأهداف المبتغاة من وراء معرفة المقاصد ونشر ثقافة المقاصد، وايضًا بيان أثر التفسير وبالخصوص الموضوعي، في بيان مقاصد هذا العلم وما يقدمه من ثمرات وما يسده من ثغرات [١].

فالمقاصد القرآنية لا انفكاك لها عن تفسير القرآن، إلا أن عناية الأصوليين بالمقاصد العملية جعل المقاصد تبدو وكأنها علم أصولي لا علاقة له بالتفسير، ولم يلتفت إلى الدراسة التي قدمها المفسرون الأوائل للمقاصد وعنايتهم بها إلا مؤخراً، ويبدو ارتباط المقاصد بالتفسير في كون القرآن هو المصدر الرئيس لتعيين المقاصد الكلية ومنه استنبطت الكثير من الأحكام والعلل الجزئية ، ولهذا فقد كانت للمؤلفات في التفسير عمومًا، والتفسير الموضوعي خصوصًا، في تطور بالنظر إلى مقاصد القرآن عمومًا وليس مقاصد الأحكام المتعلقة بالسلوك العملي فقط، ولعل هذا اللون المقاصدي في التفسير يعد من أهم ألوان التفسير المعاصر، وقد بدء ظاهر ضمن اللون الاجتماعي، أو النوع الموضوعي، والحق له أن يفرد بلون خاص لأهميته الحاجة الماسة إليه في هذا العصر [٢].

إن علاقة التفسير المقاصدي في الدراسات القرآنية، وبالأخص التفسيرية منها، أن يظهر المفسر مقاصد القرآن الكريم العامة والخاصة والجزئية في تفسيره أو دراسته، ولن يتمكن من هذا إلا باستقراء الآيات القرآنية، وهي التتبع لمعرفة حالة الشيء ومقصودة [٣]، ثم بتتبع كلام أهل العلم الذي يكشف عن هذه المقاصد، ويبين أوجه الارتباط بينها، ويجدد حيويتها، ويؤكد

---

١ / ينظر: مقاصد المقاصد الغايات العلمية والعملية لمقاصد الشريعة، د. أحمد الريسوني / المقدمة.

٢/ ينظر: الجذور التاريخية للتفسير المقاصدي للقرآن الكريم، رضوان جمال الأطرش، ونشوان عبد الله / ٢١٠.

٣/ ينظر: القيم الضرورية ومقاصد التشريع الإسلامي، د. فهمي محمد علوان/ ٦٢.

على ملاءمتها للتنزيل على الواقع الإنساني في كل زمان ومكان، وهذا هو الهدف المتوخى الذي يصبو إليه المفسر الموضوعي من وراء كشفه لمراد الله ﷻ في النص القرآني المفسر [١].

إن هذا اللون مندرجًا ، تحت التفسير الموضوعي أو التحليلي، فمقاصد القرآن من أهم ما ينبغي للمفسر أن يعنى به سواء كان التفسير تحليلياً أم موضوعياً، إذ هم المفسر الموضوعي هو تناول القضايا حسب المقاصد القرآنية، من خلال سورة أو أكثر لموضوع من مواضيع القرآن الكريم [٢].

يترتب على الخطوة السابقة دراسة كلام أهل العلم في هذا الشأن، على نحو قد يؤدي إلى إعادة صياغة المقاصد التي تم استخراجها، أو استنباط مقاصد تنضاف إلى ما توصلوا إليه [٣]، ثم الاجتهاد في بناء نسق مقاصدي قرآني عام، ومن الضروري في هذا كله أن يكون المفسر منضبطًا بالقواعد والضوابط المتفق عليها بين أئمة التفسير، وأن ينأى بنفسه قدر الإمكان عن الخضوع لضغط الواقع بمواقفه وبظروفه، أو الانسياق وراء أهوائهم وهذا يتأسس على جودة الفهم، وحسن التدبر، والانتقال من فقه الواقع البشري إلى فقه مقاصد النص القرآني، ثم العودة إلى ذلك الواقع لتنزيل هذا النص عليه [٤].

إن النص القرآني متحرك إذ لا تقتصر وظيفته البيانية والتبليغية على جيل المخاطبين، عند البيان الأول والتأسيسي لأحكام التشريع الإسلامي، وإنما يتعداها ليخاطب بمعانيه كل جيل وفي أي عصر ومصر، وكأنه هو المقصود وحده، ومهما اختلفت وتعددت ملابسات وحيثيات واقع الأجيال المتعاقبة، وهذا يقتضي النظر في دلالات نصوص الشارع بما يحقق مصالح الخلق الثابتة والوقتية ، ويعني هذا أن تفسير النصوص القرآنية، ينبغي أن تستحضر فيه المعاني والحكم التي يروم الشارع تحقيقها ورعايتها، ولن تكون هذه إلا جالبة لمصلحة أو دافعة لمفسدة، وهو ما يكون له الأثر في فهم النص وتوجيهه والاستنباط منه [٥]. فالأساس

١/ ينظر: البعد المقاصد في الدراسات القرآنية، أ. د. محمد عبد اللطيف عبد العاطي / ٨١.

٢/ ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم/ ١٦. واتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ٢ / ٥٨٢ – ٥٨٣٢

٣/ ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي / ٨١.

٤/ ينظر: المصدر نفسه/ ٨١.

٥/ ينظر: التفسير المصطلحي للنصوص الشرعية وإشكالياته، د. حسن بنعبو / ٧ .

والغاية المقصودة من النص القرآني هو التماس المصلحة، ومن ثم كان التوجيه الغائي لدلالات النصوص عاملًا أساسيًا في أختيار دلالتها المحققة للنفع الأنسب زمانًا ومكانًا، وهذا يتماشى مع مقتضيات أوصاف خطاب الشارع العملية بإيلاء عناية خاصة للمقاصد، واستحضار قصد جلب المصالح ودفع المفاسد ،عند استنباط الأحكام وإيقاعها على أفعال المكلفين ، وبهذا يشترك التفسير المقاصدي مع التفسير الموضوعي في التركيز على قضية واحدة تتناول جميع أطرافها خدمة للنوع الإنساني، ويبدو إن التفسير الموضوعي في حقيقته، ليس إلا تفعيلاً للقضايا المقاصدية، سواء على مستوى السورة أو على مستوى القرآن ككل[1].

فالحديث عن البعد المقاصدي في التفسير لا يعد تنقيصاً أو تجاوزاً لما أنتجه التراث الإسلامي من تفاسير بكل مستوياته، فالمطلع على ما كتبه ابن عاشور في تفسيره يدرك ذلك، إذ يرى إنه من الحق عليه أن يبدي في تفسير القرآن الكريم نكتًا لم يدرك إنه سبقه إليها أحد، فأوقف موقف الحكم بين طوائف المفسرين تارة لها واخرى عليها، فإن الركون على الحديث المعاد يعتقد بأنه تعطيل لفيض القرآن الكريم الذي ما له من نفاد، وهو يرى الناس حول كلام الأقدمين في خطين : خط معتكف فيما شاده السابقون، والثاني راح بمعوله في هدم ما مضت عليه القرون، وفي كلاهما ضر كثير. وذهب إلى إن هناك حالة أخرى وهي أن نعمد إلى ما أشاد الأقدمون فنهذبه ونزيده، وحاشا أن ننقضه أو نبيده [2].

وبهذا فإن حاجة العصر الملحة لمنهج سليم لبيان الرسالة القرآنية والفهم السليم للمعاني وغاياته ومراميه واقتناص دلالته، ويتحقق ذلك في ضل استقصاء مقاصد القرآن الكريم وتدبر دلالتها، لأن القرآن أنزله تعالى كتاباً لصلاح أمر الناس كافة، والمقصد الأعلى من ذلك صلاح الأحوال الفردية والجماعية والعمرانية، قال ﷻ :﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾{النَّحْل: ٨٩} ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾{ الجاثية: ١٣} ، فالمقصد الأعظم الوارد في القرآن الكريم ، وهو ما يتأتّى عن طريقه حملُ الناس على الخير والصلاح المُطلق بالأخذ بما تضمّنه

١/ ينظر: الذريعة الى مقاصد الشريعة، احمد الريسوني / ٧١ .

٢/ينظر: تفسير التحرير والتنوير، ١ / ٧.

التنزيل من تفصيل للمقاصد ودعوة إلى الأخذ بها ، ويتحصل ذلك من خلال وظيفة المفسر الأساسية في تجلية المقاصد القرآنية، ووجب على الآخذ في هذا الفن أن يعلم المقاصد الأصلية التي جاء لقرآن لتبيانها [١].

نلحظ لهذا الرأي الذي أشار إليه ابن عاشور، من أن يكون الشرارة التي من شانها أن تعلن التقارب بين التفسير المقاصدي والموضوعي، فمراد كل منهما إبانة للمقاصد القرآنية وتجليتها، فمهمة المفسر الموضوعي للقرآن هو تناوله للقضايا حسب المقاصد القرآنية، إن كان على مستوى مجموع آيات يربطها رباط مقصدي واحد معين؛ أو سورة أو مجموع من السور، ونظر فيها للخروج برؤية مقصديه جامعة حيال ذلك الموضوع ، ففي القرآن الكريم حل للقضايا الاقتصادية الكبرى، ومشاكل القلق الإنساني، فعلينا أن نتدبر القرآن لنجد كل ذلك بفهمنا للمقاصد القرآنية الخاصة والعامة فيه ، وعليه تتجلى العلاقة بين التفسير الموضوعي والمقاصدي بالآتي:

أولاً: في فهم الآيات القرآنية وبيانها.

كل تشريع في كلام الله تعالى له حكمة لم تخرج عن مصلحة بجلب منفعة أو بدفع مضرة، لهذا كانت المصلحة هي الأساس والغاية المقصودة من النص، فكل مصلحة لا ترجع إلى حفظ مقصود فهم من الكتاب والسنة ولا تلائم تصرفات الشرع فهي باطلة مطرحة [٢].

هذه الرؤية ستفتح الحديث حول فهم النصوص القرآنية والغرض من تنزيلها على الواقع في ضوء المصلحة، وهذا يكون أكثر تلائماً وانسجاماً مع التفسير الموضوعي للنص، مع غيره من باقي أنواع التفسيرية الأخرى.

فمقاصد الآيات والسور، والمقاصد العليا للقرآن ككل، وبين هذه المقاصد ارتباط قوي يجعلنا ننظر إلى القرآن الكريم كالكلمة الواحدة بتعبيرنا، أو ككائن حي له أطراف، فلا يمكن فهم مقاصد الأطراف ووظائفها، ما لم نفهم تكاملها، ولم نفهم تكاملها ما لم نتصور حقيقة الكائن ككل [٣].

١/ ينظر: المصدر نفسه، ١/ ٣٨- ٣٩ (المقدمة الرابعة).

٢/ ينظر: المستصفي ، الغزالي / ١٧٩.

٣/ ينظر: اثر العلم بمقاصد السور في فهم القرآن في ضوء سر تكرار القصص، د. يونس عمر ملال / ١١٢.

فالتفسير المقاصدي يراد به إظهار الغايات أو الحكمة التي اشتملت عليها الآيات، أو الأحكام التي نصت عليها، بينما بقية أنواع التفاسير الأخرى غالبا ما تهدف إلى الاهتمام بالمعنى الظاهري للآيات أو للألفاظ القرآنية من غير الالتفات إلى المقصود منها[١].إن أدراك جل المشتغلين في المجال التفسيري، من أن أكثر خطابات الشارع منفتحة على صور شتى من المعاني، وأن للشارع مرامي ومقاصد في مراده من خطابه، مما يجعل خطابه أمام مختلف تداعيات المعاني وإلحاح القرائن، ومن ثم استدعاؤها جميعا في سبيل مهمة أساسية هي بيان مقصوده من خطابه ، وإن قصدية التفهيم تقتضي استحضار الملابسات والحيثيات التي يختزنها النص الشرعي من الظرفية والملابسات والقرائن [٢]. إلا إن هذا غير كاف في حسم دلالة النص الشرعي، إذ اجتهاد الفهم لا يتوقف على دراسة الحاجات الظرفية لتلك البيئة، فلا بد من استحضار مقاصد الشارع في خطابه من تحقيق النفع للخلق في كل عصر، وعلى إطلاقيتها واستقلاليتها عن أي ظرفية خاصة، وذلك حتى لا تعطل إمكان استكناه الجوهري في النص الذي يتجاوز واقع عصر إلى مختلف العصور؛ كما أن النص القرآني يحمل إجابات بشكل أو بآخر لكل ما يفيض به الواقع وما تحمل به أحوال المخلوقين؛ إذ إن النص ما لم يكن قابلا على الدوام للتجلي والانكشاف، فإن ذلك ينقص من كماليته وتمامه ويضعه في خانة القصور والنسبية، وهذا ما لا يسع مسلم أن يحكم به[٣].

إن وظيفة النص القرآني ليست محصورة أو مقيدة في زمن نزولها على المكلفين، إنما تتخطى ذلك لتخاطب كل جيل وفي أي مكان وزمان، فالمقصود من الخطاب الوارد على المكلفين تفهيم ما لهم وما عليهم، مما هو مصلحة لهم في دنياهم وأخراهم، وهذا يستلزم كونه بينًا لا اشتباه فيه أما إذا وقع فيه الاشتباه لناقض أصل مقصود الخطاب، فلم تقع فائدة، وذلك ممتنع من جهة رعي المصالح إذ لا يُعقل خطاب مقصود من غير تفهيم مقصوده [٤].

١/ ينظر: التفسير المصطلحي للنصوص الشرعية وإشكالياته، د. حسن بنعبو/ ٦

٢/ ينظر: التفسير المصطلحي للنصوص الشرعية وإشكالياته، د. حسن بنعبو / ٦.

٣/ ينظر: المصدر نفسه / ٦

٤/ الموافقات، ٤ / ١٤٠.

وبهذا تكون المقاصد ركناً يستعان بها في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، إذ أنها أصل في فهم معاني كلام الله تعالى، ولهذا فإن معاني السورة لا تتحقق إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر واستخراج مقصدها، كما أنها تعين على تقسيم الموضوع القرآني وربطه ببعض، فالمعرفة بالمقاصد القرآنية ستمكن المفسر الموضوعي من تقسيم الموضوع بشكل مترابط، ثم ربط الموضوع الذي يختاره للدراسة بالمقاصد القرآنية، مما يعينه على تحقيق الهدف من تفسيره وجمع شتات الموضوع تحت مظلة واحدة [١].

فإذا أختار المفسر موضوعا مثل: دعوة النبي إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم، فإن معرفته بالمقاصد القرآنية العامة والخاصة تعينه في ربط موضوعه بتلك المقاصد بحيث يدرس الموضوع دراسة وافية وشاملة؛ لأن علم المقاصد يعرف منه مقاصد السور، وموضوع آيات السور، كل منها على حيالها، وغايته معرفة الحق من تفسير كل آية من تلك السورة، ومنفعته التبحر في علم التفسير [٢]. فيعرف مثلا كيف سيربط الموضوع بالمقصد الأساسي للقرآن الكريم وهو دعوة الخلق إلى عبادة الله، وإلى الدخول في دينه، وكيف قام النبي إبراهيم عليه السلام بتحقيق هذا المقصد من خلال الآيات التي تكلمت عنه، كما تعين معرفة محاور السورة الأساسية، وربط هذه المحاور بالمقاصد الأصلية والمتممة للقرآن الكريم، وتعينه كذلك على ربط الآيات القرآنية بذلك المحور العام [٣].

ثانياً: الامتثال لأوامر الله تعالى.

لا يمكن وصف فعل بأنه أخلاقي، إلا إذا كان مرتبطا بقاعدة تعارف الناس عليها وأبدى كل منهم استعداده لاحترامها، والأمر الخلقي يصبح أكثر احترامًا إذا كان يهدف إلى تحقيق مصلحة للإنسان، فيجلب نفعًا ويدفع ضرًا، والامتثال في فكرة المقاصد؛ مقصود به طاعة

١/ ينظر: مقاصد القرآن الكريم وأهميتها في تحديد الموضوع القرآني، أ. د. عبد الله الخطيب / ١١

٢/ ينظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ١/ ١٥٥.

٣/ ينظر: مفاهيم القرآن، جعفر السبحاني/ ١١-٢٣.

أمر الله الذي من شأنه أن يعمل على حفظ الحياة واستقامتها ودفع ما يفسدها، وبذلك لا يكون الامتثال طاعة لأمر مفروض من الخارج على الإنسان [١].

إن مقصد القرآن الهدائي كان حاضراً عند المفسر وعمله إذ ينطلق من استقراء وتفسير النص القرآني لتجلية مقصوده، وهو كما ما أسماه الشاطبي (تقصيد النص) وهو خوف التقول على الله تعالى والقول في القرآن أشد ؛ لأن يرجع إلى أن الله أراد كذا، أو عنى كذا بكلامه المنزل وهذا عظيم الخطر، أن يكون على بال من الناظر والمفسر والمتكلم عليه أن ما يقوله تقصيد فيه للمتكلم والقرآن كلام الله ﷻ [٢].

يظهر لنا مراد الامتثال هو خضوع لأمر الشارع، وسابقا بينا أن الشارع ليس له مصلحة من شرعية هذه الأحكام وإنما المقصود هو مصلحة الإنسان، لو فرضنا أن الإنسان يمكنه أن يعيش بغير دين، فلا يمكن تخيله يعيش بدون قواعد تنظم حياته ويخضع لقواعد تعارف عليها الناس ومن شأنها أن تعمل على المحافظة على الضروريات التي قصدها الشارع، كما أن ضمان احترام هذه القواعد لابد وأن يرتبط بجزاء يتناسب وحرمة هذه القواعد.

بالامتثال يحافظ الإنسان على القيم الحضارية التي تحقق مصلحته، التي ارتبطت بتهذيب النفس أو شحن عقله وطاقته بما يحقق الصدق والإخلاص والعدل، التي لا تتفق مع الاسترسال في اتباع الأهواء والشهوات، لما يلزم من ذلك من التقاتل والتهالك الذي هو مضاد لتلك المصالح، وهنا مشاهد من خلال التجربة البشرية، واستقراء أحوال الشعوب والمجتمعات يبن أنه لا يوجد شعب من شعوب الأرض قديمها وحديثها يمكن أن يعيش كل فرد طبقًا لما تمليه عليه أهواؤه ورغباته الذاتية دون أن يخضع لقواعد يرتضيها ويسلك وفقها[٣] ، فجاءت القيم الإسلامية مرتبطة بهذه المقاصد السامية حين يدعوا الإسلام المؤمن إلى الصبر، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلٗا ﴾ {المعارج:٥}، يقصد الصبر مع الرضا، والرضا يفضي إلى الراحة النفسية والشعور الجميل مع الارتباط بالخالق ،كذلك حين يدعوا القرآن إلى التسامح ،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴾{ الحجر: ٨٥} ،ففي ذلك مقصد وهو خلو المجتمع من الأحقاد والضغائن

١/ ينظر: القيم الضرورية ومقاصد التشريع الإسلامي، د. فهمي محمد علوان /١٣٣.

٢/ ينظر: الموافقات، ٤/ ٢٨٤.

٣/ ينظر: القيم الضرورية ومقاصد التشريع الإسلامي، د. فهمي محمد علوان / ١٣٤.

والتسامي، مما يؤكد ارتكاز القيم الاجتماعية على الجانب الإنساني ، واهتمامها بقيام مجتمع إنساني لا ينحصر في إطار فرد بل الواقع الأكبر الذي يهدف إلى هداية البشرية إلى صراط مستقيم، وفي ضوء هذا المقاصد السامية ترتقي القيم بالإنسان، وتجعله يشعر أن الحياة أرحب وأوسع من نطاق الأهواء الشخصية ، وتعوده على تذوق مستويات أعلى من الجمال ، مثل جمال الخير والحق والعدل، فإقامة الحياة البشرية على هذه المعاني التي تتناغم مع سنن الكون تجعل المسلم يحقق غاية الاستخلاف تعبدًا لله تعالى [١] . بهذا نجد أن قواعد الأخلاق هي نفسها قواعد التشريع، ولا فرق بين سلوك الفرد وهو خاضع لقواعد قانونية أو قواعد أخلاقية؛ لأن الغرض والقصد من وضع الشريعة هو تنظيم الحياة الاجتماعية.

فعند القول بأن المصلحة غاية خلقية، نقصد بذلك أن نضع مبدئا كلياً وعاماً وشاملاً ينبغي أن تكون عليه حياة الناس، والمقصود بكلمة أخلاق هنا: هو مجموعة الأفكار والأحكام والعواطف والعادات التي تتصل بحقوق الناس وواجباتهم بعضهم تجاه البعض، وهذه الأخلاق لا تقوم على الأسس التي وضعها الفلاسفة وإنما هي أخلاق موجودة أصلا وتفرض نفسها على المجتمع ولا تسمح له بأن يشك في موضوعيتها[٢].

ثالثاً: استبعاد ما لا فائدة فيه:

إن عمل المفسر يصب في بيان مرامي أو مقاصد الآيات التفصيلية، وقد أشار إلى هذه المسألة كثير من المفسرين في مقدمات تفاسيرهم، فمنهم على سبيل المثال: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي(ت: ٥١٦هـ) قال:((أمر فيه وزجر، وبشر وأنذر وذكر المواعظ ليُتذكر، وقص عن أحوال الماضين ليُعتبر، وضرب فيه الأمثال ليُتدبر، ودل على آيات التوحيد ليُتفكر، ولا حصول لهذه المقاصد فيه إلا بدراية تفسيره وأَعلامه وَأَعْلَامِهِ))[٣].

فتحصيل المقاصد إنما هي بدراية التفسير، فيدور التفسير مع المقاصد القرآنية حيث دارت؛ وليس العكس. لذلك وجد عند المفسرين أحيانًا إغفال لمقاصد القرآن عند تفسير آياته، وغالبا يكون سبب هذا الإغفال ناتجًا عن بعض الأخطاء.

١/ ينظر: القيم التربوية الاجتماعية في القرآن الكريم، تهاني وداعة عثمان / ٢٤.

٢/ ينظر: القيم الضرورية ومقاصد التشريع الإسلامي، د. فهمي محمد علوان / ١١- ١٢.

٣/ معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، ١ / ٤٥.

ومن تلك المظاهر مثلًا: تفسير الآيات أحيانا بنهج تجزيئي ينتزعها من السياق، لتدل على معنى سابق في ذهن المفسر، مع العلم بأن مراعاة سياق الآية ضمن السورة وتناغمها مع محورها، والانتباه إلى مقاصد القرآن العامة، سيطرد المعاني غير المرادة أو يبين عن مرجوحيتها[١] ، إذ وصف هذا اللون من التفسير ، إن بعض المفسرين بلغت به النظرة الجزئية حدًا جعله يقطع من صدر سورة براءة، أن الإسلام دين هجوم ، وإذا سئلته الدليل، يجيب بأنه قال تعالى:﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ﴾{ التوبة: ٣٦ } ؛ ويقف ولا يصل لآية بقوله ﷻ ﴿ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ ﴾{ التوبة: ٣٦}، هنا رد الهجوم الشامل بدفاع شبه له ، ولا شك انتزاع جمل من سياق آيات القرآن الكريم ، يجر بطبيعته إلى ترك خلل في انتزاع الاستدلال الصحيح[٢] . إما التفسير بالمعنى غير المرجوح، مثلًا في قوله ﷻ:﴿ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ﴾{التوبة: ٦} ، الآية واضحة وهي أنك تجد المشرك خالي الذهن عندما يرى هذا القتال، ويسألك ماذا تريد؟ تقول له: أدعوك إلى الإسلام؛ فأنت مكلف ألا ترغمه على دينك، ولا تستعمل معه سيفك ، بل تقبل منه وضعه الحالي ، وترده إلى المكان الذي جاء منه ، وهو غير مروع ، وتحميه ليدخل بعد ذلك الإسلام وهو مطمئن ، فكيف يفهم هذا المعنى من هذه الآية مع أنك فسرت ما قبلها على أن الإسلام دين هجوم وقتال؟ فشمول النظرة القرآنية أمر لابد منه لكي تعطي الأحكام الصحيحة حتى من الناحية الفقهية التشريعية [٣].

ومن هنا كانت نتائج التفسير الموضوعي نتائج مرتبطة دائما بتيار التجربة البشرية، عملية حوار مع القرآن الكريم واستنطاق له، وليست عملية استجابة سلبية، بل استجابة فعالة وتوظيفًا هادفًا للنص القرآني للكشف عن حقيقة من حقائق الحياة الكبرى [٤].

إن النظر في مقاصد القرآن الكريم هي القطب الأول الذي يعين على فهم النص وهداياته فهمًا شموليًا دقيقًا، إذ تعد اللبنة الأولى لكل من يريد الخوض في التفسير الموضوعي، فبعد

١/ ينظر: إثر العلم بمقاصد السور في فهم القرآن في ضوء سر تكرار القصص، د. يونس عمر / ١١٢- ١١٣.

٢/ كيف نتعامل مع القرآن الكريم، محمد الغزالي / ٧٥.

٣/ ينظر: المصدر نفسه / ٧٥ – ٧٦.

٤/ ينظر: مقدمات في التفسير الموضوعي للقرآن، محمد باقر الصدر / ١٥ .

أن تضبط مقاصده وتفرع تفريعات صحيحة، سيقوم من يخوض في التفسير الموضوعي بزيادة على هذه التفريعات مراعيًا عند كلامه في أي موضوع قرآني على أن ألا يخرج عن أهداف القرآن ومقاصده، وقد نبه جل العلماء بنئي المفسر عن الانتزاع القسري للمعنى، من اجل تحقيق الهدف من التفسير.

رابعاً: الترجيح في أقوال المفسرين

إن القرآنَ كتابٌ كاملٌ في موضوعه ونهائي في حقائقه، والعلم ما يزال في موضوعه ينقض اليوم ما أثبته بالأمس، وكل ما يصل إليه غير نهائي ولا مطلق؛ لأنه مقيد بواسطة الإنسان وعقله وأدواته، وكلها ليس من طبيعتها أن تعطي حقيقة واحدة نهائية مطلقة ، فهناك من أدرك إن سر الاختلاف بين المتصديين لبيان المراد الإلهي من كتابه العزيز، منشؤه سوء فهم مقاصد القرآن الكريم، أو بالأحرى عدم فهمها مطلقاً، فوقع الاختلاف عندهم، ولهذا ابدى الشاطبي سعيه في وضع منهج يمكن من خلاله جمع المختلفين، فسمى مصنفه أولاً:(التعريف بأسرار التكليف المتعلقة بالشريعة الحنيفة)، ثم حدثت حادثة أُعطي بسببها اسم (الموافقات)[١]

فالترجيح بين الأدلة المتعارضة والتوفيق بينها، عندما يقال تعارض الأدلة، إنما هذا بحسب الظاهر لا بحسب الحقيقة، فالشريعة متفقة مؤتلفة، لا تعارض فيها فإن سكنت نفس المبين للنص واطمأنت إلى المعنى أو الدليل الذي توصل إليه، حكم به ولم يحد عنه، وإن ظهر له دليل آخر يعارض ما توصل إليه بعد البحث والتحري والتقصي تعين عليه أن يوفق بين الأدلة أو يرجح بينها، ومقاصد القرآن تعين على ذلك، وبذلك تكون مقاصد الشريعة وسيلة للتقليل من الاختلاف وللتقريب بين وجهات النظر وتضييق شقة النزاع بين المسلمين [٢].

ذكر الشاطبي:((أنّ من لم يعرف مقاصدهما ،القرآن والسنة، لم يحل له أن يتكلم فيهما؛ إذًا لا يصح له حتى يكون عالمًا بهما، فإنّه إذا كانَ كذلك؛ لم يختَلِف عليه شَيْءٌ من الشريعة)) [٣].

فالمفسر والفقيه، لابد له من معرفة مقاصد القرآن، في فهم النصوص الشرعية وتفسيرها بشكل صحيح عند تطبيقها على الوقائع، كما يمكن الاسترشاد بها عند تحديد مدلولات الألفاظ

١/ ينظر: الشاطبي ،١/ ٦٠ (المقدمة).

٢/ ينظر: مقاصد الشريعة عند ابن تيمية، د. يوسف احمد محمد البدوي / ١١٦ – ١١٧.

٣/ الموافقات، ٣ / ٢١٣.

ومعرفة معانيها، لتعيين المعنى المقصود منها؛ لأن الألفاظ والعبارات قد تتعدد معانيها، وتختلف مدلولاتها، كما هو معروف في أسباب اختلاف الفقهاء، فتأتي المقاصد لتحديد المعنى المقصود [١].

إن التأويل المستمر مع التحمل والتكلف لنصوص القرآن كي نحملها ونلهث بها وراء الفروض والنظريات التي لا تثبت ولا تستقر، وكل يوم يجد فيها جديد، كل هذا أدى الى اختلاف في الترجيح بين المفسرين [٢]. فجعل المقاصد القرآنية أساسًا من أسس الترجيح في أقوال المفسرين، بحيث يتم اختيار المناسب منها لتلك المقاصد، أو توجيه بعضها في حال مخالفته الظاهرية لواحد منها، وهذا يستند إلى لسان العرب الذي هو المترجم عن هذه المقاصد، ولكن هذا اللسان يمكن أن يكون سببًا في الاختلاف بين المفسرين، وهذا يقتضي دقة النظر التي تؤدي إلى سلامة الترجيح وحسن الاختيار [٣].

فابن جرير الطبري، مثلا: قد رجح في العدد المراد من الطائفة التي تشهد إقامة حد الزنا في قول الله تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾{ النور: ٢}، الواحد فصاعدًا، قد ذكر أن الطائفة قد تقع عند العرب على الواحد فصاعدًا، وإذا كان الله تعالى لم يضع دلالة على أن مراده من ذلك خاص أو محدد من العدد، كان معلومًا أن حضور ما وقع عليه أدنى اسم الطائفة، مخرج مقيم الحد مما أمره الله تعالى به، غير أن الطبري ، عاد فرجح أن لا يقل عدد من يحضر عن أربعة أنفس، واستند إلى أن ذلك هو عدد من تقبل شهادته على الزنا[٤].

أما أحمد بن علي الجصاص (ت: ٣٧٠هـ)، فأصاب البعد المقاصدي في تفسير للمعنى المراد بالطائفة، فقال:((والأولى أن تكون الطائفة جماعة يستفيض الخبر بها ويشيع، فيرتدع الناس عن مثله؛ لأن الحدود موضوعة للزجر والردع))[٥]. وقد وافقه بذلك، أبو الليث السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ)، إذ قال:((الطائفة ثلاثة فصاعدًا وذكر عن أنس بن مالك أنه قال

١/ ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، ابن عاشور، ٢/ ٥٤. ومقاصد الشريعة تأصيلا وتفعيلا، محمد بكر إسماعيل / ١١٥.
٢/ ينظر: اتجاهات التفسير في ق١٤، أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ٢ / ٥٩٦.
٣/ ينظر: البعد المقاصدي في الدراسات القرآنية، د. محمد عبد اللطيف عبد العاطي / ٩٦.
٤/ ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٨ / ٩٣.
٥/ أحكام القرآن، ٣/ ٣٤٤.

أربعة فصاعدًا لأن الشهادة على الزنى لا تكون أقل من أربعة وقال بعضهم اثنان فصاعدا وقال بعضهم الواحد فصاعدا؛ وفي حضور الطائفة ثلاث فوائد: أولها: أنهم يعتبرون بذلك، ويبلغ الشاهد الغائب والثانية: أن الإمام إذا احتاج إلى الإعانة أعانوه، والثالثة: لكي يستحي المضروب، فيكون زجراً له من العود إلى مثل ذلك الفعل)) [١]. وذكر الألوسي: ((والحق أن المراد بالطائفة هنا، جماعة يحصل بهم التشهير والزجر، وتختلف قلة وكثرة بحسب اختلاف الأماكن والأشخاص فرب شخص يحصل تشهيره وزجره بثلاثة، وآخر لا يحصل تشهيره وزجره بعشرة وللقائل بالأربعة هنا وجه وجيه)) [٢]، ولعل السبب في وجاهة رأى القائلين: بالأربعة أن هذا العدد هو الذي يثبت به الزنا [٣].

وقد لمح الطاهر بن عاشور بعدًا مقاصديًا أرتبط بأن الرأفة ينبغي ألا تأخذنا بالزاني والزانية فقط، وهذا يقتضي الرأفة بكل إنسان له بالمحدود صلة وتجنب إيذائه، ولهذا لا يطالب بالحضور عند إقامة الحد، لأنَّ معنى الأَخذِ هنا حدوث الوَصفِ عند مُشاهدتهما ويجوزُ تعليقه بِتأخذكم فتكون الباء للسببية، أخذُ الرأفة بسببهما أي بسبب جلدهما فعلى المسلم أَنْ يُرَوِّضَ نفسَهُ على دفعِ الرأفة في المواضع المذمومَة فيها الرأفة [٤].

فالاستعانة بالمقاصد في مسائل التعارض والترجيح: ذلك أن حقّ المجتهد قبل إمضاء أي دليل لاَحَ له في مسألة من مسائل الدين أن يبحث عن وجود المعارض، ليتأكد أن دليله هذا سَالِم من أن يُبطَل بأي دليل آخر: إمّا نسخًا، أو تخصيصًا، أو تقييدًا، أو رجحانًا عليه [٥]. كما تكمن فائدة العلم بالمقاصد في الترجيح بين الأدلّة المتعارضة استنادًا إلى المقاصد، فيرجح الدليل المحقق للمقاصد، أو الأقرب إلى تحقيقها على الدليل الذي لا يلائمها أصلاً، أو يقصر عن تحقيقها[٦].

١/ تفسير السمرقندي، ٢/ ٤٩٥.

٢/ روح المعاني (تفسير الالوسي)، ٩ / ٢٨٢.

٣/ ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي١٠ / ٨٠.

٤/ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، ١٨ / ١٥١. وعنه: البعد المقاصدي في الدراسات القرآنية، د. محمد عبد اللطيف عبد العاطي / ٩٦.

٥/ ينظر: طرق الكشف عن مقاصد الشارع، د. نعمان جغيم / ٤١ – ٤٢.

٦/ ينظر: المصدر نفسه/ ٤١ – ٤٢.

يبدو ان المفسرين والفقهاء قد يكونوا متفقين في كليات الشريعة، لكن هذا لا يمنع من وقوع الاختلاف بينهم وان كان الاختلاف بينهم يرجع إلى تباين ظاهري، وهذا يرجع أما لهوى شخص، وصحة الروايات من عدمها أو لتغليب اتجاه سياسي، أو اختلاف في القراءات، إشتراك اللفظ بين معنيين فأكثر، احتمال الحقيقة أو المجاز، اختلاف الرواية فى التفسير عن النبى ﷺ أوعن السلف الصالح أو نتيجة لعدم فهم مقاصد الشارع من وضع الشريعة.

المطلب الأول: الفرق بين الآصل والمبنى والقاعدة والضابطة.

الأصول:

إن النظر في بيان الأصول والمباني التفسيرية تعد من الأسس المهمة، لتمهيدها في فهم النص القرآني؛ إذ إن للقرآن وكما هو مستيقن، أصولًا وقواعد ومبان ومناهج وضوابط، عدت ركائز مهمة في تحصيل الفهم، كون القوام التفسيري لا يستقيم من دون معرفة ذلك.

بالنظر إلى أن القرآن هو نهاية الإعجاز وفي غاية الإيجاز، وأنه نزل بلغة يحتمل لفظها الواحد أكثر من معنى، فلابد له من التفسير والشرح، بداهة عدم قابلية الألفاظ الضئيلة تأدية المعاني الرفيعة، والمرادات كلها. فبعد قبول ضرورة التفسير كان من البديهي أيضًا أن يفهم مراد الله تعالى وتفسيره، لم يكن في ذلك غنى عن الأصول والمباني أو القواعد، إذ من دون رعاية ذلك ينتهي تفسير القرآن إلى التفسير بالرأي المذموم، والانحراف عن المبادئ، والقول فيه بما لا يرضي الله ورسوله ﷺ ، نتيجةً لذلك فكان لابد من تأسيس علم يتكفل تبيين قواعد التفسير وضوابطه [1].فأصول التفسير تضبط فهمنا لكتاب الله عز وجل – من الزلل، وبها نعرف عموم الآيات وخصوصها، ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها ... وعلى هذا فأصول التفسير واحد من أجل علوم القرآن[2]. فعندما يصف الله كتابه الكريم بأنّه لا متناهٍ لذا فإنَّ علومه ومعارفه ايضاً غير متناهية، والناظر في قول الامام الصادق عليه السلام :(ما من شيء يختلف في اثنانِ الا وله أصل في كتاب الله)[3]، فكل ما تحتاجه البشرية له اصل وقاعدة في هذا النص المعجز ، وهذا ما بينته الآية القرآنية :قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ ﴾{الأنعام: ٣٨}.

والذي يعنى البحث من تلك، هي(الأصـــول والمباني – والقاعدة والضـــابطة) وذلك لتقيد البحث بهما.

١/ ينظر: قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، محمد فاكر المبيدي / ٨.

٢/ ينظر: التيسير في أصول واتجاهات التفسير، عماد علي عبد السميع(معاصر) / ١٤.

٣/ المحاسن، أحمد بن محمد البرقي (ت: ٢٧٤هـ)، ٢٦٨/١(باب في القرآن تبيان كل شيء) و الوافي، الفيض الكاشاني،٢٦٧/١(باب أنه ليس شئ مما يحتاج اليه الناس الا وقد جاء فيه كتاب أو سنة).

(الأصل): أَسَاسُ الشَّيْءِ [1]. والأصول جمع أصل، وهو أسفل الشيء، وأصل كل شيء قاعدته والأصل: ما يبنى عليه غيره [2]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾[ابراهيم: ٢٤]﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا ﴾[الحشر: ٥]، ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الصافات: ٦٤]. ويقال: {أَصَّلْتُه} تأصيلاً: جعلت له أَصلاً ثابتًا يبني عليه غيره، واستأصله قلعه عن أَصله أو بأصوله [3]. ولأصل عبارة ما يفتقر إليه، ولا يفتقر هو إلى غيره. وفي الشرع عبارة عما يبنى عليه غيره، ولا يبنى هو على غيره، والأصل: ما يثبت حكمه بنفسه ويبنى على غيره [4]. والفرع: خلاف الأصل، وهو اسم لشيء يبنى على غيره، كالوالد أصل للولد، والشجرة أصل للغصن [5]. فالأصل هو المبنى علية وليس العكس إي بمنزلة الجذر المتأصل عليه الشيء والمرتكز.

كذلك: هو المنهج الذي يحدد ويبين الطريقة التي يلتزمها المفسر في تفسيره الآيات الكريمة؛ فهو ما يبنى عليه حسب قواعده ومناهجه[6].أو:((هو الأُسس والمقدمات العلمية التي تعين على فهم التفسير، وما يقع فيه من الاختلاف، وكيفية التعامل معه)) [7].

إذًا الأصول: هو العلم الذي يبين المناهج التي انتهجها وسار عليها المفسرون ، في استنباط الأسرار القرآنية، والتعرف على الأحكام الشرعية من النصوص القرآنية التي تبني عليها، وتظهر المصالح التي قصد إليها القرآن الكريم.

فأصول التفسير على هذا: (هي مجموعة من القواعد والأصول التي تبين للمفسر طرق استخراج أسرار هذا الكتاب الحكيم، بحسب الطاقة البشرية) [8]، وتظهر مواطن العبرة من

١/ ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ١/ ١٠٩(باب أصل).

٢/ ينظر: تاج العروس، الزبيدي، ١٤/٢٠(أ. ص. ل).

٣/ ينظر: المصدر نفسه، ١٤/٢٠(فصل الهمزة).

٤/ ينظر: التعريفات، الشريف الجرجاني / ٢٨ (باب الألف).

٥/ ينظر: المصدر السابق / ١٦٦ (باب الفاء).

٦/ ينظر: أصول التفسير وقواعده، خالد العك / ٣٠.

٧/ فصول في اصول التفسير، د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار / ٢١.

٨/ اصول التفسير وقواعده، خالد العك / ١١.

أنبائه، وتكشف مراتب الحجج والأدلة من آياته الكريمة، فعلى هذا تعين علوم التفسير على فهم معانيه وإدراك عبره وأسراره، وترسم المناهج لتعريفها، وتضع القواعد والأصول ليسير المفسر على منهاجها القويم في سيره أثناء تفسيره [١].((إن الاستعمال القرآني استعمل الأصل بمعناه اللغوي (الأسفل) وإن كان مؤدى المعنى اللغوي(الأساس) والمعنى القرآني القاعدة واحدًا؛ لأن الأصل(سافلٌ والقاعدة سافلةٌ أيضًا)،وبمعنى آخر، أصل الشيء : أساسه وقاعدته ؛لأن الأسفل والأساس هما مرتكز الشيء ، وهذا المعنى بعينه ، هو ما تؤديه القاعدة ، فالمعنى اللغوي والقرآني يؤدي معنًى واحد ، هو : ما يرتكز عليه الشيء ويبنى – ومرتكز الشيء أساسه وقاعدته التي يبنى عليها))[٢]

فالغاية: هو الاستناد إلى أصل واضح متماسك ليبني عليه غيره، لتحقيق المقصود من النص، في إرجاع المسائل إلى أساسٍ شرعي تستند اليه، وتظهر أهمية علم أصول التفسير من أهمية علم التفسير نفسه، لأن أصول التفسير بالنسبة للتفسير بمثابة الوسائل للغايات.

المبنى:

بنى: (الباء والنون والياء) أصل واحد، وهو بناء الشيء بضم بعضه إلى بعض، تقول: بنيت البناء أبنيه [٣]. وقيل:سموه بناء، لأنه لازمًا موضعه لا يزول من مكان إلى غيره. وليس كسائر الآلات المنقولة، كالخيمة والسرادق ونحو ذلك[٤]. والجمع أَبْنيةٌ؛ وبَنى فلانٌ بيتاً بناءً وبَنَّى، وابْتَنى داراً وبَنى بمعنىً. والبُنْيانُ: الحائطُ [٥]. كذلك هو: وضع شيء على شيء على صفة يراد بها الثبوت [٦].

١/ ينظر: المصدر نفسه / ١١.

٢/ قواعد أصول التفسير في تهذيب الوصول للعلامة الحلي وكنز العرفان للسيوري ، د. جبار كاظم الملا ، د. سكينة عزيز/ ٣٧.

٣/ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ١/ ٣٠٢ (باب الباء والنون وما يثلثهما في الثلاثي)

٤ / ينظر: الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، ١/ ٣٨.

٥/ ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٤ / ٩٤ (فصل الباء الموحدة) .

٦/ ينظر: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، علي بن محمد بن عيسى الأُشْمُوني (ت: ٩٠٠هـ) ، ١ / ٤١ .

أما المباني التفسيرية: تطلق على جميع الفرضيات والعقائد الموجودة لدى المفسر التي تؤثر في عملية التفسير ومعطياتها، كما تؤثر بالطبع في مناهج التفسير[١]. وهذه المباني قسمان، هما:

أ – المباني الصدورية، وهي عبارة عن مجموعة من القضايا تثبت و حيانية القرآن الكريم، مثل: عدم تحريف القرآن، إعجاز القرآن، ابلاغ القرآن بتمامه، صيانة القرآن من التحريف وغيرها.

ب – المباني الدلالية، وهي عبارة عن مجموعة من القواعد في مجال فهم القرآن وكيفية تفسيره، مثل حجية الظواهر، إمكان فهم القرآن وتفسيره، لغة القرآن لكونها لسان المفاهمة، غاية التفسير وهدفه، استمداد علم التفسير من العلوم، تعين مصادر التفسير [٢]. وهناك اقسام أو أنواع للمباني لا طائل لنا بها ومن أراد فليرجع إلى[٣].

فالمباني التفسير: ((عبارة عن قواعد وأصول مسلمة ثابتة عند المفسر، يبتني تفسير القرآن على أساسها؛ وهذه المباني لا تختص بقواعد ومسائل علم خاص، بل تتشكل من قواعد كل علم له دخل في علم التفسير، قواعد علم اللغة والصرف والنحو والمنطق وعلم الحديث والرجال، وعلم الأصول والفقه وعلم الكلام)) [٤].كذلك : هي ما اتخذها الباحث أساسا لمباحثه فبنى عليها مسائله[٥] ، ونموذج لذلك أن المفسر حينما ذهب إلى أن القرآن حقيقة واحدة ، ونزل بقراءة واحدة، فيجب عليه أن يراعي قراءة واحدة في تفسيره، وأما إذا قال بتعدد القراءات، فيجوز له بل يجب عليه أن يلاحظ القراءات كلها، ويفسر القرآن بوجوه مختلفة، ويستمد من بعض القراءات تفسير بعضه [٦].

١/ ينظر: المناهج التفسيرية عند الشيعة والسنة، محمد علي اسد / ٢٢.

٢/ ينظر: المناهج التفسيرية عند الشيعة والسنة / ٢٢. وقواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، محمد فاكر المبيدي/ ٣٥ – ٣٦

٣/ ينظر: قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة / ٣٥ – ٣٧. ودروس تمهيدية في القواعد التفسيرية، علي أكبر المازندراني/ ١٣٩– ١٤٢. التفسير التربوي للقرآن الكريم (المباني والاتجاهات)، هاشم أبو خميس / ١٦ وما بعدها.

٤/ دروس تمهيدية في القواعد التفسيرية، علي أكبر المازندراني/ ١٣٩.

٥ / ينظر: قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، محمد فكر الميبدي/ ٣٦–٣٧.

٦/ ينظر: المصدر نفسه / ٣٧.

نلحظ في ذلك: إن المباني التي بني عليها المفسر تفسيره، وإن كانت من المسلمات التي يجب السير عليها أو التزامها في تفسيره، لكن في نفس الوقت ليست هي واحدة، بل قد تأتي مختلفة ومتباينة من مفسر لأخر؛ بدلالة وقوع الاختلاف التفسير في ضوء اختلاف القراءات، هذا إن اعتقد المفسر بوجود أكثر من قراءة للنص.

فالأصل أو المبنى: هو ما بنيت عليه مسائل العلم، إذ لا يقوم بحث دون وجوده؛ فعبر عنها الموجودات التي يعتقد بها الباحث، بمعنى لا وجود لأي بحث بدونها [١].

يتضح كل من (الأصل – والمبنى) أنهما متفقان في أنهما (الأساس– والقاعدة) الذي يبنى عليه، ومتى ما تسالم الاخذ منها، تسالم التفسير؛ أنما وضعت لتكون موازين ضبط للفهم والادراك، للمراد الإلهي، وبما إن كشف القناع عن مداليل كلام الله ﷻ واستكشاف مقصوده من خلال آياته بقدرة الطاقة البشرية، فكانت تلك بمثابة المنع من الوقوع في الانحراف وغير عاصم عن الاختلاف.

القاعدة:

قبل بيان الفرق بين (القاعدة، والضابطة)، نحيل للقارئ انه تم بيان (القاعدة) بالتفصيل في الفصل الأول؛ المبحث الأول، إذ جاء البيان هنا على وجه الاختصار، لبيان الفرق. جاءت القاعدة، لتدل على ثبوت الشيء، وأسسه التي يبنى عليها، فالبناء يرفع على القواعد [٢]، والقاعدة أصل الأس، والقواعد الأساس[٣]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ {البقرة :١٢٧ }. يتبين إنَّ القاعدة هي أساس وأصل الشيء.

القاعدة اصطلاحًا: قضية كلية من حيث اشتمالها بالقوة على أحكام جزئيات موضوعها وتسمى جزئياتها فروعا [٤]. والكلي لغة: نسبة إلى الكل، والكل لفظ واحد ومعناه جمع، ويدل على ضم أجزاء الشيء [٥]. فالقاعدة: أصل وذلك بلحاظ ما يندرج تحتها؛ لان ما يندرج تحتها

١/ ينظر: قواعد التفسير جمعا ودراسة، خالد عثمان السبت / ٣٧.

٢/ معجم مقاييس اللغة، ابن فارس ١٠٩/٥.

٣/ينظر: تاج العروس، الزبيدي، ٥/ ٢٠١.

٤ / ينظر: القواعد والضوابط الفقهية المتضمنة للتيسير، عبد الرحمن بن صالح العبد اللطيف، ١/ ٣٤.

٥ / ينظر: معجم مقاييس اللغة، ٥ / ١٢١ (باب: الكاف واللام). تاج العروس، ١ / ٥٨.

فروع راجعة إليها؛ لذا شبهت القاعدة بالأصل [١]. ونبصر هذا من خلال، القول: ((كل قاعدة هِيَ أصل للتي فوقها))[٢].

الضابطة:

تعد الضوابط من العوامل الهامة والرئيسية في صون كل من أراد تفسير القرآن الكريم أو استخراج أحكامه وحكمه، صونًا من أن يقع في الخطأ، أو التناقض، أو التوهم في فهم المعاني القرآنية، وإدراك دلالاتها، فكان من الضروري لنا بيان هذه الضوابط التي وضعها الباحثون في شأن القرآن الكريم، لصون سبيل المفسر في تفسيره.

الضابط لغةً: اسم فاعل من ضَبَطَ، والضبط لزوم الشيء وحسبه، وضَبْطُ الشيء حفظه بالحزم، والرجل ضابط أي حازم، والضوابط: جمع ضابط؛ فهو:الحزم، والإتقان، والإحكام. الضبط: لزوم شيء لا يفارقه في كل شيء، وضبط الرجل الشيء: إذا أخذه أخذًا شديدًا[٣].

الفرق يتجلى فيما يلي:

١. القاعدة تجمع فروعًا في أبواب شتى، والضابط يجمعها من باب واحده، فهي الأصل [٤]. يفهم هنا: ان القاعدة أوسع من الضابط.
٢. الخلاف الواقع في الضابط من حيث قبوله أو رده أكثر من الخلاف الواقع في القاعدة، لأن القواعد يقع الخلاف غالبا في بعض تفاصيلها لا في أصلها، أما الضوابط فيقع الخلاف كثيرا في أصولها؛ وذلك لكونها محدودة، فهي كالأجزاء بالنسبة للقاعدة [٥].

١/ ينظر: قواعد أصول التفسير في تهذيب الوصول للعلامة الحلي وكنز العرفان للسيوري، د. جبار كاظم الملا، د. سكينة عزيز الفتلي / ٣٣.

٢/ الكليات معجم المصطلحات والفروق اللغوية: أبو البقاء الكفوي / ٧٠٢ (فصل القاف)

٣/ ينظر: الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، ٣/ ١١٣٩ (فصل الضاد). لسان العرب، ابن منظور، ٧ / ٣٤٠ (فصل الضاد المعجمة). تاج العروس، الزبيدي، ١٠ / ٣٢١ (ضبط)

٤/ ينظر: الأشباه والنظائر، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت: ٧٧١هـ) (، ١/ ١١. الأشباه والنظائر عَلَى مَذْهَبِ أَبِيْ حَنِيْفَةَ، زين الدين بن إبراهيم، المعروف بابن نجيم المصري (ت: ٩٧٠هـ) / ١٣٧.

٥/ ينظر: القواعد والضوابط الفقهية المتضمنة للتيسير، عبد الرحمن بن صالح العبد اللطيف، ١/ ١٧.

٣. القواعد أكثر نقيضاً من الضوابط، لأن الضوابط تضبط موضوعاً واحداً فلا يتسامح فيها بمخالفة كثير [١].

٤. القاعدة في الأعم الأغلب متفق على مضمونها بين المذاهب أو أكثرها، وأما الضابط فهو يختص بمذهب معين، إلا ما ندر عمومه، بل منه ما يكون وجهة نظر فقيه واحد في مذهب معين قد يخالفه فيه فقهاء آخرون من المذهب نفسه [٢].

٥. القاعدة تختلف عن الضابط، لأن مجال الضابط أضيق من مجال القاعدة، وقد نبه على هذا بعض الأصوليين والفقهاء: والقاعدة لا تختص بباب بخلاف الضابط [٣]. وهذا يرشد الى سعة القواعد وضيق مجال الضابط.

٦. أما السيوطي؛ فقد أبان هذا الفرق في كتابه: (الأشباه والنظائر) فيما اشتمل عليه الكتاب في الضوابط والاستثناءات والتقسيمات، وهو منظم على أبواب الاختصاص كل ضابط ببابه، وهذا هو أحد الفروق بين الضابط والقاعدة، لأن القاعدة تجمع فروعا من أبواب شتى، والضابط يجمع فروع باب واحد[٤].ولهذا إيضاً ما جنح إليه أبو البقاء في(الكليات) قال في فصل: القاف، القسم الرابع، بعد أن عرف القاعدة: ((الضابط يجمع فروعا من باب واحد)) [٥]. وذهب آخرون إلى عدم التفريق بين القاعدة والضابط [٦].

---

١ / ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، (ت: ٧٧٠هـ)، ١/ ٣٠٧. قواعد التفسير جمعا ودراسة، خالد عثمان السبت / ٣٢. الوجيز في إيضاح قواعد الفقة الكلية، د. محمد صدقي بن أحمد بن محمد آل بورنو أبو الحارث الغزي ،١/ ٢٧.

٢/ ينظر: الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية، د. محمد صدقي، ١/ ٣٥.

٣/ينظر: حاشية البناني على شرح المحلى على جمع الجوامع، عبد الرحمن جاد الله البناني(ت: ١١٩٨هـ)، ١/ ٥٧.

٤/ ينظر: جلال الدين السيوطي، ١/ ٧- ٨.

٥/ الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ١/ ٧٢٨.

٦/ ينظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون / ٥٣٣.

قال: صاحب المصباح المنير: ((والقاعدة بمعنى الضابط وهي الأمر الكلي المنطبق على جميع جزئياته)) [١]. وغيره قال: لا مشاحة من أن كلاً من القاعدة والضابطة (قاعدة)[٢] . كما ان ميزة القواعد أنها تمتاز بأن كلاً منها ضابط [٣].

إذًا الفرق بين الضابط والقاعدة اتضح الآن، القاعدة عامة تشمل أبوابًا، والضابط في باب واحد، مثلاً: الأصل في الماء الطهورية ما لم يتغير أحد أوصافه بنجاسة، هذا ضابط أو قاعدة، عند من لا يفرق بين القاعدة والضابط يقال عنه: إنه قاعدة. وعند من يفرق يكون ضابطًا يختص بباب المياه من كتاب الطهارة، فلاحظ الأصل في الماء الطهورية إلا إذا تغير أحد أوصافه [٤]. وحتى من الذين فرقوا بين القواعد والضوابط، فأكثرهم عند التطبيق عندما ألفوا وأخذوا يذكرون القواعد، عدوا جملة من الضوابط وذكروها ضمن القواعد [٥].

المطلب الثاني: التعريف بالقاعدة القرآنية.

إن من أوجه الإعجاز الذي تضمنه كتاب الله ﷻ ؛ ما حوى على جملٍ قليلة المباني، عظيمة المعاني، يقرأ فيها المسلم الجملة المكونة من كلمتين، أو ثلاث، أو أربع كلمات، فإذا يجد تحتها كنوز من الهدايات الإلهية ما لا يعد ويحصى، فيجد: الروحية، العلمية، والايمانية، والتربوية، والبلاغية، وغيرها، والتي جاءت على صور (قواعد قرآنية) ، فلا بدَّ أَن يكون مع الإنسان أُصول كلية ترد إليها الجزئيات ليتكلم بعلم وعدل ثمَّ يعرف الجزئيات كيف وقعت وإلَّا فيبقى في كذب وجهل في الجزئيات وجهل وظلم في الكليات فيتولد فساد عظيم [٦].

روى إبراهيم النخعي (ت: ٩٦هـ)، أن الخليفة الثاني (ت: ٢٣هـ)، أتى بامرأة قد ولدت لستّة أشهر، فهمّ برجمها فقال له: الإمام علي عليه السلام :((إن خاصمتك بكتاب الله خصمتك،

١/ أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت: ٧٦٠هـ)، ٢/ ٥١٠.

٢/ قواعد الفقه، محمد عميم الإحسان البركتي(ت: ١٣٩٥هـ)/ ٥٠. موسوعة القواعد الفقهية ،١ / ٢٩.

٣/ ينظر: موسوعة القواعد الفقهية، ١ / ٢٩.

٤/ ينظر: الخلاف، الشيخ الطوسي، ١/ ١٩٢. والمبسوط، الشيخ الطوسي، ١/ ٥. والسرائر، ابن ادريس الحلي (ت: ٥٩٨هـ) ،١/ ٦٢. قواعد الاحكام، العلامة الحلي (ت: ٧٢٦هـ)، ١/ ١٨٢.

٥/ ينظر: المنتخب من القواعد الفقهية، د. عباس كاشف الغطاء / ٢٢.

٦/ ينظر: مجموع الفتاوى، ١٩ / ٢٠٣. ومنهاج البراعة في شرح البلاغة، حبيب الله الهاشمي الخوئي، ١٦ / ٩٠.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾ {الأحقاف: ١٥}، ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾{ البقرة: ٢٣٣} ،فإذا تممت المرأة الرّضاعة سنتين وكان حمله وفصاله ثلاثين شهراً كان الحمل منها ستة أشهر فخلى عمر سبيل المرأة وثبت الحكم بذلك))[١].

رجع الإمام علي عليه السلام لمعرفة الجزئيات، في ضوء القاعدة القرآنية الكلية، وهذا يدل على أن شرائعه راجعة إلى أصل أو أصول كلية تهدى إليها الفطرة مما ترتضيه وتأمر به أو لا ترتضيه وتنهى عنه [٢]، فلا محيص لصاحب الشريعة عن إلقاء أُصول كلية ذات مادة حيوية قابلة لاستنباط الأحكام وفقاً للظروفِ والأزمنة، والحكيم إذا أَراد التعليم لا بدَّ له أَنْ يجمع بين بيانين: إجمالي تتشوف إليه النفس، وتفصيلي تسكن إليه [٣].

فالقاعدة القرآنية: هي الاحكام التي يتوصل بها إلى استنباط الاحكام من معاني القرآن العظيم وفهمها، ومعرفة كيفية الاستفادة منها؛ وكيف يتوصل إلى استنباط معاني القرآن العظيم؟ أي بالقوة؛ بمعنى انها قابلة لذلك، اما القول: كيفية الاستفادة منها؟ يدخل القواعد الترجيحية [٤].

إذًا اننا نحتاج في فهم مراد كلام سبحانه وتعالى و تفسيره إلى القواعد والأصول التي بها نصون آيات التنزيل من الأخذ بالرأي الممقوت، ونصد بها كل انحراف عن المبادئ السماوية التي جاء بها القرآن الكريم، وهذا يُحتّم أن تضع قواعد بها تُيسّر سُبُل التفسير المؤدية إلى مرضاة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم؛ وأيضًا أن قواعد التفسير بمنزلة الميزان والقانون الذي به يفسّر القرآن الكريم[٥].

عدت القاعدة القرآنية (قانوناً)، يستفيد منه المفسِر في تفسيره للقرآن الكريم،إذ تسنى هذا في الرجوع بالقول: (قضية كلية) أي يدخل تحتها جميع أجزائها، لا يشذ من ذلك شيء، وهذا الوصف دقيق، ومطرد في حق القواعد القرآنية التي تعتمد الآية الكريمة، أو جزء منها في

١/ الايضاح، الفضل بن شاذان الازدي (ت: ٢٦٠هـ) / ١٩٠. وعيون الاخبار، ابن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، ٢/ ٨١.
٢/ ينظر: تفسير الميزان، الطبطبائي، ٧/ ٢١٣.
٣/ ينظر: المنثور في القواعد الفقهية، الزركشي، ١/ ٦٥. ولمحات الأصول، تقرير بحث للبر وجردي / ٥.
٤/ ينظر: قواعد التفسير جمعاً ودراسة، خالد عثمان السبت / ٣٠
٥/ ينظر: أصول التفسير وقواعده، خالد العك / ٣٠. وقواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، محمد فاكر / ١٥.

إثباتها؛ لأنها تعتمد على النص القرآني [١]، قال ﷻ :﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ {فصلت: ٤٣}، أما بالنسبة للقواعد التي يصوغها علماء الأصول، أو التفسير، وقولهم: ((منطبقة على جميع جزئياتها))[٢] ؛ لأن هذه هي حقيقة القاعدة، فهي الأساس والأصل لما فوقها، وهي تجمع فروعا من أبواب شى[٣].

وأما (القرآنية): فنسبة إلى القرآن، وهو لغة: مأخوذ من قرأ، اسم مصدر من قرن بمعنى: جمع واجتماع ومنه: القرآن، كأنه سمي بذلك لجمع ما فيه من الأحكام والقصص وغير ذلك [٤]. وأقرب ما قيل في تعريفه اصطلاحًا: بأنه كلام الله تعالى المنزل على محمد ﷺ بلفظه العربي المتعبد بتلاوته [٥].

فالقاعدة القرآنية:((أحكام كلية قطعية، مستخرجة من نصوص القرآن))[٦]. المراد بالأحكام الكلية تم بيانه؛ إما بالقطعية: هو الثبوت القطعي الدلالة، المحكم من آيات القران، الصريح والأحاديث المتواترة، فلا يتطرق اليه الظن في أصل بنيتها، لأنه مأخوذ من كلام الله تعالى، فهو المصدر الرئيسي للتشريع وأقدس كتاب سماوي لدى المسلمين على شتى مذاهبهم، وبه ثبتت نبوة نبينا ﷺ، وهو المصدر الوحيد القطعي الثبوت، باتفاق المسلمين وإجماعهم، لم تطاله يد التحريف ولم تطرأ عليه زيادة أو نقصان [٧]. ومستخرجة من نصوص القرآن، إشارة إلى مادة هذه القواعد، فهي مأخوذة من الآيات القرآنية، وليست كقواعد المفسرين أوالفقهاء والاصوليين التي يجتهد العلماء في صياغتها وتحرير ألفاظها [٨] .

١/ ينظر: قواعد قرآنية خمسين قاعدة قرآنية في النفس والحياة، د. عمر بن عبد الله المقبل / ٩

٢/ التعريفات، الجرجاني ،١/ ١٧١ (باب: القاف)

٣/ ينظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي / ٧٠٢ (فصل: القاف). وعنه: قواعد قرآنية خمسين قاعدة قرآنية في النفس والحياة، د. عمر بن عبد الله المقبل / ٩.

٤/ ينظر: معجم مقاييس اللغة، ٥ / ٧٨– ٧٩. (فصل القاف)

٥/ ينظر: معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، محمود عبد الرحمن عبد المنعم،٣ / ٧٦. وعلوم القرآن، محمد باقر الحكيم/ ١٧.

٦/ قواعد قرآنية خمسين قاعدة قرآنية في النفس والحياة، د. عمر بن عبد الله المقبل / ١٢.

٧/ ينظر: تفسير الأصفي، محمد محسن الفيض الكاشاني ، ١/ ٨ .

٨/ينظر: قواعد قرآنية خمسين قاعدة قرآنية في النفس والحياة، د. عمر بن عبد الله المقبل / ١٢

فالقواعد القرآنية: هي تلك الأسس والأصول القرآنية، التي كشفت عن حقائق ثابته، وما حواه القرآن من ثروات تشريعية وأخلاقية تكفل سعادة الانسان إلى نهاية الشوط.

المطلب الثالث: التعريف بقواعد التفسير الموضوعي.

إن التعريج لطريقة التفسير الجديدة، والتي جاءت تكملة لجهود المتقدّمين، وإغناء لتجاربهم ودراساتهم، لتعطي لنا صورة بالغة الوضوح ومكمّلة لما أعدّه السابقون من المفسّرين، وهذا التفسير يسمّى (التفسير الموضوعي) الذي يعني بتفسير آيات القرآن الكريم حسب الموضوعات والمفاهيم، أي حسب التبويب والتقسيم الموضوعي للقرآن الكريم، وربطها برباط جامع، ثم تفسيرها جميعًا، للخروج برؤية قرآنية، فالقواعد والضوابط التي من شأنها أن تضبط هذا السير حتى لا ينحرف عن القصد، الذي أريد من النص الكريم.

إذًا: التفسير الموضوعي هو لون من ألوان التفسير يتطلع إلى الكشف عن مراد الله تعالى في القرآن الكريم، ولا يتم هذا الكشف إلا وفق منهج واضح المعالم يوصل إلى الهدف المطلوب.

وبناءً على هذا فإن عمل المفسر الموضوعي، لا يتعدى الكشف عن المعاني والمقاصد والدلالات في الآيات القرآنية، لكن بمجموعها، لا بمفردها، الأمر الذي يعني أن التفسير الموضوعي، كالتفسير العام، لا فرق بينهما إلا في أسلوب الكشف والاستخراج.

لذلك ينبغي أن يكون بيناً إلى الفصل بين الاتجاهين المذكورين:(التوحيدي ـ الموضوعي) و(التجزيئي ـ التحليلي) ليس حديًا على مستوى الواقع العملي والممارسة التفسير، لأن الاتجاه الموضوعي بحاجة طبعًا إلى تحديد المدلولات التجزيئية في الآيات التي يتوخى التعامل معها ضمن حدود الموضوع الذي يتبناه ، كما أن الاتجاه التجزيئي قد يلقى في أثناء الطريق بحقيقة قرآنية من حقائق الحياة الأخرى، فالاتجاهين على أي حال يظلان بالرغم من ذلك متباينين في الملامح والاهداف والحصيلة الفكرية [1]، وفي كلمة أخرى: ((ليست كلمة كل عملية تجميع أو عزل دراسة موضوعية، وإنما الدراسة الموضوعية هي التي تطرح موضوعا من موضوعات

١/ينظر: المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر/ ١٣.

الحياة العقائدية أو الاجتماعية أو الكونية وتتجه إلى درسه وتقييمه من زاوية قرآنية للخروج بنظرية قرآنية بصدده))[1].

من هنا كانت نتائج التفسير الموضوعي نتائج مرتبطة دائما بتيار التجربة البشرية لأنها تمثل المعالم والاتجاهات القرآنية لتحديد النظرية الاسلامية بشأن موضوع من مواضيع الحياة. ومن هنا أيضا كانت عملية التفسير الموضوعي عملية حوار مع القرآن الكريم واستنطاق له، وليست مجرد استجابة سلبية بل استجابة فعالة وتوظيفا هادفا للنص القرآني في سبيل الكشف عن حقيقة من حقائق الحياة الكبرى [2].

فقواعد التفسير الموضوعي هي: (تلك القوانين الكلية التي تقع واسطة في استنباط الأحكام الكلية في الموضوع الواحد من مجموع آياته في عموم القرآن الكريم) [3].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الأحكام المستنبطة وإن كانت كلية إلا أنها قد تكون جزئية تحت موضوعها العام، لاعتبار أن طبيعي الموضوع يتكون من مجموعة الأجزاء، وهو من قبيل الجنس الذي يضم تحته أنواعا كثيرة.

إن الدراسات السابقة للتفسير الموضوعي لم تذكر تحديدا قواعد للتفسير الموضوعي إنما جعل كل باحث أو دارس لهذا الموضوع يقدم مقدمة فيها بعض الأمور العامة التي يحاول الالتزام بها في بحثه.

ومن الضروري أن نعرف إن البحث في التفسير الموضوعي لا يختلف عن البحث في موضوع التفسير بوجه عام، وهذا أشار اليه السيد الصدر، لذلك لا يجوز للباحث في هذا العلم أن يتجاوز قواعد التفسير العامة.

إذ حُري بالبحث في هذا المطلب ان يعرج بالتعريف عن قواعد التفسير الموضوعي التي جاءت محط اتفاق من قبل الباحثين والمتخصصين في هذا النوع من التفسير وإن اختلفت مسمياتهم، التي الزموا المفسر في تفسيره بالسير عليها، فمنهم من أطلق عليها: قواعد وراح آخر يطلق اسم ضوابط، وغيره ذكرها باسم العلوم و ايضاً خطوات ، وهناك من عرفها بالمباني

١/ المصدر نفسه /١٧.

٢/ ينظر: المصدر نفسه / ٢٠ – ٢١.

٣/ أصول وقواعد التفسير الموضوعي للقرآن، مازن شاكر التميمي / ٢٥٩.

وغيرها من التسميات، كما هو حال الاختلاف في عددها ايضاً[1]؛ فعند استقراءنا لتلك القواعد، في كتاب (قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، لمحمد فاكر المبيدي) وجدنها مستقات من معين تلك المسميات، فانتقى من مجموعها وطلق عليها قواعد التفسير الموضوعي.

القواعد الخاصة بالتفسير الموضوعي

١. اعتبار القرآن اصلاً يرجع إليه، وهو الالتزام بعناصر القرآن، الذي يجب على المفسر التعلق به في ضوء العناصر التي استخرجها من النظر في الآيات الكريمة، ونعني بهذه القاعدة متجردة عن أية فكرة سابقة، والأصل أن يكون الباحث متلقي والقرآن أصل، فلا يصح وضع النص في غير موضعه الصحيح ، فهو آية من كتاب الله أو سنة قولية أو عملية أو تقريرية، ثابتة عن رسول الله ﷺ ولكن العيب في الاحتجاج بهذا النص على أمر معين، وهو لا يدل عليه، لأنه سيق مساقا آخر[2].

٢. وجوب المحافظة على قرآنية الموضوع، من حيث العناصر التي استخلصها من الآيات القرآنية في مرحلة الجمع، ولا يضيف إليها عناصر أخرى من أي مصدر آخر كالحديث والفقه والعقيدة والتاريخ واللغة، وذلك لكي نحافظ على قرآنية الموضوع، ولا يتحول من موضوع قرآني إلى دراسة قرآنية عامة أو دراسة إسلامية. فأحاديث النبي ﷺ واهل البيت عليهم السلام شارحة وموضحة للآيات القرآنية، وأقوال الصحابة والتابعين من بعدهم فمن باب أولى إلا تنشأ عنصرًا إضافيًا،

---

١ / ينظر: التيسير في قواعد علم التفسير، محي الدين محمد بن سلمان الكفايجي (ت: ٨٧٩هـ) / ٢٧ وما بعدها. والقواعد الحسان لتفسير القرآن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي / ٣٢ وما بعدها. وأصول وقواعد التفسير وقواعده، خالد عبد الرحمن العك / ٤٣ وما بعدها. و دروس تمهيدية في القواعد التفسيرية، علي اكبر السيفي المازندراني ، ١/ ١٣٩ وما بعدها . وقواعد التفسير جمعاً ودراسة، خالد بن عثمان السبت/ ٧٥٤ وما بعدها. وقواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، محمد فاكر المبيدي / ٤٢٠ – ٤٢٦. ومنطق تفسير القرآن (أصول وقواعد التفسير)، محمد علي الرضائي / ٣٥٣ وما بعدها. والمدخل الى التفسير الموضوعي دروس منهجية، هاشم أبو خميس / ٦٤ وما بعدها. وتفسير القرآن الكريم اصوله وضوابطه، أ.د. علي بن سلمان العبيد / ٩٣ وما بعدها. والتفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، أ. د. فضل حسن عبَّاس/ ٦٥٠. أصول وقواعد التفسير الموضوعي للقرآن، د. مازن شاكر التميمي / ٢٧٢ وما بعدها.

٢/ ينظر: كيف نتعامل مع القرآن العظيم، يوسف القرضاوي / ٣١٦. والمدخل الى التفسير الموضوعي، د. عبد الستار فتح الله سعيد / ٦٧.

وإنما تذكر من باب التعليق والشرح والبيان، وأيضا ما يتعلق بأقوال أهل اللغة، والإعراب، والقراءات، كلها تأتي تبعا لا غرضا [١].

٣. لزوم أن يكون المفسر في التفسير الموضوعي على مستوى رفيع من الإحاطة و الاطلاع على أنواع التفسير الأخرى، إذ هي اللبنات الأولى والمادة الأولية التي يريد إقامة بنيان تفسيره الموضوعي عليها[٢].

٤. اللجوء إلى تفسير السورة، إذ لا مناص للباحث في التفسير الموضوعي من التفسير الإجمالي في طريقة عرضه للهدف الذي نواه؛ وذلك لضرورة ربط المقاطع كلها بمحور السورة لإبراز الهدف الأساسي فيها [٣]. فيجب مراعاة عملية التفسير التحليلي ونتائجه، في فهم الآيات الكريمة قبل الشروع في التفسير الموضوعي ، وهذا أمر ضروري حتى يستطيع المفسر ترتيبها ، وتأليف عناصرها ، ولذلك ينبغي الرجوع إلى كتب التفسير التي تناسب الموضوع ، ليعلم معاني الآيات الكريمة في مواضعها من ترتيب المصحف الشريف ، وليتبين أحوالها المتعددة من حيث الناسخ والمنسوخ ، أو العموم و الخصوص ، ونحو ذلك وبذلك يكون التفسير التحليلي، ضرورة للتفسير الموضوعي ، فهما يتعاونان ، ولا يتعارضان ، بل يتكاملان لخدمة النص القرآني ، وإنضاج علم التفسير ،كله. فتفسير الآيات أثناء عرضها تفسيراً يفهم منه الحكمة في إيراد الآيات، والغرض من هذا التشريع الإلهي، والغاية من وراء تنفيذ الأمر واجتناب النهي [٤].

إن التفسير الترتيبي هو بمقام المقدمة اللازمة من غير انفكاك للتفسير الموضوعي؛ إذ إن المسألة هنا مسألة ضم الاتجاه الموضوعي في التفسير إلى الاتجاه التجزيئي، بمعنى افتراض

١/ينظر: مدخل الى التفسير الموضوعي / ٧٨. ومنهجية البحث في الموضوع القرآني، د. حامد يعقوب الفريح / ٣٤.

٢/ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي، د. مصطفى مسلم/ ٥٤

٣/ ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم/ ٥٤. و قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، محمد فاكر/ ٤٢٣.

٤/ ينظر: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. أحمد السيد الكومي، د. محمد أحمد يوسف القاسم / ٢٤. المدخل الى التفسير الموضوعي، د. عبد الستار فتح الله سعيد / ٦٤. ومنهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. سامر عبد الرحمن الرشواني / ٤٩ وما بعدها.

خطوتين هما: خطوة التفسير التجزيني، وخطوة أخرى هي خطوة التفسير الموضوعي، وعندها يجب العناية والرعاية لجميع مجالات التفسير الترتيبي [١].

٥. رعاية ما يلزم في تفسير القرآن بالقرآن، نظرة إلى أن التفسير الموضوعي يكون أولا وبالذات من تفسير القرآن بالقرآن، فيجب على المفتر مراعاة ما يلزم في هذا النوع من التفسير: من التدير في الآية نفسها، وإمكان الاستشهاد بالآيات المقطوعة عن السياق والمناسبة، وقبول تقارب المعنى في الكلمات وترادفها على حد ما، لضرورة الاستعداد منه في تفسير الآية بنظيرتها [٢].

٦. قاعدة معرفة مناسبة الالفاظ المفردة على بعض وهو ما يطلق عليه (الاشتقاق)، إي عدم الكتفاء بجمع الآيات المشتملة على اللفظ فقط [٣]. فالعناية بدلالات الكلمات والعبارات في محاولة عدم الاكتفاء بإبراز المدلولات التفصيلية للآيات القرآنية الكريمة، بل لا بد من بيان أوجه الارتباط، بين المدلولات التفصيلية، التي يحاول ان يصل إلى مركب نظري قرآني، وهذا المركب النظري القرآني، يحتل في اطاره كل واحد من تلك المدلولات التفصيلية، موقعه المناسب وهذا ما نسميه بلغة اليوم (بالنظرية) يصل إلى نظرية قرآنية عن النبوة، نظرية قرآنية عن المذهب الاقتصادي نظرية قرآنية عن سنن التاريخ وهكذا [٤]. فكل فروع عالم الوجود تشكل وحدة يرتبط بعضها ببعض، والأسلوب السديد لمعرفتها والاطلاع على حقائقها هو بحثها في اجتماعها وارتباطها، والأمر كذلك في القرآن، فالارتباط بين الآيات ارتباط موضوعي دقيق، بمعنى أن هذا الارتباط يكمن في توحيد مواضيعه ووحدتها، ولابدّ في التفسير من استحضار هذه القاعدة، وهي النظر إلى كل القرآن شرط في فهمه وكشف معانيه ومراده [٥].

٧. التدقيق التام قبل التقعيد والتأصيل، فالتفسير الموضوعي يقوم على جمع الآيات، فربما نظر في مجموعها من غير إحصاء واستقصاء، فأصدر حكمة عامة، وعليه قد يكون أضل أصلًا

١/ ينظر: التفسير الموضوعي والفلسفة الاجتماعية في المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر/ ٣٨.

٢/ ينظر: قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة / ٤٢٣.

٣/ ينظر: التيسير في قواعد التفسير، محي الدين محمد الكفايجي / ٢٧.

٤/ينظر: المدرسة القرآنية، السيد محمد باقر الصدر/ ٢٧.

٥/ ينظر: نفحات القرآن (أسلوب جديد في التفسير الموضوعي)، ناصر مكارم الشيرازي ١ / ٩-١٠

جامع، أو وضع قاعدة كلية فيؤدي ذلك إلى غلط، أو تخليط يحرف الكلم عن مواضعه، لذلك ينبغي النظر الشامل، والاستيعاب الكامل لكل الألفاظ القرآنية الواردة في موضوع ما، وتقليب الفكر والنظر في استعمالاتها المتعددة، وحصر الفروق بين أصل الوضع، وواقع الاستعمال، وعدم متابعة الغير في ذلك إلا بعد التحري، والتحرير، والفحص البصير[١].

٨. إبعاد الروايات الضعيفة والإسرائيليات، والقصص التاريخية عند عرض الموضوع القرآني، وتركيز الجهد لاستنطاق النصوص الكريمة، بما صح وثبت من تفسير عن النبي ﷺ وأهل البيت عليهم السلام أو الصحابة الكرام، كلفظ الظلم التي فسرها الامام علي عليه السلام بالاعتماد على قواعد اللغة والأساليب البيانية [٢] ، فالتقيد بصحيح المأثور في التفسير من الذين شاهدوا الوحي مما اتفقوا فيه وما اختلفوا فيه مما هو بيان لمجمل أو تفسير مبهم، وهو علم السنن، وهذا أمر ضروري للمفسر الموضوعي، حين يجمع الآيات، ويصنفها في مواضعها، ويستخرج عناصرها، حتى يفسر الموضوع كله على وجه صحيح الا اضطراب فيه [٣].

٩. قاعدة الالتزام بالسعي في استخلاص النظرية القرآنية (الرؤية الشمولية للقرآن)، بعد الإحاطة بمعاني الآيات مجتمعة يحاول المفسر أن يستنبط العناصر الأساسية للموضوع من خلال التوجيهات القرآنية التي أحاط بها أو استنبطها من الآيات المتعلقة بالموضوع؛ وهذا يظهر في ضوء التزامه بالمنهج الصحيح في التفسير، والاستقراء التام والشامل من اجل الوصول الى قاعدة كلية او حكم عام [٤].

إن القرآن ليس كتابا فنيا مقسما على قضايا معينة، ثم تنقطع فيه الرؤية الشاملة، بل هو يعرض الكون وهو يبني العقيدة، ويعرض الكون وهو يربي الخلق ويمزج بين الجميع بطريقة

١/ ينظر: المدخل الى التفسير الموضوعي، د. عبد الستار فتح الله سعيد / ٧٤. وعنه: قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، محمد فاكر المبيدي/ ٣٢٤- ٤٢٥.

٢/ ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم / ٣٩. والمدخل الى التفسير الموضوعي، د. عبد الستار فتح الله سعيد / ٧١ – ٧٢.

٣/ ينظر: التيسير في قواعد التفسير، محي الدين محمد الكفايجي /٢٨. والتفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. أحمد السيد الكومي، د. محمد أحمد يوسف القاسم / ٢٤. المدخل الى التفسير الموضوعي / ٧١.

٤/ ينظر: كيف نتعامل مع القرآن، محمد الغزالي/ ٤٠ (مدارسة أجراها المؤلف مع عمر عبيد حسنه). ومباحث في التفسير الموضوعي، د. مصطفى مسلم/ ٣٧ – ٣٩.

مدهشة، فالنظر في الكون والواقع والتاريخ يقود إلى الإيمان، ويؤصل التوحيد، ويبنى الخلق. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ {البقرة : ٢١}. توحيد فيه أمر للناس بالعودة لله، وفي قوله تَعَالَىٰ:﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ **{البقرة: ٢٢}**، لننظر إلى طريقة القرآن كيف عرض الكون ومظاهره ، وحقائقه وهو ينفي الشركاء ويؤسس عقيدة التوحيد ، وهذا في المدينة كذلك نجد المسلك نفسه في مكة ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾{ **غافر : ٦١- ٦٢}** ، فالمحاور التي يقوم عليها القرآن الكريم بالجهد العقلي تجيء الآية الواحدة، أو طائفة من الآيات يمكن أن تكون في قضية واحدة، فنرى أن هذه القضية الواحدة تماسكت الآيات فيها على عدة محاور من الكلام عن الله تعالى ، والكون ، والجزاء ، والنفس البشرية ، والإيمان ، والأخلاق ، تماسكًا فريداً لا يعرف إلا في القرآن . وهذا يعطي التصور الحضاري للقرآن على أنه يبني أمة، ويفتح أبصارها على الكون، ويمنحها الرؤية المتميزة التي تمكنها من الشهود الحضاري على مختلف الأصعدة [١].

١٠. تجنب الحشو والاستطراد في التعليق، لأن القصد من التفسير الموضوعي هو إبراز موقف القرآن ذاته من موضوعه، فإذا استطرد وتوسع في التعليقات طغي ذلك على العناصر القرآنية، وخرج من نطاق التفسير الموضوعي، إلى كونه رأياً لصاحبه، كما حدث في التفسير التحليل قديما، وبالتالي يندرج هذا تحت اسم آخر هو: (الدراسات القرآنية أو من معاني القرآن أو حول القرآن) ونحو ذلك من الألفاظ العامة، التي لا يضبطها صاحبها تحت موضوع قرآني محدد أو يلتزم فيه نهجة تفسيرياً محدداً [٢].

١/ ينظر: كيف نتعامل مع القرآن، محمد الغزالي / ٤٠ – ٤١.

٢/ ينظر: المدخل الى التفسير الموضوعي، د. عبد الستار فتح الله سعيد / ٧٣

١١. معرفة ما يتعلق بذات التنزيل، وهو القراءات، كذلك ما يتعلق بالأسباب التي نزلت عندها الآيات، وتلك المعرفة تحصل بمطالعة الكتب المدونة في اسباب النزول ومعرفة الناسخ والمنسوخ والعموم والخصوص، والمجمل والمبين، والمحكم والمتشابه[١].

١٢. التزود بزاد ثقافي معاصر: على المفسر الموضوعي أن يكون واسع الاطلاع، وغزير الثقافة ، أن يكون متمكنا من العلم الشرعي والثقافة الإسلامية في مختلف حقول المعرفة، في اللغة والبلاغة والعقيدة والتاريخ والفقه والمنطق ، ثم عليه أن يكون واسع الاطلاع على الثقافات الإنسانية والاجتماعية المعاصرة، وأن يتزود بزاد ثقافي من ذلك، مثل: علم الاجتماع، وعلم النفس، وعلم التربية، وأصول السياسة، وغيرها ، فإن تزوده في هذه الميادين والحقول الإنسانية والمعرفية المعاصرة، يوسع أفقه العلمي والثقافي، ويساعده على إدراك المضامين والأبعاد والآفاق القرآنية، التي تشير إلى هذه الميادين الثقافية[٢].

فإخراج الموضوع في صورة متكاملة تامة البناء والإحكام: بمراعاة شروط البحث العلمي، واضعاً نصب عينيه أنه يبرز للناس طريقة من طرق إرشاد القرآن التي هي أقوم، طارحاً وراءه عقيدة فاسدة، أو أية مؤثرات خارجية قد تطغى على الحقيقة المنشودة من وراء بحثه الآيات القرآنية، ويكون هدفه الأسمى إبراز محاسن القرآن لخدمة الأفراد والمجتمع، الإسلامي [٣].

١٣. مراعاة خصائص القرآن الكريم على المتصدي في التفسير الموضوعي مراعاة خصائص القرآن البيانية والأسلوبية والتعبيرية، وخصائصه الفكرية والموضوعية، ولا يجوز له مخالفتها أو الخروج عليها. وإذا أغفل الباحث خصائص القرآن العامة اختل معه البحث، واضطربت عنده النظرات، ووقع في الخطأ عند استخراج الحقائق والقواعد والدلالات [٤].

الخصائص والأصول العامة عند النظر في القرآن، التي تجب مراعاتها: –

١– القرآن أصل الأصول العلمية كلها.

١/ ينظر: التيسير في قواعد التفسير، محي الدين محمد الكفايجي / ٢٨ – ٢٩.

٢/ ينظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي / ٩٢.

٣/ ينظر: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. أحمد السيد الكومي، د. محمد أحمد يوسف القاسم / ٢٥.

٤/ ينظر: المدخل الى التفسير الموضوعي، د. عبد الستار فتح الله سعيد / ٧٨، والتفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي/ ٨٩. وأصول وقواعد التفسير الموضوعي، مازن شاكر/ ٢٩٦.

٢- القرآن هو الغاية في الأحكام والإتقان.

٣- لا تكرار ولا زيادة في الأسلوب القرآني.

٤- القرآن كتاب هداية وتوجيه.

٥- القرآن عربي اللسان.

٦- براءة القرآن من المثالب والأخطاء التي وقع بها بعض العرب.

٧- الأصل في التعبير القرآني حمله على الحقيقة، ولا يقال بالمجاز إلا عند قوة الدليل. ويجب حمل القرآن على الحقيقة في آيات العقيدة(القضايا الإيمانية التي تشمل أركان الإيمان) والتشريع والأخبار والقصص.

٨- لا ترادف في ألفاظ القرآن ومفرداته؛ فكل لفظة وضعت في مكانها لدلالتها على المعنى الدقيق من استعمالها [١].

فعلى الباحث مراعاة هذه الخصائص العامة للقرآن، وعدم مخالفتها أو الخروج عليها، لئلا يخطئ في دراسته الموضوعية القرآنية.

إن قواعد التفسير الموضوعي هي المرتكزات والاسس الكلية التي يعتمدها المفسر الموضوعي في الكشف عن قناع النص في الموضوع القرآني، سواء كان ذلك على مستوى القرآن كله، أم مجموعة من الآيات، أو على مستوى السورة الواحدة، للخروج بنتيجة قرآنية بصدد ذلك الموضوع بالاعتماد على الاستقراء الشامل لجميع آيات القرآن. ويدلل هذا على اعتماد التفسير الموضوعي على التجزيئي، وبدوره يعطي لنا مؤشراً إلى اشتراك قواعد التفسير التجزيئي مع القواعد الخاصة للتفسير الموضوعي.

لأن التفسير الموضوعي بشكل عام لا يتناول اللفظ وبيان دلالته في القرآن بالاعتماد على وروده في آيات أخرى ، وإلَّا سميناه التفسير البياني، وأنماء يتناول الكشف عن المعاني والمقاصد والدلالات في الآيات القرآنية، من خلال استنطاق القرآن حول موضوع معين ، للحصول على رؤية قرآنية شاملة، فعد التفسير التجزيئي الأصل الذي يبنى عليه أنواع التفسير الأخرى ومنها الموضوعي إن صدق الوصف ، إذ يعد المنبع الذي يستقى منه المفسر، واي

١/ ينظر: المدخل الى التفسير الموضوعي / ٧٩ – ٨٦. وع التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق / -٨٩ – ٩٠.

محاولة تفسيرية ، تسقط التفسير التجزيئي من الاعتبار سيسقط صاحبها في هوة وعن الخروج من مراد الله تعالى ، وبالتالي يحتاج التفسير التجزيئي لاشتراكهما في بعض القواعد ، وإن كان التفسير الموضوعي يتعامل مع الآية على أساس وحدة الموضوع .

فقد نبه معظم من أصل للتفسير الموضوعي على ضرورة العودة إلى التفسير التجزيئي وعدوه شرطاً له، فالمقدمات السليمة المبنية على التفسير التجزيئي توصل إلى نتائج سليمة في التفسير الموضوعي. لكن هذا لا يعني أن التفسير التحليلي خط أحمر لا يجوز للمفسر الموضوعي أن يختار منه أو يضيف إليه وإلا قيدنا معاني القرآن وأفقدناه صلاحيته لكل زمان ومكان.

موارد استمداد قواعد التفسير [1].

استمداد العلم هو توقفه على معلومات سابق وجودها على وجود ذلك العلم عند مدوّنيه لتكون عونًا لهم على إتقان تدوين ذلك العلم، وسمى ذلك بالاستمداد عن تشبيه احتياج العلم لتلك المعلومات بطلب المدد، والمدد العون والغواث[2]. ومن خلال التتبع والاستقراء نجد أن قواعد التفسير مستمدة مما يأتي:

١- القرآن الكريم. عن طريق استقراء القضايا فيه، عن عبد الله بن مسعود قال: ((من أراد العلم فليثور القرآن فان فيه علم الأولين والآخرين))[3].

٢- السنة النبوية.

٣- بعض ما أثر عن اهل البيت عليهم السلام والصحابة في الكلام عن التفسير، بحيث إنه يمكن أن نعرف منه بعض الأصول التي يسيرون عليها في استنباط المعاني.

٤- أصول الفقه لأن حقيقتها: استقراء كليات الأدلة، حتى تكون عند المجتهد نصب عين، وعند الطالب سهلة الملتمس.

١/ ينظر: ينظر: الاعتصام، الشاطبي، ١/ ٤٨ و٥١. والبرهان في علوم القرآن، الزركشي، ١ / ١٣ ج ٢/ ١٥٣ وما بعدها. والاتقان في علوم القرآن، ٤ /١٩٤- ٢٠٢. والتحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ١/ ١٨ – ٢١. وعلوم القرآن، محمد باقر الحكيم / ٢٤٢ -٢٤٣. وقواعد التفسير جمعا ودراسة، خالد عثمان السبت / ٤٠.

٢/ ينظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ١/ ١٨.

٣/ينظر: المعجم الكبير، الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، ٩ / ١٣٥. و شعب الايمان، احمد بن الحسين البيهقي (ت: ٤٥٨هـ) ، ٢/ ٣٣٢. و كنز العمال ، المتقي الهندي ، ١/ ٥٤٨ .

٥- اللغة والبيان والنحو والتصريف. لأن علوم اللسان هادية للصواب في الكتاب والسنة، فحقيقتها إذا أنها فقه التعبد بالألفاظ الشرعية الدالة على معانيها كيف تؤخذ وتؤدى.

٦-كتب علوم القرآن ومقدمات بعض كتب التفسير.

المطلب الرابع: العلاقة بين التفسير ومبنى المفسر.

عُرَّف المفسرون التفسير بتعريفات مختلفة، فتارة عرفوا التفسير بشكل يشمل جميع المباحث المتعلقة بالقرآن الكريم، وبعض آخر يضيقون دائرته ويخصصونه بإزاحة الإبهام عن الألفاظ المشكلة والعبارات المبهمة.

وعلى كل حال، فأن تعرف التفسير لا يخرج عن: محاولة فهم مراد الله من القرآن بقدرة الطاقة البشرية [١]. فهذا التعريف يشمل جميع التفاسير؛ لأن كل المفسرين يحاولون أن يفهموا مراد الله من الآيات، سواء وصلوا في الواقع إلى المراد أم لم يصلوا، أم فسروا الآيات الظاهرة أو الآيات المشكلة، لأن المهم هو الوصول إلى المراد[٢].

فالمباني التفسيرية تطلق عادة، على جميع الفرضيات والعقائد الموجودة لدى المفسر التي تؤثر في عملية التفسير ومعطياتها، كما تؤثر بالطبع في مناهج التفسير [٣]. لذلك: هي ما تبنى عليه المسائل فهي كالمبادئ، إلا إنها تختلف باختلاف الأفكار والنظريات [٤].

فالمبادئ: هي التي يتوقف عليه مسائل العلم [٥]. والمباني: هي كل ما اتخذها الباحث أساسا لمباحثه [٦]. فالقرآن المجيد، وروايات المعصومين عليهم السلام والصحابة، والمصادر اللغوية، والمصادر التاريخية، والعقل، فهذه الأمور التي تضع بين يدي المفسر المعلومات والمعطيات

١/ ينظر: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، الأستاذ: امين الخولي / ٢٧١(بتصرف). وعنه: المناهج التفسيرية عند الشيعة والسنة، محمد علي اسد / ٢٠.

٢/ ينظر: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، امين الخولي / ٢٧١. وعنه: المناهج التفسيرية عند الشيعة والسنة، محمد علي اسد / ٢٠.

٣/ ينظر: المناهج التفسيرية عند الشيعة والسنة، محمد علي اسد / ٢٢.

٤/ ينظر: قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، محمد فاكر الميبدي / ٣٧.

٥/ينظر: التعريفات، الشريف الجرجاني / ١٩٧.

٦/ينظر: المصدر نفسه/ ٣٧.

المتعلقة بآية، أو مجموعة آيات منسجمة فيما بينما تشتمل على موضوع واحد والتي تساهم في إيضاح مفاد الآيات والمفردات القرآنية [١].

الراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ) في مقدمة تفسيره قال : ((أنه لا يمكن معرفة تفسير آيات الله ﷻ وتحصيل ذلك إلَّا بعلوم لفظية وعقلية وموهبية))[٢]: **فالأول:** معرفة الألفاظ: وهو علم اللغة، **والثاني:** مناسبة بعض الألفاظ إلى بعض وهو الاشتقاق. **والثالث:** معرفة أحكام ما يعرض للألفاظ من الأبنية والتصاريف والإعراب وهو النحوي. **والرابع:** بما يتعلق بذات التنزيل، وهو معرفة القراءات، **والخامس:** ما يتعلق بالأسباب التي نزلت عندها هذه الآيات، وهو علم الآثار والأخبار. **والسادس:** ذكر السنن المنقولة عن النبي ﷺ واهل بيته عليهم السلام وعمن شهد الوحي مما اتفقوا عليه وما اختلفوا فيه، مما هو بيان لمجمل، أو تفسير لمبهم **والسابع:** معرفة الناسخ والمنسوخ، والعموم والخصوص، والمطلق والمقيد والمجمل والمفسر. **والثامن:** أحكام الدين وآدابه، علم الفقه وقواعده وأحكامه. **والتاسع:** معرفة الأدلة العقلية والبراهين الحقيقة، المستدل بها وهو علم الكلام. **والعاشر:** علم الموهبة، وذلك علم يورثه الله من عَمِلَ بِمَا عَلِمَ[٣]، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام :((من أراد الحكمة فليعمل بأحسن ما علم)) [٤].

وبهذا وصفت تلك المباني بانها :((عبارة عن قواعد وأصول مسلمة ثابتة عند المفسر، يبتني تفسير القرآن على أساسها؛ وهذه المباني لا تختص بقواعد ومسائل علم خاص، بل تتشكل من قواعد كل علم له دخل في علم التفسير. وأهمها: قواعد علم اللغة والصرف والنحو والمنطق وعلم الحديث والرجال، وعلم الأصول والفقه وعلم الكلام)) [٥].

وعليه فالمبنى التفسيري: هو الجهة التي يتقوّم عليها التفسير، وهي المرتكزات التي لا يمكن إغفالها، لأنّها تبين الأسباب والدوافع التي أدت إلى المُفسِّر أن يختار نوعاً خاصّا من المعاني دون غيرها، على فرض وجود معاني أخرى محتملة في ظاهر الآيات أو باطنها، ولهذا، قد

١/ ينظر: منطق تفسير القرآن أصول وقواعد التفسير، محمد علي الرضائي / ٣٨.

٢/ تفسير الراغب الأصفهاني، ١/ ٣٨- ٣٩.

٣/ ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني، ١/ ٣٩.

٤/ المصدر نفسه، ١/ ٣٩.

٥/ دروس تمهيدية في القواعد التفسيرية، علي أكبر المازندراني/ ١٣٩.

تشابه تعريف المبنى بتعريف البناء وذلك بسبب للارتباط الوثيق بينهما، وعدم وضوح الفرق عند الكثير [١].

إذًا: هي القضايا الخبرية الحاكية عن أمور مؤثرة على عملية التفسير والفهم القرآني بنحو ما، وتعد الأسس التي لا يتجاوزها المفسر، بل الاعتماد عليها في تفسيره، ويعبر عنها بـ: الفرضيات الثابتة قبل عملية التفسير [٢].

ولهذا هناك رأي يصرح؛ إنه إذا كان المتصدي للتفسير له اتجاه أو أفكار أو عقائد، معينه فإنها سوف تبدو في تفسيره عادة، فتصبغه بلون خاص، مؤات للاتجاه والمبنى الذي سلكة في تفسيره؛ لأنه لا يمكن لمن يريد أن يفهم آية من الآيات، نزع نفسه من أفكاره وميوله، فهو لا شعوريًا يفسر النصوص في إطار ذلك، سواء اقر به أم لم يقر، فالمفسر لا يفهم من النص إلا ما يسموا إليه فكره ويمتد إليه عقله، وبهذا الفهم يتحكم في النص ويحدد بيانه[٣].

إذاً هو في بيان الأمر يجذب إليه العبارة جذباً، ويشدها شداً، فيجزل عليها في كل من ذاته ولا يستخرج منها إلا قدر طاقته واستطاعته، وعلى هذا الأصل وجدنا آثار شخصية المتصدين لتفسير القرآن تطبع تفسيرهم بها في كل عهداً وعصر، وعلى أي طريقة ومنهج سواء أكان تفسيرهم له نقلياً، أم عقلياً اجتهادياً وغيرهما [٤].

فيظهر هنا التفسير متأثر بالتخصص العلمي وميوله الشخصي للمفسر، فتكثر الاتجاهات والألوان التفسيرية بحسب تلك العلوم، وهذا له أثر في مدى قبول التفسير والقيمة العلمية له، والنتائج التي يتوصل إليها المُفسِّر، وتظهر ثمرته البحثية في الاتجاهات العلمية للمتعلقة بالتفسير [٥].

فاللون التفسيري: ((هو التفسير الذي يظهر فهم النصّ متأثّراً بشخصيّة المُفسِّر ومستواه الفكري وأفقه العقلي))[٦].و إنَّ اختلاف المبنى لا شـــك من إنه ناتج عن اختلاف أذواق

١/ ينظر: مباني تحديد موضوع الحكم الشرعي، علاء عبد النبي ياسر علي خان المدني / ١٤. (رسالة ماجستير) .
٢/ ينظر: التفسير التربوي للقرآن الكريم (المباني والاتجاهات)، هاشم أبو خميس / ٢٢.
٣/ ينظر: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والادب، امين الخولي / ٢٩٦.
٤/ ينظر: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والادب، امين الخولي / ٢٩٧.
٥/ ينظر: دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للْقُرْآن، محمد علي الرضائي/ ٢٧.
٦/ مدارس التفسير الإسلامي، على أكبر بابائي ، تعريب : كمال السيّد ، ١ / ٣٢ .

المفســـرين وكفاءاتهم ومؤهلاتهم، أو لاختلاف بيئاتهم وظروفهم، أو غير ذلك من العوامل التي تسوق المفسر إلى صب اهتمامه إلى جانب من الجوانب المذكورة أو غيرها [١].

المطلب الخامس: الرؤى المميزة للبحث في منهج التفسير الموضوعي.

كشف جل المشتغلين بالمنهج الموضوعي في التفسير أن فيه من سعة الأفق والقدرة على التجدد والتطور والإبداع ما لا يتوفر مثله للتفسير الترتيبي، لأن التجربة البشرية تغني هذا التفسير بما تقدمه له من مواد، ثم تطرح هذه المواد بين يدي القرآن الكريم لكي يستطيع المفسر أن يستحصل الأجوبة من القرآن، وهذا هو الطريق الوحيد للحصول على النظريات الأساسية للإسلام وللقرآن تجاه موضوعات الحياة المختلفة. إذ تكمن أهمية ذلك فيما يأتي:

١-ان التفسير الموضوعي بالمفهوم المنهجي الموضوعي، علم تفسير معاصر لم يتطرق اليه السابقون بالمعنى المصطلحي الحالي، وإن كانت له لبنات في تلك التفاسير، فهي وسيلة إلى هذه الغاية، وتمهيد لهذه النتيجة؛ لأن التفسير الموضوعي مثل تفسير المستقبل، إذ يعد اساس التأصيل القرآني للعلوم والموضوعات والمعارف الإنسانية والحضارية المختلفة، التي يقبل عليها المثقفون في هذا العصر، لا يمكن تغطيتها ورؤية الحلول الصحيحة لها إلا باللجوء إلى التفسير الموضوعي للقرآن الكريم. وذلك أن الباحث المسلم عندما يجابه مشكلة في الحياة، أو تقدم له نظرية مستحدثة في أي مجال من مجالات الحياة المختلفة، فإنه لا يستطيع أن يجد لكل هذه النظريات المستجدة نصوصًا من آيات الذكر الحكيم ، تناقش مثل هذه القضية المطروحة وتبين حكم الله تعالى فيها، بل يلجأ الباحث عندئذ إلى معرفة الهدايات القرآنية، وإرشادات السنة النبوية في هذا الاتجاه ويجمع الأفكار الرئيسية في هذا المجال، بحيث تتكون لديه ملكة لإدراك مقاصد القرآن الكريم في هذا الصدد، وبمنظار القرآن الكريم ينظر إلى حل هذه المشكلة أو يقومَ هذه النظرية [٢] .

٢-إن المنهج الموضوعي في التفسير أوسع أفقا وأرحب وأكثر عطاء، لأنه قادر على التجدد باستمرار، باعتبار أن التجربة البشرية تغني هذا التفسير بما تقدمه من مواد ، ثم هذه المواد

١/ ينظر: المناهج التفسيرية في علوم القرآن، جعفر السبحاني / ٧٦.

٢/ ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم / ٣٠. التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، صلاح عبد الفتاح الخالدي / ٥٣ و٥٨. والفكر الخالد في بيان العقائد، جعفر السبحاني / ٨.

تطرح بين يدي القرآن الكريم لكي يستطيع هذا المفسر أن يتحصل الأجوبة من القرآن الكريم وهذا هو الطريق الوحيد للحصول على النظريات الأساسية للإسلام وللقرآن، تجاه موضوعات الحياة المختلفة، وقد يقال بأنه ما الضرورة إلى تحصيل هذه النظريات الأساسية، كالنبوة أو نظرية الاسلام في سنن التاريخ ...الخ، وذلك لأننا نجد النبي ﷺ لم يعط هذه النظريات على شكل نظريات محدودة وبصيغ عامة، وانما اعطى القرآن بهذا الترتيب للمسلمين [١]. فالنبي ﷺ كان يعطي هذه النظريات ولكن من خلال التطبيق من خلال المناخ القرآني العام الذي كان يبينه في الحياة الاسلامية، وكان كل فرد مسلم في اطار هذا المناخ، يفهم هذه النظرية ولو فهما اجماليًا، لأن المناخ والإطار الروحي والاجتماعي والفكري والتربوي الذي وصفه ﷺ ، كان قادرًا على أن يعطي النظرة السليمة ، والقدرة السليمة على تقييم المواقع والمواقف والاحداث [٢]. إذًا لا يمكن أن نجابه مشاكل العصر ومعطيات الحضارة إلَّا بمنهج الدراسات الموضوعية للقرآن الكريم أو بأسلوب (التفسير الموضوعي).

٣-يمكن بواسطة القواعد الموضوعية تحصيل المقدرة على استنباط معاني القرآن وفهمه على الوجه الصحيح، وضبط التفسير بقواعده الصحيحة، فإن جمع أطراف موضوع ما من خلال نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والإحاطة بدلالاتها، يمكن الباحث من القيام بدور اجتهادي للتوصل إلى أفكار وقواعد عامة جديدة، وعلى ضوء هذه القواعد والهدايات المستمدة من مقاصد النصوص الشريفة يستطيع الباحث أن يدرك معالجة الإسلام لهذه المعضلات والمشكلات [٣].

٤-يشكل التفسير الموضوعي معرفة تراكمية، إذ يعد خلاصة الجهد العلمي لقرون ممتدة من زمن التنزيل الى يومنا هذا، فهو خلاصة التراكم المعرفي والمنهجي، وتلك ميزة أنفرد بها عن باقي المناهج التفسيرية الأخرى [٤].

١/ ينظر: المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر/ ٣٣.

٢/ ينظر: المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر / ٣٤.

٣/ ينظر: قواعد التفسير جمعًا ودراسة، خالد عثمان السبت / ٤٠. ونشر العبير في منظومة قواعد التفسير، أبو الفضل عمر بن مسعود الحدوشي / ٥٢- ٥٣. ومباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم / ٣١.

٤/ ينظر: التفسير الموضوعي للقران الكريم وموضوعاته، د. حكمت عبيد الخفاجي/ ١٢٢- ١٢٣.

٥-إن تخصيص موضوع بالبحث والدراسة وجمع أطرافه والاطلاع على أسباب النزول للآيات المتعلقة به، وتحديد المرحلة التي نزلت الآيات الكريمة تعالج بعض جوانبه، وتوجيه ما ظاهره التعارض، كل ذلك يهيئ للموضوع جوًا علميًا لدراسة هذا الموضوع بعمق وشمولية تثري المعلومات حوله وتبلور قضاياه وتبرز معالمه. ومثل هذا العمق ومثل هذا التوسع لإبراز معالم الموضوع لا يتيسر للباحث في أي نوع من أنواع التفاسير سواء التحليلي، أو الإجمالي، أو المقارن، بل التفسير الموضوعي هو الأسلوب الأمثل في بحث مثل هذه الأمور [١].

٦-تأهيل الدراسات القرآنية وتصحيح مسارها، فنالت بعض العلوم القرآنية حظًا وافرًا من جهود العلماء وصنفت فيها المصنفات الكثيرة مثل: العلوم المتعلقة بالجوانب اللغوية، والدراسات الفقهية لآيات الأحكام، وهنالك علومًا جديدة برزت تحتاج إلى تأهيل قواعدها على ضوء القرآن الكريم مثل كالإعجاز العلمي، فكثرت الكتابات فيه وهذا يحتاج إلى ضبط في قواعده العلمية المستمدة من هدايات القرآن الكريم لتجنب الإفراط والتفريط في إدخال الآيات مجال البحث، كالمتعلقة بالعلوم التجريبية من علوم الفلك والطبيعة والإنسان [٢].

٧-التفسير الموضوعي هو الوسيلة المنهجية العلمية للارتقاء بمستوى التفكير العلمي الموضوعي عند الباحثين، فمن خلاله يقوم الباحث برياضة عقلية عملية، يشحذ بها ذهنه، ويمرن بها عقله، ويدرب بها نظراته، وبذلك يرتقي في عالم التفكير الموضوعي، فيكون مفكرة قرآنية، وباحثة موضوعية [٣].

٨-إن من إحدى الطرق المؤثرة التي لابد للمفسرين من سلكوها وذلك من أجل شرح القرآن الكريم وتفهيم مقاصده العالية، هي أن يحدثوا تحولًا في منهجية التفسير، وذلك بامتناعهم من تفسير القرآن بالمنهجية الرتيبة التجزيئية التي قد اعتادها المفسرون، وليلفتوا النظر إلى منهجية أخرى،

١/ ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي/ ٣١. والفكر الخالد في بيان العقائد، جعفر السبحاني/٨.

٢/ ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم / ٣٢.

٣/ ينظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، صلاح عبد الفتاح الخالدي / ٥٨. وقواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، محمد فاكر الميبدي/ ٤١١.

وهي تفسير القرآن بالشكل الموضوعي، فعن طريق هذه المنهجية ستفتح لهم أفاق عظيمة من العلوم والمعارف القرآنية، وسيرون مدى تأثيرها في نظرتهم التفسيرية [1].

يمكن أن نضع ميزة أخرى لمنهج البحث في التفسير الموضوعي وهي ثقافة المفسر الخاصة والعامة، واهتماماته الشخصية وصفاء قريحته وشفافية نفسه، وسلامة ذوقه اللغوي دخلًا في دقة الاستنباط والتعرف على ما تشير إليه الآيات تصريحًا أو تلميحًا

وعليه فإن أساليب البحث في التفسير قد تتنوع حسب معطيات العصر، ومسار البحث قد يختلف عن السابق حسب الزاوية التي يحددها المفسر ويدخل منها إلى ظلال النصوص الوارفة، وبالتالي قد يظفر ببعض الثمار التي لم يسبق إليها.

١/ ينظر: قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة/ ٤١١.

المطلب الأول: مفهوم التفسير الموضوعي عند المتقدمين والمتأخرين.

أولاً : السابقة التاريخية للتفسير الموضوعي.

لانقصد بالسابقة التاريخية التتبع الزمني لكل من كتب في هذا اللون من المتقدمين، أنما قصدنا بالإرهاصات الأولى التي قد يكون من شانها أن تشكل قصب السبق في تشكل اللبنة الأولى في هذا اللون من التفسير، فجاءت الكتابة مختصرة على بعض الآيات الكريمة والأحاديث والروايات التفسيرية لمن كتبوا فيه.

ويراد أيضًا بالدراسات السابقة، تلك الدراسات المتخصصة التي اعتنت بجانب المنهجية، وذكرت الخطوات والمراحل اللازمة لذلك، ووضعت الضوابط والقواعد، التي من شأنها أن تؤصل لهذا العمل وتقعده للوصول إلى نتائج عملية تطبيقية، وهو الذي يتطلع الى بيانه.

فليس بالمستبعد أن تكون بوادر التفسير الموضوعي موجودة في نفس القرآن الكريم؛ إذ أمر القرآن نفسه بتفسير الآيات المتشابهة التي تحتاج إلى التأويل بواسطة الآيات المحكمة التي هي أم الكتاب، فهناك بعض النظرات لبعض علماء التفسير في آيات القرآن، تصلح أن تكون نواة للتفسير الموضوعي، ولبنات أولية، وبدايات تمهيدية، توصل إلى هذا العلم عند علماء العصر الحاضر.

يمكن لنا من رصد البدايات التمهيدية، لهذا اللون التفسيري، في الأخبار المنقولة عن السلف الصالح، ولاسيما أئمة أهل البيت عليهم السلام لتفسير القرآن على المنهج الموضوعي، إذ جاء في تفسير وجوه الكفر مروية عن الإمام علي عليه السلام ، وقد سبق بيان ذلك بالتفصيل في الفصل التمهيدي من البحث[1].

كذلك جاءت عبارة :((القرآن يفسّر بعضه بعضاً))[2] ،عن ابن عباس وليس من المستبعد أن يكون قد أخذها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو أمير المؤمنين عليه السلام فهو من تلامذة الإمام عليه السلام، كما ورد مضمونها في نهج البلاغة حيث يقول: ((انّ القرآن يصدّقُ بعضُه بعضاً))[3] .

١/ ينظر: المبحث الثاني: نظرة موجزة في مسيرة التفسير الموضوعي وقواعده، أولا: النشأة والمنهج.

٢/عمدة القارئ، العيني، ١٩ / ١٤٢. وبحار الانوار، العلامة المجلسي، ٥٤ / ٢١٨.

٣/ نهج البلاغة، خطب الامام علي عليه السلام ، ١ / ٥٥(من كلام له يذم به اختلاف العلماء في الفتيا) .

وبهذا يضع الإمام على بن أبي طالب عليه السلام لبنة أخرى من البنات هذا التفسير، فقد كان علي عليه السلام يجمع الآيات في الموضوع الواحد، ليستخلص منها جميعًا، حكمًا صادقة، يفسر فيه القرآن بعضه بعضًا، من ذلك قصة مراجعته للخليفة عمر بن الخطاب، في إقامة حد الزنا على امرأة وضعت بعد زواجها بستة أشهر[1].

إنّ الكثير من آيات القرآن الكريم تأخذ بُعداً واحداً من أبعاد موضوع ما، فمثلا فيما يخص مسئلة (الشفاعة) فقد ورد في بعض الآيات أصل إمكان الشفاعة [2].قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾{سبأ: ٢٣}، وفي موضع آخر،﴿ لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ﴾ {مريم: ٨٧}،﴿ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾{ المدثر: ٤٨}،﴿ يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ﴾ {طه:١٠٩ }،﴿ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴾ {الأنبياء: ٢٨} وفي بعض تُنفى الشفاعة عن الجميع ما عدا الله تعالى :﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ ﴾ {الزمر: ٤٤}. يظهر انَّ حالة من الغموض تحيط بأمور الشفاعة، ولكن عندما تأخذ آيات الشفاعة من القرآن، ونضعها الى جانب بعضها وتفسر موضوعيًا، في ظلِّ بعضها البعض، يرتفع هذا الغموض وتحل المشكلة على أحسن وجه[3].

ففي رواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، (بعنوان وصية صلى الله عليه وآله وسلم وموعظته لعبدالله بن مسعود) ، وهي كثيرة المضامين، وفيها أمثلة كثيرة بنحو ممكن القول أن الرواية تدور حول محور التفسير الموضوعي ، عندما يتكلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ذم الدنيا فيقول صلى الله عليه وآله وسلم : يا ابن مسعود إن الأحمق من طلبَ دنيا زائلة ، ثم يستدل على هوانِ الدنيا وزخارف هذا العالم بالآيات ،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ ﴾{ الحديد: ٢٠}﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ ﴾{ الملك: ٢}، قصد أيكم ازهد في الدنيا إنها دار

١/ يرجع : الى الفصل الثالث من البحث، القاعدة القرآنية وقواعد التفسير الموضوعي، التعريف بالقاعدة القرآنية.

٢/ ينظر: نفحات القرآن (أسلوب جديد في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم)، ناصر مكارم الشيرازي،٢/ ٥

٣/ ينظر: المصدر نفسه، ٢/ ٥ –٦ .

الغرور ودار من لا دار له ولها يجمع من لا عقل له، إن أحمق الناس من طلب الدنيا ،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ { مريم: ١٢}يعني الزهد في الدنيا[١] .

ومن نماذج الفهم للمنهج الموضوعي ما جاء في البيان البديع ، من كلام الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، لهشام بن الحكم، في مقام بيان منزلة العقل ، فيذكر الآيات المرتبطة بـ (أولي الألباب) ويجمعها كلها ويقول لهشام: أنظر كيف ان الله سبحانه ، وصف اولي الأَلباب ،على أحسن وجه ، وزينهم بأفضل لباس [٢] ، ثم يأتي بالآيات من القرآن المجيد ، تتكلم عن منزلة أولي الألباب، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾{البقرة : ٢٦٩} ، ﴿ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾{المؤمنون: ٥٤ }﴿ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾{آل عمران: ٧ } فالقيام بجمع هذه الآيات والنظر اليها جنباً الى جنب يعطي للإنسان رؤية عميقة يستطيع معها فهم معنى اولى الألباب ومقامهم ومنزلتهم، وهذا عمل لا يتمّ إلاّ عن طريق التفسير الموضوعي [٣].

كذلك ما يتعلق بالمحرمات من الأنعام على هذه الأمة نجد ذلك عدة آيات[٤]، قال جل جلاله : ﴿ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾{المائدة: ١}، وقد جاء تفصيل هذه المحرمات في آيات عدة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ﴾{ الأنعام: ١٤٥} ،وفي نص أخر نجد التحريم أيضا ، قال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ﴾{ المائدة: ٣}.

١/ ينظر: مكارم الاخلاق، الشيخ الطبرسي/ ٤٤٧(موعظة عليه السلام لابن مسعود). و الوافي، الفيض الكاشاني، ٢٦/ ٢٠٤ (مواعظ رسول الله صلى الله عليه وآله).

٢/ ينظر: جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي (ت: ١٣٨٣هـ)، ١٤ /٧٠. ونفحات القرآن (أسلوب جديد في التفسير الموضوعي للقرين الكريم)، ناصر مكارم الشيرازي، ٢/ ٩. وهشام بن الحكم، عبد الله نعمة / ٢٤٢ (وصية الامام موسى بن جعفر عليه السلام لهشام بن الحكم) .

٣/ ينظر: نفحات القرآن (أسلوب جديد في التفسير الموضوعي للقرين الكريم)، ٢/ ٧.

٤/ ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم / ١٩.

وقد جمع الفقهاء الآيات ذات الصلة بموضوع واحد في كتبهم الفقهية فجمعوا ما يتعلق بالوضوء والتيمم، تحت كتاب الطهارة، واستنبطوا منها الأحكام الخاصة بها، كما جمعوا ما ورد في الصلاة من قيام وركوع والقراءة فيها تحت كتاب الصلاة، وغيرهما من الآيات المتعلقة بأبواب الفقه، وكل ذلك لون من ألوان التفسير الموضوعي في خطواته الأولى [1]. ومن الرصد للتفسير الموضوعي في الكتب المؤلفة التي جمعت فيها آيات القرآن تحث عنوان واحد ، أحكام القرآن (محمد بن السائب الكلبي، ١٤٦هـ)، واحكام القرآن (للجصاص ت: ٣٧٠هـ) واحكام القرآن (لعلي بن محمد المعروف : بالكيا هراسي (ت : ٥٠٤هـ)، كذلك من الذين الفوا في الامثال ، الجنيد بن محمد القواريري (ت: ٢٩٨ هـ).وأمثال القرآن ، لإبراهيم بن محمد بن عرفة بن مغيرة المعروف: ابن فاطويه(ت: ٣٢٣هـ).والدرة الفاخرة في الأمثال السائرة:(لحمزة بن الحسن الأصبهاني (ت: ٣٥١ هـ).وأمثال القرآن ، (لأبي على محمد بن أحمد بن الجنيد الإسكافي (ت: ٣٨١هـ).و أمثال القرآن: للشيخ (أبي عبد الرحمن محمد بن حسين السلمي النيسابوري (ت: ٤١٢ هـ)...وغيرهم ، وفقه القرآن (قطب الدين الرواندي (ت: ٥٧٣هـ) وكنز العرفان (الفاضل المقداد السيوري (ت : ٨٢٦هـ)، و زبدة البيان(المحقق الأردبيلي (ت : ٩٩٣هـ)، وغيرها من النماذج الرائدة في كتابة التفسير الموضوعي ، وللاطلاع على المزيد من كتابات المتقدمين في التفسير الموضوعي يرجع [2].

فالتفسير الموضوعي ليس أبتكار أفرزته عقول المتأخرين، وغفلت عن الاهتمام به أفهام الأولين. فأن المهتم بالتفسير الموضوعي لا يخرج في عمله بصورة أو أخرى عن دائرة تفسير القرآن بالقرآن، حيث إنه منشغل دائما بضم وحدات إلى وحدات وفروع إلى فروع يقارن كلا

١/ ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم / ١٩.

٢/ مناهج التفسير واتجاهاته (دراسة مقارنة في مناهج تفسير القرآن الكريم)، محمد علي الرضائي / ٤٢٠. ونفحات القرآن (أسلوب جديد في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم) ناصر مكارم الشيرازي، ١٠/٢ وما بعدها. والتفسير الموضوعي للقرآن الكريم وموضوعاته، د. حكمت عبيد الخفاجي / ٤١- ٤٩. ومنهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. سامر عبد الرحمن رشواني / ٩٠- ٩٤. والأمثال في القرآن، جعفر السبحاني، / ٢٧-٢٨. والتفسير الموضوعي، السيد أحمد الكومي، د. محمد احمد يوسف القاسم / ٢٠ -٢٢. ودراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. زاهر بن عوض الألمعي / ١٠ – ١٨.

منها بغيره ويستعين ببعضها على فهم بعض، ليصل في النهاية إلى الصورة الشاملة التي يريدها.

أن الخيط الذي بين التفسير الموضوعي وتفسير القرآن بالقرآن خيط دقيق ، إذ بشيء من التتبع والتوسع في ربط الجزيئات بالكليات، والفروع بالأصول يصبح المفسر داخلاً في إطار التفسير الموضوعي، وبشيء من الوعي بالبناء الخاص لكل سورة ، والالتزام بمقتضياتها، يكون التفسير الموضوعي لديه لون من تفسير القرآن بالقرآن أو وسيلة من وسائله يلجأ إليها كلما دعت الضرورة ، كما يلجأ إلى بقية القواعد و المصادر والأدوات التي تساعده في أداء مهمته ، أما لتأسيس على وفق المنهج والخطوات المنهجية في دراسة التفسير الموضوعي، لم يظهر الا في العهد الحديث تلبية لحاجات أهل العصر[1].

إن التفسير الموضوعي بهذا الوصف رغم أنه لم يذكر إلاّ في فترات محدودة، وحول موضوعات خاصة، يجب الاعتراف انه لا نعرف أحداً من أولئك الاعلام، تناول التفسير الموضوعي على جميع المحاور، بل جاءت هذه الكتب ناظرة للتفسير الموضوعي في فرع معين وزاوية محددة، وليست بصدد تفسير جامع وشامل لكل موضوعات القرآن.

لهذا فأن بداية التأليف في الموضوع القرآني قديمة وحديثة(مقدم ومتمم)، قديمة في ضوء النشأة والتأليف، وحديثة (متمم) من حيث التجديد والمنهجية المتبعة، لذا عدت كتابات العلماء القدامى، البذرة الأولى لهذا العلم، فلكل علم أصل يستند إليه، ولا مريَة أن البداية بأي فكرة ستكون حتماً ناقصة ، ثم تتطور شيئا فشيئا حتى تكتمل وتؤتي نتائجها، وهذا ما حصل في التفسير الموضوعي للموضوع القرآني، فقد بدأ باختلاط ومزج بين ما هو موضوع من مواضيع القرآن، وبين ما هو من دراسات تتعلق بعلومه، ثم توالت المؤلفات وتخمرت الفكرة مع المنهجية إلى أن وصلت ما وصلت إليه حديثا من وضع معالم وأسس توحد المنهج والمنهجية معا.

ثانيًا : نظرة موجزه في مسيرة التفسير الموضوعي عند المتأخرين.

هذا اللون من التفسير الموضوعي، وإن نحا نحوه علماء العلوم المختلفة، كالفقه، والتصوف، وعلم الكلام، والبلاغة وغيرها من العلوم، وبوبت فيه أبوابها، واستشهد بها، ودعمت بما يلائم

١/ ينظر: منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم دراسة نقدية، د. سامر عبد الرحمن الرشواني / ٥٥.

تلك الأبواب من أدلة قرآنية، أي إن ذلك اللون من التفسير وجد ما يدانيه في علوم أخرى، إلا أنه على النحو البحث والوصف لم يتم بنيانه، وتقم أركانه، ولم ينح نحوه من العلماء السابقين. هناك من الباحثين المعاصرين ذكر بهذا الخصوص: ((عندما نتكلم عن الدراسات القرآنية المعاصرة القريبة من التفسير الموضوعي الذي نتكلم عنه، فإننا نعني تلك الكتب والدراسات الخاصة بموضوعات وأفكار وحقائق وتوجيهات القرآن والتي تدور حول القرآن ولا تخرج عنه إلى باقي مصادر الإسلام الأخرى كالحديث والفقه والعقيدة والتاريخ واللغة وغير ذلك))[١].

فهذا اللون من التفسير يتطلب جمع الآيات المتصلة بالموضوع ، وإمعان النظر فيها ، بوصفها وحدة واحدة ، وتحريك النظر في اتجاهاتها لاستكشاف ما يكون فيها من معان ثانية ، وبذلك نقتطف من كل غصن من أغصان ذلك البحث ما يناسبه ، حتى تكون فروع ذلك الموضوع الواحد مستوفاة مستكملة ، ويكون لكل فرع من الآيات ما يناسبه ثم ينتقل إلى موضوع آخر وهكذا ،إذ تتحقق الأهداف التي توخاها القرآن وتظهر وحدة الموضوع التي قصد إليها هذا التفسير الموضوعي ، كموضوع الرسالة ، والتوحيد ، والبعث والنشور ، والجنة والنار ، والزواج والطلاق ، والمعاملات المالية ، والجهاد وغيرها، فسمي بالتفسير الموضوعي نسبة إلى وحدة الموضوع الذي يعالجه[٢].

من الروّاد الاوائل في هذا المضمار العلامة المجلسي، إذ عزم لجمع كل الآيات المرتبطة بالموضوع عند دخوله في كل فصل من فصول بحار الانوار، ثم يلقي عليها نظرة شاملة، وينقل احياناً آراء المفسرين، ويسعى لتوضيح ما يذكره من الآيات. مثلًا عندما يتكلم حول (القلب – والسمع – والبصر) [٣] ومعناها في القرآن الكريم، فيجمع الآيات المتعلقة بهذا الموضوع ثم يقوم بذكر بيان جامع لها، فيستغرق بحثه في هذا المجال عدداً من الصفحات،

١/ التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، صلاح الخالدي / ٣٧.

٢/ ينظر: التفسير الموضوعي، د. أحمد السيد الكومي، د. احمد يوسف القاسم / ١٣-١٤. دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، د. أحمد جمال العمري/ ٤٤.

٣/ ينظر: بحار الانوار، ٦٧ / ٢٧ وما بعدها. (الباب ٤٤: القلب وصلاحه وفساده، ومعنى السمع والبصر).

وكذلك الحال في فصل أخر مثل:(حقيقة الرؤيا وتعبيرها)، يسير وفق ما سار عليه في السابق من عملية جمع وبيان، ويستمر على هذه الطريقة في جميع مجلداته [١].

وهناك رأي صرح به : إنه يعد المجلسي أوّل من فتح هذا الباب على مصراعيه، في جمع موضوعات القرآن والبحث عنها بحثاً قرآنياً، فجمع الآيات المربوطة بكلّ موضوع في أوّل الأَبواب وفسّرها تفسيراً سريعاً، وهذه الخطوة وإن كانت قصيرة لكنّها جليلة في عالم التفسير، وقد قام بذلك مع عدم توفّر المعاجم القرآنية الرائجة في ذلك الوقت [٢]. وهذا عمل نظنه يحسب له في سبق غيره للدراسة بهذا النون من التفسير.

ونرصد رايٌ آخر يرى فيه صاحبه، من إن قصب السبق بهذا المضمار يعود إلى (مدرسة المنار) إذ عدت أول مدرسة تفسيرية ظهرت في العصر الحديث في العالم العربي والإسلامي، واتخذت طابع موسوعي بإحاطتها بثقافة عصرها، وتحقيقها التفاعل الحي بين فهم النص ومشكلات الواقع ثم باحتوائها لبذور كثيرة من الاتجاهات التفسيرية، التي خرجت من تحت عباءتها، في مختلف العلوم؛ فليس غريبا أن نجد أن كثيرًا من الباحثين يرجعون نشأة التفسير الموضوعي حديثا إلى جهود الإمام محمد عبده (ت: ١٩٠٥م)، ثم تلميذه رشيد رضا (ت: ١٩٣٠م) في التفسير [٣].

نرى وأن كان لمدرسة المنار الريادة في هذا النوع التفسيري، لكن عند النظر من زاوية السبق نميل إلى المجلسي؛ كون التفاتته لهذه الدراسة ترجع إلى القرن الحادي عشر، في حين ظهور مدرسة المنار ترجع الى القرن التاسع عشر، ولا يخلوا القول: من قد تكون مدرسة المنار قد أفادت من الدراسات التي سبقتها، ومنها المجلسي.

وقد دعم محمد عبده في تفسيره، (فكرة وحدة السياق في السورة الواحدة) وأن المدار على عموم اللفظ، لا على خصوص السبب، فكان هذا التفسير نبراساً هادياً، لكل من تصدى لتفسير القرآن الكريم تفسيراً موضوعياً [٤].

١/ ينظر: بحار الانوار، ٥٨ / ١٥١ وما بعدها. (الباب الرابع والأربعون: حقيقة الرؤيا وتعبيرها)

٢/ ينظر: مفاهيم القرآن، جعفر السبحاني، ١٠/ ٣٨٠.

٣/ ينظر: منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم دراسة نقدية، د. سامر عبد الرحمن رشواني / ١١٠.

٤/ ينظر: دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، د. أحمد جمال العمري / ٥٧

وهناك من يرد الوعي بهذا النوع من التفسير الموضوعي إلى جمال الدين الأفغاني (ت:١٨٩٧م) رائد المدرسة الإصلاحية، إذ يروى اطلاعه على كتاب المستشرق الفرنسي (جول لابوم)[١]، الذي حاول فيه تصنيف آيات القرآن حسب المواضيع، فأعجب بهذا العمل وقدره كثيرا، حتى إن شيخ الأزهر، حينئذ استنكر عليه عند الخديوي استحسانه هذا التصنيف الموضوعي [٢].

ومما يؤكد هذا ويدعمه أن محمد عبده قد اعتمد على هذا الكتاب ذاته في دروسه التفسيرية، إذ أعجب كيف أن (محمد عبده)، كان إذا شرح آية في كتاب الله يسرد الآيات التي تنتظم معها في سلك واحد كلها أو جلها، مما لم يسبق لمفسر الإتيان به، وقد سأل سائل ذلك رشيد رضا، فأخبره: أن شيخه كانت عنده نسخةً منقولة إلى العربية من كتاب وضعه أحد علماء فرنسا، جول لا بوم، فيه آيات القرآن حسب الموضوعات كانت لدى استاذه [٣].

لقد تطور الوعي برصد موضوعات القرآن مع (محمد رشد رضا) بعد رحيل استاذه، بدليل قوله :((وإنني لما استقللت بالعمل بعد وفاته خالفت منهجه رحمه الله تعالى بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة ، سواء كان تفسيرا لها أوفى حكمها ، وفي تحقيق بعض المفردات أو الجمل اللغوية والمسائل الخلافية بين العلماء ، وفي الاكثار من شواهد الآيات في السور المختلفة ، وفي بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إلى تحقيقها ، بما يثبتهم بهداية دينهم في هذا العصر ، أو يحل بعض المشكلات التي أعيا جلها بما يطمئن به القلب وتسكن إليه النفس))[٤] .

١/ قام المستشرق المسيحي الفرنسي (جول لابوم: ١٨٠٦-١٨٧٦) ولأول مرة بتبويب آيات القرآن وبأسلوب جديد، ويُعرَف عن هذا المستشرق بأنه من عِداد الذين يعتبرون القرآن الكريم كتاباً مهمّاً وعاملاً رئيسياً للحضارة الإسلامية. أمّا جوهر هذا الكتاب فهو كشف للآيات على أساس موضوعاته، لذلك فهو يختلف عن الفهارس التي يُمكن من خلالها الوصول إلى كشف آي القرآن وذلك بواسطة كلمات القرآن.

ينظر: كتاب تفصيل الآيات ويله المستدرك إدوار مونتيه، تتعريب: محمد عبد الباقي. وشبكة الانترنت: http://u-of-islam.net/uofislam/view.php?type=c_book&id=

٢/ ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم / ٢٢. ومنهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم دراسة نقدية، د. سامر عبد الرحمن رشواني / ١١١.

٣/ ينظر: تفصيل آيات القرآن الكريم، جول لابوم ، تعريب : فؤاد عبد الباقي ، / ٦ .

٤/ ينظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا، ١/ ١٦.

وفي نهاية تفسيره للسورة يعقد خلاصة لها يجمل فيها موضوعاتها وقضاياها الأساسية، وهذا وإن كان أقرب إلى نمط التفسير الموضوعي للسورة، إلا أنه يفصح عن نظرة شمولية جامعة تتجاوز السورة المعروضة، يدل على ذلك مثلا: خلاصة سورة الأنعام، عرض فيها أساليب القرآن عمومًا كالعقائد والألوهية والوحي وغيرها. كما تبدو هذه النظرة الموضوعية الشمولية أكثر ما تبدو في الفقرات التي يفردها لموضوع ما يندرج في نفس السياق، كحديثه عن آيات الإيمان الصادق وصفات أهله وطبقاتهم فيجعل لها شاهدا كل شاهد تدل عليه جملة آيات[1].

يضاف الى ذلك كتابه الوحي المحمدي إذ عرض فيه لمقاصد القرآن الكريم، والتي رآها عشرة مقاصد مستشهداً لكل مقصد منها بالآيات المتعلقة بها، وقد سبق بيانها في متقدم البحث.

كما نلمح المنهج الموضوعي عند محمد باقر الصدر، في دروس مقدمات التفسير، التي ألقاها على طلاب الحوزة العلمية في النجف الأشرف، والتي وسمت فيما بعد باسم (المدرسة القرآنية)، وحدد فيها بوضوح سمات هذا التفسير وطريقة تناوله للنص، وصلته بالحياة البشرية، فأوضح إن هذا اللون من التفسير يتيح للمفسر التواصل مع التجربة البشرية، واستيعاب معطياتها المتنوعة، والصعود منها إلى النص، بمعنى أن التفسير الموضوعي ، يبدأ من الواقع وينتهي إلى القرآن لا العكس، فتكون عملية التفسير منعزلة عن الواقع، ومنفصلة عن تراث التجربة البشرية، بل إنَّ هذه العملية تبدأ من الواقع وتنتهي بالقرآن، بوصفه القيِّم والمصدر الذي تحدد في ضوئه الاتجاهات الربانية بالنسبة إلى ذلك الواقع [2].

أيضًا لوحظ هذا الاتجاه في كتابين لمحمود شلتوت(ت: ١٩٦٣م)، شيخ الأزهر الأسبق، وهما: (القرآن والقتال) و (القرآن والمرأة)؛ وقد ذكر الطريقة المثلى في التفسير ، بقوله: ((هي أن يعمد المفسر أولا إلى جميع الآيات التي وردت في موضوع واحد ثم يضعها أمامه كمواد يحللها و يفقه معانيها و يعرف النسبة بين بعضها والبعض الآخر، فيتجلى له الحكم ويتبين المرمى الذي ترمي إليه الآيات الواردة في الموضوع ، وبذلك يضع كل شيء موضعه ، ولا يكره آية على معنى لا تريده كما لا يغفل عن مزية من مزايا الصوغ الإلهي الحكيم ، وهذه الطريقة في نظرنا هي الطريقة المثلى ، وخصوصا في التفسير الذي يراد إذاعته على الناس

١/ ينظر: تفسير المنار ،١، ١٦. والمدخل الى التفسير الموضوعي، عبد الستار فتح الله سعيد / ١١٢.

٢/ ينظر: المدرسة القرآنية / ٢٢

بقصد إرشادهم إلى ما تضمنه القرآن الكريم من أنواع الهداية ، وإلى أن موضوعات القرآن ليست نظريات بحتة يشتغل بها الناس من غير أن يكون لها مثل واقعية فيما يحدث الأفراد والجماعات من أقضية ، ويتصل بحياتهم من شئون))[١].

وظهر هذا الاتجاه أكثر في كتاب العقاد:(المرأة في القرآن الكريم)، إذ جمع الآيات القرآنية المتعلقة بالمرأة ودراستها موضوعياً [٢]. وغيرها من الدراسات بهذا اللون من التفسير، للمزيد[٣].

ثم جاءت مدرسة الأمناء متمثلة برائدها أمين الخولي (ت: ١٩٦٦م)، والذي عد أحد الباحثين الأوائل من اللذين كتبوا في التفسير الموضوعي، وأصلت له ورسمت له خطوات حددها الخولي، يبدو إن الخولي الذي حمل راية التجديد الديني قد تأثره، بمدرسة شيخة رشيد رضا، والمنار [٤].لاحظ إلى أن ترتيب القرآن في المصحف لم يتقيد بوحدة الموضوع، إذ هجر الترتيب الزمني لظهور الآيات لم يحتفظ به أبدًا،وقد فرق الحديث عن الشيء الواحد، والموضوع الواحد في سياقات متعدة و مقامات مختلفة ظهرت في ظروف مختلفة ؛ وهذا كله يفضى في وضوح بأن يفسر القرآن موضوعًا موضوعًا، فتجمع الآيات الخاصة بالموضوع الواحد جمًا إحصائيًا مستقصياً يعرف ترتيبها الزمني ومناسباتها وملابساتها الحافة بها، ثم ينظر فيها بعد ذلك لتفسر وتفهم ، فيكون ذلك التفسير أهدى إلى المعنى ، واوثق في تحديده [٥]. فصواب الراي عنده فيما يبدو أن يفسر القرآن موضوعياً، لا أن يفسر على ترتيبه في المصحف الكريم، سوراً أو تجزيئياً، وقد أفصح عن هذا بنفسه [٦].

الخطوات المنهجية التي يراها الخولي للكتابة في الموضوع القرآني المنهجية [٧].

١.الإحصاء والاستقراء الشامل لآيات الموضوع الواحد.

١/ القرآن والقتال / ٨- ٩.

٢/ ينظر: المرأة في القرآن، عباس محمود العقاد/ ٥ وما بعدها (كل جانب من جوانب الحياة في المرأة جعل تحتها مجموعة من الآيات لدراستها موضوعياً، مثل: الحجاب – الاخلاق – حقوق المرأة – الزواج وغيرها).

٣/ ينظر: دراسات في التفسير الموضوعي، د. زاهر بن عوض الألمعي / ١٧-١٨.

٤/ ينظر: تحرير التفسير الموضوعي والوحدة الموضوعية للسور، د. محمد بن عمر بازمول/ ٣٣.

٥/ينظر: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب/ ٣٠٦.

٦/ ينظر: المصدر نفسه/ ٣٠٧.

٧/ ينظر: المصدر نفسه / ٣٠٥- ٣٠٧.

٢. الترتيب الزمني للآيات.
٣. معرفة المناسبات والملابسات المتعلقة بالآيات المدروسة.
٤. النظر في الآيات لتفسيرها في ضوء ما سبق معرفته.

وهذه العناصر تعتبر أساسا اعتمده من جاء بعد الخولي وبني عليه خطوات أخرى، إلا أن الخولي لم يترك كثيرًا من الآثار في التفسير الموضوعي، وهذا ما يفوت فرصة اكتشاف التطبيق العملي للمنهج الذي خطه لكن من خلال دروسه التفسيرية التي كان يلقيها، والتي قام بنشرها بعد ذلك، يمكن القول بأنه لم يلتزم المنهج الموضوعي الذي دعا اليه بشروطه وضوابطه التي وضعها [١].

ثم لوحظ هذا النوع التفسيري في ضوء منهجية الدكتور: أحمد السيد الكومي، ومحمد أحمد القاسم، إذ تحدثا فيها حول التفسير الموضوعي بشكل عام [٢]، ثم فصلوها في النقاط الآتية:

١. أن يجمع الآيات القرآنية التي تخدم موضوعه، مستعينا على ذلك بحفظه وبالمصحف الشريف، وبعض الكتب التي عنيت بجمع الآيات تحت عنوان واحد، أو التي تجمع الآيات المتماثلة في حروف المعجم، مثل كتاب (المفردات) الراغب الأصفهاني (ومعجم ألفاظ القرآن الكريم) لمجمع اللغة العربية، وغيرهما.
٢. ترتب الآيات حسب النزول ما أمكن، ما نزل في مكة أولا، ثم ما نزل في المدينة ثانية.
٣. إزاحة ما قد يكون بين الآيات من موهم الاختلاف والتناقض، موقناً أن القرآن لا يوجد فيه اختلاف أو تناقض، ثم التوفيق بين الآيات بعضها مع بعض.
٤. تفسير الآيات أثناء عرضها تفسيرًا يفهم منه الحكمة في إيراد الآيات، والغرض من هذا التشريع الإلهي، والغاية من وراء تنفيذ الأمر واجتناب النهي، مع مراعاة شروط المفسر أثناء عرض الموضوع.

١/ ينظر: اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، د. محمد إبراهيم الشريف / ٣٨٠. ومنهجية البحث في الموضوع القرآني، د. حامد يعقوب الفريح / ١٠.

٢/ ينظر: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم / ٢٣- ٢٤.

٥. إخراج الموضوع في صورة متكاملة تامة البناء والأحكام واضعاً نصب عينيه أنه يبرز للناس طريقاً من طرق إرشاد القرآن للتي هي أقوم، ويكون هدفه الأسمى إبراز محاسن القرآن لخدمة الفرد والمجتمع الإسلامي [١].

ثم دخل هذا الميدان، الدكتور: عبد الستار فتح الله سعيد، فجال النظر في هذا النوع التفسيري، **وتحدث عن منهجية البحث في الموضوع القرآني، إذ ذكر ثمان خطوات** [٢]:

١- المعرفة الحقيقة لمعني التفسير الموضوعي الخاص الذي يراد للمفسر مزاولته.

٢- تحديد الموضوع القرآني المراد بحثه تحديدا دقيقا من حيث المعني.

٣- اختيار عنوان له من ألفاظ القرآن ذاته، أو عنوان منتزع من صميم معانيه القرآنية.

٤- جمع الآيات القرآنية المتعلقة بالموضوع، والعناية باختيار جوامعها عند إرادة الاختصار.

٥- تصنيفها من حيث المكي والمدني، وترتيبها من حيث زمن النزول ما أمكن.

٦- فهم الآيات الكريمة بالرجوع إلى تفسيرها، ومعرفة أحوالها من حيث أسباب النزول وتدرج التشريع، والنسخ، والعموم والخصوص.

٧- تقسيم الموضوع إلى عناصر مترابطة، منتزعة من الآيات ذاتها، ورد الآيات إلى عناصرها ومواضعها من البناء الكلي للموضوع مع تفسير موجز لما يحتاج إلى تفسير واستنباط حقائقها القريبة من غير تكليف ورد الشبهات عن الموضوع ذاته.

٨- التقيد التام في كل الخطوات بقواعد التفسير الموضوعي وضوابطه العلمية.

يظهر أن الدكتور السعيد رجع إلى كتاب الكومي، وأفاد منه، كما ذكر في مقدمة كتابه [٣]، وأضاف إليه ثلاث خطوات أخرى، فارتقى البناء، ثم جاء في تفصيل لتلك الخطوات، ليميز المفسر هذا المصطلح (التفسير الموضوعي) عما يخالطه من أبحاث أخرى، حتى يتضح للباحث في هذا النوع عمله من أول الطريق، فيتجنب بذلك الأخطاء التي يقع فيها كثير من الباحثين. وللمزيد في معرفة تفصيل الخطوات يرجع[٤].

١/ ينظر: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. أحمد السيد الكومي، د. محمد أحمد يوسف القاسم / ٢٣- ٢٤.

٢/ ينظر: المدخل الى التفسير الموضوعي / ٩.

٣/ ينظر: المصدر نفسه / ٥٦-٥٧.

٤/ ينظر: المصدر نفسه/ ٥٧ – ٦٦.

كذلك يطالعنا باحث آخر من الذين اهتموا بالتفسير الموضوعي للقرآن الكريم، الدكتور: مصطفى مسلم، قال:((إذا أراد الباحث أن يطرق موضوعًا من موضوعات القرآن الكريم، لا بد أن يكون له تصوراً لأبعاد الموضع، وأن يتدرج في جميع المادة العلمية حوله))[١].

الخطوات التي يراها مصطفى مسلم في التفسير الموضوعي ، هي كالتالي[٢]:

١- اختيار عنوان للموضوع القرآني، بعد تحديد معالم حدوده ومعرفة أبعاده في الآيات القرآنية

٢- جمع الآيات القرآنية التي تبحث هذا الموضوع.

٣- ترتيب هذه الآيات حسب زمن النزول.

٤- دراسة تفسير هذه الآيات دراسة وافية بالرجوع إلى كتب التفسير التحليلي والتعرف على أسباب نزولها إن وجدت، وإلى دلالات الألفاظ واستعمالاتها، والروابط بين الألفاظ في الجملة وبين الجمل في الآية وبين الآيات في المجموعة التي تتحدث عن الموضوع.

٥- الإحاطة بمعاني الآيات مجتمعة يحاول الباحث أن يستنبط العناصر لأساسية للموضوع من خلال التوجيهات القرآنية التي أحاط بها أو استنبطها من الآيات المتعلقة بالموضوع.

٦- يلجأ الباحث إلى طريقة التفسير الإجمالي في عرض الأفكار في بحثه وعدم الاقتصار على دلالة الألفاظ اللغوية وإنما يستشف الهدايات القرآنية من خلال النصوص.

٧- لا بد للباحث من الالتزام بمنهج البحث العلمي عندما يضع مخطط البحث للموضوع، وقد يفرض الموضوع طبيعة المنهج والخطة التي سيجري البحث من خلالها، وقد يفرض الموضوع طبيعة المنهج والخطة التي سيجري البحث من خلالها. فإن كان الموضوع متشعب المباحث والمجالات لا بد عندئذ من وضع تمهيد بين الباحث فيه منهجه في تناول الموضوع. ثم يقسم الموضوع إلى أبواب ويضع تحت كل باب فصولًا وتحت كل فصل مباحث فيجعل العنصر الأساسي الجامع عنوانًا للباب ثم يجعل العنصر الفرعي عنوانًا للفصل، ثم يجعل الجزئيات الصغيرة عناوين للمباحث.

٨- وليكن هدف الباحث في كل ذلك:

١/ مباحث في التفسير الموضوعي / ٣٧.

٢/ ينظر: المصدر نفسه / ٣٧-٣٩.

أ. إبراز حقائق القرآن الكريم، وعرضها بشكل لافت للنظر مع ذكر حكمة التشريع وجماله ووفائه بحاجات البشر وملاءمته للفطرة السليمة وإطلاقه للطاقات الإيجابية في الإنسان.

ب. عرض تلك الحقائق بأسلوب مشرق عذب بذكر الأفكار متسلسلة آخذة برقاب بعضها ملبية لاستشراف لنفس القارئ، مجيبة عن استفساراته المتوقعة، وذلك باتباع الأسلوب البياني الصحيح الذي يفهمه أهل عصره.

ونرى أيضًا من المهتمين بهذا اللون التفسيري الذي تناولت المنهج الموضوعي في التفسير كانت في عشرينيات القرن الماضي من قبل أحد المستشرقين[١]، وإن كان النص القرآني لكثير من المستشرقين نصًا غامضًا مغلقًا من حيث مضمونه وتركيبه ، إذ نلحظ هذا في ضوء تصريحهم بذلك : فانا معشر الاختصاصيين في الاسلاميات ، حتى ولو بذلنا جهداً وافراً لبعث الجو الذي تمت فيه دعوة محمد ﷺ ، نكتشف تنافراً ، يتعذر دفعه بين هذا الجو وبين الشكل الذي اتخذه المصحف : امام هذا النص الشائك بصعوباته ، الكثير الغموض ، والمدهش بأسلوبه الايجازي الذي يغلب عليه التلميح ، نتوقف ملتمسين الفكرة الرئيسية التي تصل فيما بينها بمنطق كامل قصصا وشروحات يصعب الكشف عن ترابطها [٢].

فقد درس المستشرق الألماني رودي بارت، وضع المرأة في العالم الإسلامي، مستخلصا من القران كل ما يتعلق بهذا الموضوع من نصوص، ووصل في نهاية بحثه إلى نتيجة مفادها: أن الإنسان عند محاولته الشرح لابد وان يستجمع كل المعلومات الموضوعية، والصيغ اللغوية الواردة في مواضع أخرى من القرآن، وان ينظمها ويراعيها عند التفسير [٣]. هذه النتيجة تتضمن

١/ المستشرق الألماني، رودي بارت: مدرساً مساعداً في قسم الدراسات الشرقية في جامعة توبنجن. وفي سنة ١٩٤١ شغل كرسي علوم الإسلام والساميات في جامعة بون خلفاً لباول كاله، ارتبط اسم رودي بارت بترجمته للقرآن إلى اللغة الألمانية في مجلد والتعليق على الترجمة في مجلد ثانٍ. ينظر: منهجية البحث في الموضوع القرآني، حامد يعقوب الفريح / ٩. وتحرير التفسير الموضوعي والوحدة الموضوعية للسور، د. محمد بن عمر بازمول / ٣٣. وتحميل شبكة الانترنت: https://www.iicss.iq/?id.

٢/ ينظر: القرآن نزوله تدوينه ترجمته وتأثيره، بلاشير ، ترجمة ، رضا سعادة / ٤١ . ومنهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم دراسة نقدية، د. سامر عبد الرحمن الرشواني / ١٠٠ وما بعدها.

٣/ ينظر: الاستشراق الألماني ودوره في الدراسات الشرقية، م.م. محمد سعدون المطوري / ٢٢٥. (رسالة ماجستير).

الإشارة إلى بعض خطوات المنهجية التي يستوجب على الباحث السير فيها، حين الكتابة في الموضوع القرآني، وهي تمثل اللبنة الأولى في هذا المجال[١].

فعند ترجمته للقرآن والترجمة تفسيرية في نهاية الأمر، حاول باريت ان يطبق هذا المنهج الموضوعي الذي دعا إليه، فقد حرص من أجل أن يفهم القرآن بمعناه الأصلي، كما أخبر به محمد ﷺ آنذاك بعد نزوله وكما أراد له أن يفهم على الاستعانة بالقرآن نفسه في تفسير نصوصه، حيث جمع لكل آية وفقرة ما يتعلق بها أو يجاريها وورد ذكره في مواضع أخرى، ثم قارن التعبيرات المتشابهة والمتباينة ببعضها، ولذلك يعد باريت أول المستشرقين من طبق طريقة جمع الحجج القرآنية، ثم الاستفادة بها ليس فقط في شرح بعض المواضع، بل بانتظام في ترجمة القرآن كله، وفي أي دراسة جدية للنصوص القرآنية ينبغي القيام بها[٢].

تجدر الإشارة الى إن تلك الدراسة لم تأتِ لخدمة القرآن الكريم من قبل المستشرقين، إنما كان السعي إلى تسهيل تناولهم للقرآن في دراساتهم الاستشراقية، بالروح التنصيرية، التي تهدف على بث الشبهة والطعون في الإسلام.

هذا بدليل : استمرار المستشرق الألماني في رحلته للبحث عن مصادر القرآن، فيرى في كتابه (آلهة العرب القديمة): أن محمداً ﷺ قد نشأ وشبَّ وسط هذه الجاهلية، وفي محيط مجتمع عربي وثَنِيّ التصورات والعلائق، وهذه الحقيقة التاريخية التي لا يختلف عليها أحد؛ لكن (رودي باريت) يستنبط منها أن النبيَّ ﷺ تأثَّر بالوثنية وهو يدعو إلى الإسلام، هذا ما قاله في نفس كتابه وهو يتحدث عن الحج: ولقد كانت مكة على سبيل المثال تُقدِّس حجرًا أسود مازال مقدسًا لليوم ، وكان هذا الحجر في أحد حوائط الكعبة الخارجية، والكعبة عبارة عن بناء مكعب الشكل، كان ينظر إليه أنه مقرًّا لألوهية ،بيت الله[٣]

في ضوء ما تقدم فان جميع الدراسات التي جاءت بهذا اللون من التفسير، متفقة ولم تخرج عن بعضها الآخر في الخطوات المنهجية للبحث عن التي ذكرنها، فالبرغم من تعدد الكتب والدراسات التي سجلت فيه وما كتب من رسائل وأطاريح جامعية، التي كشفت عن

١/ ينظر: المستشرقون والدراسات القرآنية، د. محمد حسين الصغير/ ٨١.

٢/ ينظر: منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم دراسة نقدية، د. سامر عبد الرحمن رشواني / ١٠٤.

٣/ ينظر: محمد والقرآن، رودي باريت، ترجمة: د. رضوان السيد / ٢٩- ٣٠.

مناهج البحث في الموضوعات المختلفة، والتي جعلت له أمثلة عديدة وتطبيقات جديدة جلها جاءت متفقه على تلك الخطوات.

كما أن الكليات الإسلامية في الجامعات العربية والإسلامية أولت التفسير الموضوعي أهمية خاصة فكان من مقرراتها على مراحل الدراسة الجامعية مادة التفسير الموضوعي على السواء في مرحلتيها الأولية والعليا، مما دل ذلك كله على أهمية هذا الاتجاه وأصالته.

المطلب الثاني: التفسير الموضعي والموضوعي والفرق بينهما.

قبل البدء في بيان المراد من التفسير الموضوعي، يحسن بنا أن نفهم المقصود بالموضوعية، هي الأمانة في البحث والاستقامة على جادته، تلك الموضوعية مفترضة في كلا الاتجاهين، إنما الموضوعية التي نجعلها مقابل التجزيئية، غير التي تقابل الذاتية والتحيز، هي ان يبدأ المفسر من الموضوع وينتهي إلى القرآن هذا أولًا. والأمر الثاني: أن يختار المفسر مجموعة من الآيات التي تشترك في موضوع واحد، فيقوم بعملية توحيد بين مدلولاتها من أجل أن يستخرج نظرية قرآنية شاملة بالنسبة إلى ذلك الموضوع [١]. ومن الباحثين مَنْ يذكر إنه لا يمكن الفصل بين أنواع التفسير، بحيث تنقطع وشائج القربى بينها ويكون لكل نوع مجاله وأسلوبه ونتائجه، فبعض أنواع التفسير تعتبر أساسًا للانطلاق منه إلى غيره، فلا يستغني عنه المفسر أو الباحث في أي نوع من أنواع التفسير [٢].

يتنوع التفسير من حيث اعتبار طرائق المفسرين إلى أربعة أنواع: **الأول** الموضوعي. و**الثاني** التحليلي: التفسير حسب ترتيب المصحف على مستوى السورة أو القرآن كله على هذا النمط الموضعي. و**الثالث** الإجمالي: يبين فيه المفسر خلاصة معنى الآية أو الآيات التي يفسرها ويبرز مقاصده وشرح الدقيق من الفاظها. و**الرابع** المقارن: استطلاع المفسر فيه آراء

١/ ينظر: المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر / ٢٩.

٢/ ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم / ٥٢.

المفسرين حول قضية ما في القرآن مستقصياً أقوالهم حول ذلك، مستخلصاً نتائج المقارنة سواء من معاني الآيات، أو من كلام المفسرين [١]

فالتفسير من حيث مناهج المفسرين نوعان: تفسير موضعي، وتفسير موضوعي:

التفسير الموضعي: هو الذي يرجع فيه المفسر إلى موضع واحد من القرآن الكريم، متتبعاً حسب ترتيب الآيات في سورها، وهذا اللون قد يكون بالمأثور، أو بالرأي المحمود، أو تحليلي عند التفصيل، أو إجمالي عند الاختصار، وقد يكون مقارناً، إذا اتبع المفسر منهج الموازنة[٢].

صح إطلاق اسم التفسير الموضعي على كل التفاسير السابقة وعلى مدار قرون التاريخ الإسلامي فهي من هذا اللون من التفسير، بحيث يمكن اعتبارها تفاسير موضعية للقرآن [٣].

إذ الباحث في التفسير الموضوعي يعتمد على جمع الأنواع المتقدمة من التفسير في كتابته ومنهجه ولا غنى له عن أحد الأنواع، إذ يعتبر هذا اللون من التفسير ثمرة الأنواع كلها، ويعتبر التفسير الموضوعي مرحلة تخصصية متأخرة عن مراحل الأنواع السابقة [٤].

فالموضوعي: هو الذي يلتزم فيه المفسر موضوعات لا موضعاً بعينه، لأن المفسر لا يبقى في موضع واحد من القرآن، إنما يأخذ الموضوع الذي يبحثه، ويقوم بجولة موضوعية، في السور والآيات، ويتعرف على كيفية معالجة السور المختلفة والآيات لهذا الموضوع [٥].

أما التفسير التحليلي، والإجمالي، والمقارن، موضعي، لأن المفسر يبقى في موضع واحد لا يتجاوزه، ولا يتعداه إلى موضع آخر إلا بعد أن يكمله، إذا احتاج الموضوع، لشرح مفردات وتراكيب بعض الآيات، دخل التفسير التحليلي. وإن احتاج إلى تقرير المعني العام للآيات دخل التفسير الإجمالي، وأما إذا عمد المفسر إلى جملة من الآيات في موضع واحد في سورة

١/ ينظر: المدخل الى التفسير الموضوعي، د. عبد الستار فتح الله سعيد / ١٦- ١٧. والتفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي / ٤٦. والتفسير الموضوعي للقران الكريم وموضوعاته، د. حكمت عبيد/ ٢٣.

٢/ ينظر: المدخل الى التفسير الموضوعي/١٧.

٣/ ينظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق / ٤٧.

٤/ مباحث في التفسير الموضوعي، د. مصطفى مسلم / ٥٣.

٥/ ينظر: المدخل الى التفسير الموضوعي /١٧ – ١٨. والتفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق/ ٤٧. والمدخل الى التفسير الموضوعي دروس منهجية، د. هاشم أبو خميس / ١٧.

واحدة فيورد أقوال المفسرين ليوازن بينهما ويقارن، فينقد الضعيف ويؤيد الصحيح، وبذلك تجتمع ألوان التفاسير جميعاً، وتتعاون ولا تتعارض، وتتآلف لخدمة للقرآن العظيم [١].

يتضح لنا إنه على المفسر في التفسير الموضوعي، الالتفات إلى التفسير الموضعي التجزيئي، قبل الإقدام على التفسير الموضوعي، أي: إن التفسير التجزيئي هو بمنزلة إحدى المقدمات اللازمة للتفسير الموضوعي.

رأى محمد باقر الصدر:((بأن المسألة هنا ليست مسألة استبدال، اتجاه باتجاه، وطرح التفسير التجزيئي، والأخذ بالتفسير الموضوعي، وانما هي مسألة ضم الاتجاه الموضوعي في التفسير ، إلى الاتجاه التجزيئي ، في التفسير، يعني افتراض خطوتين، الخطوة الأولى هي التفسير التجزيئي والخطوة الأخرى هي التفسير الموضوعي))[٢].

يبدو من رأي السيد الصدر، في بيان لزوم اعتماد التفسير التجزيئي (الموضعي)، فيه تقديم على الموضوعي، بدلالات عدم إمكان المفسر بالمضي قدماً في تفسيره (الموضوعي) دون (الموضعي)، ويحصل هذا بدلالة الرأي القائل: إن المشكلة التي يعاني منها بعض أبناء الأمة: هي (التجزئة الموضوعية في فهم القرآن الكريم)، فهذه القطاعات تحاول أن تفهم كل آية، آية، من القرآن بشكل مستقل بعيدا عن فهم الآيات الأخرى، وكأن كل آية عالم مستقل وقائم بذاته، وقد ترتب على ذلك أمران:

الأمر الأول: الفهم الخاطئ لبعض الآيات فالقرآن كائن حي يرتبط بعضه مع بعض، ويتفاعل بعضه مع بعض، وعليه لا يستطيع الفرد أن يفهم القرآن بشكل سليم إلا بعد أن يجمع بعضه مع بعض، ويلاحظ التفاعل، والارتباط فيما بين أجزائه المتفرقة [٣].

الامر الثاني: إن القرآن الكريم لم يُجمع بشكل موضوعي، أي لم يوضع كل موضوع منه في فصل مستقل، بل إن الآيات المتعلقة بموضوع واحد، تقاسمتها عشرات السور، فأصبح ضرورياً على مَنْ يُريد أن يخرج برؤية قرآنية متكاملة حول موضوع ما أن يمارس النظرة الشمولية

١/ ينظر: المدخل الى التفسير الموضوعي / ١٨. والتفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق / ٤٧. واتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ٣/ ٨٦٢.

٢/ المدرسة القرآنية، السيد محمد باقر الصدر/ ٣٧- ٣٨.

٣/ ينظر: التدبر في القرآن الكريم، محمد رضا الشيرازي، ١/ ١١٧.

للآيات المرتبطة بالموضوع، ويتم ذلك عن طريق جمع الآيات القرآنية المرتبطة بالموضوع المقصود من مختلف السور [١].

وقد ظفرنا لمصطفى مسلم رأياً يقول: ((أن أنواع التفسير متداخلة متساندة، لا يستغني المفسر لنوع منها عن الأنواع الأخرى. وبخاصة الباحث في التفسير الموضوعي، لا بد أن يكون على مستوى رفيع من الإحاطة بأنواع التفسير الأخرى؛ لأن الأنواع الأخرى من التفسير هي اللبنات الأولى والمادة الأولية التي يريد إقامة بنيان تفسيره الموضوعي عليها)) [٢].

لبيان ذلك: جاء عن علي بن يقطين، قال سأل المهدي العباسي (ت: ١٦٩هـ) الامام الكاظم عليه السلام عن الخمر، فقال: هل هي محرمة في كتاب الله تعالى؟ فان الناس يعرفون النهي ولا يعرفون التحريم، قال له الامام عليه السلام: بل هي محرمة في كتاب الله، فقال له في أي موضع هي محرمة في كتاب الله، يا أبا الحسن فقال عليه السلام ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾{ الأعراف: ٣٣} ، فأما قوله تعالى:﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ فيعني : الزنا المعلن ، ونصب الرايات التي كانت تعرف بها الفواحش في الجاهلية .وأما قوله جل جلاله :﴿ وَمَا بَطَنَ﴾ يعني: ما نكح آباؤكم ، لأن الناس كانوا قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا كان للرجل زوجة ومات عنها ، تزوج بها ابنه من بعده ، إذا لم تكن امه ، فحرم الله عز وجل ذلك .وأما ﴿ وَٱلْإِثْمَ﴾ فإنها الخمرة بعينها، وقد قال الله سبحانه ، في موضع آخر:﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ﴾{ البقرة: ٢١٩} فأما الإثم في كتاب الله فهي الخمرة. ، وإثمهما كبير، فقال المهدي: يا علي بن يقطين، هذه والله فتوى هاشمية [٣] . يلحظ من خلال الجمع الموضوعي للآيات عند الامام الكاظم عليه السلام إذ استطاع اثبات حرمة الخمر، وهذا لم يكن يظهر في الوهلة الأولى، دون ربط الآيات بعضها مع البعض الاخر، واستنباط دليل التحريم للخمر. وفي نفس الوقت عد ذلك قاعدة من قواعد

١/ ينظر: التدبر في القرآن الكريم، محمد رضا الشيرازي، ١/ ١١٨ -١١٩.

٢/ مباحث في التفسير الموضوعي / ٥٤.

٣/ ينظر: تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، ٢/ ١٧. فقه القرآن قطب الدين الراوندي (ت: ٥٧٣هـ)، ٢/ ٢٨٣. البرهان في تفسير القرآن، هاشم البحراني، ١/ ٥١٤- ٥١٥. والتدبر في القرآن الكريم، محمد رضا الشيرازي/ ١٢٩ – ١٣٠.

التفسير الموضوعي، التي استدل بها الامام (عليه السلام) ، في بيان فتواه في إجابة السائل ، بدليل ، قول المهدي العباسي : هذه والله فتوى هاشمية .

الفرق بين التفسير الموضعي والموضوعي.

١- التفسير التجزيئي يكتفي بإبراز المدلولات التفصيلية للآيات القرآنية ، بينما التفسير الموضوعي يتطلع إلى ما هو أوسع من ذلك إذ يحاول ان يستحصل أوجه الارتباط بين هذه المدلولات التفصيلية ، للحصول على مركب نظري قرآني ، وهذا المركب يحتل في اطاره كل واحد من تلك المدلولات التفصيلية موقعه المناسب ، وهذا ما نسميه بالنظرية ، مثلاً: النظرية القرآنية عن النبوة ، وعن المذهب الاقتصادي ، وعن السماوات والأرض وغيرها، فهنا التفسير الموضوعي يتقدم خطوة على التفسير التجزيئي بقصد الحصول على هذا المركب النظري الذي لا بد ان يكون معبرًا عن موقف القرآن أتجاه موضوع من موضوعات الحياة العقائدية أو الاجتماعية أو الكونية ، فالتفسير الموضعي هو التمهيد واللبنات الأولى المتفرقة للتفسير الموضوعي المتكامل[١].

٢- الهدف في كل خطوة من التفسير الموضعي هو تجزيئي، لأنه يقف دائما عند حدود فهم هذا الجزء أو ذاك من النص القرآني ولا يتجاوز ذلك غالًبا، وحصيلته التفسير تجزيئي للقرآن الكريم كله، وهذا يؤدي إلى حالة تناثر وتراكم عددي للمعاني دون أن نكتشف أوجه الارتباط، أو تحديد نظرية قرآنية لكل مجال من مجالات الحياة[٢]. وينتج ايضًا عن الهدف التجزيئي، والاختلافات المذهبية؛ فمثلا يستند المجبرة إلى الآيات التي يدل ظاهرها على الجبر: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾{ الأنفال: ١٧}،﴿ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ﴾{ الأعراف: ١٥٥}،أما المفوضة والذين يعتقدون بحرية الإنسان فيستندون إلى آيات أخرى توافق مذهبهم،﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾{ الإنسان: ٣}، فإذا أخذنا بجميع هذه الآيات، تزول هذه الاختلافات[٣].

١/ ينظر: المدرسة القرآنية، السيد محمد باقر الصدر / ٢٧. مباحث في التفسير الموضوعي، د. مصطفى مسلم/ ٥٤.

٢/ ينظر: المدرسة القرآنية / ١١.

٣/ ينظر: التدبر في القرآن الكريم، محمد رضا الشيرازي، ١١٨/١. والمدخل الى التفسير الموضوعي دروس منهجية، هاشم أبو خميس / ٤٢.

فالتجزئة الموضعية لا تعطينا إلا رؤية ناقصة إضافة إلى أننا نخسر بسبب ذلك الكثير من المعطيات التي يمنحنا إياها الفهم الشمولي [١].

٣- غالبًا ما يكون التفسير الموضوعي تفسيراً علمياً، يرتبط بالتجربة الحياتية للبشر، حيث يسعى إلى حل المشكلات والأسئلة المطروحة، فيكون دور المفسر دورًا ايجابيًا، إذ الابتداء من الواقع ويعود إلى القرآن الكريم، بينما التفسير التجزيئي يبدأ من القرآن وينتهي إلى القرآن ليس فيه حركة من الواقع إلى القرآن، إذ الهدف في كل خطوة في هذا التفسير (هدف تجزيئي) للأنه يقف دائماً عند حدود فهم هذا الجزء أو ذلك من النص القرآني ولا يتجاوز ذلك غالباً ، فيكون هنا دور المفسر دوراً سلبياً [٢].

٤- من ناحية سعة الموضوع وضيقه، فالموضوع في التفسير التجزيئي الموضعي هو القرآن كله من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، فيكون لكل آية من القرآن موضوع على حدة، بخلاف التفسير الموضوعي؛ فإنه لا يكون له إلا موضوع واحد [٣].

٥- لا يمكن الولوج الى التفسير الموضوعي مالم يكن هنالك احاطة تامة من قبل المفسر بالتفسير الموضعي [٤].

٦- إذا كان التفسير الموضعي يخدم الآية والجملة والمفردة القرآنية، فإن التفسير الموضوعي يخدم مهمة القرآن ورسالته ووظيفته في حياة المسلمين. ويزيد تفاعل المسلمين مع القرآن، وقناعتهم بحقائقه، ودعوتهم إليه، فهو الذي يتناسب مع مقاصد القرآن وأولياته، ومنطلقاته الأساسية، ويخدمها، ويحسن عرضها والدعوة إليه [٥].

٧- التفسير الموضوعي هو التحرر من قيود الزمان والمكان، حيث يلغي الخصوصيات الزمانية والمكانية للآيات (كما هو الحال في قصص القرآن)، ويستخرج لب المعنى من الآية ويستخدمها

١/ التدبر في القرآن الكريم، محمد رضا الشيرازي ،١/ ١١٩.

٢/ ينظر: المدرسة القرآنية/ ١٨ – ٢١. مدخل الى التفسير الموضوعي دروس منهجية / ٤٠.

٣/ ينظر: قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، محمد فاكر الميبدي / ٤٠٨.

٤/ ينظر: دروس تمهيدية في القواعد التفسيرية، علي اكبر السيفي المازندراني ، ١/ ٨٥ .

٥/ ينظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، صلاح عبد الفتاح الخالدي / ٥٠

بوصفها قاعدة وقانونا كليا للإجابة عن الأسئلة والمشاكل التي تواجه الفرد والمجتمع، اما الموضعي لا يمكن تجردها عن تلك المجريات ومتعلقاتها الزمانية والمكانية [1].

إنَّ التفسير الموضوعي يرجح على التفسير الموضعي؛ لأنَّه يمثل حالة من التفاعل مع الواقع الخارجي، يبدأ من الواقع ثم إلى القرآن الكريم ثم يعود إلى الواقع الخارجي مرة أخرى بنتائج بحثه الذي حمله من داخل القرآن، مما يجعل القرآن الكريم ملبيًا وبشكل مستمر لكل المتطلبات الإنسانية ، إذ نلمح فيه محاولة المفسر بالسعي في جعل التقارب والتجاذب بين آيات القرآن الكريم عامة في ضوء الموضوع القرآني الواحد وعلى مستوى جميع القرآن ، أما التفسير الموضعي غير ذلك إذ يلحظ فيه هم المفسر الكشف عن المعنى المراد من الآية ، دون الالتفات إلى ربطها بالواقع أو دراسة الوشائج مع غيرها من الآيات الأخرى من أجل الخروج بتصور قرآني عن تلك الدراسة، عملية تقطيع وتبعيض للنص القرآني .

المطلب الثالث: منزلة التفسير الموضوعي.

إن تجدد حاجات المجتمعات وإطلالة أفكار جديدة على الساحة الإنسانية، وانفتاح ميادين للنظريات العلمية الحديثة، لا يمكن أدراك كنهها وابصار الحلول الصحيحة لها، إلا باللجوء إلى التفسير الموضوعي للقرآن الكريم .

إن المسلم عندما يجابه مشكلة في الحياة، أو تعرض له نظرية مستحدثة في إي علم من العلوم المختلفة ؛ فإنه لا يستطيع أن يجد لكل هذه النظريات المستجدة ، نصوصًا من آيات الذكر الحكيم تلقي بضلالها على هذه القضية المطروحة وتبين حكم الله تعالى فيها، بل يلجأ عندئذ إلى معرفة الهدايات القرآنية ، وعظة السنة النبوية في هذا الاتجاه، فيجمع الأفكار الرئيسية في هذا المجال بحيث تتكون لديه ملكة لإدراك مقاصد القرآن الكريم في هذا الصدد، وبرؤية القرآن الكريم يحدق النظر إلى حل هذه المشكلة أو يقوم هذه النظرية ، ومن خلال ذلك يستطيع أن يصل إلى بريق كاشف يرسم له الطريق ويحدد له المعالم لتقويم كل مستحدث

١/ ينظر: مدخل الى التفسير الموضوعي دروس منهجية، هاشم ابوخميس / ٤٠.

جديد، عليه لا يمكن أن نجابه ونعي مشاكل العصر ومعطيات الحضارة، إلا بأسلوب الدراسات الموضوعية للقرآن الكريم أو بأسلوب التفسير الموضوعي[١].

١. الدراسات الموضوعية للقرآن الكريم تعطي مداً جديداً لانتشار تعاليم هذا القرآن، وتناولها بالدراسات في وحدة موضوعية ؛ ذلك لأن التركيز على موضوع واحد معين وتتبع موارده ومآخذه في القرآن كله ، مكيه ومدنيه ، لتجلية جوانبه كلها، يهيئ له من العناية والبيان والدراسة مالا يتهيأ له لو درس في أثناء التفسير العام ، وبالتالي الحصول على الرأي النهائي للقرآن حول موضوع معين[٢].

٢. منزلته في إظهار إعجاز القرآن الكريم على وجه يلائم العصر، لأن القرآن مستمر التحدي[٣]، وهذا يتمثل في معاني القرآن وموضوعاته من طريقين:

أ- شمول القرآن لكل الموضوعات مع قلة حجمه ووجازة لفظه، وهذا يخالف معهود الكتب وقدرات البشر.

ب- كمال كل موضوع منه على حدة، حين نجمعه الآن، ونؤلف منه كيانًا واحدة مؤتلف، وهذا من وجوه الإعجاز؛ لأن القرآن الكريم قد تواتر نزوله نجوما متفرقة، وحين نجمع نجوم الموضوع معًا نجدها في غاية التوافق والتناسق، وكأن أقسامه جميعًا قد نزلت في وقت واحد، تعالج قضية ما في موعدها وظروفها وهذا ضرب بالغ الاعجاز [٤].

٣. تصحيح مسار الدراسات القرآنية، من خلال تصحيح طريقة النظر في القرآن الكريم، وبالتالي إصلاح طريقة التفسير وإنضاجه، إذ توجهت بعض التفاسير الترتيبية المعاصرة، إلى إدراج مباحث تفسيرية موضوعية مستقلة، كتفسير (الميزان– والمنار– والأمثل) ؛ إذ يعد ولادة أبحاث كهذه ، حركة جديدة وقوية، تكشف عن منزلة التفسير الموضوعي إذ المفسرون أدركوا حاجة العصر إلى معرفة رؤية القرآن الكريم، عن بعض المواضيع، وعلى هذا الأساس سيكون للتفسير

١/ ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي، د. مصطفى مسلم / ٣١.

٢/ ينظر: دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن، محمد علي الرضائي / ٣١٣.ودراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. زاهر بن عوض الألمعي / ١٩.

٣/ ينظر: نظرية الوحدة الموضوعية من خلال كتاب الأساس في التفسير، سعيد حوى / ٦٦.

٤/ ينظر: المدخل الى التفسير الموضوعي، د. عبد الستار فتح الله سعيد / ٤٠ – ٤١. وأهمية التفسير الموضوعي ومنهجيته في معالجة القضايا المستجده، د. أحمد عبد الكريم الشوكة / ١٣٠

الموضوعي، مهمة بالغة في تصحيح الدراسات الدينية ، والعربية القائمة فعلاً ، وإصلاح مسارها ، وضبطها على معايير قرآنية جامعة [١].

٤. التمكن من فهم القرآن الكريم فهما جيداً وتوجيه ما يمكن توجيهه وفق قواعد التفسير الموضوعي وأصول الترجيح؛ لإزالة ما يوهم التعارض بين الآيات القرآنية وإزالة الإشكالات التي تظهر في بعض الآيات للوهلة الأولى، في ضوء الاطلاع على أساليب القرآن الكريم المتنوعة، التي أنفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه [٢].

٥. الوقوف بوجه الأعداء والمخالفين ومثيري الشبهات حول القرآن الكريم قديما وحديثا، إذ دراسته تستند إلى جمع ما تفرق حول الموضوع الواحد والإحاطة بجميع أطرافه فيمكن دراسته والرد على الآخرين، إذ عدَّ تفسير هذا العصر والمستقبل أيضًا [٣].

٦. مكانة التفسير الموضوعي في برهنت الحيوية الواقعية للقرآن، وتحقيق المهمة العلمية الحركية للقرآن، فلا يرمق الباحث إلى موضوعات القرآن على أنها مهترئة، نزلت قبل أربعة عشر قرناً، فصلتهم بالقرآن الكريم، وتعرفهم على مبادئه وحقائقه، ومن حيث تشكيل تصوراتهم وثقافاتهم، وعملهم على إصلاح أخطائهم، وبناء مجتمعاتهم، ومن حيث حسن عرض القرآن، إنما أسفر عن تلك الموضوعات في صورة علمية واقعية، تناقش قضايا ومشكلات حية تهتم بمسلمين أحياء متحركين وهذا هو البعد الحي للقرآن الكريم؛ فالتفسير الموضوعي يتفق مع المقاصد الأساسية للقرآن، ويحقق هذه المقاصد والأوليات القرآنية في حياة المسلمين [٤].

٧. الوصول إلى الموضوعات القرآنية بصورة متكاملة مع تيسَّيره للباحث والقارئ في القرآن الكريم من الوصول سريعًا إلى الهدف في ضوء تجميع موضوع متكامل في بحث واحد، إذ يجمع

١/ ينظر: المدخل الى التفسير الموضوعي / ٥١- ٥٣. والمدخل الى التفسير الموضوعي، د. هاشم أبو خميس/ ٣٥-٣٦.

٢/ ينظر: البداية في التفسير الموضوعي (دراسة منهجية موضوعية)، د. عبد الحي الفرماوي / ٦٩. ونظرية الوحدة الموضوعية من خلال كتاب الأساس في التفسير، سعيد حوى / ٦٦-٦٧. ونفحات القرآن (أسلوب جديد في التفسير الموضوعي)، ناصر مكارم الشيرازي، ١/ ١٠

٣/ ينظر: نظرية الوحدة الموضوعية من خلال كتاب الأساس في التفسير/ ٦٦. والتفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. أحمد السيد الكومي، د. محمد أحمد يوسف القاسم / ١٩.

٤/ ينظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي/ ٥٦-٥٧.

الآيات المتناثرة في القرآن ذات الموضوع والهدف الواحد في مكان واحد ثم يدرسها دراسة متكاملة، فضلا عن إزالة ما يوهم التعارض بين آيات القرآن الكريم وتوجيهها توجيهًا سليماً[١].

اسفرت منزلة التفسير الموضوعي بنائلة تعالج ما استحدث من مستجدات وتساؤلات تلوح للناس ولم تكن موجودة من قبل، فهذا النوع هو الذي أغدق الجواب عن تلك التساؤلات، والذي تكفل بوضع البرامج الحقة لنظرة القران حول هذه الموضوعات المستحدثة.

يقول الدكتور: حكمت الخفاجي:((لو قدمت الأبحاث القرآنية بطريقة تتناسب في أسلوبها طرق العصر ومفاهيمه لوجد الناس فيها تسكينا لخواطرهم، وما يجول بوجدانهم والراحة لأفكارهم من القلق الذي يصيبها من جرّاء التطور في الوقت الحاضر فضلا عن البعد عن الدين والهداية الإلهية))[٢]

إذًا: تحصيل القرآن على أسلوب التفسير الموضوعي يعد داعياً ضرورياً، إذ يمثل لبنة من لبنات تطبيب قضايا العصر وحل مشكلاته على طريق القرآن الكريم، وعليه فإن التفسير الموضوعي للقرآن هو الأقرب والمقنع في مجابهة مشاكل العصر ومعطيات الحضارة المتجددة، سواء في ذلك التفسير الذي يمارس على وحدة الموضوع في القرآن ككل، أو ذلك الذي يتناول وحدة الموضوع في السورة.

المطلب الرابع: خطوات التفسير الموضوعي على مستوى القرآن الكريم.

عند مزاولة التفسير الموضوعي يحتم اعتماد المفسر خطوات استباقية ، وضوابط متبعة لهذا النوع التفسيري، إذ أراد الباحث أن يطرق موضوعًا من موضوعات القرآن الكريم، يجب أن يكُّون تصورًا لأبعاد الموضع، وتدرجه في جميع المادة العلمية حوله حسب الخطوات، علماً أن هذه الخطوات والضوابط محل اجتهاد للعلماء، فقد تزيد وقد تنقص، وقد تختلف وقد تأتلف مع بعضها في عملية الجمع ، عدداً ، وترتيباً ، وتنسيقاً للموضوع، فعند الاستقراء والاطلاع على كتب من صنف في هذا المنهج ، من الاعلام المتأخرين وممن برعوا في هذا النوع من

١/ ينظر: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، أحمد السيد الكومي، محمد أحمد يوسف القاسم /١٨.

٢/ ندوة حوارية تعريفية بعنوان ((التفسير الموضوعي في القران الكريم وتطبيقاته)) عمادة الكلية العلوم الإسلامية – جامعة بابل، الموافق ٢٠١٧/١٢/٦ م.

التفسير، ينكشف إن جل الخطوات جاءت مؤتلفة ؛ وقبل البدء في بيان خطوات البحث للتفسير الموضوعي، لابد من الإشارة الى إن هناك اسلوبان للبحث في الموضوع القرآني:

الاول: الذي اختاره بعض المفسرين في عملهم، هو انّهم يتناولون المواضيع المختلفة الأخلاقية والعقائدية كالتوحيد والمعاد، والتقوى وحسن الخلق وغيرها، وبعد ذكر بحوثهم تحتها فلسفية أو كلامية أو أخلاقية يذكرون الآيات القرآنية المرتبطة بالموضوع بعنوان الشاهد.

الثاني: وهو الذي يتمّ فيه قبل كل شيء، جمع الآيات الواردة حول الموضوع من جميع القرآن الكريم ، وقبل ايّ حكم أو ابداء نظر يتم جمع الآيات وتفسيرها جنباً إلى جنب، وبجمعها وملاحظة ترابطها يحصل على الصورة الكاملة ، ويطلق عليه التفسير الموضوعي الاتحادي، الذي لا يملك المفسّر شيئاً من عنده مطلقاً، ويسير كالظل خلف آيات القرآن فيفهم كل شيء من القرآن، ويكون كل همّه كشف محتوى الآيات، وإذا استعان بالأحاديث النبوية الشريفة ، وبأقوال أئمة اهل البيت عليهم السلام والصحابة من السلف الصالح والمفسرين فهو في المرحلة الثانية وبنحو منفصل [1].

والطريقة الثانية هي المعمول بها في مجال البحوث العلمية الموضوعية، وإذا ما أطلقت كلمة: (تفسير موضوعي)، فلا يفهم منها إلا بحث موضوع من موضوعات القرآن الكريم على مستوى القرآن جميعه [2].

أولًا: منهج البحث في الموضوع أو المصطلح القرآني [3].

١/ ينظر: المدرسة القرآنية، السيد محمد باقر الصدر / ١٢ – ١٣. نفحات القرآن، ناصر مكارم الشيرازي، ١/ ١٩ – ٢٠. دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية، محمد علي رضائي / ٣١٢ – ٣١٣. التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. أحمد السيد الكومي، د. محمد أحمد يوسف /٢٢– ٢٣. ودروس تمهيدية في القواعد التفسيرية، علي أكبر السيفي المازندراني ،١/ ٨٤ – ٨٥. دراسات في التفسير الموضوعي، د. زاهر بن عوض الألمعي / ٢٥.

٢/ ينظر: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. أحمد السيد الكومي، د. محمد أحمد يوسف القاسم /٢٣

٣/ لمن أراد الاستزادة في الاطلاع على هذه الخطوات أضافة لما سنذكره من مصادر، ينظر: منهجية البحث في التفسير الموضوعي للكلمة، والآية، والسورة القرآنية، أمين محمد سلام المناسية البطوش / ٢٣ – ٢٤. التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه، أحمد بن عبد الله الزهراني / ١٧ – ١٨. مقاصد القرآن الكلية وأهميتها في التفسير الموضوعي للموضوع القرآني، محمد عبد السلام حسن الحضري/ ٣٠ – ٣١ (بحث منشور). ودروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن، محمد علي رضائي / ٣١٣.

١. المعرفة الدقيقة لمعنى التفسير الموضوعي الخاص الذي يريد المفسر مزاولته، فيجب تمييز المفسر بين هذا المصطلح وما يخالطه من أبحاث أخرى، مثلا: عليه أن يتجنب تفسير السورة المكية إن لم يكن لها دخل في موضوعه [١].

٢. تحديد عنوان للموضوع القرآني مجال البحث، بعد تحديد معالم حدوده ومعرفة أبعاده في الآيات القرآنية، حتى لا تختلط عليه القضايا، أو تتداخل المسائل [٢].

٣. حَصْر جميع الآيات التي تتحدّث عن الموضوع الواحد؛ سواءً كانت مدنيةً، أو مكّيةً، وعدم إغفال أيّ آيةٍ تتحدّث عن الموضوع؛ لِئلّا تكون الدراسة ناقصةً؛ بتَرك الأخذ بآيةٍ مُعيَّنةٍ قد تتضمّن حُكماً فاصلاً في الموضوع [٣].

٤. ترتيب الآيات حَسب زمن نزولها على رسول الله ﷺ ترتيباً مُحكَماً [٤].

٥. دراسة تفسير هذه الآيات دراسة وافية بالرجوع إلى كتب التفسير التحليلي ومحاولة معرفة أسباب نزولها، ودلالات الألفاظ واستعمالاتها، التي تتحدث عن الموضوع؛ لذلك لا تكفي قراءة القرآن فقط، بل يطلب مطالعة القرآن مع التدبر في آياته[٥].

٦. بعد الإحاطة بمعاني الآيات مجتمعة يحاول المفسر أن يستنبط العناصر لأساسية للموضوع من خلال التوجيهات القرآنية التي أحاط بها أو استنبطها من الآيات المتعلقة بالموضوع، وللباحث أن يقدم بعض العناصر الرئيسية على غيرها، إن وجد أن طبيعة البحث تقتضي ذلك أو أن تسلسل الأفكار المنطقي يلزم هذا التقديم أو التأخير [٦].

١/ ينظر: نفحات القرآن (أسلوب جديد في التفسير الموضوعي) ، ١/ ٢٧. ووقواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، محمد فاكر الميبدي/ ٤٢٦.

٢/ ينظر: وقواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، محمد فاكر الميبدي/ ٤٢٦. ومفاهيم القرآن، جعفر السبحاني، ٣/ ٣٥. ٢٩٠. ومباحث في التفسير الموضوعي، د. مصطفى مسلم / ٣٧

٣/ ينظر: مفاهيم القرآن ،٣ / ٣٥– ٣٦. والتفسير والتأويل في القرآن، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي/١٧. الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من المؤلفين، ٢٨٩/١.

٤/ ينظر: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم. د أحمد السيد الكومي، د. محمد أحمد يوسف /٢٤. والموسوعة القرآنية المتخصصة، ١/ ٢٩٠.و٢٩٠. مباحث في التفسير الموضوعي / ٣٧.

٥/ ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي/ ٣٧. والتفسير والتأويل في القرآن/١٧.

٦/ ينظر: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. أحمد السيد الكومي/٢٤. والموسوعة القرآنية المتخصصة، ٢٨٨/١. ٢٩٠. ومباحث في التفسير الموضوعي/ ٣٧– ٣٨.

٧. لجوء الباحث إلى طريقة التفسير الإجمالي في عرض الأفكار في بحثه ويحاول ألا يقتصر على دلالة الألفاظ اللغوية وإنما يستشف الهدايات القرآنية من خلال النصوص، مع العناية بالقرائن الداخلية والخارجية؛ إن من أراد الوقوف على نظر الإسلام، فلابد من البحث والفحص في الثقل الآخر أي: الرجوع إلى السنة النبوية، وروايات العترة الطاهرة الصحيحتين؛ إذ بهذا العمل الأصيل يمكن الوقوف على نظريات القرآن وآرائه المتقنة [١].

٨. لا بد للباحث من الالتزام بمنهج البحث العلمي عندما يضع مخطط البحث للموضوع، وقد يفرض الموضوع طبيعة المنهج والخطة التي سيجري البحث من خلالها. أي تصنيف المباحث وتبويبها بشكل جامع، وتقسيم الموضوع إلى عناصر مترابطة ومنتزعة من الآيات ذاتها، ورد الآيات إلى عناصرها ومواضعها من البناء الكلي للموضوع، كموضوع الوعي بالنسبة إلى الرسالة والرسل [٢].

٩. إزالة المشكلات والتناقضات التي تظهر عند تجميع الآيات بالدقة العلمية، وهي من الأمر التي يجب الالتفات إليها، إذ من دونها يتهم القرآن بالتناقض والتضادّ [٣].

١٠. التأكد والاطمئنان إلى الوقوف على جوانب الموضوع؛ لأنه إذا غفل المفسر عن بعض الجوانب، لم يمكنه إسناد الرأي إلى القرآن[٤].

١١. وليكن هدف الباحث في كل ذلك:

أولاً: إبراز حقائق القرآن الكريم، وعرضها بشكل لافت للنظر مع ذكره حكمة التشريع وجماله ووفائه بحاجات البشر وملاءمته للفطرة السليمة وإطلاقه للطاقات الإيجابية في الإنسان [٥].

١/ ينظر: والتفسير والتأويل في القرآن، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي /١٧ –١٨. والموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من المؤلفين مؤلفين، ١/٢٨٩– ٢٩٠. ومباحث في التفسير الموضوعي، د. مصطفى مسلم /٣٨. وقواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، محمد فاكر الميبدي / ٤٢٧.

٢/ ينظر: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. أحمد السيد الكومي /٢٥. ٢٩٠. مباحث في التفسير الموضوعي / ٣٩.

٣/ ينظر: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم /٢٥. وقواعد التفسير لدى الشيعة والسنة/ ٤٢٧.

٤/ ينظر: وقواعد التفسير لدى الشيعة والسنة/ ٤٢٧.

٥/ ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي /٣٨–٣٩.

ثانيًا: عرض الحقائق بأسلوب مشرق عذب بذكر الأفكار متسلسلة آخذة برقاب بعضها ملبية لاستشراف نفس القارئ، مجيبة عن استفساراته المتوقعة، وذلك باتباع الأسلوب البياني الصحيح الذي يفهمه أهل عصره، متجنبًا الألفاظ الغريبة المهجورة وأساليب السجع المتكلفة [١].

هذه خطوات مرحلية متدرجة إن صح بنائها عند من كانت له الباع الطول في هذا اللون من التأليف الموضوعي للقرآن الكريم، نراها ضرورية لمتابعة أيّ مصطلح قرآني، ليكون البحث علميا موضوعيا، وليكون النظر سليما صائبا، وليكون الاستنتاج صحيحا مقبولا.

الأمور التي يجب على الباحث إعمال النظر فيها عند عملية التفسير الموضوعي.

١. جعل عناوين الأبواب والفصول من المادة القرآنية والعناصر البارزة فيه، أما السنة المشرفة وأقوال أهل البيت عليهم السلام والصحابة والتابعين، فدورها في التفسير الموضوعي التوضيح والبيان والاستدلال من أجل الحفاظ على قرآنية الموضوع، فكلها مادة للشرح والتوضيح والترجيح، ولا تشكل عناصر الموضوع الأساسية [٢].

٢. الالتزام بالمنهج الصحيح في التفسير وذلك بإبعاد الروايات الضعيفة والإسرائيليات والقصص التاريخي عند عرض الموضوع القرآني وتركيز الجهد لاستنطاق النصوص الكريمة على قواعد اللغة والأساليب البيانية، ودقة الاستنباط منها [٣].

٣. عند الحاجة إلى بيان معنى كلمة غريبة، أو توجيه قراءة، أو الكشف عن نكتة بلاغية أثناء عرض أحد عناصر الموضوع، يجعل ذلك تعليقًا في الحاشية من غير استطراد يخل بتسلسل الأفكار وتعانق الفقرات وسلاسة الأسلوب وإشراقة البيان [٤].

ثانيًا: منهج البحث في التفسير الموضوعي للسورة واحدة.

١/ ينظر: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم /٢٥-٢٦. والموسوعة القرآنية المتخصصة، ١/ ٢٩٠- ٢٩٠. ومباحث في التفسير الموضوعي/ ٣٩.

٢/ ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم / ٣٩.

٣/ ينظر: المصدر نفسه/ ٣٩.

٤/ ينظر: المصدر نفسه / ٣٩.

للمتقدمين والمتأخرين مؤلفات قد كتبت في بيان التناسب الموضوعي للسورة الواحدة [١]، وربما جاء هذا الاهتمام من قيامهم بتأليفات مستقلة حول سورة واحدة، نظرًا لمكانة هذه السورة الخاصة، أو لأهمية الغرض الذي تعرضت له السورة؛ وهذا اللون شبيه بالقسم الثاني (الوحدة الموضوعية في جميع القرآن)، إلا أن دائرة هذا اللون أضيق من سابقه، إذ يبحث هنا عن الهدف الجامع الذي تدور حوله السورة، ويكون هذا هو محور بحثه ويخرج منها بدراسة موضوعية متكاملة.

وفي الحقيقة أن ثمَّة أصرة قوية بين التناسب والتفسير الموضوعي؛ إذ إنهما يجتمعان في بيان ترابط آيات السورة الواحدة، وتلاحم فقراتها، واتصال أَجزائها حتى تبدوا السورة ذات شخصية مستقلة، وذات موضوع رئيس تدور حوله، ونظام يردُّ إِليه مختلف موضوعاتها [٢].

يقوم مفهوم وحدة السورة على عنصرين أساسيين.

أ. تماسك السورة القرآنية واتساق آياتها وتناسبها.

ب. التركيبة المقصدية للسورة القرآنية، أو المعطى الكلى الذي هو النظم الخاص للسورة [٣].

فالوحدة الموضوعية للسورة: هو بيان اتحاد سورة من القرآن الكريم في موضوع رئيس تُردُّ إليه سائر الموضوعات الجزئية التي قد تتناولها لاسيما إذا كانت من الطوال بحيث تبدو السورة كلها وحدةً واحدة، يُردُّ عجزها إلى صدرها، وتتفق مقدمتها ومؤخرتها [٤].

وبعبارة أخرى: يقوم التفسير الموضوعي للسورة على رؤية معينة للسورة القرآنية ترى القول بوحدتها، أي بكونها نصا متماسكًا منسجمًا مرتبًا بتوقيف إلهي ذي مغزى وغاية من مخالفته الترتيب النزولي الواقعي أو الترتيب الموضوعي [٥]. فيشكل مفهوم الوحدة الأساس المنطقي الذي يفترضه التفسير الموضوعي للسورة، أما الاختلافات التي دارت حول طبيعة الوحدة التي

١/ على سبيل المثال لا الحصر: البرهان فى تناسب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم الغرناطي(ت: ٧٠٨هـ). و نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) . مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، عادل محمد أبو العلاء. والتناسب في سورة البقرة، طارق مصطفى محمد حميدة.

٢/ ينظر: مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، عادل محمد أبو العلاء/ ٢٧.

٣/ ينظر: منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. سامر عبد الرحمن رشواني / ٢٤٢.

٤/ ينظر: مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور/ ٢٧.

٥/ ينظر: منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم/ ٢٤٢.

تحكم السورة القرآنية، فلا يمكن تعليق التفسير الموضوعي عليها أو حصره بها، على النحو الذي شاع في دراسات التفسير الموضوعي، فتحديد طبيعة الوحدة هذه قد يختلف من مفسر إلى آخر بحسب ما يدركه من نظام السورة، وحسب زاوية النظر التي ينطلق منها، ثم إن تحديد طبيعة الوحدة في السورة ينبغي أن يكون أمرًا لاحقًا على النظر الموضوعي فيها لا سابقًا له[١].

إذًا: لا بد من التميز بين أمرين لتجنب الخلط بهما عند المشتغلين في هذا اللون:

أ. الوحدة: كصفة وخاصية من خصائص السورة القرآنية.

ب. الوحدة: كأساس منهجي ومنطلق لفهم السورة موضوعيًا.

وينفعنا هذا التمييز في تجنب الخلط والمبالغة في فكرة الوحدة وإرجاعها إلى أصول وأفكار قديمة، فقد نجد في كتابات الأقدمين ما يثبت فهمهم وإدراكهم للوحدة كخاصة من خصائص السور القرآنية والنظم القرآن، ولكن ليس للوحدة كأساس منهجي لتفسير السورة موضوعيًا [٢].

خطوات تفسير السورة الواحدة في القرآن الكريم موضوعيًا:

١. جعل السورة القرآنية وحدة متكاملة هدفها وأحد وإن تعددت موضوعاتها، فهي تدور حول مركز رئيس سمي بالغرض، سواء كان عام أو خاص، مثلا: سورة البقرة: الهدف منها تحديد الطريق القويم لمن أراد أن يسلك نفسه مسلك المتقين، ثم تفسير الموضوعات التي وردت في السورة على هذا الهدف وهكذا في كل سور القرآن [٣].

٢. التقديم للسورة بتمهيد، يعرف فيه بأمور تتعلق بالسورة، كأسباب النزول، أو المرحلة التي نزلت فيها السورة: مكية متقدمة أو متوسطة أو متأخرة، مدنية متقدمة أو متأخرة وغيرها من الأمور التي لها علاقة في الكشف عن معنى السورة [٤].

١/ ينظر: منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. سامر عبد الرحمن رشواني / ٢٤٣.

٢/ ينظر: المصدر نفسه / ٢٤٢.

٣/ ينظر: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. احمد السيد الكومي، د. محمد أحمد يوسف / ٢٢.

٤/ ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم/ ٤٠.

٣. ذكر اسم السورة التوقيفي والاجتهادي، وإذا كان لها أكثر من اسم توقيفي يذكرها، ويبين حكمة تسميتها بذلك الاسم، ويلاحظ الصلة والربط بين اسمها التوقيفي والاجتهادي وبين موضوعها العام. وبيان ما ورد فيها من أحاديث صحيحة تحدد أسماءها، أو بعض خصائصها أو فضائلها؛ والتوقيف في أسماء السور يجعل من اسم السورة عنواناً بارزاً لمحور المعنى أو المعاني المتناسقة التي تتضمنها السورة، كما أن الأسماء التي ذُكرت زيادة على الأسماء التوقيفية ترتبط كذلك لدى المفسرين من الصحابة وتابعيهم بالمعاني التي تتضمنها السورة؛ وعليه فعنوان السورة أو اسمها مفتاح لمعانيها [١].

٤. ربط السورة بما قبلها من السور، حسب ترتيب المصحف، من حيث التناسب في الموضوع العام لكل منها[٢].

٥. محاولة التعرف على الهدف الأساسي للسورة، والمحور الذي تدور حوله، وهذا يكون في ضوء دلالة الاسم، أو الموضوعات المطروحة في السورة، أو أخذًا من المرحلة التي نزلت فيها، مثلًا: سورة آل عمران: هدفها تحديد معالم الألوهية الحقة، وإثبات الوحدانية لله ﷻ، ثم تفسير الموضوعات التي وردت في السورة على هذا الهدف. وهكذا في جميع سور القرآن[٣].

٦. تقسيم السورة وخاصة الطويلة إلى فقرات، تتحدث آياتها عن عنصر من عناصر الهدف، أو مجال من مجالات المحور، واستنباط الهدايات القرآنية منها، وذكر المناسبات بينها[٤].

٧. ربط مقاطع السورة وما يستنبط من هدايات بالهدف الأساسي للسورة، بقصد إظهار هذا الهدف، كأنها جداول صغيرة تمد المجرى الأساسي للنهر [٥].

١/ ينظر: الموسوعة القرآنية، إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (ت: ١٤١٤هـ)، ١/ ٣٣٨. وسورة لقمان بين كلمة التنزيل وتناسب الترتيب، محمد رأفت سعيد / ١٢ – ١٣.

٢/ ينظر: نظرية الوحدة الموضوعية من خلال كتاب (الأساس في التفسير)، سعيد حوى/ ٩٠. ومنهجية البحث في التفسير الموضوعي للكلمة، والآية، والسورة القرآنية، د. أمين محمد سلام المناسية البطوش/ ٤٠.

٣/ ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم / ٤٢. والموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من المتخصصين، ١/ ٢٣١.و التناسب في سورة البقرة ، طارق مصطفى محمد حميدة/ ١٠.

٤/ ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي/ ٤٠. نظرية الوحدة الموضوعية من خلال كتاب (الأساس في التفسير) /٧٦.

٥/ ينظر: نظرية الوحدة الموضوعية من خلال كتاب (الأساس في التفسير) /٧٨– ٧٩. ومصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، البقاعي/ ١٢١.

٨. استخلاص أهم حقائق السورة والدلالات التي تقررها، والإشارة إلى أبعاد السورة الواقعية، وكيفية معالجتها لمشكلات الإنسان المعاصر [١].

٩. الرجوع إلى أمهات كتب التفسير من المتقدمين، لكشف تفسيرها التحليلي، بتلك التفاسير [٢].

ثم تأتي مرحلة (الترتيب والتبويب والصياغة) بخطواتها، وبذلك تبدو السورة موضوع البحث، كوحدة موضوعية واحدة، ذات شخصية بارزة، وموضوع عام، وعمود واضح، وأهداف محددة.

بالرغم من قيام المفسرون بتفسير القران تسلسلياً، إلا أن بعضهم نظر إلى السورة نظرة احاطة وشمول مع بيان أغراضها الخاصة والعامة وربط بين الموضوعات بعضها مع بعض مهما تعددت موضوعاتها وتباينت مناسبات نزولها [٣]. فهناك من تكلم عن هذا وكشف عن بعض أغواره، مثل: الطوسي في تبيانه، و الطبرسي في مجمع البيان وغيرهما [٤] .

كما ظهر هذه اللون من التفسير عند الفخر الرازي في ضوء تفسيره للآية (٥: فصلت)﴿ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ﴾ وكان القرآن عليهم عمي،﴿ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًى ﴾{ فصلت : ٤٤} ، كما قال تعالى :﴿ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ ﴾{ فصلت : ٥}، ((بسبب ذلك الحجاب الذي حال بين الانتفاع ببيان القرآن ، وكل من أنصف ولم يتعسف علم أنا إذا فسرنا هذه الآية على الوجه الذي ذكرناه صارت هذه السورة من أولها إلى آخرها كلاماً واحداً منتظماً مسوقاً نحو غرض واحد))[٥].

وهناك من كشف عن رأيه: إن جمع الآيات في موضوع واحد، ودراستها دراسة منهجية موضوعية كاملة لتعطينا موضوعا واحدا له وحدة موضوعية متكاملة متناسقة لا تباين فيها ولا اختلاف، حتى تلتقي جميع هذه النصوص كلها في مصب واحد، إن كان على مستوى

١/ ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي/ ١٧٥ وما بعدها. ونظرية الوحدة الموضوعية من خلال كتاب الأساس في التفسير/ ٨٨.

٢/ ينظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي، ١/ ١٥٥. ومباحث في التفسير الموضوعي، د. مصطفى مسلم/ ٣٢٠-٣٢١. ونظرية الوحدة الموضوعية، سعيد حوى/ ٥٣. والموسوعة القرآنية المتخصصة، ١/ ٦٩٩.

٣/ ينظر: الموافقات، الشاطبي، ٤/ ٢٦٩.

٤/ ينظر: الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، د. محمد محمود حجازي/ ٢٤. التفسير الموضوعي للقرآن الكريم وموضوعاته، د. حكمت عبيد الخفاجي / ٢٦.

٥/ مفاتيح الغيب، ٢٧/ ٥٧٠.

القرآن ككل أو السورة الواحدة؛ فلم يتعرض لها أحد من المفسرين القدامى [١]. ((ولكن هذا الرأي لا يخلو من تطرّف، فقد قام علماؤنا الأوائل على سبيل المثال بجمع الآيات المتعلقة بفقه القرآن، وأطلقوا عليها اسم آيات الأحكام)) [٢].

فعلى الرغم من الجهد والخدمة الكبيرتين، التي قدمها الدكتور: محمد محمود حجازي، في خدمة الوحدة الموضوعية لكتاب الله ﷻ ، ولهو جهد يشكر عليه.

وعلاوة على ما أبدى به استاذنا الدكتور: حكمت الخفاجي؛ من حَصافة: نقول إن رأي الرجل عبر عن وجهة نظره الشخصية، إذ المتتبع في هذا الفن التخصصي يرى جهوداً قيمةً للمتقدمين من المفسرين وأن ابدى خجولاً، لكن جاز إن يكون العصا التي أعتكز عليها فستوسق فيما بعد حتى أصبح على ما هو عليه اليوم.

١/ الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، / ٢٥.

٢/ التفسير الموضوعي للقرآن الكريم وموضوعاته / ٢٧.

المطلب الأول: أولية الظهور للوحدة الموضوعية.

قبل البحث في دراسة الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم، ثَمَّ تساءل: كيف اتسق للقرآن هذا التأليف المعجز، وكيف استقام له هذا التناسق المدهش؟ على حين أنه لم يتنزل جملة واحدة، بل تنزل آحادًا مفرقة، من أنَّ أي وضع تاريخي يستطيع أن يتحصل عليه الإنسان عند وضع مثل هذه الخطة إزاء الأحداث المستقبلة ومتطلباتها التشريعية، والحلول المنشودة لها، فضلًا عن الشكل اللغوي الذي يجب أن تقدم به هذه الحلول، وتوافقها الأسلوبي بدون تعديل أو لمحات أو وصلات رغم تنوعها الطبيعي وتفرقها التاريخي، أن يجعل منها وحدة عضوية متجانسة يتوافر فيها ما نرجوه من التماسك والجمال، ألا يصدر مثل هذا عن قوة فوق قدرة البشر[١]. لاحَ للبحث من أنها نشأة ربانية ونهج الإلهي، وهذا يعد مكمن من مكامن الإعجاز الإلهي في القرآن الكريم، وينجلي لنا إثبات وإقرار ظاهرًا على إعجازية القرآن ومصدريته، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾{ النساء: ٨٢} .

أن القرآن الكريم تقرؤه من أوله إلى آخره، فإذا هو محكم السرد، دقيق السبك، متين الأسلوب، قوي الاتصال، آخذ بعضه برقاب بعض في سورة وآياته وجمله يجري دم الإعجاز في كله كأنه سبيكة واحدة، ولا يوجد بين أجزائه تفكك ولا تخاذل كأنه حلقة مفرغة، أو كأنه عقد فريد يأخذ بالأبصار، نظمت حروفه وكلماته، ونسقت جمله وآياته، وجاء آخره مساوقًا لأوله، وبدا أوله مؤاتيًا لآخره[٢].

وعليه خطى التفسير صوب وجهة جديدة تقوم على تحديد الموضوع القرآني، وتناوله من جانبه الخاص في القرآن الكريم (وحدة الموضوع القرآني)، إن صلة وحدة الموضوع بالتفسير الموضوعي بائن جلي، لأن الرؤية فيها هو من ناحية مواضيعها وقضاياها، وتقصي الوحدة الموضوعية محكوم بطبيعة الموضوع المدروس وحدوده، إذ تنقسم الوحدة الموضوعية إلى قسمين: قسم بوصفه كلا. وآخر الوحدة الموضوعية ضمن السورة الواحدة.

١/ ينظر: مدخل الى القرآن الكريم (عرض تاريخي وتحليل مقارن)، د. محمد عبد الله دراز/ ١٢٠ ١٢١. مناهل العرفان في علوم القرآن، عبد العظيم الزرقاني ١/ ٥٢– ٥٣.

٢/ ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، ١/ ٥٢– ٥٣.

عند استقراء مساع المفسرين حول تحديد تعريف الوحدة الموضوعية، لم نعثر عليه بهذا المركب الوصفي، إذ لوحظ اغلب التعريفات التي حددت ذلك المفهوم، وأقرها الباحثون والمفسرون، تصب في وصف عمل الوحدة الموضوعية وفعلها وهدفها وفائدتها، والغرض منها والنتائج المترتبة على إبرازها.

وفي ضوء ذلك: يجدر بنا في بيان المقصود من (الوحدة الموضوعية)، إذ وردت تعريفات عده للكشف عن الموضوعية منها: الحط، الدس، التحيز، الكلام المختلق، وغيرها، لكن الذي نروم إلى بيانه هو الصوب الذي يخدم بحثنا، وهي دلالته من جهة نظر المفسرين، كونه موضوع اهتمام دراستنا.

وَضَعَ: الواو والضاد والعين: أصل واحد يدل على الخفض للشيء وحطه. ووضعته بالأرض وضعًا ووضعت المرأة وَلدها، وضع في تجارته يوضع: خسر. والوضائع: قوم ينقلون من أرض إلى أرض يسكنون بها، والرجل الموضع: الذي ليس بمستحكم الأمر [١]. والموضوع: المادة التي يبني عليها المتكلم أو الباحث كلامه، فهو محل العرض المختص به[٢]، فالموضوعية: وصف لما هو موضوعي، وهي بوجه خاص مسلك الذهن الذي يرى الأشياء على ما هي عليه، فلا يشوهها بنظرة ضيقة، او بتحيّز خاص [٣]. كذلك هي: ما تدل عليه الألفاظ من المعاني التي ثبتها الوضع والاصطلاح، وأقرها، الاستعمال، حتى صارت مضامينها واحدة [٤].

فالوحدة الموضوعية: اتحاد الموضوع الذي جاء متفرقًا في القرآن الكريم، إذ لا تباين أو اختلاف فيه، فتتآلف وتجمع لتكون وحده موضوعية كاملة [٥]. فجمع الآيات ذات المعني الواحد ووضعها تحت عنوان واحد، والنظر فيها بما يؤلف منها موضوعًا واحدًا، مستخرجة

١/ ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٦ / ١١٧ – ١١٨ (باب: الواو والضاد وما يماثلهما).

٢/ (أي الأمر الموجود في الذهن) ينظر: التعريفات الجرجاني (ت: ٨١٦هـ) / ٢٣٦. ودراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، زاهر بن عوض الالمعي / ٢٥.

٣/ ينظر: المعجم الفلسفي (بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية)، الدكتور جميل صليبا، ٢/ ٤٥٠.

٤/ ينظر: المصدر نفسه، ٢/ ٣٩٩.

٥/ ينظر: الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، د. محمد محمود حجازي / ٣٣.

من الآيات الكريمة على هيئة مخصوصة، والتفسير الموضوعي هو المرحلة التالية، من تحقيق الوحدة الموضوعية في القرآن، على مستوى القرآن كلاً أو على مستوى السورة الواحدة.

إذًا هي: ((القضية التي تعددت أساليبها وأماكنها في القرآن الكريم ولها جهة واحدة تجمعها، عن طريق المعنى الواحد، أو الغاية الواحدة))[١]. فوحدة الموضوع عدة الخطوة المتقدمة التي في ضوئها تصاغ الروابط العلاقات، فتكون الأساس الذي تبنى عليها الموضوعات.

نتيجة لما تقدم قد يرد تساؤل هل إن لهذا التنوع والاختلاف في المعاني من أثر على الوحدة الموضوعية الذي بطبيعته قد يؤدي إلى اختلاف طريقة البحث من قبل المفسر للكشف عن وحدة الموضوع مما يجعل الاستقصاء في الوحدة الموضوعية يزيد وينقص؟

إن هذا لا ضرر فيه، بدليل إن الهدف واحد وهو تحقيق مراد الله تعالى من ذلك الموضوع.

فهناك من يذكر بهذا الخصوص: والأعجب أنه مع كونه أكثر الكلام افتنانًا وتنويعًا في الموضوعات، هو ايضاً افتنانًا وتلوينًا في الأسلوب للموضوع الواحد، ألا تراه كما يتنقل في السورة الواحدة من معنى إلى معنى، يتنقل كذلك في المعنى الواحد، ومع هذه التحولات السريعة المستمرة، تراه لا يضطرب ولا يختل المعنى، بل يحتفظ بتلك الطبقة العليا من متانته، حتى يصوغ المتصدي لكلامه تعالى من هذه الأفانين الكثيرة المتنوعة، منظرًا واحد مؤتلفًا في الموضوع [٢]. فلفظ (القضية المتعددة والأساليب والأماكن) يخرجها من محل الخصوص إلى العموم، أي تقليب المعنى وإن نزل بمكان وزمان مخصوصين، فننظر فيه من حيث حركية النص القرآني، إذ ندرك إيثاق القرآن مع الواقع، وربط القرآن مع الحياة، لأن التفسير يبدأ من الواقع وينتهي إلى القرآن، وهذا من باب خلود القرآن وصلاحه لكل زمان ومكان، وهذا يعد مكمن من مكامن التفسير الموضوعي التي يسع لكشفها المفسر. فالبحث عن القضايا الخاصة التي عرض لها القرآن الكريم في سوره المختلفة، ليظهر ما فيها من معان خاصة تتعلق بالموضوع العام، الذي نبحثه لنحقق الهدف وهو الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم [٣].

١/ المدخل إلى التفسير الموضوعي، عبد الستار فتح الله سعيد / ١٧.

٢/ ينظر: النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز/ هامش (١٧٨).

٣/ ينظر: الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، د. محمد محمود حجازي / ٣٤.

من شواهد الوحدة الموضوعية في لقرآن، اشتماله على شؤون الدارين وما يتعلق بهما، كما أن وجوه المناسبات بين أي القرآن بعضها مع بعض، وسوره بعض يشهد لهذه الوحدة الموضوعية، في ضوء ذلك لا بد أن يكون كتاباً محكمًا، فجاء وصفه تعالى لكتابه العزيز: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ { هود: ١}﴿ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ ﴾{ الأنعام: ٣٨} وعليه لا بد من أن يكون وحدة موضوعية مترابطة لا خلل ولا نقص فيه [١].

لبيان ذلك مثلا في التشريع: (تحريم الخمر)[٢]، فإنا نجد أن القرآن الكريم تعرض لها في أربع سور وفي كل سورة كان له معنى وغرض، فإذا جمعنا قضاياها ورتبناها حسب النزول بعد بحثها وفهمها والوقوف على سر نزولها لخلصنا من ذلك كله إلى أن موضوع تحريم الخمر الذي ذكر في تلك السور يكون وحدة موضوعية تامة كاملة؛ هي تحريم الخمر تحريما كاملاً، وإنما سلك القرآن في هذا ملاك التدرج والتربية الحكيمة. ولو نظرنا إلى مسألة القتال أو الربا؛ لرأيناها كذلك [٣]. إذًا هي إن يختار محور من محاور القرآن الكريم، تشترك في موضوع واحد، ثم القيام بعملية تدبر لآيات كتاب الله وسوره وكلماته، ثم يعمد إلى توحيد مدلولاتها، للخروج برؤية قرآنية موحده صوب ذلك الموضوع.

المطلب الثاني: صلة التفسير الموضوعي بالمقاصد القرآنية ومزية مراعاتها.

تعد الإحاطة بالمقاصد العامة للكتاب الكريم قاعدة متينة من قواعد التدبر و استنباط الهدى الكامن في القرآن، لذلك جاء الوصم بالذم على أقوام أعرضوا عن التدبر، فإذا هم في غفلة عن الأسرار وشغل عن المقاصد، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴾ {محمد: ٢٤} ، القرآن الكريم الأصل الأول والمرجع الأعلى للإسلام وشريعته، فلا بد وأن يكون مستودع المقاصد الكلية والجزئية ومكامنها؛ والناظر في آياته وسوره يجده يتحدث عن مقاصد وغايات؛ و الكشف عن تلك المكامن لها اثرها في فهم مراد الله من كتابه واستنباط الهدي المضمر فيه ، وذلك بوضع الآيات القرآنية في سياقها العام والكلي، وإرجاع مقاصد الآيات والسور الجزئية

١/ ينظر: منهجية البحث في التفسير الموضوعي للكلمة، والآية، والسورة القرآنية، أ.د. أمين محمد سلام / ٧.

٢/ لم نذكر الآيات لورودها سابقاً من البحث.

٣/ ينظر: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. أحمد السيد الكومي، د. محمد أحمد يوسف / ٤٥ – ٤٦.

إلى مقاصدها الكلية ، إذ معرفتها واستخراج أسرارها من لدن العلماء والراسخين في العلم من باب أولى، بل إن معرفتها من الضروريات [١]. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾{ سورة :البقرة: ٢} .

إن معرفة المفسر إلى المحور الذي تهدف إليه السورة الكريمة بموضوعاتها المتعددة هو الأساس؛ لأن معرفة هذا الغرض سيقود إلى المقصد الكلي للموضوع، فالسورة مهما تعددت مقاصدها لابد من وجود غرض أساس تريد إيصاله للمتلقي، فلابد من الربط بين الأغراض المتعددة وبين المحور العام أو الكلي الذي تدور علية السورة[٢].

يعد التفسير الموضوعي والوحدة الموضوعية أحدهما مكملًا للآخر، فهما نوعان للون واحدة في التفسير، وذلك لإن القرآن الكريم تتجدد معانيه بتجدد الزمان والمكان لا ينضب أو يخلق، فالتفسير الموضوعي يخدم مهمة القرآن ورسالته ووظيفته في حياة المسلمين، فهو الذي يتناسب مع مقاصد القرآن وأولياته، إما وحدة الموضوع موضوع هام وبحث جديد يجب أن تتجه إليه أنظار العلماء بحثا وتنقيبا [٣]. وهناك من تحدث حول الصلة بين آيات السورة الواحدة وبين سور القرآن والسياق القرآني، فتساءلون عن الصلة والسر في تسلسل سور القرآن، على هذه الشاكلة المعروفة، إذ أصبح الكلام في هذا الموضوع، من فروض العصر الذي اشتمل على علوم كثيرة قدمت فهوما جديدة للنصوص مع ابتعاد الشخصية المسلمة عن مقاصد القرآن والتحقيق في معانيه، فكان لا بد من بذل جهد لإعادة المطابقة بحيث تعود الشخصية الإسلامية إلى أن يكون القرآن خلقها، و يعود القرآن إلى الظهور في حياة الأمة المسلمة، فتكون تجسيدا لمعانيه [٤] . من هنا تظهر أهمية المقاصد القرآنية والدور الذي تقوم به في تحصيل عظيم، وعلم جليل، وهو الموضوع القرآني، فمن أراد الخوض في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم

١/ ينظر: الموافقات، الشاطبي ،١/ ٣١. مقاصد الشريعة الإسلامية، الطاهر بن عاشور،٢ / ١٤٢.

٢/ ينظر: تحرير التفسير الموضوعي والوحدة الموضوعية للسورة، أ.د. محمد عمر بن سالم بازمول / ٨٠.

٣/ التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، صلاح عبد الفتاح الخالدي / ٥٠. والوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، د. محمد محمود حجازي / ٢٨.

٤/ ينظر: الأساس في التفسير، سعيد حوى، ١/ ٩-١٠.

أن يكون عالمًا بعلاقة الآية التي يفسرها والموضوع الذي يتناوله، بربطها بالمقصد الخاص والعام للقرآن الكريم ليظفر بأسرار التنزيل ويحقق الهدف الذي من أجله كان التفسير.

مزية علاقة التفسير الموضوعي بالمقاصد القرآنية تحقق ما يلي:

١- ضرورة معرفة المقاصد الكلية ، فالتفسير المطلوب للآيات هو الذي يدور مع مقاصد القرآن الكريم حيث دارت مع التزام السياق واحترام جو السورة وروحها، وعدم اجتزاء الآيات وتحويل العلوم لوسائل لبلوغ المعاني إلى غايات مقصودة لذاتها، فمقصود الآيات يعرف من خلال مقاصد السورة ومن خلال المقصود العام للقرآن الكريم ، ففي ضوء التفسير الموضوعي ، نصل الى مقاصد القرآن العليا وهي مقاصد القرآن العامة، الكلية والجامعة، وهي مستنبطة وملاحظة في عامة سور القرآن وأجزائه، فتلك أغراض القرآن العليا الحاصلة من مجموع أحكامه وحكمه فالقرآن الكريم يبني الحياة الإنسانية بطريقين: الأول إشاعة الحقائق والقيم وغرسها في صدور الناس بشتى الأساليب، رغبة ورهبة وأمثالا وقصصا وبراهين وحججا وهذه حكم القرآن، والثاني بيان الحسن والقبح والحلال والحرام والطيبات والخبائث وهذه أحكام القرآن، ومن جملة الأحكام والحكم نحصل المقاصد العليا للقرآن [١].

٢- تعين على تدبر القرآن الكريم فالتدبر إنما يكون لمن تنبه إلى المقاصد، إذ المقصود من إنزال القرآن الكريم هو فهمه والعمل به، فيتأمّلون دلالة تفاصيل آياته على مقاصده التي أرشد إليها المسلمين، أي تدبّر تفاصيله، فالتدبر المقيد بالمقاصد يصرف عن الوقوع في الخطأ والتقصير، وعليه لا يمكن الأخلال به[٢]. مثلاً: سورة الفاتحة احتوت على ملخص للقرآن الكريم، وبعد بيان المقاصد القرآنية العامة يبدو أنها فعلًا تحتوي على المقاصد الرئيسة للقرآن الكريم. ففي (بسم الله) رمز إلى الألوهية، وفي تقديم الباء تلويح إلى التوحيد، وفي (الرحمن) دلاله على نظام العدالة والإحسان، وفي (الرحيم) إيماء إلى الحشر، كذلك (الحمد لله) إشارة إلى الألوهية، وفي لام الاختصاص رمز إلى التوحيد، وفي (رب العالمين) إشارة على وجود

١/ ينظر: المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر / ١٩ – ٢٤. مقاصد المقاصد الغايات العلمية والعملية لمقاصد الشريعة، د. احمد الريسوني / ١١.

٢/ ينظر: الموافقات، الشاطبي، ٤/ ٢٠٩. وتفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ٤/ ٢٠٠.

الإله القادر الحكيم وإشارة إلى التربية العامة في حق كل العالمين، وفي (مالك يوم الدين) تصريح بالحشر [1].

٣- تحديد أسباب اختيار الموضوع وأهدافه، ففي التفسير الموضوعي نيل المقاصد العامة للقرآن، والتي يمكن التعرف عليها، من خلال مساريين:

الأول: ما جاء التنصيص عليه في القرآن نفسه، من أغراض وأوصاف وتعليلات لهذا الكتاب الكريم وما أنزل لأجله، وما يتحقق بتلاوته واتباعه من نتائج وآثار، مثل:

أ- مقصد الهداية الدينية والدنيوية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾{البقرة: ٢} ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ ﴾{ البقرة: ١٨٥}﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾{الإسراء: }﴿ وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾{ الأعراف: ٥٢}﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ﴾{لقمان: ٢-٣}.

ب- مقصد التزكية وتعليم الحكمة، قَالَ ﷻ: ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴾{ البقرة: ١٥١}﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾{ الجمعة: ٢}﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾ { آل عمران: ١٦٤}.

ت- مقصد الرحمة والسعادة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ { الأنبياء: ١٠٧}﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴾{ الإسراء: ٨٢} ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾ { الأنفال: ٢٤}﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ جَآءُو بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ﴾ { آل عمران: ١٨٤}

١/ ينظر: تفسير الرازي، الفخر الرازي، ١/ ١٨٠. و إشارات الاعجاز في مظان الايجاز (كليات رسائل النور)، بديع الزمان سعيد النورسي/ ٢٤. مقاصد المقاصد الغايات العلمية والعملية لمقاصد الشريعة، د. احمد الريسوني / ١٠.

ث- مقصد إقامة الحق والعدل، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾{ الحديد: ٢٥} ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾{ الصف: ٦} ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ { الشورى: ١٧}.

الثاني: هو استقراء مضامينه وأحكامه التفصيلية، واستنباط العناصر المشتركة الجامعة لما تركز عليه وما تدعو إليه [١].

٤- تعين معرفة المقاصد على تقسيم الموضوع القرآني، وربطه ببعض عن طريق الإلمام بموضوعات القرآن، وحسن اختيار موضوعة [٢]. إذ نرى هناك من أظهر في دعوته بالتأكيد على دور المقاصد في اختيار الموضوع القرآني، وجعلها الأساس الذي لا يمكن التخلي عنه، فجعل طريقته في تصنيف موضوعات القرآن تنبني على ضوء المعرفة الكاملة بمقاصد القرآن وغايته مما يعينه على تحقيق الهدف من تفسيره، وجمع شتات الموضوع تحت مظلة واحدة [٣].

فإذا أختار باحث موضوعًا مثل: (دعوة النبي إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم)، فإن علم الباحث بالمقاصد القرآنية العامة والخاصة سيسهل عليه عندئذ ربط موضوعه بتلك المقاصد، بحيث يدرس الموضوع دراسة وافية وشاملة. فمثلا سيربط الباحث الموضوع بالمقصد الأساسي للقرآن الكريم وهو: دعوة الخلق إلى عبادة الله، وإلى الدخول في دينه، وكيف قام إبراهيم عليه السلام بتحقيق هذا المقصد من خلال الآيات التي تكلمت عنه. ولعل الباحث أيضا سينظر في الآيات القرآنية التي تكلمت عن دعوة إبراهيم من خلال المقاصد الأصلية [٤].

٥- تعين معرفة المقاصد القرآنية المفسر الموضوعي للقرآن الكريم على محاور السورة الأساسية، وربط هذه المحاور بالمقاصد الأصلية والمتممة للقرآن الكريم، فهناك من اهتم بهذا من القدامى كصاحب كتاب :(بصائر ذوي التمييز في الطائف الكتاب العزيز)؛ فيذكر مقصود السورة

١/ ينظر: مقاصد المقاصد الغايات العلمية والعملية لمقاصد الشريعة، د. احمد الريسوني / ١١- ١٣.

٢/ مدخل الى التفسير الموضوعي، د. عبد الستار فتح الله سعيد / ٥٩.

٣/ منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. زياد خالد الدغامين / ٣٧.

٤/ ينظر: مقاصد القرآن الكريم وأهميتها في تحديد الموضوع القرآني، د. عبد الله الخطيب / ١١.

وماهي متضمنة له على سبيل الإجمال[١] وغيره، أما المتأخرون فصلتهم بموضوع المقاصد أكثر ، مرورا بابن عاشور وعبدالله دراز و الطباطبائي، وغيرهم إذ يذكرون في بداية كل سورة مقاصدها أو أغراضها[٢].

٦- ففهم المقاصد القرآنية تعين في تأكيد أنواع الإعجاز القرآني، ذلك لأن أحد مقاصد القرآن هو هداية البشر، وفي تعدد أنواع الإعجاز علاقة مباشرة بهذا المقصد. أضف لذلك: فهناك مقاصد متمة وخاصة تتفرع عن المقاصد العامة، ومن هذه المقاصد التي يمكن استنباطها من خلال ذكر معجزات الانبياء عليهم السلام في القرآن الكريم هو أنما سيقت لأهداف إرشادية كي تحث البشر لتقليد الأنبياء في سلوكهم الإيماني وكذلك ليكونوا مثلاً عالياً لنا نحن البشر في الوصول إلى ما حققوه من معجزات مادية باستخدام سنن الله الكونية وتسخيرها [٣].

٧- حل المشكلات المعاصرة: إن ربط التفسير الموضوعي بالمقاصد العامة للقرآن الكريم يجعلنا ننهل من معين القرآن الكريم وذلك لاحتوى على أسس العلوم كلها، فكيف بالأمور التي تهم البشر في مجال معاشهم؟ إنه من باب أولى أن نجد تلك الحلول الناجعة في كتاب ربنا سبحانه[٤] ، الذي قال عنه: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾{ النحل: ٨٩} ، أن المشاكل البشرية وآفاق المعرفة غير محصورة ما دامت مستمرة الحياة إذ يمكن أن نجابه هذه المشكلات بالنصوص القرآنية، بل نجد المرونة والسعة في الخطوط الأساسية التي تعرض لها آياته الكريمة وفي ضوء علل النصوص وهداياتها العامة وظلالها ممكن أن نحصل على أنوار كاشفة توضح لنا المسار وتحدد لنا المعالم لتقويم كل مستحدث جديد، إذ لا يمكن أن نواجه مشاكل العصر ومعطيات الحضارة إلا بأسلوب الدراسات

١/ ينظر: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ) ، ١/ ٢٨ و ١٨٧ .

٢/ ينظر: تفسير التحرير والتنوير ، ١/ ١٣٣ . النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن ، ١/ ١٦٣. تفسير الميزان ،١/ ٨. نظرية الوحدة الموضوعية من خلال كتاب (الأساس في التفسير: سعيد حوى) ، أحمد بن محمد الشرقاوي / ١١٠ . مقاصد القرآن قراءة معرفية وتقويمية، د. محمد المنتار / ٢٠٧٠

٣/ ينظر: نظرية الوحدة الموضوعية من خلال كتاب (الأساس في التفسير: سعيد حوى) أحمد محمد الشرقاوي / ١١٠ . مقاصد القرآن الكريم وأهميتها في تحديد الموضوع القرآني، د. عبد الله الخطيب / ١١

٤/ ينظر: المدرسة القرآنية، السيد محمد باقر الصدر / ١٩ – ٢٤.

الموضوعية للقرآن الكريم أو بأسلوب التفسير الموضوعي[١] .ففي التفسير الموضوعي يقدم المفسر للإنسان حلولاً قرآنية لمشكلاته الواقعية، ويظهر حقائق قرآنية عن قضايا اجتماعية وحضارية، فالدواء لجميع ذلك في التفسير الموضوعي أهم وأدق وأشمل [٢].

فمن خلال مقاصد القرآن الكريم مع الإحاطة بدلالاتها يمكن للباحث أو المفسر للقرآن الكريم ، من القيام بدوره الريادي(الاجتهاد)، للتوصل إلى أفكار وقواعد عامة جديدة، من تحقيق الغرض المرجو من المقاصد القرآنية، فتوجيه الباحثين لمعالجة قضايا الامة على ضوء هذه القواعد والهدايات المستمدة من مقاصد كلامه ﷻ في تناول الموضوعات القرآنية التي يمكن للباحثين من أدراك معالجة الإسلام للمستجدات الطارئة على الساحة الإسلامية، وحل لمشكلاتها ، لهذا يعد التفسير الموضوعي هو تفسير العصر ومفتاحه بلا منازع، فهو حصيلة أدوار ومراحل مر بها التفسير إذ يمثل خلاصته ونتاجه.

المطلب الثالث: من دعائم الموضوع الواحد في القرآن.

شكلت مسألة الوحدة الموضوعية أساساً في كتب المهتمين بالقرآن الكريم، إذ التشييد الأساسي الذي تقوم عليه علاقة الآيات فيما بينها حتى هناك من وصف القرآن الكريم كالكلمة الواحدة [٣]، فالنظام الرابط بين أجزاء السورة جميعها، يمتد إلى القرآن كله، ومن ثم فإن من تمام بلاغة القرآن وبلاغة المبين للقرآن، أن يتعامل المفسر معه باعتباره وحدة واحدة [٤].

أمتاز القرآن الكريم في عرضه لموضوعاته بطريقة لم يسبق إليها أحد ، فهو في عرضه يتخذ لها أسلوبًا مختص به، أعجز الإنس والجن عن معارضته، فتراه حين يعرفها يأتي بوجوه متعددة و أساليب متنوعة وأفانين متجددة، راعي المقام في كل موقف من مواقفه، ويطابق جميع مقتضيات الحال في كل عبارة من عباراته ، فمرة يكون خبرًا ومرة إنشاء وتارة إظهارًا وأخرى إضمارًا ، كما تتلون بين الماضي والحاضر والمستقبل وهكذا في تلون افانين عرضه ، إنَّ عرضه للموضوع الواحد ذي المعنى المتحدة والهدف المشترك، فانك تجده مع تفرقه في

١/ ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم/ ٣٠- ٣١

٢/ التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي/٥٠.

٣/ ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي ،١/ ٣٦.

٤/ ينظر: التناسب في سورة البقرة، طارق مصطفى محمد حميدة / ١٦.

القرآن الكريم في أماكن عدة ، ومع تباعد اوقات نزوله و تبان أزمان وصوله ، ليس بين آياته مفارقة تشوبه أو تناقض ، بل وحدة واحدة مترابطة متناسقة تكون لك صورة واحدة في أحسن تقويم ، وتعطي صورة متآلفة في أبدع تنظيم ، متكامل البناء، فائق السبك، عظيمة المعني ، متينة النظم ، لا تناكر بين معانيها في العقول والأفهام ولا تباين بين مبانيها في الأسماع والآذان ، بل يكمل بعضها بعضا ويأخذ بعضها بحجز بعض ،كل جزء يستدعي الآخر معه ، وكل لفظ يقع من الثاني موقعه(١). فكرة الوحدة القرآنية، وما كرره السابقون من أن القرآن كالكلمة الواحدة؛ ذلك أن مقتضى وجود الربط بين كل سورة والتي تليها يؤدي إلى الاتصال القرآني من أوله إلى آخره (٢).

وعليه فإن كل معرفة لا بدّ لها من دعائم تستمد منها وجودها المعرفي، والتي تُشكل له المناهل التي تديم بقاءه، ومن دعائم الموضوع الواحد في القرآن ما يلي:

١- النظرة الشاملة الكلية تعين على فهم كتاب الله، كذلك تخدم أمور أخرى كالمعرفة لبعض أسراره، ودحض لشبهة أن هناك افتراقا بين القرآن المكي والمدني، كما أنها تظهر لنا أن هذا القرآن من خلال سياق الآية في السورة، و سياق الآيات بالنسبة لمجموع القرآن و صلات السور بعضها ببعض، يعطينا معاني لا نهاية لها(٣). إن من يفرق النظر في الآيات على أنها منفصلة تماما عن غيرها ولم ينظر نظرة إجمالية عامة في السورة، وفي هدفها العام لم يحصل له إلا فهم ظواهر الألفاظ بحسب الوضع اللغوي فقط، لا بحسب المقصود الأعلى للمتكلم (٤). فهناك من أكد على هذا بإن السورة القرآنية مهما بلغت في تعدد قضاياها فهي كلام واحد يتعلق آخره بأوله، وأوله بآخره، ويترامى بجملته إلى غرض واحد، كما تتعلق الجمل بعضها ببعض في القضية الواحدة، وإنه لا غنى لتفهم نظم السورة عن استيفاء النظر في جميعها (٥).

١/ ينظر: النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، محمد عبد الله دراز/ هامش ١٧٨. التفسير الموضوعي للقرآن، السيد الكومي / ٣٤-٣٥.

٢/ ينظر: مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، عادل بن محمد أبو العلاء / ٣٣. التناسب في سورة البقرة، طارق مصطفى محمد حميدة / ٦٣.

٣/ ينظر: الأساس في التفسير، سعيد حوّى (ت: ١٤٠٩ هـ)، ١/ ٢٧ – ٢٨.

٤/ ينظر: الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، د. محمد محمود حجازي / ١١٢- ١١٣.

٥/ينظر: النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، محمد عبدالله دراز / ٩٢.

٢- تكرار الموضوع، سواء كان للفظ مشترك لفظاً او اختلف في اللفظ الواحد، ليتحقق المنهج الموضوعي للقرآن الكريم في أداء رسالته، فالقرآن الكريم كتاب الله إلى الناس جميعًا، جاء لينقذ البشرية من وهدة الضلالة ويخرجها من الظلمات إلى النور بإذن ربهم، ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم [١]. فهو تكرار متباين واختلاف في المعنى ام هو مترابط في موضوع واحد متكامل تام ذكر في عدة سور، إي في كل سور قضية منه ذكرت ، ثم إذا أخذت هذه القضايا المتناثرة وجمعتها تكون منها موضوع واحد ، وهذا يظهر إنه لا توجد في القرآن كلمة مكررة لمحض التكرار، وإنما هي لغرض حكيم في كل موضع، ولمعنى مقصود في كل موقع، وليس فيه حرف زائد على الإطلاق، وإنما تجتلب فيه الحروف والكلمات ليؤدي كل منها قسطا من المعاني ، لا يؤدي بسواها ، ولا يقوم بغيرها[٢]. قال تعالى : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾{الفاتحة: ٣}، أتراهما مكررتان وبفاصل آية واحدة ، في البسملة كونها آية ، فالرحمتان هما كآية مستقلة في صلب السورة ، بعد أن كانتا بعض آية من البسملة، تأكيدًا للسمة البارزة في تلك الربوبية الشاملة [٣]،﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾{ الروم: ٥٠} ،﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾{ فاطر: ٩} قَالَ ﷻ: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ ﴾{ فصلت: ٣٩} ، وهنا يكمن السر في تكرار الآيات التي تنبه العقول إلى إحياء الأرض بعد موتها كدليل على إمكان البعث [٤].

٣- إن القرآن الكريم يظهر نوعا من إعجازه البديع في (تكراره البليغ) لجملة أو لقصة، فعند إرشاده تعالى لطبقات متباينة من المخاطبين إلى معان عدة وعبر ، إنه يكرر تلك الجمل والآيات لإثباته أن جميع الجزئيات والكليات ابتداء من الذرات إلى النجوم إنما هي في قبضته تصرفه

١/ ينظر: الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، د. محمد محمود حجازي / ٣٦.

٢/ ينظر: مدخل الى التفسير الموضوعي، عبد الستار فتح الله سعيد/ ٧٩. ودراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. عبد المنعم علي إبراهيم القصاص / ٢٧.

٣/ ينظر: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، الشيخ محمد الصادقي (ت: ١٤٣٢هـ)، ١/ ٣٤.. تفسير سورة الحمد، محمد باقر الحكيم / ١٥٥.

٤/ ينظر: تفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، ٦ / ١٥٠ – ١٥١.

ﷻ ، يكررها عند بيان الغضب الإلهي والسخط الرباني لمرتكب المظالم، ولا سيما كثرة تكراره تعالى للفظ :﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1] ، وزجره لهم وإنذاره الرهيب من نزول مصائب سماوية وأرضية بذنوبهم ومظالمهم ، فيلفت الأنظار بهذا التكرار إلى ذلك الفظ ، بعرضه أنواعا من العذاب والمصائب النازلة على قوم عاد وثمود وفرعون وغيرهم ، وعليه فإن تكرار تلك الجمل والآيات عند بيان أمثال هذه الأمور العظيمة الهائلة لا يعد نقصا في البلاغة قط، بل هو إعجاز في غاية الروعة والإبداع، وبلاغة في غاية العلو والرفعة، والجزالة بل فصاحة مطابقة تطابقا تاما لمقتضى الحال [2].

٤- إن الهدف الكلي والوظيفة الأساس التي جاء القرآن الكريم ليؤديها هي تعليم شؤون دائرة الربوبية، وتحقق ذلك في ظل النظر الموضوعي للقرآن وبتأمل آياته، إذ الهدف الأعظم من تنزيل القرآن هو تحقيق الهداية للناس، وهذا المقصد يشكل الوحدة الإيمانية الشاملة التي يخاطب بها عموم البشر [3].

٥- طبيعة الغرض او الهدف الذي تعرض له السورة، قد يكون واحد أو عدة أغراض تدور حولها فتعرض لتحقيق ذلك إلى عدة معان، وتأخذ من كل معنى ما يتناسب مع هدفها، فأغلب السور قد جمعت بين آيات مختلفة النزول زماناً ومكاناً. وهذا يقود الى وجود نوعان من السور، الأول: نوع يشتمل على غرض واحد، وأغلب ذلك في المفصل مثل: سورة اقرأ، وسورة الفيل، والكوثر، والنصر وغيرها، فكل منها جاء لغرض واحد هي النصرة. والنوع الثاني من السور: لم تقتصر على غرض واحد بل جمعت أغراضًا عديدة، وطرق موضوعات كثيرة، ففي (سورة النساء) هدفها الذي تطلعت إليه من أولها إلى آخرها هو: استقرار الأمن العام للدولة بالاستقرار الداخلي للأسرة والمجتمع. واستقرار الأمن العام للدولة بالاستقرار الخارجي للأمة كلها [4]. فكان سلوك القرآن في هذا سلوك العليم الخبير بخلجات النفوس وخطرات القلوب، لهذا تراه جلت قدرته يبدأ السورة ببدء عجيب؛ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾{النساء: ١}، نداء

١/ ينظر: تكرر هذا الفظ (٦٤) مره في القرآن الكريم.

٢/ ينظر: الكلمات (كليات رسائل النور)، بديع الزمان النورسي / ٥١٩ – ٥٢٢.

٣/ ينظر: المصدر نفسه / ٢٩٣.

٤/ ينظر: الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، د. محمد محمود حجازي / ٤٠-٤٢.

للناس جميعاً ليلتفتوا بإنسانيتهم إلى ما سيأتي من الخير لهم جميعها ، وهذا في ضوء الالتزام بالمحافظة على ذلك المجتمع بوضع الحدود والرسوم التي تقوم الميول وتعدل الغرائز، وهذا كله يشرعه الله تعالى لحماية الأسرة من عوامل الانحلال والدمار [1]. بدليل قوله ﷻ :﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ ﴾{ النساء: ٢٦} .

٦- القابلية المتجددة في النص القرآني، وهي انطباقه على مصاديق متجددة إذ يمنح القرآن الكريم إرشادات عامة وقواعد كلية لهداية البشر في حياتهم، وبما أن حياة الإنسان ذات طابع متجدد ومتغير بمرور الزمان، فإن تطبيق القرآن على المواضيع المستحدثة يحتاج إلى تفسير معاصر يتناسب مع تلك المتطلبات، فيتحقق التطبيق من خلال إلغاء خصوصية الآيات كون القرآن هو الملبي لحاجات البشر على مر العصور، فلابد من عرض أسئلتهم ومتطلباتهم عليه، ولا تتحقق هذه الغاية إلا بتدوين تفسير جديد للقرآن يتناسب مع تلك الحاجات [2].

المطلب الرابع: المقاصد القرآنية في ضوء البيان الموضوعي للآيات القرآنية.

بان لنا من إن الدراسات التفسيرية للقرآن الكريم، لم تشر إلى المقاصد بهذا التعبير من الوصف، كذلك في التفسير الموضوعي، إلا إن من الباحثين المحدثين من استخدم ذلك ولنأخذ واحداً منهم في بيان طريقته على سبيل المثال لا الحصر، وليكن د. يوسف القرضاوي في كتابه: (كيف نتعامل مع القرآن) إذ ذكر: فصلاً كاملاً بعنوان (مقاصد القرآن)، وقد تحدث عن ذلك بالتفصيل مدعم قوله بالآيات القرآنية المنسجمة موضوعياً فيما تناوله من موضوعات؛ وهنا نحاول إجمال تلك المقاصد بالاختصار.

المقصد الأول: تصحيح العقائد والتصورات [3]، يتحقق هذا المقصد في ضوء الآتي:

١- إرساء دعائم التوحيد: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾{ النساء: ٤٨}﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾{لقمان: ١٣}﴿حُنَفَآءَ

١/ ينظر: تفسير جوامع الجامع، الطبرسي، ١/ ٣٦٨. وتفسير الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، ٢ / ١٧٢. والوحدة الموضوعية في القرآن الكريم / ٤٣.

٢/ ينظر: منطق تفسير القرآن (أصول وقواعد التفسير)، محمد علي الرضائي / ٣٧.

٣/ ينظر: كيف نتعامل مع القرآن العظيم، د. يوسف القرضاوي / ٧١ – ٧٧.

لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾{ الحج: ٣١ } .

٢-تصحيح العقيدة في النبوة والرسالة وكشف الحاجة لذلك، مع بيان وظائف الرسل في التبشير والإنذار، مع نفي الشبهات عنهم التي أثارها الناس من قديم في وجه الرسل، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ {النساء: ١٦٥}﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ { النحل: ٦٤}﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ { النساء: ١٦٥}.

٣-تثبيت عقيدة الإيمان بالآخرة والجزاء وأقامة الأدلة على إمكان البعث ببيان قدرة الله على إعادة الخلق، كذلك التنبيه على خلق الأجرام العظيمة التي يعتبر خلق الإنسان شيئاً هينا، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾{ الروم: ٢٧}﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ { المؤمنون: ١١٥}﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾{ القيامة: ٣٦}﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾{ ص: ٢٧}.

المقصد الثاني: تقرير كرامة الإنسان [1]: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾{ الإسراء: ٧٠}﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾{ لقمان: ٢٠}﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾{البقرة: ٣٠ }.

١- تقرير حقوق الإنسان: قال ﷻ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾{التوبة: ٧١}﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ﴾{الحجرات: ١٣}﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾{ يونس: ٩٩} .

٢- التأكيد على حقوق الضعفاء خشية أن يجور عليهم الأقوياء، أو يهمل أمرهم الحكام والمسؤولون: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾{الضحى: ٩ }﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ

١/ ينظر: كيف نتعامل مع القرآن العظيم، د. يوسف القرضاوي / ٧٨ – ٨٥.

ٱلْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴾ {المدثر: ٤٢-٤٤}﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾{ الفجر: ١٧-١٨}﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾{ الأنعام: ١٥٢}.

المقصد الثالث: تحقيق عبادة الله وتقواه [١]، فالمقصود الأول من القرآن أن يتعرف الله تعالى إلى خلقه، وأن يصلهم بحبله، وأن يتحبب إليهم بنعمه وفضله، وأن يخوفهم من سطوته وعدله، حتى يعرفوه ويحبوه وينيبوا إليه، ويتحقق هذا المقصد من خلال تحقيق مبادئ العبادة التي جاءت في القرآن: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾{إبراهيم: ٣}﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾{ البقرة: ٢١}﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾{ الحج: ٣٢}﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾{ المائدة: ٣٥} ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ { آل عمران: ٧٦}.

المقصد الرابع: تزكية النفس البشرية فلا فلاح في الدارين إلا بالتزكية [٢]: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ {الشمس: ٧-١٠}﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾{الأعلى: ١٤}﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ مَن تَزَكَّىٰ ﴾{ طه: ٧٦}﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴾{النازعات: ١٨}.

المقصد الخامس: تكوين الأسرة وإنصاف المرأة[٣]، وله جملة مبادئ قد وضع لها القرآن منها:

١- الزواج في نظر القرآن: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾{ البقرة: ٣٥} ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ { الروم: ٢١}.

٢- الزواج ميثاق غليظ: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾{النساء: ٢١}﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾{ النساء: ٢٠}﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾{ البقرة: ١٨٧}.

١/ ينظر: كيف نتعامل مع القرآن العظيم، د. يوسف القرضاوي / ٨٦– ٩٠.

٢/ ينظر: المصدر نفسه / ٩١ – ٩٥.

٣/ ينظر: المصدر نفسه / ٩٦ – ١٠٥.

٣- الذرية الصالحة: قال تعالى:﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ ﴾ { النحل: ٧٢}﴿ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ﴾{ الصافات: ١٠٠-١٠١} ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ﴾{ مريم: ٧}.

٤- التوافق الديني: قال تعالى:﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ ﴾{ البقرة: ٢٢١} ﴿ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ ﴾{ المائدة: ٥} .

٥- إنصاف المرأة وتحريرها من ظلم الجاهلية: قال تعالى:﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم ﴾{النحل: ٩٧} ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ﴾ { النساء: ١}﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴾ { النساء: ١٢٤}﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ ﴾{ آل عمران: ١٩٥}.

المقصد السادس. بناء الأمة الشهيدة على البشرية [1]، ومن أوصافها:

١- ربانية المصدر: قال تعالى:﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ {المائدة: ٣}﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ { الأنعام: ١٦٢} ﴿ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ { الأنعام: ١٦٣} .

٢- الوسطية: قال تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾ {البقرة: ١٤٣}﴿فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ ﴾{طه: ١٣٥}﴿ وَهَدَيۡنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ { الصافات: ١١٨}.

١/ ينظر: كيف نتعامل مع القرآن العظيم، د. يوسف القرضاوي / ١٠٦ – ١١٤.

٣- الدعوة: فهي أمة دعوة ورساله، ليست أمة منكفئة على نفسها، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾{آل عمران: ١١٠}﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾{ آل عمران: ١٠٤}﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ { الأنبياء: ١٠٧}.

٤- الوحدة: وهي إذابة الفوراق بينها وربطها بالعروة الوثقى، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾{ الأنبياء: ٩٢} ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾{ المؤمنون: ٥٢} ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾{ آل عمران: ١٠٣}.

٥- الايمان بالأمة لا ينفي خصوصيات الاقوام، إذ لم تتحول إلى عصبية عرقية تقاوم أخوة الإسلام، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾{ المجادلة: ٢٢}﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾{ التوبة: ٢٣}﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ { التوبة: ٢٤}

المقصد السابع: الدعوة إلى عالم إنساني متعاون [١]، ولهذا المقصد جملة مبادئ منها:

١- تحرير الإنسان من العبودية: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ { التوبة: ٣١}﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ { آل عمران: ٦٤}.

٢-الإخوة والمساواة الإنسانية: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ {الحجرات: ١٠}﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ {هود: ٥٠}﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ﴾{ هود: ٦١} ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾{ الشعراء: ١٠٦} .

١/ ينظر: كيف نتعامل مع القرآن العظيم، د. يوسف القرضاوي / ١١٥ – ١٢٥.

٣-العدل لجميع الناس: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾{الحديد: ٢٥}﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ﴾{ النساء: ٥٨} .

٤-السلام العالمي بدل التنازع والتخاصم: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ {البقرة: ١٩٠}﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾{ الأنفال: ٦١}﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾{ الأحزاب: ٢٥}.

٥-التسامح مع غير المسلمين مع التفريق بين صنف المحاربين لهم في الدين والصنف المسالم: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾{المائدة: ٥}﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾{ الفرقان: ٥٤} ﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ﴾ { الممتحنة: ٨}.

وعليه يجب التحرز من إغفال دور المقاصد سواء في الأسباب أم في الدوافع، وليكن غرض المفسر للقرآن الكريم بوجه عام كشف حقائقه، وأظاهرها بهيئة لافته للنظر مع ذكر حكمة التشريع وجماله ووفائه بحاجات البشر وملاءمته للفطرة السليمة وإطلاقه للطاقات الإيجابية في الإنسان [١].

فدراسة القرآن وفق المنهج الموضوعي فيه إدراك لمقاصده، وهذا في ضوء أدراك حاجات البشرية في عصر المفسر الموضوعي على مختلف جوانبها، الفكرية والنظرية والعلمية والسلوكية والإنسانية والحضارية والسياسية والاقتصادية وغيرها فوعي هذه الحاجات الواقعية وتشخيصها واستيعابها يكون بالتوجه إلى القرآن ليتفاعل معه، ويتعلم منه، ويعرف رأيه في هذه الحاجات والقضايا الواقعية المعاصرة.

١/ مباحث في التفسير الموضوعي ، مصطفى مسلم / ٣٨- ٣٩.

فيجالس القرآن جلسة إيجابية فاعلة، يحاور ويستنطق ويسأل، ويطلب من القرآن رأيه الإيجابي الصادق الصائب في القضايا والموضوعات، التي يعيشها الناس في واقعه وعصره، ويأخذ من القرآن حقائقه اليقينية القاطعة.

عند العمل في التفسير الموضوعي لا بد من أن يعتمد المفسر ضوابط متبعة وقواعد أصلية للظفر في هذا الفن من التفسير، علماً أن منها ما هو محل اجتهاد، إذ قد توسع عند البعض أو تضيق عند البعض الآخر كل حسب سعته في العلم، إن ارتباط مفهوم وحدة الموضوع بمصطلح التفسير الموضوعي واضح جلي، وهو كذلك في التفسير الموضوعي للسورة، لأن النظر فيها من جهة مواضيعها وقضاياها لا آياتها وأجزائها.

قد تأتي السورة في كتاب الله تعالى تتحدث عن موضوع او جانب خاص من قصة أو موضوع متعدد المآخذ نتيجة تعلق ذاك الموضوع الخاص فقط بما يقصده من الكلام دون سائر جزئياتها وتفاصيلها، ثم يعود في سورة أُخرى إلى تلك القصة أو ذلك الموضوع ليذكرها بتفاصيلها وجزئياتها، وأكثر ما يشهد هذا في قصص الأُمم الماضية للاعتبار بها، وهذه طريقة ضرورية في الكتابة لأن القرآن أُنزل لهداية الناس وانتشالهم من الضلال [1].

أما الجانب المنهجي فإنه محكوم بطبيعة الموضوع المدروس ووحدته، لهذا كان لا بد من أن يختلف المنهج بين تفسير الموضوع وتفسير السورة، لأن حدود البحث في كلا النوعين مختلفة وطبيعة الموضوع مختلفة، فلا يستنكر إذن اختلاف المنهج في هذا مادام الاشتراك في المفهوم العام قائما بين هذين النوعين من التفسير، أما الحديث عن اجتهادية الأسس التي يعتمد عليها تفسير السورة فغير وارد لسببين:

الأول: إن علم التفسير في معظمه قائم على الاجتهاد، سواء في ذلك التفسير البياني أو الأدبي أو الفقهي أو العلمي، وسواء في ذلك التفسير التحليلي الترتيبي أو الموضوعي، فلا وجه لتخصيص العمل في التفسير الموضوعي للسورة بأنه أمر التماسي اجتهادي.

الثاني: إن عدم وجود خطة محكمة في هذا الشأن، لا يعني إخراج هذا النوع من التفسير الموضوعي، فالقضية في مجملها تتوقف على تضامن جهود العلماء لبلورة هذا المنهج وتلك الخطة [2].

وعليه فإن تلك الدراسة منها ورد وفق قاعدة أصلية وهي محل اتفاق جميع اهل التفسير . وأخرى جاءت على غير ذلك بل هي محل اجتهاد فقد تتفق وقد لا:

١/ ينظر: مفاهيم القرآن، جعفر السبحاني، ٣/ ٣٢.

٢/ ينظر: منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. سامر عبد الرحمن الرشواني / ٢٤٦- ٢٤٧.

١- القاعدة الأولى التي جاءت عن طريق القرآن نفسه وهو(اختيارالموضوع) التي ستقوم في ضلله الدراسة الموضوعية، ويقصد به اختيار مصطلح معين والبحث عن مفهومه في القرآن الكريم للوقوف على حدود معانيه، والصيغ القرآنية المعبرة عنه، وما يحيط به من شروط وأنواع ونماذج وصور قرآنية عرضها القرآن الكريم، فلو أخذنا مثلاً: موضوع الشورى في القرآن الكريم، فإن مصطلحها لا يتجاوز أربع آيات، ولكن القرآن الكريم عرض لمفهومها ونماذج عنها في عدة آيات وإن لم يصرح بها بذلك اللفظ[١].

لكن كيف يختار المفسر موضوعا ما في ضوء القرآن؛ وعلى أي أساس يعتمد؟

إن مشروعية هذه التساؤلات تنبثق من تنوع المواضيع التي ساقها القرآن وشمولها جميع مناحي الحياة والفكر، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾{ النحل: ٨٩} ، أي أن الانتخاب سيجري هنا في نطاق اللامتناهي واللامحدود ، وهذه المواضيع لم تأت في القرآن مرتبة ولا منسقة ، على أي نحو عرفه الإنسان من قبل أو إعتاد ، كما أنها لم تأت مفصولة معزولة بعضها عن بعض ، بل جاءت متداخلة متشابكة آخذ بعضها برقاب بعض، حتى إنك أحيانا لترى الآية من القرآن، تعالج عددًا من القضايا تدمج بينها في نسق محكم وعبارة متصلة .

إن النظر في مدونات التفسير الموضوعي التأصيلي منها والتطبيقي يوقفنا على طريقتين مختلفتين في اختيار المواضيع المفسرة موضوعياً [٢].

أولاً: تعتمد النص القرآني اصلا تستمد منه الموضوعات وتفسرها من خلاله، وأكثر ما يساعده على ذلك التفاسير التي عرضت (لتفسير القرآن بالقرآن)، مثل: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي، والميزان للعلامة محمد حسين الطباطبائي، وغيرهما.

ثانيًا: أن يضع نصب عينيه السعي لإبراز حقائق القرآن، وعرضها بشكل لافت للنظر مع ذكر حكمة التشريع وجماله، ووفائه بحاجات البشر، فالباحث يفسر الآيات تفسيراً موضوعيًا

١/ ينظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي / ٦١-٦٢.

٢/ ينظر: المدخل الى التفسير الموضوعي، عبد الستار فتح الله سعيد / ٢٨ – ٢٩. ومنهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم /١٤١- ١٤٢.

بحسب المقاصد القرآنية، ويعمل على استخراج الدلالات والعبر والتوجيهات القرآنية التي أحاط بها، تنظر في الواقع مصدر المواضيع التي يراد تفسيرها قرآنياً ،ربط الواقع بالقرآن [1].

وبالتتبع يظهر إن من أولويات البحث الموضوعي العلمي ، أن يذكر الباحث أو المفسر الأسباب المهمة التي جعلته يختار الموضوع ، كذلك يذكر الأهداف المرجوة إزاء البحث في هذا الموضوع، وإن للمقاصد القرآنية دورًا جليًا في الدوافع والأسباب، ولا يمكن بحال الاستغناء عنها، فإذا ما ذكر المفسر أسباب اختيار موضوعه، أو أهدافه ولم يوطد من صوبه للمقاصد القرآنية ، فما هي بأسباب ولا أهداف أيضا؛ وإذا ذكر جدلا أنها أسباب وأهداف، فإنها – في الغالب – لن تكون خادمة للقرآن الكريم كونها لم تعد متأصلة من ثوابته – وجوهره – وإضاءاته.

٢- استخلاص النظرية القرآنية، وليس المقصود ذاك التصور القائم على الافتراض واجتهاد الرأي المذموم، فهذا مستبعد في دراسة القرآن الكريم؛ لأنه لا ينطق بالحق، وما نقصده هو: محاولة الخروج بتصور يشكل بناء محكمًا تتصل لبنات هيكله بعضها ببعض مستندة في تماسكها وترابطها إلى حقائق تشهد لها آي الذكر الحكيم ، في علم من العلوم وكثير من النظريات التي يمكن أن تدرس في القرآن الكريم تأتي من جانب علم الاقتصاد والاجتماع والتربية وغيرها نظرًا إلى حاجة هذه العلوم إلى نظريات إسلامية صحيحة تستمد هديها من ضوء القرآن الخالد، فالمفسر الموضوعي يجمع بين المدلولات التفصيلية للآيات وينسق بينها ويصل بين جزئياتها المفردة وبين الكل العام الجامع لها ويستخرج من مجموعها نظرية قرآنية واقعية متكاملة [2].

ولكي تكون أسباب اختيار الموضوع المتوخاة، وأهدافه المرجوة مثمرة، حاجة لزم تفهم المقاصد وتمثلها، فالمقاصد والأسباب والأهداف كلها حلقات مترابطة لا ينفك أحدها عن الآخر إلا بوجود خلل في أحدها، وهذا ما لا يرتضى في الموضوع القرآني كونه كلام الله ﷻ ولا يجوز التصريح به وفق الراي المذموم.

١/ ينظر: المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر / ٢٢. ومباحث في التفسير الموضوعي، د. مصطفى مسلم / ٣٩. والمدخل إلى التفسير الموضوعي، عبد الستار فتح الله سعيد / ٢٨ – ٢٩. ومنهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. سامر عبد الرحمن الرشواني /١٤١– ١٤٢. والتفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي /٣٣–٣٤.

٢/ ينظر: المدرسة القرآنية / ٢٢. ومنهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم /٢٤٦.

٣- المعرفة الكافية بالتفسير الموضعي، حاجة من يخوض في التفسير الموضوعي أن يدرك المقاصد القرآنية، فبدون علم بالتفسير الموضعي، سيقع في أخطاء لا محالة، ويحيد عن معاني وموضوعات القرآن فالتفسير الموضعي شرط للتفسير الموضوعي، وهو تمهيد له لا بد من أن يسبقه، ولا يجوز أن يخطو الخطوة الثانية، بمعزل عن الأولى [١] .

٤- رعاية الانسجام البنائي والمضموني للقرآن أي الأصول الموضوعية للتفسير، فعلى المفسر أن يدرسها قبل دخوله لعملية التفسير، ثم عليه أن يراعيها أثناء تفسيره، مثال ذلك: إن مراعاة ذلك الانسجام للقرآن وعدم تحريفه وهدفية القرآن والبناء على تواتر القراءات القرآنية، كل ذلك سيلقي بظلاله على تفسير القرآن، وكل تفسير مخالف لتلك الأصول الأساسية ساقط عن الاعتبار، ومن أهم تلك الأصول الموضوعة هو أن يكون التفسير وفقًا للقراءة المتواترة للمسلمين [٢]. فمن اللازم ألا يكون تفسير القرآن مخالف للقراءة المتواترة. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾{ البقرة: ٢٢٢}،كلمة (يطهرن) جاءت في هذه الآية غير مشددة وهي تعني الخروج من الحيض، وهذا يطابق القراءة المتواترة وقراءة حفص عن عاصم وبه أراد الله تعالى من عباده العمل بالراجح وليس المرجوح ، ولكن القراءات الأخرى مثل:قراءة حمزه بن حبيب الزيات (ت: ٨٠هـ) والكسائي قرأَ بالتشديد ، فقام بعض المفسرين بتفسير الآية على أساس القراءة الأولى (أي: بدون التشديد) طبقاً ما للقراءة من توجيه للمعنى الصحيح ، كما لا يصح ردها أوردها [٣].

٥- إن ضعف المستوى العلمي لدى المخاطبين بالقرآن وتفاوت مستوياتهم من حيث العلم والمعرفة، يعطي تصوراً منقوصاً، وبالرجوع قليلا الى صاحب الميزان في تعريفه للتفسير:(وهو بيان معاني الآيات القرآنية والكشف عن مقاصدها ومداليلها)[٤]. فالوصول إلى معاني المتن هو مقصود النص القرآني والمعنى المراد للمتكلم ﷻ ، والنصوص المقدسة هي رسائل وتعاليم

١/ ينظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي / ٥٠.

٢/ ينظر: منطق تفسير القرآن (أصول وقواعد التفسير)، محمد علي رضائي / ٤٢٠ – ٤٢١.

٣/ ينظر: تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي ، ٢/ ٨٥ . ومنتهى المطلب، العلامة الحلي (ت: ٧٢٦هـ) ،١/ ١١٢-١١٧. وجامع المقاصد، المحقق الكركي (ت: ٩٤٠هـ)، ١/ ٣٣٣. وتفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، محمد بن محمد رضا القمي (ت: ١١٢٥هـ) ،٢/ ٣٣٠.

٤/ محمد حسين الطباطبائي ، ١/ ٤ .

إلهية للبشر، وإن هدف المفسر هو إدراك المعاني والتعاليم النهائية التي يتضمنها المتن، وهذا كله يكمّن في سلوك المنهج المتعارف والعقلائي في فهم النص [1]. فالنبي ﷺ وأهل البيت عليهم السلام حيث احتلوا المراتب العلا من العلم، وأما البعض الآخر من الذين يفتقرون إلى العلوم والقواعد الضرورية والمقدمات اللازمة، فهم لا يتمكنون من فهم وإدراك بعض النصوص القرآنية، وهذا لا يختص بالمخاطب المعاصر ، بل يتعداه إلى الصحابة في صدر الإسلام، فإن بعضهم كان يواجه مشكلة في فهم الآيات[2] .

بدليل ما حكي عن ابن عباس في معنى قوله تعالى: ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾، حيث قال: كنت لا أدري ما﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتهما، أي أنا ابتدأتها [3]. ومن هنا لابد من امتلاك النظرة الفاحصة والعلم الكافي للفهم والمعرفة المتوخاة من النص، وعليه إن معرفة أساليب العرب تعد أحد القواعد التوافقية لفهم معنى النص، وهذا أصل لابد من الرجوع إليه لدى جميع المفسرين، لأجلاء المعنى وفهمه، بدليل قوله ﷻ :﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴾{ الشعراء: ١٩٥}﴿ وَلَوۡ نَزَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ بَعۡضِ ٱلۡأَعۡجَمِينَ ﴾{ الشعراء: ١٩٨} . فإنّ ظاهر التفسير يجري مجرى تعليم اللَّغة الَّتي لا بدّ منها للفهم، ومن ادعى فهم أسرار القرءان ولم يحكم ذلك فهو كمن يدعى البلوغ إلى صدر البيت قبل مجاوزة الباب، أو يدعى فهم مقاصد الأتراك من كلامهم وهو لا يفهم لغة الترك [4].

٦- من الأمور التي لها علاقة بالنص هي، أن تكون للمتصدي إحاطة تاريخية بالأزمان التي رافقت نزول النص وما وقع فيها من أحداث، إذ النظر في تاريخ نزوله وأسبابه، ثم في البيئة التي نزلت فيها أحد الطرق والإجراءات التي استعان بها كثير من العلماء من أجل فهم أعمق لمضمونها وتحديد أدق لمقصودها ومحورها، ليسهل ذلك من ضع النصوص التشريعية في

١/ ينظر: دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن، محمد علي الرضائي / ٣٠٢.
٢/ ينظر: منطق تفسير القرآن (أصول وقواعد التفسير)، محمد علي رضائي/ ٣١- ٣٢.
٣/ ينظر: معاني القرآن، أبو جعفر احمد بن محمد النحاس (ت: ٣٣٨هـ) ، ٥/ ٤٣٥ .
٤/ ينظر: إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ٣/ ٥٢٨.

موضعها ألزمني الصحيح، وفي أجوائها وملابساتها الخاصة. وما انطوت تلك الملابسات على قرائن يصلح بعضها لصرف ذلك النص عن ظاهره أو تقييده في حدود تلكم الملابسة [١].

وعليه إن معرفة ما أنزل فيه من الأسباب، تعد أول ما يجب إن ينصرف الذهن للعناية بها والوقوف عليها، لتعلق معرفة تبيان الآية وقصد سبيلها [٢].

مثلاً: في (سورة المؤمنون) يرجعها الشاطبي إلى قضية واحدة، بالرغم من اشتمالها على معان كثيرة، إنما انطلق في رأيه من مقصد عام هو مكيتها، وغالب المكي مقرر لثلاثة معان: اقرار وحدانيته تعالى، والنبوة لمحمد ﷺ ، وإثبات البعث واليوم الآخر. إذ وجد إن هذه المعاني أوضح الوجوه [٣]. فالظروف التاريخية التي رافقت النزول تعد أداة مساعدة على فهم المحتوى الكلي للنص من حيث مقاصده وغايته، بينما تبقى هي في حد ذاتها أمر خارجا عن النص نفسه، وتسهم في إضاءته فحسب، وعليه فلا يصح ربط هدف النص ومقصده بسبب نزول خاص بل لا بد من الخلوص من الجزئي إلى الكلي الذي لا ينحصر في زمان أو مكان (عالمية القرآن وخلوده).

٧- عدم الاستغراق في التتبع الطويل وراء القضايا اللغوية والفقهية والعلمية في ضوء التفسير الموضوعي ، كي لا ينح الموضوع القرآني إلى ما جنح إليه التفسير التقليدي، إذ هنالك من أكد على ضرورة الانطلاق من المقاصد في كل مرحلة من مراحل الموضوع ، فالبعد عنها يؤدي إلى البعد عن المقصد ، إذ التفسير الموضوعي نوع علمي منضبط ومحدد، يدور فيه الجهد حول جمع الآيات، واستخلاص حقائقها المباشرة، أو استنباط معانيها وخطوطها الجامعة، فلا يجد المفسر فرصة للاستغراق في لونه الفني الذي طغت على التفسير قديما كالنحو ، والأعراب، والجدل الكلامي ، والاستطراد الفقهي وغيرها ، قد يذكر شيئًا من هذه الفنون حسب

١/ ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ١/ ٢٢. ومنهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. سامر عبد الرحمن رشواني/ ٣٢٦.

٢/ينظر: أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي الواحدي (ت: ٤٦٨هـ) / ١٠.

٣/ ينظر: الموافقات، ٤ / ٢٧٠.

تعلق الأمر بذلك ، لكن لا يقطع عليه موضوعه الأصلي الذي يبحث فيه لبيان مقاصد النص المتوخاة[١].

٨- سلامة روح ونفس المفسر الموضوعي للقرآن الكريم من الأمراض القلبية والمفاسد الأخلاقية الشهوية والسياسية والأغراض الدنيوية (من كل فكرة سابقة في الذهن)؛ وذلك لأن من كان في قلبه زيغ ومرض، لا يتمكن من فهم المقاصد الحقة للقرآن، إنما يفسر القرآن على أساس رأيه وسليقته الشخصية [٢].

لهذا يجب التحرز من خطورة التعصب في كل عمل، وبوجه أخص في درس الموضوع القرآني، يقول الدكتور: زياد خليل الدغامين بهذا الخوص :((لا ينبغي أن يدخل المفسر إلى الموضوع القرآني بمقررات سابقة، أو بأفكار مذهبية؛ لأن دوره يتمثل في القيام بعملية استقرائية استكشافية باحثة عن المواقف والحقائق والأصول القرآنية الخالصة، يريد أن يسير مع النص القرآني، لا أن يسير النص القرآني معه ليوافق هوى في نفسه، أو مصلحة يبتغيها من وراء ذلك النص، كما فعل أصحاب المذاهب والفرق الضالة)) [٣]، أي النأي من اضفاء الآراء الشخصية، والاحكام المسبقة على القرآن، بل يجب أن يكون المفسر للقرآن، في صدد فهم القرآن فهمًا صحيحًا علمياً تخصيصاً محايداً، محاول تشخيص النظرية القرآنية النهائية من خلال خلاصة الآيات وجمعها وحصر الروايات ودراستها، وكذلك ممارسة الأدلة العقلية والعلمية، لا أن يكون في صدد إثبات آرائه بالقرآن، وبعبارة أخرى يجب أن يتناول ببحثه تفسير القرآن لا تفسير عقائده أو آرائه الشخصية [٤]. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ {النساء: ٤٦}، من هنا أنذر الله تعالى عن ذلك بإخباره :﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ ﴾{ آل عمران: ٧} ، كما كيف يراد بمثل هؤلاء أن تفهم حقائق القرآن ، وقد أخبر عنهم ﴿ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا

١/ مدخل الى التفسير الموضوعي، د. عبد الستار فتح الله سعيد / ٥٣.

٢/ ينظر: دروس تمهيدية في القواعد التفسيرية، علي أكبر المازندراني، ١/ ٥٦- ٥٧. ودروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن، محمد علي الرضائي / ٣٠٢- ٣٠٣.

٣/ منهجية البحث في التفسير الموضوعي/ ٤٤.

٤/ ينظر: منطق تفسير القرآن (أصول وقواعد التفسير)، محمد علي الرضائي / ٤٢٣.

يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ { الأعراف: ١٧٩}﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾{ الأنعام: ٢٥}. في ضوء ما سبق تتضح حظوة انطلاق الباحث او المفسر من مقاصد القرآن، فلو أحرز المفسر تدبره منها لصح منهجه ومساره، ونبذ كل الاسقاطات الذهنية المسبقة في الذهن، وأيقن أن هذا القرآن، كتاب هداية وصلاح للناس جميعًا، وأنه كتاب علم ومعرفة وتربية وتوجيه وسلوك، به يفلح الناس يخرجهم من العمى الى البصيرة.

٩- من القواعد التفسير الموضوعي، طلب التفسير أولاً من القرآن الكريم نفسه، فما أجمل منه في مكان فقد فسر في موضع آخر وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر منه [١]. فإننا نجد فيه أيات تحيل إلى آيات أخرى في موضوعها، ولا تفهم إحداها إلا بالأخرى، وهذه دلالات وإشارات مبكرة، تقرر أهمية النظر الموضوعي في الآيات الكريمة [٢]. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ﴾{النحل: ١١٨}، فهذه الآية الكريمة أحالت إلى ما نزل قبلها ، ولا بد من الرجوع إليه لنفهم من المحال عليه تفصيل هذا الإجمال ، وهو قوله تعالى :﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾{ الأنعام: ١٤٦}. ومن ذلك أيضاً قولة تعالى خطاباً للمسلمين، كما ورد في أول سورة المائدة :﴿ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾{ المائدة: ١}. فقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ يعني المحرمات، وهنا يأتي دور التفسير الموضوعي للقرآن، كون هذا لا يفهم من السياق نفسه لا بعد الرجوع إلى ما نزل ﷺ قبل هذه الآية:﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ { الأنعام: ١٤٥} ، وما أنزل بعد هذه الآية في سورة المائدة : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ

١/ينظر: جواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي ،١/ ٩٨. و الأتقان في علون القرآن، ٢ / ٤٦٦.

٢/ ينظر: الاعتصام، الشاطبي، ١/ ٥١- ٥٣. والمدخل الى التفسير الموضوعي، عبد الستار فتح الله سعيد/ ٢٨- ٢٩. ودروس تمهيدية في القواعد التفسيرية، علي أكبر المازندراني، ١/ ٥٨.

وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ ﴾ **{ المائدة: ٣}**، لقد شكلت دراسة الوحدة الموضعية للقرآن في هذه الآيات، نسقاً مهماً في الكشف عن التحريم، ولم تتحصل المعرفة في ضوء دراسة تلك الآيات بمفردها وفصلها موضوعياً عن بعضها، فإننا نجد في هذه الآيات أحالة إلى آيات أخرى في موضوعها، ولا تفهم إحداها إلا بالأخرى [١].

أما (السنة النبوية): فما قيل في مقصديه القرآن الكريم، يقال في مقصديه السنة النبوية من جهة كونها مبنية لأحكام القرآن وشارحة ومدعمة لها، ومن جهة كونها مبرزة لمقاصده وأسراره، فالنواحي المقصدية التي أقرها القرآن الكريم في الجملة هي التي عملت السنة على إبرازها وتأكيدها، بحكم العلاقة الوثيقة بينهما في بيان الشرع [٢]. فالقرآن الكريم أتي بالتعريف بمصالح الدارين جلبا لها، ودفعاً لمفاسدهما ، وإذا نظرنا إلى السنة وجدناها لا تزيد على تقرير هذه الأمور، فالكتاب أتي بها أصولا يرجع إليها، والسنة أتت بها تفريعا على الكتاب وبيانا لما فيه منها [٣].ومن ذلك: ما رواه ابن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾{ الأنعام: ٨٢} ، فشق ذلك على الناس ، فقالوا يا رسول الله ﷺ : وأينا لا يظلم نفسه؟ قال : إنه ليس الذي تعنون ، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾{ لقمان: ١٣} ، فهذه إشارة نبوية واضحة بأن اللفظ الواحد قد تكون له معان متعددة في القرآن الكريم ، كما أفادنا من الظلم يعني الشرك[٤].

١٠- أن إدراك الوحدة الموضوعية الكلية ليس بالأمر الهين إنما يحتاج إلى بحث ودراسة، وقد تختلف فيه أنظار الباحثين والمهتمين بهذا اللون من التفسير [٥]. يستنتج البقاعي مثلاً: موضوع السورة من اسمها، وقد ظهر له ذلك بعد وصوله إلى سورة سبأ ، فتبين له أن اسم كل سورة

١/ ينظر: مقاصد القرآن الكريم قراءة معرفية تقويمية، د. محمد المنتار/ ٢٠٦٤.

٢/ ينظر: المصدر نفسه/ ٢٠٦٤.

٣/ ينظر: الموافقات، الشاطبي ٤/ ٣٤٦.

٤/ ينظر: مفردات الفاظ القرآن، الراغب الاصفهاني / ٥٣٧- ٥٣٨ (ظلم). الاعتصام، الشاطبي، ١/ ٥١- ٥٣. والمدخل الى التفسير الموضوعي، عبد الستار فتح الله سعيد / ٢٩.

٥/ ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي ، ١/ ١٨.

مترجم عن مقصدها؛ لأن اسم كل شيء تلحظ المناسبة بينه وبين مُسماّه عنوانه الدّال إجمالا على تفصيل ما فيه، ومقصود كل سورة هاد إلى تناسبها ، سورة الفاتحة : مع الفاتحة هي أم القرآن، وأم الكتاب، والسبع المثاني والأساس، والحمد، وغيرها فمدار هذه الأسماء على أمر خفي، كاف لكل مراد [١] ، وهناك سور سميت بلفظ اختص بها، كالزخرف والشعراء والحديد، والماعون وغيرها، فهذه أسماء لا تنبئ عن مقصود السورة، ولكنها كالشّامة والسّمة تتميز بها مسمياتها، وكانت العرب تسمي الرجال والأشياء هكذا، مثل تأبَطّ شراً، وهكذا تعبير منطقي يميز المعاني بعرض خاص ليس في شيء من حقيقة المعنى[٢].

١١- من القواعد الاصلية للنص القرآني الترابطية في جمع الآيات وتقسيم الموضوع إلى عناصره المترابطة حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعنى منتظمة المبنى [٣]. في هذه الخطوة يقوم المفسر بعملة الرصد والجمع لآيات القرآن الكريم ، فهو عمل يستلزم نظر وتمحيص عالي ، وفي هذه الحالة وجوب أن تكون المقاصد القرآنية حاضرة في فكره وشاخصة نصب عينيه، ليتسنى له تقسيم الموضوع إلى عناصر مترابطة متماسكة، إذ عد هذا العمل شبيه بعمل المهندس لا يستطيع أن يعمل مخططًا مترابطًا إلا في ضوء ثوابت كلية يجب أن يستشعرها في كل مرحلة من مراحل وضعه لذلك المخطط، كذلك فإن المفسر الموضوعي لا يكون تقسيمه سليمًا ومترابطًا إلا بضرورة وجود المقصد القرآني في كل مرحلة من مراحل ذلك التقسيم، واتباع المنهج العلمي من حيث جمع الآيات ، مثال على ذلك : الكيفية التي حرم فيها الخمر، فقد نزلت الآيات في تحريمها بأحد أساليب القرآن الكريم في نزوله، وهي حكمة التدريج، فالمفسر الموضوعي لن يتمكن من ترتيب الآيات ترتيبا منطقيا ما لم يكن مدركا للمقصد القرآني من وراء ذلك [٤].

وبهذا فقد تكاثرت الروايات الواردة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام التي تبين وتصرح بأهمية مراعاة الارتباط بين أجزاء القرآن الكريم بعضها ببعض وصولاً إلى فهم وتفسير صحيحين لمراد الله

١/ ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١/ ١٨و ٢٩٠.

٢/ ينظر: مناسبات الآيات والسور، أ. د. أحمد حسن فرحات / ٣٠ – ٣١.

٣/ ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي ،١/ ٣٦

٤/ ينظر: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، محمد عبد السلام الحضري / ٢٠. ومحاضرات في التفسير الموضوعي، أ.د. حكمت عبيد الخفاجي، الدراسات العليا – جامعة بابل – كلية العلوم الإسلامية، ٢٠١٩م.

سبحانه، قال جابر بن عبد الله الجعفي (ت: ١٢٨هـ):((سالت أبا جعفر الصادق عليه السلام عن شيء من التفسير فأجابني، ثم سألته ثانية فأجابني بجواب آخر؛ فقلت: جعلت فداك أجبتني في هذه المسالة بجواب غير هذا قبل اليوم؛ فقال عليه السلام : يا جابر أن للقرآن بطنا وللبطن بطنا، يا جابر أن الآية يكون أولها في شيء وأوسطها في شيء وهو كلام متصل متصرف على وجوه))[١].

ومن الذين برعوا في استعمل هذه الطريقة (التفسير حسب الموضوع)، المجلسي في مؤلفه (بحار الأنوار)، إذ جمع الآيات المرتبطة بكل موضوع في أوّل الأبواب، وفسّرها تفسيراً سريعاً وهذه الخطوة القصيرة خطوة جليلة في عالم التفسير [٢].

١٢- قاعدة العناية بجري القرآن في إرشاداته مع الزمان والمكان والأحوال في أحكامه الراجعة للعرف والعوائد، كما هو الحال في قصص القرآن إذ انسلاخها من قيدها الزماني الذي جرت فيه تلك القصة ، فيستخرج لب المعنى من آياتها ويستخدمها كقاعدة وقانون كلي للإجابة على الاسئلة والمشاكل التي تواجه الفرد والمجتمع، وهي قاعدة جليلة القدار والنفع ، إن الله تعالى أمر عباده بالمعروف، وهو ما عرف حسنه شرعاً وعقلاً وعرفاً، ونهاهم عن المنكر وهو ما ظهر قبحه شرعا وعقلا وعرفًا[٣].قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾{ البقرة: ٢٢٨}،﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾{ النساء: ١٩}،الإفادة من هذه القاعدة في البيان الموضوعي للقرآن ، والذي يتحقق في ضوء بيان حقوق الزوجين في عشرتهما وأداء حق كل منهما إلى الآخر إلى المعروف المعتاد عند الناس على حسب أحوالهم المعيشية، وأقطارهم، والوقت الذي يعيشون فيه[٤].

١٣- النظر في مناسبة فواتح السور وخواتمها، فمن المفسرين من ألتفت إلى هذه القاعدة فجعلها أحد فروع علم المناسبة، وألف فيه السيوطي كتابا سماه (مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع)، فقد جاء في سورة القصص أولها، ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ {القصص: ١٧}، وفي آخرها:﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ﴾ { القصص: ٨٦} ففي أولها: هجرة النبي موسى عليه السلام من

١/ المحاسن، حمد بن محمد بن خالد البرقي (ت: ٢٧٤هـ)، ٢/ ٣٠٠.

٢/ ينظر: مفاهيم القرآن، جعفر السبحاني،٣/ ٣٥

٣/ ينظر: دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن، محمد علي الرضائي / ٣٠٢.

٤/ ينظر: القواعد الحسان لتفسير القرآن، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت: ١٣٧٦هـ) / ٦٢.

موطنه والعودة إليها، وفي آخرها هجرة النبي محمد ﷺ من بلده والعودة إليها[١]. وبهذا الخصوص قال الشاطبي: ((ليكون على بال المتفهم من الألتفات إلى أول الكلام وآخره بحسب القضية وما اقتضاه الحال فيها لا ينظر في أولها دون آخرها ولا في آخرها دون أولها فإن القضية وإن اشتملت على جمل فبعضها متعلق ببعض لأنها قضية واحدة نازلة فى شيء واحد فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله وأوله على آخره وإذ ذاك يحصل به مقصود الشارع فى فهم المكلف فإن فرق النظر فى أجزائه فلا يتوصل به إلى مراده فلا يصح الاقتصار في النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض))[٢]. وهناك من يرى إن النظر في السورة فيه دلالة وإرشاد إلى وحدة السورة، بكشفه عن موضوعها المحوري، الا إن السورة يكون غرضها واحد في أولها وآخرها فهذا ليس متحقق في جميع سور القرآن[٣].

١٤- الجد في معرفة قضايا السور أو مقاصدها (النظرة الصحية في التفسير)، وبهذا الخصوص على سبيل المثال أن (سورة البقرة) على طولها تتألف وحدتها من: مقدمة، وأربعة مقاصد، وخاتمة. على هذا الترتيب، **المقصد الأول:** في دعوة الناس كافة إلى اعتناق الإسلام. **المقصد الثاني:** في دعوة أهل الكتاب دعوة خاصة إلى ترك باطلهم والدخول في هذا الدين الحق. **المقصد الثالث:** في عرض شرائع هذا الدين تفصيلًا. **المقصد الرابع:** ذكر الوازع والنازع الديني الذي يبعث على ملازمة تلك الشرائع وينهى عن مخالفتها. **الخاتمة** في التعريف بالذين استجابوا لهذه الدعوة الشاملة لتلك المقاصد وبيان ما يرجى لهم في آجلهم وعاجلهم [٤].

١٥- ضرورة الالتزام من إرجاع المتشابه في القرآن إلى محكمه في التفسير، إذ إن القرآن كتاب منسجم لا تناقض أو تضاد فيه، والمخالفة بمعنى عدم الانسجام الظاهري، كالجمل العامة والخاصة أو المطلقة والمقيدة، وغيرها مما يمكن فيها الجمع العرفي وبه يرتفع ذلك الاختلاف. ومثالنا في حمل المطلق على التقييد، في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾{

١/ ينظر: مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع – بحث في العلاقات بين مطالع سور القرآن وخواتيمها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) / ٥٨. معترك الأقران في إعجاز القرآن ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، جلال الدين السيوطي،١/ ٥١.

٢/ الموافقات، ٤/ ٢٦٦.

٣/ ينظر: منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. سامر عبد الرحمن رشواني / ٣٥٢.

٤/ ينظر: النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد بن عبد الله / ١٩٦- ١٩٧.

الشورى: ٥} ، فأفادت الآية استغفار الملائكة لمطلق اهل الأرض سواء أكان مؤمنًا أم كافرًا، وقد قيد هذا الاطلاق بالمؤمنين في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ { غافر: ٧} ، فجعل استغفار الملائكة وحملة العرش للذين آمنوا ، فلا ريب ان الآية الأولى يراد منها المقيد[١]. وبهذا يلحظ الأثر الإيجابي، إذ لا بد من الرجوع إلى المحكمات لدفع الغموض الحاصل، في فهم النصوص وتدبرها التي أمرنا الله ﷻ بمعرفتها في ضوء المحكم من الآيات التي بها يستقم ويفهم المراد من معنى النص ورفع الاشكال الذي يحصل للوهلة الأولى من فهم النص.

١٦- تضلع المفسر في كيفية تتبع آي القرآن الكريم، وطريقة التدرج في بيان مفاهيمه العقلية، ومعارفه المتنوعة، إذ يستدل على مفهوم في بعض السور باستدلال معين، ثم يعود إلى استدلال آخر لنفس المفهوم في سورة أخرى، فتتكرر الأدلة في عدة أمكنة وتذكر حسب المناسبات التي تقتضي ذلك. فموضوع المعاد، والرجوع إلى حياة جديدة من المسائل القرآنية المهمة، التي أستدل القرآن له بأدلة متنوعة ولكنها موزعة لكل واحدة منها نكتة خاصة، فالقرآن الكريم أشبه بحديقة غناء، مليئة بالأزهار الملونة، وقد وزعت توزيعا جميلاً تأخذ بالأبصار، لكن بالرغم من أنها موزعة، إلا أن فيها دقة، لأن كل واحد منها وضع في مكانه اللائق به[٢].

وبالتالي قد تكون قواعد أخرى ذكرها العلماء، ولكن اكتفينا بذكر الأهم منها، وهدفنا من وراء ذلك المساهمة في الدفع بالتفسير الموضوعي، وحث طلبة العلم في استظهار حكمه وأسراره، كي يؤدي دوره في واقع الحياة، فبات بحق تفسير العصر الذي اسفرت فيه مقاصد القرآن في أجل ملامحها، فلكل أوان حذاقه الذين يعايشون الواقع وما يعتريه من وقائع ومستجدات، فيجتهدون ويفسرون وهم على بصيرة من أنهم لم يأتوا بالقول الفصل، ولكنهم حلقة من حلقات سبقت، ودورة من أدوار تترى في خدمة الذكر الحكيم.

١/ ينظر: تفسير الميزان، السيد محمد حسين الطباطبائي، ١/ ٢٤٦. والأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ١٥ / ٤٦٩. ودروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن، محمد علي رضائي / ٣١٣.

٢/ ينظر: مفاهيم القرآن، جعفر السبحاني، ٣/ ٣٢- ٣٣.

تتجلى براعة التفسير الموضوعي في القدرة على التأمل لفحوى السورة القرآنية والفهم العميق لأهدافها ومراميها، فالمتأمل في سور الكتاب العزيز والمتدبر في موضوعاته بما تضمنته من أحكام وأخبار ووصايا يجد أنه اهتم بمقاصد هذا الدين عامة، وكلياته الأساسية، ولم يُعرِّج على تفاصيل الأحكام إلا في مواضع قليلة ومواطن محددة؛ ذلك أنَّ القرآن كتاب كل زمان ومكان – الماضي والحاضر – والمستقبل – فاقتضى الحال أن يكون خطابه عاماً وكليّاً، وبما هو أساسي ومقصدي، ومِن هنا جاءت كل سورةٍ مِن سُوَرِهِ تُبرِز مقصداً رئيساً، وهدفاً كليّاً تدور حوله السورة، وتحوم عليه، إبرازاً له وتأكيداً عليه.

إذ هناك من تنبَّه إلى هذا المنحى المقاصدي في القرآن الكريم، فتحدثوا عنه إجمالاً وتفصيلاً حتى شكل لديهم علم له ملامحه ومعالمه، فوسم بـ(عِلْم مقاصد سُوَر القرآن)، ويُقصَد منه الوقوف على المعاني والأغراض الأساسية والموضوعات الرئيسة التي تدور عليها كل سورةٍ بعينها، وقد يرد هذا العلم أحياناً بمصطلحات أُخَر، مثل: مغزى السورة، أو غرضها، أو هدفها ، أو الوحدة الموضوعية وغيرها [1].

تنبع أهمية هذا العلم من كونه وسيلة لتحقيق المقصد من إنزال القرآن الكريم كله؛ من تدبره والاهتداء بما تضمَّنه؛ وذلك لأنَّ التدبُّر لا يكون إلا بعد فهم المعاني، ومقصد كل سورةٍ وهو أصل المعنى الذي ترجع إليه، كما أنَّ الوقوف على مقاصد السور يُسدِّد الذهن ويَعصِم من الخطأ في تفسيرها؛ لأنه يوجِّه فهم الآيات وفقاً لهذا المقصد، فمقصد كل سورة يُفهَم بعد استقراء آياتها والتأمل العميق فيما تدل عليه معان تحقِّق مراد الله تعالى من كلامه، وذلك بالنظر في فواتح السورة وخواتيمها، وسياق وسباق آياتها ولحاقها، وألفاظها فالقرآن الكريم المكوَّن من ١١٤ سورة ، نلمس في كل سورةٍ مِن سُوَرِهِ روحاً تسري في آياتها، وتسيطر على مبادئها، وأحكامها، وتوجيهاتها، وأسلوبها وتعرض موضوعاتها في سلكٍ واحدٍ كأنها حبَّات عقد مكتمل، أحكمته يد السميع العليم[2] . قال تعالى :﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ **{ هود: ١}** .

١/ ينظر: علوم التفسير، د. عبد الله شحاته (ت: ١٤٢٣هـ) / ٤١. ومقاصد التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. ايمان مصطفى علي، مجلة البيان الالكترونية، العدد: ٣٨٣/ ٣.

٢/ ينظر: ومقاصد التفسير الموضوعي للقرآن الكريم / ٣.

إنَّ تفسير القرآن باعتبار (مقاصد السور)؛ يعتبر هو المنهج الأسلم الذي يجعل كلام الله منتظماً على نحو يتضح فيه جلياً كمال نظمه واتساق آياته، ويبرز إعجازه وبلاغته. يقول البقاعي:((من حقَّقَ المقصود من السورة عرف تناسب آيها وقصصها وجميع أجزائها))[1]. كل سورةٍ تختص برسالة محددة، ينبغي فهمها، حتى يتسنَّى تطبيق المنهج القرآني الكامل بلوغاً إلى مقاصدها الهدائية[2].

وعليه إن الشروع في بيان السورة لا بد من دراسة أولية للسورة تحت عنوان: بين يدي السورة ، نتناول فيها مجموعة قواعد التي تعد من الاساسيات التي تعين في الكشف عن مراداتها المختلفة ، منها : فضل السورة ومميزاتها ،وسبب تسميتها إن وجد، وسبب النزول ، لأنها تعين على التعرف على موضوع السورة، ثم التعرف على الهدف الأساسي للسورة، وذلك من خلال استعراض الأحداث والقضايا الأساسية التي تناولتها السورة والرابط الذي يربط تلك القضايا بعضها مع بعض، كما يمكن التعرف على هدف السورة من خلال الفترة الزمنية التي نزلت فيها السورة، ومن ذلك نجد أن السور المكية تناولت قضايا الإيمان بالله وحده، وبالبعث بعد الموت، وبالرسالات السماوية، والدعوة إلى أمهات الأخلاق، وأما السور المدنية فقد كان طابعها بناء المجتمع الإسلامي على أسس من الإيمان والطاعة والتشريعات التفصيلية في شؤون الحياة، وحماية المجتمع الإسلامي من الأخطار الداخلية والخارجية بكشف خطط المتآمرين.

فهنالك سور كثيرة في القرآن الكريم تشكل وحدة موضوعية من سورة البقرة وصولاً لسورة الإخلاص، ولكننا سنتعرض بالمثال التطبيقي لسورة من القصار وهي سورة الإخلاص هذا من ناحية، أما على مستوى الآيات وتعدد ألفاظها وان جاءت بصور مختلفة لكنها جاءت تؤدي نفس القصد مثلاً (الأخلاق) ودراستها في ضوء الآيات الكريمة من ناحية أخرى.

١/ مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ١/ ١٤٩.

٢/ ينظر: التفسير الموضوعي في كفتي الميزان، عبد الجليل عبد الرحيم / ٣٤.

المبحث الأول: اتحاد الموضوع في السورة الواحدة كسورة الإخلاص أنموذجاً.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ .

الإخلاص لغةً: خلص الشَّيْء يخلص خلوصا وخلاصا وخلصته أَنا تخليصا إِذا صفيته من كدر أَو درن وهو تنقية الشَّيءِ وتهذِيبهُ، يقولون: خَلَّصْتُهُ مِنْ كذا وخلصَ هو، وخُلَاصَةُ السَّمْنِ: ما ألقي فيه مِنْ تمرٍ أَو سَوِيقٍ لِيَخْلُصَ به، وشهادة الإِخلَاص: شهادة أَن لَا إِلَه إِلَّا الله لأَنَّها أخلصت الْإِيمان [١].

اصطلاحًا: ((تخليص القلب عن شائبة الشوب المكدر لصفاته، وتحقيقه: أن كل شيء يتصور أن يشوبه غيره، فإذا صفا عن شوبه، وخلص عنه يسمى: خالصًا، ويسمى الفعل المخلص: إخلاصًا: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا﴾{النحل: ٦٦}، فإنما خلوص اللبن ألا يكون فيه شوب من الفرث والدم))[٢] . والاخلاص لله تعالى: هو القيام بما يجب من حقوقه، وطريقه تطهير القلب بالكلية عما سوى الله. وقيل: الاخلاص ألا تطلب لعملك شاهدا غير الله، وان تصفّي عملك من الكدورات [٣].

فالإخلاص: هو صرف العبادة لله تعالى وحده، واجتناب الشرك والرياء، وكلمة الإخلاص هي كلمة التوحيد، وسورة الإخلاص هي سورة قل هو الله أحد [٤].

الجدير بالذكر أن التوحيد، هو الأصل والأساس، والمهمة الأولى التي بُعث من أجلها رسول الله ﷺ حيث دعا الناس إلى عبادة الله تعالى وحده واجتناب الشرك، وفي مطلع هذه السورة الكريمة يأمره الله تعالى بأن يقول للناس أن الله واحدٌ لا شريك له، ولأن القرآن الكريم

١/ ينظر: جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ)، ١/ ١٦٤ (باب: خ- ص-ل). ومعجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢/ ٢٠٨ (مادة: خ- ل- ص)

٢/ التعريفات، الجرجاني / ١٣ (باب الألف) .

٣/ ينظر: التعريفات / ١٤. والمعجم الفلسفي، د. جميل صليبيا، ١/ ٤٨.

٤/ ينظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى – وآخرون / ٢٤٩ (باب الخاء).

يدور حول ثلاثة أصول عامة وهي التوحيد، وأفعال العباد، وبيان أحوال يوم القيامة، فإن هذه السورة العظيمة تعدل ثلث القرآن في ثواب قراءتها [١].

من نظر في كلام الله تعالى بعين البصير، وحكمة العاقل اللبيب، أدرك يقيناً أن لكل داء دواء، ومن دقق بثاقب الفكر في سورة الإخلاص، فلقصرها من عدد آياتها، إلا إن فيها لك دستورا يسير عليه الكون حتى قيام الساعة.

أولاً: اسم السورة.

سميت بـ(الإخلاص والتوحيد) لأنه ليس فيها إلا التوحيد وهي كلمة الإخلاص، ولِأَنَّهَا تشتمل على إثبات أنَّه تعالى واحدٌ، لأن من تمسك بما فيها اعتقادًا وإقرارًا كان مؤمنًا مخلصًا [٢]. و سميت أيضًا بـ(الصمد و بفاتحتها ونسبة الرب) إذ جاء إن لكل شيء نسبة و نسبة الرب (سورة الإخلاص – التوحيد) لأن اليهود جاءت إلى رسول الله ﷺ ، فقالوا أنسب لنا ربك فنزل سورة التوحيد [٣]. وعرفت (بالْأَسَاسِ) لاشتمالها على توحيد الله وهو أَساس الإسلام، أسّست السماوات والأرض على (قل هو الله أحد)، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا﴾{مريم: ٩٠}، فوجب أن يكون التوحيد سببا لعمارة العالم ونظامه ، إذ ما خلقت إلا لتكون دلائل على توحيد الله ومعرفة صفاته التي نطقت بها هذه السورة [٤]. أيضًا نسب لها اسم (الولاية) لأنّ من قرأها عارفا بأسرارها صار من أولياء الله، (وسورة الجمال) لأنّ الجلال غير منفك عن الجمال، روى عن النبي ﷺ أنّه قال: ((إنّ الله جميل يحبّ الجمال، سألوه عن ذلك فقال: أحد صمد لم يلد ولم يولد))[٥] ، (والمعوّذة)، روى أنّه ﷺ دخل على عثمان بن مظعون يعوذه بها وباللّتين بعدها ، ثمّ قال: ((تعوّذ بها فما تعوّذت بخير منها))[٦]

١/ ينظر: التفسير الواضح، محمد محمود حجازي، ٣/ ٩١٨.

٢/ ينظر: تفسير مجمع البيان، الطبرسي، ١٠/ ٤٢٩. والتحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ٣٠ / ٦٠٩

٣/ ينظر: التبيان في تفسير القرآن، الطوسي، ١٠ / ٤٢٩.وتفسير مجمع البيان، ١٠/ ٤٢٩. والرسائل العشر، ابن فهد الحلي (ت: ٨٤١هـ) / ٢٩٨. ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ٢٢/ ٣٤٨. وروضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، محمد تقي المجلسي الأول (ت: ١٠٧٠هـ) ،٢/ ٣٦٦. الوافي، الفيض الكاشاني ، ٩ / ١٥٨٥.

٤/ ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، ٢٩٩/٤.

٥/ تفسير الرازي، فخر الدين الرازي، ٣٢/ ١٧٦. ومنهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الهاشمي، ١٩/ ٢٧٥.

٦/ فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر، ٩ / ٥٦.و منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ١٩/ ٢٧٥.

. (والمانعة) إذ أنّها تمنع فتاني القبر ونفخات النيران، (والمحضرة) فالملائكة تحضر لاستماعها إذا قرأت (والمنفرة) إذ الشيطان ينفر عند قراءه بها، (والبراءة) كونها تبرىء من الشرك، كذلك سميت بـ(الأمان) قال ﷺ : ((إِذَا قَالَ الْعَبْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ حِصْنِي وَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي))[١](والمذكرة) ففيها يذكر العبد خالص التوحيد، (وسُورَةُ النُّورِ) لأنها تنور القلوب بالإيمان [٢].

ثانياً: فضلها.

ذكر حيدر آملي (ت: ٧٩٤هـ): ((أنّ غايات عقول العلماء ونهاية مباحث الحكماء، ما جاوزت عن الاسرار المودعة في سورة الإخلاص، لانّ الاطّلاع على أسرارها فوق أطوار العقول والافهام، وكلّ من تكلّم فيها بشيء، فما عثر على قطرة من بحارها وذرّة من جبالها))[٣].

فالسورة على وجازتها إلا إنها اشتملت على جميع المعارف الإلهية، والرد على من ألحد فيها، ولأجل هذا هو المقصود بالذات الذي يتبعه جميع المقاصد عدلت في بعض فمن فضائلها أنّها ثلث القرآن، وذكروا لذلك وجوها أجودها أنّ المقصود الأشرف من جميع الشرائع والعبادات معرفة ذات الله و صفاته وأفعاله تعالى وسورة الخلاص مشتملة على معرفة الذات المقدسة فكانت معادلة لثلث القرآن[٤]. كما أنّ الدلائل والبراهين قائمة على أنّ أعظم درجات العبد وأجلّ سعادته أن يكون قلبه مستنيراً بنور جلال الله ، وإنما يحصل بعرفان هذه السورة فكانت هذه السورة أفضل السور وأعظمها[٥]. روي أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: ((أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليله قلت: يا رسول الله و من يطيق ذلك قال: اقرأوا قل هو الله أحد))[٦] .وروي أبي بكر الحضرمي الكوفي عن الإمام الصادق عليه السلام قال :((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع أن يقرأ في دبر كل فريضة بقل هو الله أحد ، فإنه من قرأها جمع الله

١/ التوحيد، الشيخ الصدوق / ٢٥. ورضة الوعاظين، الفتال النيسابوري / ٤٢.

٢/ ينظر: تفسير مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، الفخر الرازي، ٣٢ / ٣٥٧-٣٥٨. ومنهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الهاشمي، ١٩ / ٢٧٥.

٣/ جامع الاسرار ومنبع الانوا/ ٥٣.

٤/ ينظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، ٣٢ / ٣٥٨. ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٢٢/ ٣٨٦.

٥/ ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ،١٩ / ٢٧٦.

٦/ مسند أحمد، أحمد بن حنبل، ٣ / ٨ (مسند أبي سعيد الخدري). وبحار الانوار، المجلسي، ٨٩/ ٣٥٨.

له خير الدنيا والآخرة))[١]. فالبرهان العقلي يرشد على أن أسمى رتبة للعبد أن يكون قلبه مبصراً بنور جلال الله وكبريائه، وهذا لا يمكن إلا في ضوء هذه السورة، فكانت هذه أعظم السور، فإن قيل: صفاته ﷻ مذكورة في سائر السور، فمن المؤكد ذلك؛ لكن هذه السورة لها خاصية فلصغرها في السورة تبقى محفوظة في القلوب معلومة للعقول فيكون ذكر جلال الله حاضراً أبداً بهذا السبب، لا جرم من إنها امتازت عن سائر السور بهذه الفضائل [٢].

ثالثاً: سبب نزولها أو مناسبتها.

ذكر في سبب نزولها أن المشركين سألوا النبي ﷺ عن أن ينسب الله تعالى لهم، فأنزل سبحانه وتعالى هذا السورة جواباً على سؤالهم. وهناك من يرى: إنها نزلت من أجل أن اليهود سألوه، فقالوا له: هذا الله خلق الخلق، فمن خلق الله؟ فأنزلت جوابا لهم [٣]. ونحن نرى بقبول السببين، أي كان لها شأن في النزول جواباً لسؤال المشركين، وسؤال اليهود.

رابعاً: مكان نزولها.

١- هناك من أستدل على إنها من السور (المكية وآياتها أربع)، وهذا الاستدلال جاء مبنياً على سؤال النسبة للرب من قبل المشركين للنبي ﷺ [٤].

٢- الرأي الاخر ذهب الى إنها (مدنية) هذا بناءً على سؤال اليهود إلى النبي ﷺ بإن يصف لهم ربه فاستدل بهذا على (أنها مدنية) [٥]. وبعد الترجيح بين القولين يبدو من قطع على أنها مدنية؛ لأن المشركون ما اتيا النبي ﷺ إلا بعد الهجرة [٦].

١/الكافي، الكليني، ٢/ ٦٢٢(باب فضل القرآن). وثواب الأعمال، الشيخ الصدوق / ١٢٨(ثواب قراءة قل والله أحد).

٢/ ينظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي ٣٢ / ٣٥٨.

٣/ ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ١/ ٢٤ ج٢٤ / ٧٢٧. وتفسير مجمع البيان، الطبرسي، ١/ ٤٠٩. وأسباب نزول القرآن، الواحدي (ت: ٤٦٨هـ) / ٤٧١.

٤/ ينظر: جامع البيان في تاويل آي القرآن، ٢٤/ ٧٢٧. وتفسير الأصفي، الفيض الكاشاني، ٥/ ٣٩٠. والتفسير الحديث، محمد عزة دروزه، ٢/ ٦٨.

٥/ ينظر: تفسير الآصفي، ٥/ ٣٩٠. وباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي/ ٢٢٠. وتفسير الألوسي، ٣٠/ ٢٦٦.

٦/ ينظر: لباب النقول في أسباب النزول / ٢٢٠. وتفسير الألوسي، ٣٠/ ٢٦٦. وتفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ٣٠/ ٦١١.

خامساً: مقاصد السورة أو غرضها.

هناك طرق يمكن من خلالها إدراك مقاصد السور القرآنية؛ هو أن ينص العلماء على أنَّ موضوع هذه السورة كذا، مثال ذلك: سورة الإخلاص تُقرِّر التوحيد العلمي الخبري مِن خلال ذكر بعض صفات الله ﷻ .

لأدراك مقاصد الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة، إذ أن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها، لأنَّ اسم كل شيء يظهر الغرض بينه وبين مسمَّاه عنوانه الدال إجمالاً على تفصيل ما فيه ولا خروج عن معنى كلماتها [١].

وعلية إن المقاصد الأساسية التي اشتملت عليها سورة الإخلاص ما يأتي:

١-اشتمالها على التوجيهات الحكيمة للرسول ﷺ، إذ افتتحت بفعل الأمر(قل) لإظهار العناية بما بعد هذا الأمر [٢].

٢-التوحيد بأنواعه: توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، فأخذ ذلك من قوله تعالى:﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[٣].

٣-الاستعانة بالله وحده في كل الأمور، وأنّه لا يقصَدُ في الحوائج غيره، ما تعلق منها بالمعاش و التوفيق لصالح العمل، وتنزيههُ عن سمات المحدثات، وهو ما دل عليه قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾[٤].

٤-إبطال أَنْ يكون له ابْنٌ أو المولود إِلَهًا مِثل عيسى ﷺ [٥].

٥-العبادة الإخلاص له سبحانه بمفهومها الواسع كما تشير الآية وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[٦].

١/ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ١/ ١٨- ١٩.

٢/ ينظر: التفسير الوسيط، محمد طنطاوي، ١٥ / ٥٤٠.

٣/ ينظر: التفسير الحديث، محمد دروزه، ٢/ ٧٢. والتحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ٣٠ / ٦١٢.

٤/ ينظر: التفسير الحديث، ٢/ ٧٠. والتفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، أ.د. مصطفى مسلم وآخرون، ١/ ١٢-١٣. والموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من العلماء المتخصصين/ ٨١٧. والتفسير الواضح، محمد محمود حجازي، ٣/ ٩٢٠. وتفسير التحرير والتنوير، ٣٠ / ٦١٢

٥/ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، ٣٠ / ٦١٢.

٦/ ينظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ١/ ١٢-١٣. والموسوعة القرآنية المتخصصة، / ٨١٧. والتفسير الواضح، ٣/ ٩٢٠.

لو رجعنا إلى أغراض القرآن في السور المكية لوجدناها تدور حول التوحيد، واليوم الآخر، والنبوات، وأمهات العبادات والأخلاق، أما السور المدنية اشتملت أغراضها حول بناء المجتمع الإسلامي بتشريع العبادات والمعاملات، وصيانته من الانحرافات وكل هذه الأغراض في السور المكية والمدنية جسدتها سورة الإخلاص [1].

سادساً: البيان التحليلي لسورة التوحيد.

أنّ حقيقة التوحيد منزّهة عن أن تصل إلى كنهها العقول والافهام، والى صعوبة إدراكها، أشار أمير المؤمنين علىّ بن أبي طالب عليه السلام: ((ما وحّده من كيّفه، ولا حقيقته أصاب من مثّله خضعت الأشياء له ، وذلّت مستكينة لعظمته))[2].

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ، بدأت السورة بفعل الأمر (قل) فعل أمر موجه من الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم كي يبلغ أمره ؛ وقل في الآية تعني أن أظهر هذه الحقيقة وبينها.

الضمير (هو) في الآية للمفرد الغائب، ويحكي عن مفهوم مبهم ، وهو في الواقع يرمز إلى أن ذاته المقدسة في نهاية الخفاء، ولا تنالها أفكار الإنسان المحدودة وإن كانت آثاره أظهر من أي شئ آخر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾{ فصلت: ٥٣} ، ولعل تصدير الكلام بضمير الشأن(هو) للتنبيه من أول الأمر على فخامة الكلام الآتي، فيدعوك إلى ترقب ما بعده، فإذا جاء تفسيره وتوضيحه تمكن في النفس أى تمكن، ثم بعد الضمير تكشف الآية عن هذه الحقيقة الغامضة [3] وتقول :﴿ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾.فهذه المهمة الأولى التي جاء إليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم فشمر عن ساعد الجد، وأخذ يدعو الناس إلى التوحيد، وأمر بأن يقول للناس: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾﴿ أَحَدٌ ﴾: قيل: إن الْأَحَد أبلغ من الْوَاحِد، واحد في ذاته وصفاته وأفعاله ، صفه جل جلاله بأنه واحد على أربعة أوجه: (أحدها) أنه ليس بذي أبعاض و لا يجوز عليه الانقسام و لا يحتمل التجزئة،﴿ أَحَدٌ ﴾ منقطع العدد له

١/ ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٣/ ٣٣٦. التفسير الواضح، ٣/ ٩٢٠

٢/ جامع الأسرار ومنبع الأنوار، حيدر آملي/ ٧٠. ومنهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الهاشمي، ١٩ / ٢٤٨.

٣/ ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مكارم الشيرازي، ٢٠ / ٥٤٩. والتفسير الواضح، محمد محمود حجازي، ٣/ ٩١٨.

له ثان . أما (واحد) فهو مفتتح العدد إذ نقول واحد اثنان ... (الثاني) أنه واحد لا نظير له و لا شبيه له ،(الثالث)أنه واحد في الإلهية و استحقاق العبادة،(الرابع) أنه واحد في صفاته التي يستحقها لنفسه على وجه لا يشاركه فيه غيره[١].

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾: ورد هذا الفظ مرّة واحدة ووقع وصفاً له فيها قال ﷻ :﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾، للصمد أصلان **الأول:** القَصد إذا كان سيداً يقصد إليه في الأمور، فليس فوقه أحد، ولا يقضى أمر دونه، والله جل ثناؤه الصمد؛ لأنه يصمد إليه عباده بالدعاء والطلب [٢]. والأصل **الثاني:** هو المقام العالي المرتفع الصلب الّذي يعلو ولا يعلى عليه [٣]. كذلك: الذي أصمدت إليه الأمورُ فلا تُقضى دُونه، وهو المطاع في قومه، الرفيع من كل شيءٍ وقيل: الذي ليس بأجوف، والذي لا يجوع ولا يعطش [٤]. عن داود بن القاسم الجعفري قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام : جعلت فداك ما الصمد ؟ قال : ((السيد المصمود إليه في القليل والكثير))[٥]. صمد، يعبده كل مخلوق، ويصمد إليه الكافة ووسع كل شيء علمًا [٦].

لعل سائل: أما كان الأولى أن يقال: الله الأحد بدل أحد؟ والجواب: أن المقصود إثبات أن الله تعالى واحد ليس متعددا في ذاته، ولو قيل الله الأحد لأفادت العبارة أنهم يعتقدون الوحدانية ويشكون في ثبوتها لله مع أن المقصود نفى العدد لأنهم كانوا يعتقدونه؛ ولهذا قال تعالى:﴿ ٱللَّهُ أَحَدٌ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾كرر لتكون كل جملَة مِنْهُمَا مُسْتَقلَّة بذاتها غير محتاجة إِلَى مَا قبلهَا ثمَّ نفى ﷻ عَن نَفسه الْوَلَد والصاحبة [٧].

١/ ينظر: تفسير مجمع البيان، الطبرسي ، ١/ ٤١٠ .

٢/ ينظر: العين، الخليل بن أحمد، ٧/ ١٠٣(ص. م. د.). ومعجم مقاييس اللغة، ابن فارس ، ٣/ ٣٠٩(مادة : ص.م.د).

٣/ ينظر: الصحاح، الجواهري، ٢/ ٤٩٩(باب الدال).

٤/ ينظر: المحيط في اللغة، إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد (ت: ٣٨٥هـ)، ٢/ ٢١٦.

٥/ الكافي، الشيخ الكليني، ١/ ١٢٣ (باب تأويل الصمد).

٦/ ينظر: المصدر نفسه، ١/ ١٢٣ (باب تأويل الصمد).

٧/ينظر: أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، محمود بن حمزة ويعرف بتاج القراء / ٢٥٧. والتفسير الواضح، محمد محمود حجازي، ٣/ ٩١٨ –٩١٩

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ردّت هذه الآية على معتقدات اليهود والنصارى بإن مريم عليها السلام ولدت إلها ، وهو المسيح ، ونفي لقول المشركين : إن الملائكة بنات الله [1]، فهذا كله في قوله :﴿لَمْ يَلِدْ﴾، وقوله :﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ فيه نفي لقول النصارى : ليس الوجود الإلهي مولود الخيال، لكي يصبح الاله خيالًا لا حقيقة له، ولا مولود إله آخر لكي يكون حادثاً فمخلوقاً [2]، ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ تعالى من إن يكون في العزّ مشاركاً ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ سبحانه فيكون موروثاً هالكاً [3].

ثمّ تبلغ الآية الأخيرة غاية الكمال في أوصاف سبحانه: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ليس له شبيه ومثيل اطلاقاً، (الكفو) هو الكفء في المقام والمنزلة والقدر، ثمّ اطلقت الكلمة على كلّ شبيه ومثيل، استناداً إلى هذه الآية، الله جلّ جلاله منزّه عن عوارض المخلوقين وصفات الموجودات وكلّ نقص ومحدودية؛ لم يكن أحد نظيرا له ولا شبيها، فهو على التقديم والتأخير كما ذكرنا، ومعنى أحد في آخر السورة غير معنى أحد في أول السورة [4]

سابعاً: علاقة السورة مع غيرها من السور.

إن القرآن الكريم بلغ من ترابط أجزائه، وتماسك كلماته وجمله وآياته وسوره مبلغا فريداً، لا يدانيه فيه أي كلام آخر قَالَ تَعَالَىٰ:﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾{ الزمر: ٢٨} ، فتراها سلسةً رقيقة عذبةً متجانسة، أو فخمةً جزلةً متآلفة، فكل من تمعن فِي التناسب الْواضح فيه، فلا تفكُّك ولا تخاذل ولا انحلال ولا تنافر، بالرغم من الموضوعات مختلفة متنوعة، من تشريع وعقائد و قصص وغيرها، وهذا التناسب هو سر من الأسرار الدقيقة التي تتجلى بها عظمة القرآن الكريم وإعجازه [5].

١/ ينظر: التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، ١٠ / ٤١١. وتفسير السمعاني، السمعاني، ٦/ ٣٠٤.

٢/ ينظر: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، محمد الصادقي، ١/ ٧٥.

٣/ينظر: نهج البلاغة، أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام / ٢٦١ (من خطبه له عليه السلام الله الواحد).

٤/ ينظر: تفسير السمعاني ، ٦/ ٣٠٤. وتفسير الأمثل، مكارم الشيرازي، ٢٠ / ٥٥٤.

٥/ ينظر: مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، عادل بن محمد أبو العلاء/ ١٤.

فلما انقضى مقصود الله تعالى من إنزال القرآن الكريم بجملته، أشعر جميع الخلق بحالهم من ترددهم بين عدمين، ثم الله ينشئ النشأة الآخرة، فوجودهم منه ﷻ وبقاؤهم به، وهم وجميع ما يصدر عنهم من أفعالهم وأقوالهم، كل ذلك خلقه واختراعه.

أن هذه السورة لوجازتها إلا إنها أعظم مبين للذات الإلهية بترتيب لا يخطر في البال أن يكون شيء يساويه، فأثبت أولاً حقيقته المحضة وهويته بأنه هو، فعلم أنه واجب الوجود لذاته لا لشيء آخر أصلاً، ثم عقب ذلك بياناً له بذكر الإلهية التي هي أقرب اللوازم لتلك الحقيقة وأشدها تعريفاً [١].

إن سورة الإخلاص الثالثة من آخر المصحف، تناظر آل عمران، وهي الثالثة من أوله، وقد سميت كلتيهما بسورة التوحيد، إذ فيهما ورد الحديث عن التوحيد، والمحاجة لمن ادعى أن لله تعالى صاحبة وولداً، فقد بدئت سورة الإخلاص﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾، كما افتتحت آل عمران﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢﴾ ثم أكدت الإخلاص أنه سبحانه لم يلد ولم يولد، والذي هو من أبرز محاور سورة آل عمران وبالذات قصتها الرئيسة عن ولادة عيسى عليه السلام ، واسم القيوم يشترك مع اسم الصمد في استغنائه تعالى عن خلقه وقيامه بذاته ، وفي الصمد كذلك معنى أن المخلوقات محتاجة إليه، ومما يناظره في آل عمران، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ { آل عمران: ١٨}. فبان أنه هو لذاته فلا إله غيره، فانطبق آخرها على أولها، والتحم أيّ التحام مفصلها بموصلها، فعلم أنه هو هو لا غيره بزيادة أنه الأحد ولا أحد حقاً غيره [٢].

كما وصف الله تعالى في السور السابقة واللاحقة لسورة الإخلاص، برب العالمين والفلق والمالك والواهب والعالم والمحيط والقادر بكل شيء، فإن معظم روايات النزول وتراتيب السور تجعل هذه السورة بعد سورتي الناس والفلق، ولهذا دلالة مهمة من حيث توكيد السور الثلاث على عدم وجود غير قوة ﴿ ٱللَّهُ أَحَدٌ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ قادرة على النفع والضرر والمنع والإعطاء،

١/ ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ٢٢/ ٣٨٢.

٢/ ينظر: المصدر نفسه، ٢٢/ ٣٨٤ وما بعدها.

ومن حيث إيجاب الاستعاذة به وحده وعدم خشية أحد غيره وعدم الاتجاه إلى غيره في أي مطلب وحاجة [1].

ايضًا بين هذه السور التي شكّلت حلقة عجيبة من حلقات الترابط المحكم، بسورتي النصر والمسد:﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾، ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ۝٣ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ۝٥ ﴾ ،ابتدأ سبحانه السورة بالضمير قبل التصريح بالنصر وخسارة أهل الكفر بخسارة أبي لهب الذي هو أعلاهم وأعزهم إشارة إلى أن من صحح باطنه باسم الله تعالى نصر وفتح له كما يشير إليه تعقيب الأمر في آخر سورة البقرة بالرغبة إليه في النصر على الكافرين بقوله:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾{ البقرة: ٢٥٥ } فذلك ترجم أول هذه السورة التالية للنصر والكافرون سواء بالضمير والاسم الأعظم والتوحيد الأعظم المقرون بدليل وهو القيومية، فقد بين آخر السورة الذي هو نتيجتها ورد مقطعها على مطلعها أنه أحد حاضر في كل زمن لا يغيب أصلاً، ولا أحد يكافئه أو يشابهه، لأنه لم يتولد عنه شيء ولا تولد [2].

بالنظر الى دعاء النبي ﷺ يوم فتح مكة، يزد هذا التحليل اطمئنانًا إذ يتفق معه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما قدم رسول الله ﷺ مكة يوم افتتحها فتح باب الكعبة فأمر بصور في الكعبة فطمست فأخذ بعضادتي الباب فقال :((لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده))[3].

وبالتدقيق يلحظ إن: لا إله إلا الله وحده لا شريك له ناظرة إلى (التوحيد)، والشطر الاخر من الدعاء، بقوله ﷺ (صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده)، نجده ناظر الى سورة (النصر)، وقوله: (وهزم الأحزاب وحده)، ناظر الى سورة المسد.

١/ ينظر: التفسير الحديث، محمد عزة دروزه، ٢/ ٧٣.

٢/ ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ٢٢/ ٣٨٩.

٣/كتاب الام، الشافعي، ٢/٢٣١ (دخول مكة). والكافي، الكليني، ٤/ ٢٢٥(باب أن الله عز وجل حرم مكة حين خلق السماوات والأرض)، و بحار الانوار، المجلسي، ٢١ / ١٣٥ (أمر ﷺ بحبس أبي سفيان لئلا يغدر)

عن ابن عباس قال: قام رسول الله ﷺ فقال: ((يا آل غالب، يا آل لؤي، يا آل مرة، يا آل كلاب، يا آل عبد مناف، يا آل قصي إني لا أملك لكم من الله منفعة ولا من الدنيا نصيبا إلا أن تقولوا لا إله إلا الله، فقال أبو لهب: تبًا لك لهذا دعوتنا، فأنزل الله تعالى تبت يدا أبي لهب))[1] . وبما إن التوحيد ينهي كل هذه المصائب، جاء الأمر الإلهي يجلجل في الكون، فيطرح هذا الأصل ويقول: إلهكم إله واحد[2] مؤكد ذلك بقوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾.

ثامناً: البيان الموضوعي للسورة:

لقد أبطل القرآن الكريم بالبرهان المحكم إي مشاركه في الالوهية لمخلوقاته تعالى عن ذلك ،قَالَ تَعَالَى:﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۚ ﴾{ المائدة: ١٧ }،﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍۖ سُبْحَٰنَهُۥ﴾{ مريم: ٣٥} ، ﴿ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾{ مريم: ٩٢} ﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾{ الكهف: ٤} ،﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥ ﴾{ الأنبياء: ٢٦} ، تركز الاهتمام على إبطال إلهية المسيح إذ هذه الفكرة كانت مطروحة بصورة (التثليث) وتعدد الآلهة كما قال القرآن في موضع آخر:﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ ﴾{ المائدة: ٧٣} ، كذلك جاء بيان الواحدية بأمر النبي ﷺ بقوله تعالى :﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾، كذلك الآية الثالثة من نفس السورة[3] ، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾. أنّ المسيح وأُمّه عليهما السلام شأنهم شأن بقية الأنبياء لهم الآثار البشرية كأي بشر آخر، قال تعالى:﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ﴾ {المائدة: ٧٥}، وعلى هذا فليس بين المسيح وأُمّه، وبين غيره من الأنبياء والرسل أي فرق، وتفاوت، فهم يأكلون عندما يجوعون ويتناولون الطعام كلما أحسّوا بالحاجة إلى الطعام، وشأن عيسى وأُمّه شأنهم، ولا ريب أنّ (الحاجة) دليل الإمكان والإله منزه عن ذلك [4] ، وهذا لا يصمد أمام قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾.

١/ أسباب النزول، للواحدي / ٣٠٩.

٢/ ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ٢٢/٣٩٣-٣٩٤.

٣/ ينظر: مفاهيم القرآن، جعفر السبحاني، ١/ ٢٩٠.

٤/ ينظر: المصدر نفسه، ١/ ٢٩٢.

ففي قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾{الشورى : ١١}،﴿وَمَامِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ﴾ {ص:٦٥}﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾{ الرعد:١٦ } ،﴿سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ﴾{ الزمر: ٤}، إذ ترتبط هذه الآيات موضوعياً ،في الآية الرابعة من سورة الإخلاص في قوله ﷻ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ، من خلال هذا الربط الموضوعي اتضح مقصود القرآن الكريم من ذلك وهو الواحدية بمعنى نفي الشريك ، وقد يدور في الذهن سؤال لماذا : لا تكون (الوحدة) التي نصف بها الذات الإلهية ، وحدة عددية ؟ إن العددية إنّما تتصور إذا أمكن تصور فردين أو أفراد للشيء، في حين لا يمكن تصور التعدّد في مورد اللامحدود وغير متناه [١]. فجاء عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في خطبة ألقاها على جماعة من العلماء في نفي المحدودية على الله تعالى :((ليس له حد ينتهي إلى حده ، ولا له مثل فيعرف بمثله))[٢].

وعليه نجد القرآن الكريم كثيراً ما يؤكّد على هذه المسألة، ولعل عبارة :﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾{ النحل: ٧٤} ،تشير إلى أنّ أغلب الناس في غفلة عن أسرار صفات الله. وجميع ذلك يكمن في سر الصفات الإلهية، بدلالة لفظ {هو} في سورة التوحيد فهو: ضَميرُ الشَّأْنِ وقيلَ: كِنَايَةٌ عن الله[٣].

تاسعاً: المقصد أو المحور الأساسي للسورة.

تتناول السورة القصيرة في الغالب قضية واحدة فيكون لها هدف واحد أو محور واحد تدور عليه وسورة (الإخلاص)، تدور حول هدف واحد هو تقدير الوحدانية لله سبحانه وتعالى، فهذه السورة تحمل إجابة وافية عن كافة الأسئلة التي تدور حول توحيد الله تعالى، وما سواها من الحقائق المعرفية الإلهية على قلة آياتها.

يأتي إلى ﷺ قادة الأحزاب الخمسة: الماديين، المشركين، الثنوية ، اليهود والنصارى ، يسألونه أن ينسب ربه كما ينسبون ، فجاءت سورة الاخلاص مجيبة عن مطالبهم ، قارعةً أسماعهم بقوارع من آي التوحيد ، هي نماذج شاملة عن قرآن التوحيد [٤]

١/ ينظر: مفاهيم القرآن، جعفر السبحاني ،١/ ٢٨١.

٢/ الكافي، الكليني، ١/ ١٤٢ (باب جوامع التوحيد).و التوحيد، الصدوق / ٣٣. المبسوط، الطوسي، ٧ / ٥٠.

٣/ ينظر: تفسير جوامع الجامع، الطبرسي ، ٣/ ٢٤١ . وتفسير الأمثل، مكارم الشيرازي، ٨ / ٢٦٢.

٤/ ينظر: التفسير الموضوعى للقرآن الكريم، محمد الصادقي،١ / ٦٧- ٦٨

عن عاصم بن حميد قال: سئل علي بن الحسين عليه السلام عن التوحيد فقال: ((انّ الله عز وجل علم أنه يكون في آخر الزمان أقوام متعمقون فأنزل قل هو الله أحد))(١).

كذلك: إنها تتضمن أعرض الخطوط الرئيسية في حقيقة التوحيد قرآنياً، ولأعمق ما بالإمكان أن ينزل من وحى السماء بشأن التوحيد، جارفةً التصورات الباطلة من وحي الأرض وانسانها وشيطانها حول الكيان الإلهى ، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾التي تصف الله تعالى في مختلف الآيات التي تحويها كالآتي :

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ { البقرة: ١٦٣} ، ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ { آل عمران: ٢}،﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ { آل عمران: ٦}، ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ﴾{ الأنعام: ١٠٢} ، ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ { طه: ٨}، ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ { طه: ٩٨}،﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ { غافر: ٦٥} ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾{ الدخان: ٨} ،﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾{ الحشر: ٢٣} ، ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ { النمل: ٢٦}.

فكلمة التوحيد تجمع بين السلب والإيجاب: سلب الألوهية عما سوى الله تعالى بما لها من صفات وأفعال، وايجابها لذات واحدة جامعة لكافة الصفات الكمالية على وجه الحصر الحقيقي كونه ﷻ : رحمن ـ رحيم ـ حيّ ـ قيوم ـ حكيم ـ خالق ـ عليم ـ محيي ـ مميت ـ ملك ـ سلام ـ مؤمن ـ مهيمن ـ عزيز ـ جبار ـ متكبر ـ له العرش وله الأسماء الحسنى كما وأنها تسلب عنه تعالى ما يتنافى وكيان الألوهية ذاتاً وصفات وأفعالًا (٢).

عاشراً: رد الشبهات بزعم الزوجة والد عن الذات الإلهية.

القرآن الكريم كتابًا من لدن حكيم خبير لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فقد بين للبشر ما يجب عليهم التمسك به وهو عبادة الله وحده وهدم أوكار الشرك، ومن تلك القواعد

١/ الكافي، الشيخ الكليني ، ١/ ٩١ (باب النسبة). التوحيد، الشيخ الصدوق / ٢٨٣ (بيانه في أدلة توحيد الصانع).
٢/ ينظر: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، محمد الصادقي،١ / ٦٨

الشركية التي هدم القرآن الكريم صرحها، عقيدة التثليث التي يتمسك بها النصارى على أنها عقيدة سماوية وهي ،الأب والابن وروح القدس ، إن كلمات النصارى في كتبهم الكلامية تحكي عن أن الاعتقاد بالتثليث من المسائل الأساسية التي تبنى عليها عقيدتهم ، وفي الوقت نفسه يعتقدون بأنها من المسائل التعبدية التي لا تدخل في نطاق التحليل العقلي، لأن التصورات البشرية لا تستطيع أن تصل إلى فهمه ، كما أن المقاييس التي تنبع من العالم المادي تمنع من إدراك حقيقة التثليث ، لأن حقيقته حسب زعمهم فوق المقاييس المادية [١].

لقد بين القرآن أن القواعد التي بني عليها النصارى معتقدهم ، مفتريات ما أنزل الله بها من سلطان والأسس التي أوضحها في نفض عقيدة النصارى تتلخص في أنه نفى أن يكون لله ولد مطلقا أو شريك في ألوهيته، أو أن يكون النبي عيسى عليه السلام ابن له تعالى سبحانه عن ذلك ، وأثبت أن الله واحد لا شريك له، وأن عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله ، فذم النصارى في زعمهم ، فقال تعالى في النفي المطلق للشريك والولد: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ نراها قد تضمنت الرد على المشركين وأهل الكتاب، وغيرهم من أصحاب الفرق الضالة ، الذين يقولون ، بالتثليث ، وبأن هناك آلهة أخرى تشارك الله تعالى في ملكه [٢] .

أحد عشر: معالجة السورة لمشكلات الانسان المعاصر.

بدايةً افدنا في معالجة هذه السورة من دراستنا التحضرية لمرحلة الدكتوراه، إذ إن من المقررات التي كان لها الأثر في العون على ذلك :(دراسات قرآنية معاصرة) [٣]، و (دراسات في علم الكلام المعاصر) [٤]، و (دراسات في التفسير الموضوعي) [٥].

لما كان الايمان بوجود الله هو الاساس الأول، الذي ترتكز عليه جميع الديانات، حتى انتهائها بالدين الإسلامي، كان الماديون يحاولون ان يطمسوا معالم الايمان بوجوده، وصاروا

١/ ينظر: الالهيات، جعفر السبحاني/ ٣٦٥ (خرافة التثليث). وأضواء على المسيحية، متولي يوسف شلبي/ ٣٣.

٢/ ينظر: التفسير الوسيط، محمد طنطاوي، ١٥ / ٥٤١.والتفسير الحديث، محمد عزة دروزه، ٨/ ٢٩١ –٢٩٢. والتفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، ٣/ ٣٧.

٣/ أ. د. محمد طالب الحسيني، محاضرات ألقيت على طلبة الدكتوراه، جامعة بابل – كلية العلوم الإسلامية، ٢٠١٩م.

٤/ أ. م. د. محمد حمزة الشيباني، محاضرات ألقيت على طلبة الدكتوراه، جامعة بابل – كلية العلوم الإسلامية، ٢٠١٩م.

٥/ أ.د. حكمت عبيد الخفاجي، محاضرات ألقيت على طلبة الدكتوراه، جامعة بابل – كلية العلوم الإسلامية، ٢٠٢٠م.

يبذلون في ذلك قصارى جهدهم في سبيل ذلك، كان لزامًا على المؤمنين بوجود الله أن يثبتوا ببراهين تلزم الخصوم وتقنعهم بالتسليم بوجود الله، مسلك الاستدلال بالأدلة الكونية، والتاريخية، وشهادة الكشوفات العلمية، وهو مسلك له ثقله ووجاهته على الصعيدين المادي المنكر لوجود الله، والإيماني الذى يؤمن به .

إن انكار وجود الله دعوى إلحادية لا دليل عليها، بل الأمر على عكس ذلك، فالأدلة قائمة على وجود الله تعالى في الكون والأفاق والأنفس، وحدوث الكون مصادفة مستحيل من الناحية العلمية والعقلية، وقد نفي العلم الحديث نظرية التطور [١].

لقد تكلم الفلاسفة وما زالوا عن وجود الله: هل لهذا الكون من خالق ومبدأ أول؟ وعلى فرض وجوده: هل هو واحد أو أكثر؟ أثبتنا فيما سبق بالعديد من الأدلة وبأساليب شتى تبعا لموضوع الآيات وجود الخالق الواحد؛ والآن ونحن نستعرض (أثر سورة الإخلاص في معالجة الواقع المعاش)، وخصوصًا بعد ظهور كثير من الأصوات الداعية الى الألحاد، في واقعنا المعاصر مع بدء التثقيف لها وبثها بين الناس سواء على المستوى الإعلامي، كاللقاءات التلفزيونية، أو بنشر ثقافياً عن طريق البرامج الداعية لذلك؛ تنكر طائفة الملحدين [٢]، والماديين[٣]،

١/ ينظر: محاضرات: في علم الكلام المعاصر. ودراسات قرآنية معاصرة.

٢/ الإلحاد: إن ما يهمنا من معنى الإلحاد هو معناه المستعمل فيه فيما يخص مسألة الوجود الإلهي، وليس معناه اللغوي. وبالرجوع إلى أنحاء استعماله وتداوله نجد أنه يعني: ترك الاعتقاد بوجود إله لهذا الكون. فعبارة ترك الاعتقاد أعم من الاعتقاد بعدم وجود إله، وأعم من الشك مع الإعراض عن الاعتقاد بوجود إله؛ فهي شاملة لكلا الموقفين. ينظر: الالحاد أسبابه ومفاتيح العلاج، محمد سمير ناصر/ ٢٧-٢٨.

٣/ الإيمان بالطبيعة / المادة كسقف واحد للوجود الإنساني هو المادية. والفلسفة المادية هي المذهب الفلسفي الذي لا يقبل سوى المادة باعتبارها الشرط الوحيد للحياة الطبيعية والبشرية، ومن ثم فهي ترفض الإله كشرط من شروط الحياة، كما أنها ترفض الإنسان نفسه إن كان متجاوزا للنظام الطبيعي – المادي، ولذا فالفلسفة المادية ترد كل شيء في العالم (الإنسان والطبيعة) إلى مبدأ مادي واحد هو القوة الدافعة للمادة والسارية في الأجسام والكامنة فيها والتي تتخلل في أثنائها ونضبط وجودها. قوة لا تتجزأ ولا يتجاوزها شيء ولا يعلو عليها أحد، وهي النظام الضروري والكلي للأشياء؛ نظام ليس فرق الطبيعة وحسب، ولكنه فوق الإنسان أيضا. الفلسفة المادية وتفكيك الانسان، د. عبد الوهاب المسيري / ١٦- ١٧.

قال دارون: إن الطبيعة تخلق كل شيء ولا حد لقدرتها على الخلق. فهو ينفي الخلق المباشر من الله للإنسان على صورته، بل ينفي يد الله من عملية الخلق كله كما ينفي الغاية، والقصد لأنه يقرر أن الحياة قد وجدت على الأرض بالصدفة في ظروف معينة (لم تكرر مرة أخرى)، وان تفسير الحياة وتطورها بإرجاعها للإرادة الإلهية يكون بمثابة إدخال عنصر خارق

والعلمانيين [١]، وجود الله تعالى أن يكون لهذا الكون إله خالق مدبر ميسر، بل يزعمون أنه وجد صدفة، وأن الطبيعة بقوانينها هي التي تسير في حركة ذاتية يحكمها قانون التطور والارتقاء؛ فالعناصر والكائنات تتطور وترتقي من حال إلى حال ومن كون إلى كون، فالقرد يتطور إنسانًا، والإنسان ينتهي إلى تراب، ولا يوجد إله يخلقه، أو يحييه، أو يميته، وهذه الفكرة انطلقت من بعض التصورات العلمية وهي فكرة: (التفسير الميكانيكي للكون) [٢]. يقول رولان أومنيس: ((لا أحد ينكر أن ديكارت ترك بصماته علينا جميعا، ولو حتى بمجرد التصور الميكانيكي للواقع، حيث نرى العالم الفيزيقي وظواهره كآلة ميكانيكية بأجزائها الشتى))[٣]. ترى هذه الفكرة إن الكون عبارة عن مكانة كبيرة يحرك بعضها البعض الاخر، وهكذا فهي تسير بانتظام من دون أي خلل، وجميع ظواهر العالم مترابطة على هذا الأساس، فكل ظاهرة في الكون فهي وليدة ظواهر أخرى قد نعلمها أو نجهلها، وعلى هذا استفاد الماديون من هذه الفكرة، فقالوا: إذن لن نحتاج الى علة غيبية وراء ظهور هذا العالم، ففكرة (وجود الله) لم تعد مفيدة لأننا اكتشفنا العلة وراء هذه الظواهر المتنوعة، وهذه العلة هي التفاعل الميكانيكي المنتظم [٤]

إن معرفة (وجود الله) عند اهم الفلاسفة الماديين المنظرين للدين، إمثال: لودفيج فويربانخ (ت: ١٨٧٢م)، رأى: ان الآلة اختراع إنساني فهو الخالق الفعلي للأديان جميعاً، تلك الفكرة التي ستتطور مع تلميذه (كارل ماركس، ت: ١٨٨٣م) والذي سيعلن أن الانسان هو الذي

للطبيعة في وضع ميكانيكي بحت. الالحاد الديني في مجتمعات الإسلام (نشأته وتطوره ومذاهبه المعاصرة)، د. صابر عبد الرحمن طعيمه/ ١٠٢- ١٠٣.

١/ العلمانية كلمة قد تبدو عند البعض محببة إلى النفوس لأنها مشتقة من العلم. وسر اختيار هذه الكلمة أنها تعبر عن المقصود من دون صدام المشاعر والأحاسيس، ومن هنا نحس خبث ترجمة الكلمة (Secularism) إلى العلمانية، وهي ترجمة مضللة لأنها توحي بان لها صلة بالعلم، بينما هي في لغاتها الأصلية لا صلة لها بالعلم، بل المقصود بها في تلك اللغات: هو إقامة الحياة بعيدا عن الدين، أو الفصل الكامل بين الدين والحياة. الالحاد الديني في مجتمعات الإسلام (نشأته وتطوره ومذاهبه المعاصرة) / ١٢٨ .

٢/ ينظر: فلسفة الكوانتم – فهم العلم المعاصر وتأويله- رولان أومنيس ، ترجمة / أ.د. أحمد فؤاد باشا ، أ.د. يمنى طريف الخولي / ١٠٣ .

٣/ فلسفة الكوانتم – فهم العلم المعاصر وتأويله / ١٠٣.

٤/ ينظر: فلسفة الكوانتم – فهم العلم المعاصر وتأويله- رولان أومنيس / ٣٤٨- ٣٥٠. مبادئ مكانيكا الكم، بول ديراك، ترجمة: أ.د. محمد أحمد العقر، و أ. د. عبد الشافي فهمي عبادة / ١٠.

خلق الله لا العكس، حتى يصل إلى نتيجة، مفادها: أن المقدس نتاج وهمي خيالي للحقيقي الإنساني [١].

أما كارل ماركس: ففكرة (وجود الله) هو الإنسان الذي أوجد الإله وخلقه، وكما يقول: ((الدين هو زفرة الخليقة المقهورة، وهو مزاج عالم بلا قلب، وهو روح الأحوال بلا روح، إنه أفيون الشعوب)) [٢] .

يطالب (ماركس)، بالتخلص من الدين الذي عنده إلا وهم كبير، ذلك المخدر الذي يغيب وعيها فلا تطالب بحقوقها، وتفضل العيش في ذلة وانكسار، لذلك كان على كافة الأمم والشعوب الحرة المستنيرة – من وجهة نظر ماركس – أن تتخلى فورًا عن الدين، وتزيل كل أثر له في حياتها، إذا أرادت أن تضع أقدامها على طرق السعادة الحقيقية، والحقيقة أن الدين الصحيح لا يخدر الشعوب، ولا يلهيها عن المطالبة بحقوقها الدنيوية، ولا يقر الظلم ولا يرضى بالفساد والانحراف. فإن صح ادعاء ماركس في شأن بعض الأديان فلا يصح بحال في شأن الإسلام [٣].

أما حسن حنفي أعلن بصراحة ووضوح عن ماركسيته ، ورفضه للمقدمات التقليدية في علم أصول الدين، لأنها تصدر عن غيب وإيمان بما لا يقع تحت الحس ، لذلك دعا إلى التخلي عن كل مصطلحات الدين، و يرى: أن النبوة قد انتهت، وأن العقل قادر بذاته على بلوغ درجة اليقين وتحقيق رسالة الإنسان، دونما تدخل من أي إرادة خارجية عامة أو مشخصة ، فهو ينتقد بقوة نظرة القدامى إلى الوحي وإلى الرسول ﷺ وأهل البيت عليهم السلام ويرى كما يرى الماركسيون تمامًا ، أن السلطة السياسية هي التي اخترعت مصطلح السلطة الإلهية، إذ لم يكن بإمكانها أكتساب شرعيتها إلا عبر الترهيب بالسلطان الإلهي [٤]. يفصح عن رأيه غير هياب ولا وجل ، بأنه إذا كانت العلوم القديمة بمقدماتها الإيمانية تبدء (باسم الله الرحمن

١/ ينظر: فلسفة الدين المصطلح من الارهاصات إلى التكوين العلمي الراهن، د. غياض السيد علي / ٧٦ –٧٧.

٢/ فلسفة الدين – المصطلح من الارهاصات إلى التكوين العلمي الراهن / ٧٨.

٣/ ينظر: فلسفة الدين – المصطلح من الارهاصات إلى التكوين العلمي الراهن – د. غياض السيد علي/ ٧٧.

٤/ ينظر: من العقيدة الى الثورة (المقدمات النظرية)، د. حسن حنفي / ٧ –١٢. التجديد في الفكر الإسلامي، د. عدنان محمد أسامة /٣٨٨– ٣٨٩. نقد النص (النص والحقيقة)، علي حرب / ٢٨.

الرحيم)، فإنه يبدا كتابه (من العقيدة الى الثورة)، (باسم الأمة أو الأرض) [1].وقد جاءت نتائج هذا التجديد المزعوم زندقة وكفرة وإلحاد.

نشير إلى دليل التوحيد من أن نفس البرهان على وجود الخالق يدل تلقائيًا على أنه واحد، سواء أكان هذا الدليل ، الأفعال أو الآثار التي تدل على الفاعل والمؤثر، إذ لا أثر طبيعي في الكون يشير من قريب أم بعيد أنه صادر عن أكثر من واحد، لأن وحدة النظام والتدبير تدل على وحدة المنظم والمدبر ، وأيضا يستحيل أن يكون للعالم إلهان ؛لأنه لا يخلو من أحد فرضين : إما أن يكون كل منهما قادر على خلق الكون مستقلا ومن دون معين وشريك ، وإما أن يكون عاجزًا عن ذلك إلا بمعين وشريك ، وعلى الفرض الأول يكون وجود أحدهما كعدمه ولزوم ما لا يلزم ، وعلى الثاني يكون فقيرًا وضعيفا ، وتعالى رب العالمين عن هذا وذاك ،فتعين التوحيد ونفي الشريك والمثيل﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ قاضي الحاجات بلا امتنان وأثمان﴿ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ﴾ بالتناسل كالإنسان والحيوان أو بالنشوء كالنبات لأن الولد بضعة من والده ، ثم يرتقي حتى يكون مثيلًا له ، وهو سبحانه واجد الوجود لا ينفصل عن ذاته شيء ، وليس كمثله شيء﴿ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴾ لأن كل مولود حادث يبتدئ وجوده بتاريخ ولادته ، والله هو الأول الذي لا أول لأوله ﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ في ذاته وصفاته وأفعاله [2].

أقام الله عز وجل الحجَّة العقلية الدامغة على الملحدين والمشركين، وتحدّى عقولهم وكل قواهم في نفي الإلحاد وفي نفي الشريك؛ وذلك من خلال تقرير مبدأ الخلق، إذ إن من القواعد العقلية الثابتة التي لا يمكن إنكارها، احتياج كل معلول إلى علة وكل منا يعايش جزئيات هذه القاعدة ومصاديقها في الخارج المحسوس المحيط بنا ، الظواهر الطبيعية وما فيها من شمس وقمر ، وكواكب ونجوم من الظواهر العظيمة ، لا بد لها من موجد أوجدها ، ففطرت الانسان تحدثه بأن هذا الكون أثر ، وكل أثر لابد وأن مؤثرًا قد أثره ، وموجدة قد أوجده ، فهناك – إذن – علة عظيمة القدرة، وقوة هائلة الجبروت، أوجدت هذا الكون وكل هذه الظواهر الطبيعية، وإن لم يكن يراها ويعاينها بناظريه أو يعايشها بحواسه فهذا الدليل من أبسط الأدلة [3].

١/ ينظر: من العقيدة الى الثورة (المقدمات النظرية) / ٤٢– ٤٣. و نقد النص (النص والحقيقة) / ٢٩.

٢/ ينظر: التفسير المبين، محمد جواد مغنية / ٨٢٦.

٣/ ينظر: بداية المعرفة، حسن مكي العاملي / ٧٧.

كذلك أن لكل متحرك محركًا يحركه فيكون مولد لحركته، لكن هذا لا يمكن من أن يستمر إلى ما لا نهاية بهذه الطريقة، لا بد لنا أن نتوقف عند محرك أول، يحرك ولا يتحرك، وهو الله، وبتعبير آخر: أن لكل معلول علة أحدثته، ولا يمكن التسلسل في العلل إلى ما لا نهاية، بل لا بد من الوقوف عند علة أولى، وهذه العلة هي الله [1].

يخاطب القرآن الوجدان البشري ليوقظه إلى حقيقة الألوهية، فإنه كذلك يخاطب العقل البشري ليفكر ويتدبر، وينظر في آيات الله وفي الكون ليعرف دلالتها، إن اثر القدم يدل على المسير، ووجود الانسان دل على وجود ابوين له ، بهذا يدلل ﷻ على نفسه بامر نبيه ﷺ بأثبات وحدانيته ووجوده تعالى ، فيقول : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ ، هل في استطاعة ، المنكر لوجود الله تعالى ان يخبرنا كيف وجد الله نفسه ؟ .

كذلك: إن عالم الطبيعة خاضع لنظم دقيقة، كشفت العلوم الحديثة عن الكثير منها، فهذا الوجود الذي نشهد دورته في كل يوم وليلة، يخضع من أصغر ذراته إلى أعظم مجراته ، لقوانين في غاية الدقة تضبط حركاتها وتحولاته، وترعى الروابط بين أجزائه .كذلك الكائنات التي تحيا فيه ، تعيش النظام الدقيق في خلاياها وأعضائها ، وتفاعلها مع محيطها ، بما يضمن بقاءها وتكاملها ، وهذه جميعها محتاجة الى غيرها في من يرعى هذا النظام العجيب واستمرار حركتها بهذه الدقة والانتظام ، فوصف الله نفسه :﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾(بالصمد) يثبت أنّ أحد معاني الصمد هو (المقصود لكل محتاج)فإذا كان الله مقصود كلِّ محتاج ولم يكن أيُّ مقصود سواه برهن تعالى:(بصمديته) على وجوده ، وبهذه الآيتين خرج من الحدين : حد الإبطال ، وحد التشبيه[2]

وبالرجوع إلى إن لابد للكون من مدبر، وبعبارة أخرى: لا يمكن الفصل بين قضية تدبير شؤون الكون فيما يخص الإنسان والعالم، وبين قضية الخلق؛ فليس التدبير إلا الخلق، فإذا كان خالق الكون والإنسان واحد، فإن مدبره واحد أيضا؛ إذ لا ريب في وجود صلة وثيقة وعلاقة متينة بين تدبير العالم وخلقه، ومن هنا، تجد القرآن الكريم عند وصفه الله سبحانه

١/ فلسفة الدين، د. غياض السيد علي / ١٠٠.

٢/ ينظر: الهداية، الشيخ الصدوق / ١٢. ومفاهيم القرآن، الشيخ السبحاني،١ / ٣٢٧ وبداية المعرفة، حسن مكي العاملي / ٧٩.

وتعالى بالخالقية، يلمح إلى كونه المدبر للمخلوقات أيضا[1]. فيقول تعالى في مواضع مختلفة:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾{ الرعد: ٢} ،﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ﴾{ لقمان: ١٠} ،﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ { يونس: ٣}،﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ { يونس: ٣١}،﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ { الأنعام: ١٦٤}،﴿ رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ ﴾ { الأنبياء: ٥٦} ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ { فاطر: ٣} ، ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِۦ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾{ الأنعام: ٤٦}،﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾{ الدخان: ٣٨} ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾{ آل عمران:١٩٠- ١٩١}، ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾{ ص: ٢٧} .

روى أن الإمام زين العابدين علي بن الامام الحسين عليه السلام (ت: ٩٤هـ) رحمه الله كان في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم إذ سمع قومًا يشبهون الله بخلقه، فقال في مناجاته عليه السلام : ((إلهي بدت قدرتك ، ولم تبد هيئة جلالك فجهلوك ، وقدروك بالتقدير على غير ما أنت به ، ليس كمثلك شئ ، إلهي ولم يدركوك ، وظاهر ما بهم من نعمة دليلهم عليك لو عرفوك))[2].

١/ ينظر: الكلام الإسلامي المعاصر، د. عبد الحسين خسروبناه ، ترجمة : محمد حسين الواسطي ، ١/ ١٤٥- ١٤٦. تجديد الفكر الديني في الإسلام، محمد إقبال، ترجمة: عباس محمود / ١٧ – ١٩.

٢/ ينظر: الصحفية السجادية / ٣٣ (التوحيد).

ففي ضوء النظر والتتبع يظهر، أن النظام والانسجام السائد على أرجاء الكون يهدينا إلى وحدة الخالق والمدبر له، إذ لوكان هنالك أكثر من صانع وشريك في الخلق والربوبية لاستلزم ذلك الاختلاف والفساد في الأرض والسماء.

الله تعالى منزه عن جميع أنحاء التجزئة والتركيب (العقلية والوهمية والخارجية)؛ لأنه إن كان مركبة من الأجزاء افتقر إليها، وهو ما لا ينسجم مع واجبية الوجود، فصفة (واجب الوجود) تستلزم إثبات البساطة له، ونفي التركيب عنه، و آيات التنزيل تدل على هذا المعنى أيضا ،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾{ العنكبوت: ٦}،﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾{ الزمر: ٤} ،﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ ، كما إثبات التوحيد الواحد ببرهان (صرف الوجود): بعدما ثبتت واقعية واجب الوجود ، يثبت أيضا أنه (صرف الوجود)، وأنه (لا يتثنى ولا يتكرر) إي : هو الموجود الذي يتحد وجوده مع ذاته (وجوده عين ذاته)، ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ ، وخلافا لما هو حال الممكنات: لا سبيل لأي حيثية عدمية إليه ، فإذا افترضنا إلها آخر، وجب أن يكون كذات واجب الوجود، ولما كان الله وجوداً محضاً غير محدود في حال، فإن هذا الفرض ينتفي وينتقض عقلا[1]. ومن جهة أخرى: فإن كل موجود مركب مفتقر إلى أجزائه التي تركب منها؛ في حين أن واجب الوجود لا يجوز فيه أن يكون فقيراً أو محتاجاً لأي شيء. وعليه: فإن نفي الحاجة يستلزم نفي التركيب في واجب الوجود، ونفي التركيب يستلزم نفي الشبيه والنظير فيه. ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾،﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ { الشورى: ١١}، ﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾{ إبراهيم: ٤٨}، كما إثبات الواحد ببرهان (وحدة الأنبياء) أن بتعدد واجد وواجب الوجود، لزم أن يبادر كل منهم إلى إرسال الرسل، وإنزال الكتب؛ لهداية الناس، لكنه أمر لم يحدث[2].اخبر الله ﷻ عن ذلك بقوله :﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ﴾ { المؤمنون: ٩١}،﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ﴾{ الأنبياء: ٢٢} ، ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾{ الإسراء: ٤٢} ، ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِنْ

١/ ينظر: الكلام الإسلامي المعاصر، د. عبد الحسين خسروبناه/ ١٣٧- ١٣٨.

٢/ ينظر: المصدر نفسه / ١٣٨- ١٤٠ .

دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ ۖ هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾{ الأنبياء: ٢٤}، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾{ الأنبياء: ٢٥} ،﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾{ الزخرف: ٤٥} . برهان الممكن والواجب وفحواه: أن الموجودات قسمان: واجبة الوجود وممكنة الوجود، يعتمد الثاني في وجوده على الأول، الذي يوجد بذاته، ولا يحتاج غيره ليوجده، وهذا الوجود الواجب بذاته هو الله، كما أن هذا النظام الموجود في الكون لا بد له من منظم عاقل؛ فهذا النظام العجيب الذي يسود العالم يفرض ذلك، فكل حدث يهدف إلى غاية معينة، والأشياء كلها تميل إلى تحقيق غاية واحدة، وهذا لا يأتي صدفة أو عبثا، بل هو فعل كائن منظم عاقل مدبر وهو الله تعالى [1].

١/ ينظر: فلسفة الدين، د. غياض السيد علي/ ١٠١.

يبحث هذا اللون من التفسير في مجال المصطلحات المستقاة من القرآن الكريم، ومن لازم هذا النوع ألا يدخل في تفسير الموضوعي أي مصطلح ليس مأخوذًا من كتاب الله تعالى، ويكون بتتبع لفظة أو مصطلح من كلمات القرآن الكريم وجمع الآيات التي ترد فيها أو مشتقاتها من مادتها، ثم استنباط دلالتها من خلال استعمال القرآن لها، وعليه إن هناك من عد هذا النوع من الاستقصاء هو الذي يتبادر الى الذهن عند إطلاق اسم التفسير الموضوعي [١].

فتتبع اللفظة هو عين موضوع الدراسة، غير أنها ترتكز على أدوات منهجية محددة سبق توضيحها، وهي مستمدة من خلال خطوات التفسير الموضوعي، أختيار المصطلح القرآني مع الإحصاء الشامل للآيات، والاستقراء التام، والوصف الدقيق، والتصنيف المفهومي لكل الظواهر اللغوية التي تكتنف المصطلح وما يتعلق به.

جاء اختيارنا للموضوع القرآني الذي سنتناوله بالدراسة في هذا البحث هو مصطلح: (التقوى في القرآن)، وهو من الموضوعات الأصلية والرئيسة التي يدور حولها القرآن وما يتفرع عنها من فروع، مع مراعاة النظر في المقاصد والأهداف التي أرادها الشارع من ذكره لهذ المصطلح، فقد وردت هذه اللفظة في أكثر من مورد في القرآن الكريم، كذلك الروايات وهذا ما يدل على اهتمام الشارع المقدس بهذا المصطلح؛ إذ أشار إليه كثيراً في كلماته المباركة وفي مناسبات عدة.

أولاً: مصطلح التقوى

التقوى لغةً:

التّقْوَى في الأصل: وَقوى؛ وكل ما وقى شيئاً فهو وِقاء له ووقاية، تقول: توق الله يا هذا، ومن عصى الله لم تَقِهِ منه واقية إلا بإحداث توبة [٢].

(وقى): الواو والقاف والياء: كلمة واحدة تدل على دفع شيء عن شيء بغيره. ووقيته أقيه وقياً والوقاية: ما بقي الشيء. واتق الله: توقه، أي اجعل بينك وبينه كالوقاية؛ قال ﷺ :(اتقوا النار ولو بشق تمرة) ، وكأنه أراد : اجعلوها وقاية بينكم وبينها[٣]. فوقاه الله السوء يقيه ووقاية

١/ ينظر: التفسير الموضوعي المفهوم والمنهج، اعداد: مركز المعارف للمناهج والمتون العلمية / ١٠١.

٢/ ينظر: كتاب العين، الخليل بن احمد الفراهيدي، ٥/ ٢٣٨(باب: القاف ووالواو والياء) .

٣/ ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٦/ ١٣١ (باب: الواو – القاف – الياء).

بالكسر: حفظه، إي اتقيت الله اتقاء [١]، وقاه الله وقياً ووقاية: صانَهُ وستره عن الأذى وحماهُ مما يؤذيه ويضره، فهو، واقٍ؛ قال تعالى :﴿ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾{ الرعد: ٣٤}؛ أَي مِن دَافِعٍ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ { التحريم: ٦} وقيل: رجل تقي، ويجمع أتقياء، معناه : أنه موق نفسه من العذاب والمعاصي بالعمل الصالح [٢].

فالتقوى: جعل النفس في وقاية مما يخاف ويحذر منه. وصار التقوى في تعارف الشرع: حفظ النفس عما يؤثم، وذلك بترك المحظور [٣].

فالتقوى: مشتقة من فعل (وقي) وهو بمعنى الحفظ والصيانة والمحافظة على النفس، فجاءت بلفظ مختلف كالصيانة والستر من الأذى، ومخافة الله والعمل بطاعته، والخشية وغيرها، وجل هذه الاوصاف بالنظر العميق لها يظهر إنها ترجع إلى معنى واحد، وهو الحفظ من الوقوع في الحرام أو المكروه، وصون النفس وسترها عن حلول الأذى فيها.

التقوى اصطلاحاً:

عرفت التقوى بتعاريف عدة مع أن الجميع يدور حول مفهوم واحد، وهو أن يأخذ العبد وقايته من سخط الله ﷻ وعذابه، وذلك بامتثال المأمور واجتناب المحظور. هناك من عرفها بإنها التخلي من كل مذموم، والإقبال إلى كل محمود [٤] ، كذلك: الاحتراز بها عن المعاصي، والحذر عما نهى الله تعالى عنه [٥].كما إن هناك من أعتبرها ملكة نفسانية تصد النفس عن الوقوع في الخطأ والذنوب أي حفظ النفس عما يؤثم[٦].

إذاً: هي سمة الخوف الباطنية والوازع الذاتي الذي يعصم الإنسان من الوقوع في المعاصي والآثام؛ أي أنها مفهوم جامع يضم كافة التكاليف الإلهية والاخلاقية والإنسانية [٧]. وقد شحن

١/ ينظر: المصباح المنير، أحمد محمد علي الفيومي، (ت: ٧٧٠هـ)، ٢/ ٦٦٩ (و. ق .ي).

٢/ ينظر: تاج اللغة وصحاح اللغة العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، ٦/ ٢٥٢٦- ٢٥٢٧ (وقى)، ولسان العرب، ابن منظور، ١٥/ ٤٠١ (فصل الهاء). تاج العروس، الزبيدي / ٢٢٧ – ٢٣٠ (مادة وقى).

٣/ ينظر: مفردات الفاظ القرآن / ٥٣٠ – ٥٣١ (فصل الواو).

٤/ ينظر: تفسير السلمي، عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الازدي السلمي (ت: ٤١٢هـ)، ٢/ ٨٠.

٥/ينظر: تفسير السمعاني، السمعاني ،٤/ ٢٧٩.

٦/ ينظر: مفردات الفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني/٥٣٠ – ٥٣١ (فصل الواو).

٧/ نفحات القرآن (أسلوب جديد في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم)، ناصر مكارم الشيرازي، ٦ / ١٦٧.

بمدحها القرآن، وكفاها شرفًا في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾{ النساء: ١٣١} ، ولو كان هناك خصلة أصلح للعبد وأجمع للخير، من هذه الخصلة التي هي التقوى لكان الله أوصى بها عباده ، لكن لحكمته ورحمته سبحانه أوصى بهذه الصفة جميع الأولين والآخرين واقتصاره عليها علماً أنها الغاية التي لا يتجاوز عنها ، ولا مقتصر دونها[١]. ونتج ذلك لحصيلة اجتماع الخوف والرجاء الشديدين المتوازنين في قلب المؤمن، والحفاظ عليهما حتى تكون ملكة ثابتة في نفسه، قال ﷻ:﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ { محمد: ١٧}، من متممات هذه المنزلة، ومقربات الوصول إلى هذه الغاية أن يشتد الخوف في قلب المؤمن، فيبكي خشية من الله لما اقترف من الذنوب، أو يبكي ندما على ما قابل به ربه الكريم من العصيان، أو خجلا مما تفضل عليه من النعم والأيادي[٢].

يظهر في ضوء التعريفات هي ذلك الإحساس الداخلي بالمسؤولية، ولولا هذا الإحساس فإن الإنسان لا يندفع ولا يتحرك باتجاه أي فعل بناء فهي الهدف الأسمى للهداية والانتفاع بآيات الله تعالى، قال ﷻ :﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾{ البقرة: ٢} ، إذاً هي العامل الأساس والفاعل في التفاضل بين البشر.

ثانياً: الجمع الموضوعي لمصطلح التقوى.

لقد جزلت السياقات القرآنية في ورود لفظة التقوى ، ولا يقف الأمر عند هذا الامر، فهي أيضا بمفهومها الواسع تعدد معناها المباشر إلى العديد من المعاني مقترنة بأمور كثيرة، ولم تأت على معنى واحد، وبالجمع الموضوعي لها تتبين لنا علاقة هذه المعاني ببعضها الآخر، مع كشف علاقة التقوى بحياة جميع أفراد المجتمع ، وحصيلة هذه الآثار ومدى سلطتها على الواقع الإنساني ، فجاءت الدراسة الموضوعية لها ، للكشف عن مقاصدها ، إذ هي من أكثر الألفاظ ورودًا في القرآن الكريم؛ إذ توارد لفظ التقوى في (٢٥٩) موضع، وفي ضوء ذلك : لم يتكرر لفظ في القرآن مثلما تكرر لفظ التقوى اهتماما بشأنها[٣].

١/ ينظر: نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، محمد باقر شريف الرضي المحمودي (معاصر)، ٧ / ٥٩.

٢/ ينظر: كلمة التقوى، محمد أمين زين الدين، ٣/ ٣٤٠.

٣/ ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ١/ ٢٨٨.

وفائدة التتبع المستقل لموضوعات القرآن، يستكمل فيه المفسر الفكرة ويستقصيها بحيث يستطيع فهم المعنى والغرض مكتملاً، وإظهار السياقات المختلفة، بحيث يتمكن المطلع أو القارئ من الإلمام بكافة جوانب الموضوع بسهولة [١].

ونتيجة لاهتمام القرآن الكريم بهذا المصطلح جاء ذكرها متكرراً في السور الآتية :(البقرة/ مدنية)(آل عمران / مدنية)(النساء/ مدنية)(المائدة / مدنية)(الانعام / مكية)(الأعراف/ مكية)(الانفال/ مدنية)(الرعد/ مدنية)(الحجر/ مكية)(النحل/ مكية)(مريم/ مكية)(الحج/ مدنية)(المؤمنون/ مكية)(النور/ مدنية)(الشعراء/ مكية)(القصص/ مكية)(العنكبوت/ مكية)(الروم / مكية)(لقمان/ مكية)(الأحزاب / مدنية)(يس/ مكية)(الصافات/ مكية)(ص/ مكية)(غافر/مكية)(الدخان/ مكية)(الانسان / مدنية)(النجم/ مكية)(النمل/ مكية)(يوسف/ مكية)(يونس/ مكية)(الزمر/ مكية)(فصلت / مكية)(الزخرف/ مكية)(المزمل/ مكية)(التوبة/ مدنية)(طه / مكية)(هود/ مكية)(العلق / مكية)(المدثر/ مكية)(الأنبياء/ مكية)(الحاقة / مكية)(محمد/ مدنية)(الفتح/ مدنية)(الحجرات/ مدنية)(الذاريات/ مكية)(الطور/ مكية)(القمر/ مكية)(ق / مكية)(الحديد/ مدنية)(المجادلة/ مدنية)(الحشر/ مدنية)(الممتحنة / مدنية)(التغابن/ مدنية)(الطلاق/ مدنية)(التحريم/ مدنية) (القلم/ مكية)(نوح / مكية)(المرسلات/ مكية)(النبأ / مكية)(الليل/ مكية)[٢].

نظمت (مادة التقوى) إحصائيًا على ترتيب المعاجم المفهرسة لألفاظ القرآن الكريم[٣] ، وذلك للاستعانة بها في الجمع الموضوعي لمادة بحثنا في هذا المبحث ، مع بيان مختصر على كل مادة من هذه المواد بما يناسبها ، اعتماداً على كتاب المفردات : للراغب الاصفهاني ،

١/ ينظر: التقوى في القرآن دراسة في التفسير الموضوعي، محمد الدبيسي /٢٣.

٢/ ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي / ٧٥٨- ٧٦١ (و. ق. ي). والمعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم، صبحي عبد الرؤوف عصر / ١١٣- ١٢٦ (و. ق. ي). ومعجم الفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية للمعجمات وإحياء التراث، ٢/ ١١٩٥- ١١٩٨(و. ق.ي) . والمعجم المفهرس للتراكيب المتشابهة لفظا في القرآن الكريم محمد زكي محمد خضر/ ٣١٩- ٣٢٤ (حرف الواو) – المكتبة الشاملة. ومصحف المدينة المنورة، للنشر الحاسوبي.

٣/ ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم/ ٧٥٨- ٧٦١ (و. ق. ي). والمعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم/ ١١٣- ١٢٦ (و. ق.ي). ومعجم الفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية للمعجمات وإحياء التراث، ٢/ ١١٩٥- ١١٩٨(و. ق. ي). و المعجم المفهرس للتراكيب المتشابهة لفظا في القرآن الكريم / ٣١٩- ٣٢٤ (حرف الواو) .

ومفردات القرآن ، ونظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية: عبد الحميد الفراهي الهندي ، وقد ذكرت مثالاً قرآنياً واحداً لكل لفظ ، مع بيان موقع هذا المصطلح في باقي الآيات التي لم أذكرها، بالإشارة الى اسم السورة ورقم الآية ، واتبعنا ذلك اختصارا ، لكثرة تكرار هذا المصطلح في القرآن الكريم فتجنباً للأطلة .

ت	اللفظ	عدد تكرارها	دليلها من القرآن الكريم	رقم الآية	اسم السورة	معنى اللفظ
١	وقانا	١	﴿وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾	٢٧	الطور	حمانا [١] مما يؤذي
٢	وقاه	١	﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾	٤٥	غافر	الحفظ
٣	وقاهم	٣	﴿وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾	١٨ ٥٦ ١١	الطور الدخان الانسان	حماهم عنه
٤	تق	١	﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ﴾	٩	غافر	حفظ النفس عما يؤثم
٥	تقيكم	٢	﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ ﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾	٨١ ٨١	النحل النحل	تحفظ وتحم
٦	قنا	٣	﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾	٢٠١ ١٦ ١٩١	البقرة آل عمران آل عمران	تحفظ وتحمي
٧	قهم	٢	﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟	٧ ٩	غافر غافر	تحفظ وتحمي

١/ ينظر: المفردات في اللفاظ القرآن، الراغب الاصفهاني / ٥٣٠ – ٥٣١ (حرف الواو – وقى). مفردات القرآن – نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية، عبد الحميد الفراهي الهندي (ت: ١٣٤٩هـ) / ٢٥٣– ٢٥٧ (٤٨ –الاتقاء).

			﴿سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾			
٨	قوا	١	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾	٦	التحريم	تحفظ وتحمي
٩	يوق	٢	﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾	٩ ١٦	الحشر التغابن	يحفظ ويحمي
١٠	اتقى	٧[1]	﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ﴾	١٨٩	البقرة	حمى نفسه بوقاية
١١	اتقوا	٢٠[2]	﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾	١٠٣	البقرة	استمسكوا
١٢	اتقين	١	﴿إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾	٣٢	الاحزاب	استمسكن بتقوى الله
١٣	تتقوا	١١[3]	﴿أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	٢٢٤	البقرة	هو التحفظ عما يخاف الضرر منه

١/ يرجع :(٢٠٣ / سورة البقرة) (٧٦ /ال عمران) (٧٧ /النساء) (٣٥ /الأعراف) (٣٣ /النجم) (٥ /الليل).

٢/ يرجع: (٤٨ و٢١٢/ سورة البقرة) (١٥و ١٧٢ و١٩٨ /آل عمران) (٦٥ و٩٣ مكرر ثلاث مرات – المائدة) (٩٦ و٢٠١ /الأعراف) (١٠٩ /يوسف) (٣٥ /الرعد) (٣٠ و١٢٨ /النحل) (٧٢ /مريم) (٢٠ و٦١ و٧٣ /الزمر).

٣/ يرجع: (٢٨ و١٢٠ و١٢٥ و١٧٩ و١٨٦ /آل عمران) (١٢٨ و١٢٩ /النساء) (٦٣ /الأعراف) (٢٩ /الانفال) (٣٦ / سورة محمد).

١٤	تتقون	١٩[١]	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾	٢١	البقرة	هو الخوف من شرّ
١٥	يتقي	٦[٢]	﴿وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗا عَلِيمٗ﴾	٢٨٢	البقرة	وعظ وارشاد وخوف
١٦	يتقهِ	١	﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾	٥٢	النور	يخافه ويستحييه
١٧	فليتقوا	١	﴿وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدًا﴾	٩	النساء	أمر بالتقوى وخوف
١٨	يتقون	١٨[٣]	﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾	١٨٧	البقرة	يخافوا معاصيه فيما أمرهم به، ونهاهم عنه وأباحهم إياها
١٩	اتق	٣	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِ﴾	٢٠٦ ١ ٣٧	البقرة الأحزاب الاحزاب	خوف وحفظ من الافساد

١/ يرجع: (٦٣ و١٧٩ و١٨٣ / سورة البقرة) (١٥٣ /الانعام) (٦٥و ١٧١ /الأعراف) (٣١ /يونس) (٥٢ النحل) (٢٣ و٣٢ و٨٧ /المؤمنون) (١٠٦ و١٢٤ و١٤٢ و١٦١ و١٧٧ /الشعراء) (١٢٤ / الصافات) (١٧ /المزمل).

٢/ يرجع: (٢٨٣ /سورة البقرة) (٩٠ /يوسف) (٢ و٤ و٥ /الطلاق).

٣/ يرجع: (٣٢ و ٥١ و ٦٩ مكرر / الانعام) (١٥٦ و ١٦٤ و ١٦٩ /الأعراف) (٥٦ /الانفال) (١١٥ /التوبة) (٦ و ٦٣ /يونس) (٧٥ /يوسف) (١١٣ /طه) (١١ /الشعراء) (٥٣ /النمل)(٢٨ /الزمر)(١٨ /فصلت).

٢٠	اتقوا	٦٩[1]	﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾	٢٤	البقرة	التمِسوا وقايةً من النار
٢١	اتقونِ	٥[2]	﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾	٤١	البقرة	تنبيه للأمر بالإيمان واتباع الحق
٢٢	اتقوه	٤	﴿وَأَنۡ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾	٧٢ ١٦ ٣١ ٣	الانعام العنكبوت الروم نوح	حفظ وحماية النفس
٢٣	اتقين	١	﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيۡهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّۚ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ﴾	٥٥	الاحزاب	حماية وحفظ مما يؤثم

١/ يرجع : (٤٨ و ١٢٣ و ١٨٩ و ١٩٤ و ١٩٦ و ٢٠٣ و ٢٢٣ و٢٣١ و ٢٣٣ و ٢٧٨ و ٢٨١ و ٢٨٢ /سورة البقرة) (٥٠ و ١٠٢ و ١٢٣ و ١٣٠ و ١٣١ و ٢٠٠ /آل عمران) (١ مكرر و ١٣١ /النساء) (٢ و ٤ و ٧ و ٨ و ١١و ٣٥ و ٥٧ و ٨٨ و ٩٦ و ١٠٠ و١٠٨ و ١١٢ /المائدة) (١٥٥ /الانعام) (١ و ٢٥ و ٦٩ /الانفال) (١١٩ /التوبة) (٧٨ /هود) (٦٩ /الحجر) (١ /الحج) (١٠٨ و ١١٠ و ١٢٦ و ١٣١ و ١٣٢ و ١٤٤ و ١٥٠ و ١٦٣ و ١٧٩ و ١٨٤ /الشعراء)(٣٣ /لقمان) (٧٠ /الأحزاب) (٤٥ /يس) (١٠ /الزمر) (٦٣ /الزخرف) (١ و ١٠ و ١٢ /الحجرات) (٢٨ /الحديد) (٩ /المجادلة) (٧ و ١٨ مكرر /الحشر) (١٦ /التغابن) (١ و ١٠ /الطلاق) (١١ /الممتحنة) .

٢/ يرجع: (١٩٧ /سورة البقرة) (٢ / النحل) (٥٢ /المؤمنون) (١٦ /الزمر).

٢٤	الاتقى	١	﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾	١٧	الليل	الأكثر تقوى ترك المحظور
٢٥	أتقاكم	١	﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾	١٣	الحجرات	الأكثر تقوى
٢٦	واق	٣	﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾	٣٤ ٣٧ ٢١	الرعد الرعد غافر	من حام وحافظ
٢٧	تقيا	٣	﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾	١٣ ١٨ ٦٣	مريم مريم مريم	اجتنب ما يضربالفهم الصائب
٢٨	تقاة	١	﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾	٢٨	آل عمران	اتقاء وخوفاً
٢٩	تقاته	١	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾	١٠٢	آل عمران	وقاية النفس من المحضور
٣٠	التقوى	١٥[1]	﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾	١٩٧	البقرة	جعل النفس في وقاية مما يخاف
٣١	تقواها	١	﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾	٨	الشمس	حفظ النفس بما تأتي وبما تترك

١/ يرجع :(٢٣٧ /سورة البقرة) (٢ و ٨ /المائدة) (٢٦ /الأعراف) (١٠٨ و ١٠٩ /التوبة) (١٣٢ /طه) (٣٢ و ٣٧ /الحج) (٢٦ /الفتح) (٣ /الحجرات) (٩ /المجادلة) (٥٦ /المدثر) (١٢ /العلق).

٣٢	تقواهم	١	﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾	١٧	محمد	لما لها من حفظ نفوسهم
٣٣	المتقون	٦[١]	﴿وَمَا لَهُمۡ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمۡ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ﴾	٣٤	الانفال	أصحاب التقوى بطاعة الله والبعد عن المعصية
٣٥	المتقين	٤٣[٢]	﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾	٢	البقرة	وصف وتأكيد لما فيه حفظهم
٣٦	يتقي	١	﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾	٢٤	الزمر	تنبيه على شدة ماينالهم وأجدر شيء يتقون به من العذاب يوم القيامة هو وجوههم

ثالثاً: البيان التحليلي لمصطلح التقوى.

التقوى: تعني الوقاية بدفع شيء عن شيء بغيره، لحفظ الروح والنفس مما يخشى مضرته [٣]، جاء في تفسيرها على معان عده منها: الخوف، والصيانة، والامتناع عن القبائح والأهواء، والستر والحماية من الأذى [٤]. فالتقوى: التخشّع بين يدي المنعم ﷻ الذي يرحم على الشاكر

١/ يرجع: (١٧٧ /سورة البقرة) (٣٥ /الرعد) (١٥ /الفرقان) (٣٣ /الزمر) (١٥ /محمد).

٢/يرجع: (٦٦ و ١٨٠ و ١٩٤ و ٢٤١ /سورة البقرة) (٧٦ و ١١٥ و ١٣٣ و ١٣٨ /آل عمران) (٢٧ و ٤٦ /المائدة) (١٢٨ /الأعراف) (٤ و ٧ و ٣٦ و ٤٤و ١٢٣ /التوبة) (٤٩ /هود) (٤٥ /الحجر) (٣٠ و ٣١ /النحل) (٨٥ و ٩٧ /مريم) (٤٨ /الأنبياء) (٣٤ /النور) (٧٤ /الفرقان) (٩٠ /الشعراء) (٨٣ /القصص) (٢٨ و ٤٩ /ص) (٥٧ /الزمر) (٣٥ و ٦٧ /الزخرف) (٥١ /الدخان) (١٩ /الجاثية) (٣١ /ق) (١٥ /الذاريات) (١٧ /الطور) (٥٤ /القمر) (٣٤ /القلم) (٤٨ /الحاقة) (٤١ /المرسلات) (٣١ /النبأ) .

٣/ ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٦ / ١٣١ (فصل الواو). مفردات الفاظ القرآن / ٥٣٠ (وقي) .

٤/ ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٥ / ٤٠١ (فصل الهاء). تاج العروس، الزبيدي، ٢٠ / ٣٠٤ (وقى).

البارِّ، ولا يرضى بالكفر والإثم، وهو العالم بكل شيء [١].وعليه نقلت المدونات التفسيرية والحديثية، عدد من روايات اهل البيت عليهم السلام عن حقيقة التقوى فأجيبوا: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:((لا تقولوا: إن محمدًا منا، فوالله ما أوليائي منكم ولا من غيركم، يا بني عبد المطلب، إلا المتقون)) [٢] .فعدها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مناط التفاضل بين الناس، كما سؤل الإمام الصادق عليه السلام عن التقوى؟ فقال: ((ان لا يفقدك الله حيث أمرك، ولا يجدك حيث نهاك))[٣].

وهناك من المفسرين من ذكر شاهداً من القرآن لكل معنى أريد به في التقوى، وفي الحقيقة إذ عدوا كل معنى من تلك المعاني مصداق على التقوى؛ كالتوبة، والطاعة، والعدل، والخشية، الاحسان، المعرفة، والعاقبة المحمودة، والاخلاص، الدين، الاخلاق، الإيمان، والتوحيد، الوفاء بالعهد، الخير، الدعوة الى النظر والتدبر [٤].

إذاً: هي صفه يمتاز بها الإنسان ليحصن بها نفسه من الكبح الداخلي أمام طغيان الشهوات [٥]. لهذا السبب وصف أمير المؤمنين علي عليه السلام التقوى بأنها الحصن الذي يقي الإنسان أخطار الانزلاق في الرذائل، إذ قال في خطبة له عليه السلام يحث الناس على التقوى:((اعلموا عباد الله أن التقوى دار حصن عزيز))[٦]. لذلك كثر في القرآن مدح المتقين بهذه الكلمة الجامعة.

رابعاً: البيان المقاصدي لمصطلح التقوى وأهمية.

إن هذا العدد الكبير من الآيات القرآنية التي تحدثت عن هذا المصطلح، والتي وردت مواضع التكرار في ألفاظها بصور متعددة من القرآن الكريم، وقد بينا المواضع التي وردت فيها هذه اللفظة، على مختلف اتصاريفها اللفظية التي ذكرت في القرآن، وكان القصد لكشف

١/ ينظر: مفردات القرآن – نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية، الراغب الاصفهاني/ ٢٥٤ – ٢٥٥

٢/ الكافي، الكليني، ٨/ ١٨٢(موعظة صلى الله عليه وآله وسلم لبني عبد المطلب). الوافي، الفيض الكاشاني، ٤/ ٣٠٤ (باب الطاعة والتقوى).

٣/ التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، ٢/ ٢٣٧.

٤/ ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن،الطبري، ٢٦ /١٣٦. تفسير مجمع البيان، الطبرسي ، ١/ ٨٢ و ٤٤٦ . واحكام القرآن، القرطبي، ١٦/ ٢٨٩. وزبدة البيان في احكام القرآن، المحقق الاردبيلي (ت: ٩٩٣هـ) / ٥٢.و فتح القدير، الشوكاني، ٥/ ٥٥. تفسير الالوسي، الآلوسي، ١١ / ٧٢. وتفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، ٢/ ٢٣٧. الأمثل في تفسير كلام الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ١٦ / ٥٦٧.

٥/ ينظر: الأمثل في تفسير كلام الله المنزل، ١/ ٨٣.

٦/ نهج البلاغة، امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ، ٢ / ٥١ (من خطبة له عليه السلام في التقوى).

أهمية المصطلح والتأكيد عليه في كشفه وإظهاره، وقد اختلف القصد من التكرار، فهناك من أشار إلى إنه أبلغ من التأكيد، وهناك رأي آخر: إذ تساءل الكثيرون عن الحكمة من التكرار؟ فأتفق المفسرون: إنّ التكرار هو التَّجديد للَّفظ على إن الغرض من التكرار هو ضرباً من التأكيد والتنبيه [١].

وهو الذي نميل إليه، فلا غرو من إن بلغ مورد التقوى ومتعلقاتها (٢٥٩) مورداً، وفي ضوء هذا التكرار يفهم منه أهمية التقوى.

فالتكرار: هو أن يكرر المتكلم اللفظة وإن جاءت بتعبيرات مختلفة دلت على المعنى به، ويأتي بذلك تأكيد الوصف، المدح، أو الذم، أو التهويل، أو الوعيد، أو الإنكار، أو التوب أو أي غرض من الأغراض [٢].

وقد بين الزركشي من فائدة ذلك التقرير، فالكلام إذا تكرر تقرر، وقد أخبر الله ﷻ بالسبب الذي لأجله كرر الأقاصيص والأخبار في القرآن، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾{القصص: ٥١}، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾{طه: ١١٣} ، وحقيقته إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى ، خشية تناسي الأول ، لطول العهد به [٣].وهذا ايضاً ما نبه عليه قطب الدين الراوندي (ت:٥٧٣هـ) ، فقال :((الشيء إذا تكرر تقرر)) [٤]. وقد وافقهم السيوطي أيضًا: من إن التكرار أَبْلَغُ مِنَ التأكيد وهو منْ محاسن الفصاحة خلافًا لِبَعْضِ مَنْ غَلِطَ، فالكلامُ إذا تكرّرَ تقرر. جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾{النساء: ١٣٢} ،كرره تأكيد التقرير موجب التقوى ، إضافة لفائدة : الوعد والتهديد ، وزيادة التنبيه [٥]. كما جاءت دعوة الرسل ﷺ لأقوامهم بتقوى الله تعالى وتأكيدهم عليها ، و مداومتهم على ذلك ، ودليل ذلك النبي نوح

١/ ينظر: تفسير السمعاني، ٤ / ٣٦٤.والاستبصار، الشيخ الطوسي، ١/ ٣٠٩. وزاد المسير في علم التفسير، ابن القيم الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، ٢/ ٦٦. التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، ١/ ٩٦. والتفسير الأمثل، مكارم الشيرازي، ١٨ / ١١٣ ج١٢ / ٥١٣. تاج العروس، الزبيدي، ٧/ ٤٤٠ (مادة: كرر)

٢/ ينظر: خزانة الادب وغاية الأرب، علي بن محمد الحموي (ابن حجة الحموي، ت: ٨٣٧) / ١٦٤.

٣/ ينظر: البرهان في علوم القرآن، ٣/١٠

٤/ فقه القرآن، ١/ ٢٠٠.

٥/ ينظر: الإتقان في علوم القرآن، ٣/ ٢٢٤ وتفسير الجلالين، جلال الدين السيوطي / ١٢٦.

عليه السلام ، فقد ذكر القرآن الكريم عنه قوله لقومه: ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝١٠٧ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١٠٨ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٠٩ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١١٠ ﴾ {الشعراء} ، فكرر عليه السلام أمره لهم بتقوى الله تعالى: مصدرة إياه التي تفيد التأكيد، ثم كرر نبي الله نوح عليه السلام: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ لزيادة التّأكيد فيكون قد افتتح دعوته بالنّهْيِ عن ترك التّقوى، ثمّ أعاد جملة الدّعوة في آخر كلامه مرَّةً ثانيةً بمنزلة النتيجة للدّعوة ولتعْلِيلِهَا، فبعد طول الدعوة واستمراره عليها بالرفق واللين والأمانة والصدق، لم يكن بد من الانتقال إلى الأمر بتقوى الله سبحانه وطاعته التي أمرًا جازمًا يحمل في طياته التخويف والتحذير من عقاب الله تعالى ، ويحمل في نفس الوقت تأكيد دعوته السابقة لتقوى الله جل جلاله [١].

إذاً القصد: هو تأكيد الحذر للإنسان من كل شيء مخالف لله تعالى، ولا يغتر بما يرى من الظواهر، ولا يثق بأي سبب إلا إذا أخذ به في سبيل الحق والعدل [٢]. فالمقتضى حصول الامتثال في إتيانه، وملاءمة القرآن لكل زمان، وانكشاف بعض الأمور الغيبية فيه بمرور السنوات، إذ طال الكلام وخشي تناسي الأوّل أعيد ثانيًا تَطْرِيَةً لهُ وتجديدًا لعهده [٣].

لا ريب من أن جميع الآيات القرآنية والفاظه تنعم بحظوة كبرى لأنها جميعًا كلام الله، وآياته التي نزلت لتربية الإنسان ونجاته وخلاصه، وإلا أن منها ما حظي وتتميز ببريق خاص، ومن هذا الصنف ما سنذكره في التقوى، لِما لهذا المصطلح القرآني جليل الفؤاد لا يمكن حصرها بصفحات معدودة إذ جعلها الله جل جلاله ميزان التفاضل إليه، إذ سنعرض لنزراً منها. ومن أرد الاستزادة رشدناه لبعض المصادر بهذا الخصوص [٤].

١/ ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ١٩ / ١٥٨- ١٥٩. التقوى في القرآن دراسة في التفسير الموضوعي، محمد الدبيسي / ٢١٤.

٢/ ينظر: مصباح الهدى في شرح عروة الوثقى، الشيخ محمد تقي الآملي، ٨ / ٢١٢. و في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية، ٢/ ١٦٩.

٣/ ينظر: البرهان في علوم القران، الزركشي، ٣ / ١٤. تفسير الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، ١٥/ ٦٥.

٤/ ينظر: نفحات القرآن (أسلوب جديد في التفسير الموضوعي)، ناصر مكارم الشيرازي، ١/ ٤٢٨ وما بعدها- و ج٦ / ١٦٧ . وفي ضلال التقوى، عبد الهادي حسن وهبي / ١٤ وما بعدها. وفي رحاب التقوى، محسن الخرازي، محسن الحسيني الاميني / ١١ وما بعدها. وتأملات قرآنية حول التقوى، صدر الدين القبانجي / ١٥ وما بعدها. تأملات قرآنية حول التقوى، صدر الدين القبانجي، ٢ / ٧ وما بعدها. التقوى ودورها في حل مشاكل الفرد والمجتمع، حسين الراضي/ ٢٨ وما بعدها.

١. أنها سبب الاهتداء بالقرآن [١]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾{سورة: البقرة: ٢}.

٢. دورها في العاقبة الحسنة [٢]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾{ القصص: ٨٣} .

٣. تعد سبب من أسباب الرزق [٣]،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾{الطلاق : ٢-٣} .

٤. تكفير الذنوب و تعظيم الأجر [٤]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴾ { الطلاق: ٥}.

٥. النجاة يوم القيامة [٥]،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ بِمَفَازَتِهِمۡ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ { الزمر: ٦١}.

٦. سبب محبة الله [٦]،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿بَلَىٰ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾{ آل عمران: ٧٦} .

٧. سبب البشرى [٧]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾{يونس : ٦٣- ٦٤ }.

٨. الانتفاع بالمواعظ لنيل الغاية القصوى والسعادة الكبرى في العاجل والآجل [٨]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهَا وَمَا خَلۡفَهَا وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾{ البقرة: ٦٦}.

١/ ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ١، ٢٢٩. وتفسير مجمع البيان، الطبرسي ،١/ ٨١.

٢/ ينظر: وتفسير مجمع البيان ،٤/ ٥١٦. وتفسير الأمثل، مكارم الشيرازي، ٥ / ١٦٨ ج ١٢/ ٣١٠.

٣/ ينظر: التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، ٣/ ٥٨٤. وتفسير الامثل، ٨ / ٢٥٦.

٤/ ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٣ / ٤٦٥ و وتفسير مجمع البيان، ١٠ / ٧ .

٥/ ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ٤ / ١٤٠. وتفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، ٧ / ٢٦١.

٦/ ينظر: التبيان في تفسير القرآن، ٥ / ١٧١. وتفسير مجمع البيان، ٢ / ٢٩١.

٧/ ينظر: تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي (٣٢٠هـ)، ٢/ ١٢٥. والتفسير الصافي، الفيض الكاشاني، ٢/ ٤٧٠.

٨/ ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن ٢ / ١٨١. وج٧ / ٢٣٢. والتبيان في تفسير القرآن، الطوسي، ١/ ٢٨٨ – ٢٨٩. والبيان في تفسير القرآن، السيد أبو القاسم الخوئي / ٢٦٤.

٩. إن البر الحقيقي ما صدر عن التقوى [١]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾{ البقرة: ١٨٩}.

١٠. سبب الفلاح والنجاح [٢]، قال ﷻ :﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾{ آل عمران: ١٣٠}.

١١. بها تنال معية الله فيحرسهم ويصلح شأنهم، وأصل (مع) المصاحبة في المكان والزمان [٣] ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾{التوبة: ٣٦}.

١٢. المعرفة والهداية بالتقوى [٤]،﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾{ الأنفال: ٢٩}.

١٣. بالتقوى تنال الصدق وتخالفوا الكذب [٥]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾{ التوبة: ١١٩}.

١٤. هي صفة الله ﷻ فهو أهل أن يتقى فلا يعصى وان يعمل بما يؤدي إلى مغفرته، وأهل المغفرة لمن تاب [٦]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾{المدثر: ٥٦}.

١٥. تنال التزكية بالتقوى [٧]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾ { النجم: ٣٢}.

١٦. خير ما يتزود به المرء لمعاده [٨]،﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ ﴾{ البقرة: ١٩٧}.

١٧. أساس للعمل الصالح [٩].قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ ﴾ { التوبة: ١٠٩}.

١/ ينظر: التبيان في تفسير القرآن، ٢ / ١٤١. والتفسير الصافي، الفيض الكاشاني، ١/ ٢٢٧. وتفسير نور الثقلين، عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، ١/ ١٧٧ – ١٧٨.

٢/ ينظر: روضة الوعاظين، الفتال النيسابوري/ ٣٣٠– ٣٣١. وتفسير مجمع البيان، الطبرسي ،٢/ ٣٤٧.

٣/ ينظر: تفسير مجمع البيان، ٢/ ٢٧. وزبدة التفاسير، ٣ / ١٨٢. ومسالك الأفهام إلى آيات الأحكام، محمد الفاضل الجواد الكاظمي المعروف بالشهيد الثاني (ت: ١١هـ)، ٢/ ٣٢٥.

٤/ ينظر: التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، ٣ / ٤٧٠.وتفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ٣/ ٩ ج٥/ ٢٦٩.

٥/ ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١٤ / ٥٥٨. والامالي، الشيخ الطوسي / ٢٥٥ ٢١٥. والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ٢ / ٣٢٠. وتفسير نور الثقلين ،٣ / ٣١٣ ج ٧/ ٢٨١.

٦/ ينظر: تفسير التستري، سهل بن عبد الله التستري (ت: ٢٨٣هـ) / ١٨١.وتفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي (ت: ٣٢٩هـ)، ٢/ ٣٩٦. والتبيان في تفسير القرآن، ١٠ / ١٨٨.

٧/ ينظر: روضة الوعاظين / ٣٣٠ –٣٣١. والتفسير الكاشف، ٧ / ١٨١. وتفسير الأمثل، مكارم الشيرازي، ١٧ / ٢٥٣.

٨/ ينظر: التبيان في تفسير القرآن، الطوسي، ٢/ ١٦٥.والكشاف، الزمخشري، ١/ ٢٤٤. وتفسير الأمثل، ١٠ / ٥١٠.

٩/ ينظر: التبيان في تفسير القرآن، الطوسي، ٥ / ٢٩٦. وتفسير مجمع البيا، ٥ / ١١١.

١٨. سبب الإحسان [١] ،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾{ المائدة: ٩٣}.

١٩. إنها سبب في تملك الجنة بترك المعاصي، وفعل الطاعات، وإنما قال تعالى : نورث ، مع إنه ليس بتمليك نقل من غيرهم اليهم، لأنه مشبه بالميراث من جهة أنه تمليك بحال استؤنفت عن حال قد انقضت من أمر الدنيا، كما ينقضي حال الميت من أمر الدنيا [٢]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ {مريم: ٦٣}. وعلى هذا فإن مفتاح باب الجنة مع كل تلك النعم التي مرت ليس إلاّ التقوى [٣].

فالآيات التي جاء مصطلح التقوى متجلياً فيها، أظهرت تقوى العبد لربه وفيها يحظى بكل خير يطلبه، سواء كان في الدنيا أو الآخرة، وعليه ورد الحث الأكيد والأمر بها في كتاب الله العزيز، حتى ذكرت بمادتها منطوقاً ومفهوماً بما يقرب من (٢٥٩) مقاماً وبصيغ وألفاظ متنوعة، ومن هنا تظهر لنا أهمية التقوى وعظيم شأنها ليحظى بسعادة الدارين، والمحصل من هذا التنوع هو أن يجهد الإنسان في السعي للكسب والتزود من هذه التصاريف والألفاظ لحرز القربى من الله تعالى.

خامساً: أثر التقوى على الواقع المعاصر.

الحديث عن التقوى وبيان أثرها المعاصر فكر وسلوك يعد من الأمر المهم في عصر تتكاتف فيه قوى الضلالة بالزحف على عقائدنا الإسلامية لممارسة عملها التخريبي لفكر الشاب المسلم، ويظهر لنا ذلك من خلال محاولتها لتميع الشخصية الإسلامية واذابتها في مستنقعات الرذيلة والفسوق، وعلى جميع الأصعدة؛ في مقصداً منها لسلب غالبية السواد الأعظم من الفئة المؤمنة الملتزمة أثمن وأخطر أسلحتها وهي التقوى.

يتضح أثر التقوى على الواقع الذي يعيشه الناس في هذه الأزمنة التي استولت فيها الغفلة على القلوب، فهناك من ظن أن السعيد من فاز في الدنيا بشهواتها والشقي من حرم هذا، وغاب عن أكثر الخلق، أن أهل التقوى هم أهل السعادة الحقيقية، والشرف الرفيع في الدنيا مع ما ينتظرهم من سعادة الآخرة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي

١/ ينظر: التبيان في تفسير القرآن، الطوسي، ٤ / ٢٠. وكنز العرفان في فقه القرآن، المقداد السيوري (ت: ٨٢٦هـ)، ٢/ ٣١٧. وتفسير الأمثل، ١٠/ ٥٧٦.

٢/ ينظر: التبيان في تفسير القرآن، ٧ / ١٣٧. وتفسير مجمع البيان، الطبرسي، ٦ / ٣٨٨.

٣/ ينظر: تفسير الأمثل، ٩ / ٤٨٠.

ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾{ يونس : ٦٣- ٦٤ }ففي معنى التقوى سرًا عجيبًا لا يفهم القرآن فهمًا حقًا إلا بعد الاحتماء بها، ولا يمكن الوصول إليها إلا بالسير في فلك القرآن، الذي يفتح قبل كل شيء بابه للمتقين (١).

فهم عباد الله المكرمون، والإنسان بفضل التقوى ينجو من السقوط إلى أسفل سافلين،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ ﴾{الزمر: ٦١}. ويدخل في التقوى فعل الواجبات، وترك المحرمات، والشبهات والمكروهات وهي أعلى درجات التقوى، وهذا المعنى هو المشار إليه في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾{ آل عمران: ١٠٢}، كما إن الطريق إلى الله ﷻ ليس معبدًا بل فيه يبتلى العبد لبيان درجة تقواه ، وكما تجدر الإشارة إلى أن هناك من يظن بأن التقوى معناها مقصور على الانكسار ، والذل ،والمسكنة ،والانطواء، فهذا وهم لا نصيب له من الصحة، فالتقوى حصانة وصيانة ، و بر وخير، و وفاء وصبر (٢).

لقد زخر القرآن الكريم بالآيات التي تبين لنا أثر التقوى في حل مشاكل الفرد والمجتمع بشكل واضح؛ بل والواقع العملي لما يشاهد من المتقين يثبت ذلك، ولنا في هذه العجالة بعض الآثار في تطبيق مصطلح التقوى على الجانب المالي الذي فرضه الله تعالى من حقه في مال عبده.قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾{سورة البقرة : ٢- ٣} ،﴿ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾{سورة البقرة: ١٧٧}،﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ {سورة البقرة: ٢٧٨}. لو نظرنا لنظام الله تعالى في خلقه لذهلنا إعجابًا وتقديرًا بالكمال الجاري والساري على أي مخلوق في الكون، وإن طبقنا تعاليمه ﷻ فسيسمو بنا لنتائج مثمرة مفيدة للمجتمع ككل، إذ أن سعي الإله سبحانه هي لخير الجميع بكافة الوجوه ويمكن تحقيق هذه الأهداف

١/ ينظر: تأملات قرآنية حول التقوى، صدر الدين القبنجي، ٣/ ٥.

٢/ ينظر: دراسات في نهج البلاغة، محمد مهدي شمس الدين/ ٣٤. ونفحات القرآن (أسلوب جديد في التفسير الموضوعي)، ناصر مكارم الشيرازي، ١/ ٤٢٩. والتقوى في القرآن الكريم تفسير موضوعي، نبيل محمد احمد / ١٥ – ١٦.

عمليًا ؛ لأنها من صنع الإله الذي يسير كافة الكائنات بنظام كامل لا يخطئ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾{المنافقون: ٨} إذ إنه لمن المسلم به من وجهة النظر الإسلامية أنه لا يجوز أبداً إذلال الفقراء من المؤمنين مهما بلغت بهم الفاقة فكيف يتسنى أن يسد عوزهم دون المساس بكرامتهم ، يحصل هذا بالزكاة المفروضة ؛ وهنا يأتي دور التقوى بالذي أمر به تعالى للمتقي في ماله، لو طبقنا توزيع الزكاة فسيتأمن نمو ثروة الأمة بتوازن منطقي ثابت، كما تتأمن العدالة الاجتماعية والرضى النفسي والشعور بالرفاه لدى الشعب كله، (١).

إذ بينا من مفاد التقوى هو دفع شيء عن شيء بغيره، ومن هذه الأشياء هي مخافة الله والعمل بطاعته، والانفاق هي احدى الطاعات التي أمر الله بها عبادة وحث على الالتزام بها كما هو في موضوع الآيات التي سيقت للبيان.

ولعلنا في هذا المضمار نفد من رواية أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ، في المعنى الحقيقي للتقوى في حديثه عليه السلام مع همام (٢)، بعد طلبه من الإمام عليه السلام إن يصف له المتقين حتى كأنه ينظر إليهم، ولكننا هنا نخاطب غير همام متناولين درر أمير المؤمنين عليه السلام من بعد آخر. قال: ((أما بعد: فالمتقون هم أهل الفضائل منطقهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد ... ولولا الأجل الذي كتب لهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقا إلى الثواب، وخوفا من العقاب فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوة في دين وقصداً في غنى، وتجملا في فاقة ، وصبرا في شدة، وطلبا في حلال ونشاطا في هدى))(٣).

إذاً هي الوسيلة المثلى للتكامل الحقيقي، لشتى صنوف الحياة، فالإسلام وضع القواعد والأسس الأولية لبناء المجتمع الإسلامي الرصين من جملة تلك القواعد (الوحدة والتعاون والتالف والإحسان إلى الآخرين) والحث عليها.

فحضارتها خير الحضارات ، ودينها خير الأديان ، إن نجاح أي مفهوم يقاس بأثره في بناء الفرد والمجتمع، إذ لا يمكن أن ننسب التفوق إلى أي منظومة إن لم تكن قادرة على ترجمة

١/ ينظر: الزكاة ثالث المدارس العليا للتقوى، محمد أمين شيخو / ١٣ – ١٥.

٢/ همام بن شريح بن يزيد بن عمرو بن جابر بن يحيى بن الأصهب بن كعب، كان همام من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام وأوليائه، وكان ناسكا عابداً البلاغة، شرح ابن ابي الحديد، ١٠ / ١٣٤.

٣/ نهج البلاغة، ١٠/ ١٣٢- ١٣٤(من خطبته عليه السلام في وصف المتقين والتي صعق لها همام فمات بعد سماعها).

نظامها إلى سلوك من خلال أداء إجرائي يترك أثراً على الإنسان، ومن هنا كان من أسس المكون الأخلاقي في القرآن الكريم تلازم الحكمتين النظرية والعملية ، إذ أن القيم الأخلاقية القرآنية تبنت الجنبة الإجرائية لنظرية القيم؛ بل جعلته من قبيل الإلزام، علاوة على أهمية التمثيل الوظيفي وأثره على الفرد والمجتمع، ولا سيما إذا ما عرفنا أن الغاية من التشريع هو جلب المنفعة للإنسان ودرء الضرر عنه في ضوء وضع شرائع تنظم حياته وعلاقته مع بقية الموجودات(١).

فالقرآن جاء كي يرتفع بالأمة إلى مستوى الحضارة الإنسانية المثلى، وأراد لأفرادها سلوكا رفيعة مما حشد عدة مواصفات أخلاقية تقوم السلوك في ظلال آداب عامة كانت تتسم بالشمولية لملاءمتها لأعرق الثقافات العالمية وأبرز الدساتير الأممية قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ﴾{ المائدة: ٢}، ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ ﴾ { آل عمران: ١١٠}،﴿ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾{ القصص: ٨٣} فجميع هذه الآيات تذكر عاقبة المتقي المحسن لتكون خير أمة إذا أمرت بالمعروف ونهت عن المنكر واتحدت وتعاونت على البر والتقوى ، فالآيات تتحدث عن المبادئ الإيجابية التي تحيي الأمة وتبعثها من جديد وتؤكد على هذه المبادئ بل وتوجب التمسك بها (٢).

كما يمكن ان يستدل على وجوب التعاون على (البر) و(التقوى) ووجوب الاعانة عليها: عن جابر عن الإمام الصادق عليه السلام قال :((إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج الصلحاء فريضة عظيمة بها تقام الفرائض وتأمن المذاهب وتحل المكاسب وترد المظالم وتعمر الأرض وينتصف من الأعداء ويستقيم الأمر فأنكروا بقلوبكم والفظوا بألسنتكم وصكوا بها جباههم))(٣).

١/ ينظر: نظرية الهيمنة في القرآن الكريم دراسة تحليلية، د. طلال فائق مجبل الكمالي / ١٧١.

٢/ ينظر: التقوى ودورها في حل مشاكل الفرد والمجتمع، حسين الراضي العبد الله / ١٢٨ – ١٢٩.

٣/ الكافي، الشيخ الكليني، ٥/ ٥٦ (باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

كما تظهر أهمية التقوى وبيان اثرها على الواقع المعاصر، في دفع حب النفس وتلبية رغبات الجسد المنهي عنها، خصوصًا ونحن نعيش اليوم الانفتاح التكنلوجي على مصراعيه، دون ان تكون هناك رقابة أو حد يحتد به هذا الانفتاح الهائل، وظهور ممارساته السلبية والتخريبية على الواقع الاجتماعي وجلنا يعش ويشهد هذا، فلم يكن سوى التقوى العامل الأساسي في مجابهته، فالنفس بحاجة إلى مجاهدة، ومجاهدتها ليست أمرا سهلا، إذا تربت على نزواتها وشهواتها، فرب شهوة ساعة أورثت صاحبها شقاء دهر في الدنيا، وعذاب نار في الآخرة [1].

فعندما تنفذ قوة الإنسان وإمكانياته ليصل في حل المشكلة إلى طريق مسدود ويسلم أمره إلى الله، فالآيات والأحاديث الشريفة تكشف لنا أثر التقوى في حل مشاكل الفرد والمجتمع بشكل واضح، فعندما تتضايق الأمور ويصبح الانسان في شدة ويكون لا منجي ولا ملجأ له الا إلى الله تعالى، هنا يأتي الانفراج للمتقي [2]، **قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴾{الطلاق: ٢}** ، عن رسول الله ﷺ قال: ((خصلة من لزمها أطاعته الدنيا والآخرة ، وربح الفوز بالجنة ، قيل : وما هي يا رسول الله ؟ قال : التقوى ، من أراد أن يكون أعز الناس فليتق الله ﷻ))[3]. وعنه ﷺ: ((من رزق تقى فقد رزق خير الدنيا والآخرة))[4] ،**قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾{ القصص: ٨٣} . قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ {الرعد: ٣٥}﴿ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ ﴾ { التوبة: ١٠٩}﴿ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾{ المائدة: ٩٣}﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾{ آل عمران: ١٠٢}.** المحنة التي يظهر بها ما في النفس من اتباع الهوى أو تجنبه فيخلص حاله للجزاء بالثواب أو العقاب بحسب الاستحقاق، لان كل واحد من الامرين إنما هو إلزام ترك جميع معاصيه فمن ترك جميع المعاصي فقد

١/ ينظر: الآحاد والمثاني، احمد بن عمرو بن الضحاك (ت: ٢٨٧ هـ)، ٥ / ١٦٥. وتفسير السلمي، السلمي، ٢ / ٦١

٢/ ينظر: التقوى ودورها في حل مشاكل الفرد والمجتمع، المحقق حسين الراضي العبد الله / ١٠١- ١٠٢.

٣/ كنز الفوائد، ابي الفتح الكراكجي(ت: ٤٤٩هـ) / ١٨٤ . وبحار الانوار، المجلسي، ٦٧ / ٢٨٥ (فيما أوصى به أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته بالتقوى).

٤/ كنز العمال، المتقي الهندي، ٣ / ٩١ (حرف التاء: التقوى).

اتقى عقاب الله [١]. وهناك من وصف الركون للذائذ الدنيا المنهي عنها، فقال: ((التمرّغ في الدنيا من أخلاق الهالكين))[٢] ، بأن يكون مطواعا لهوى النفس ،أي من أرخى لنفسه هواها وتتبع مشتهاها، صار عبدا مملوكا لها، تأمره ولا يأمرها ، يتّبع كلّ ما تدعوه إليه ، فيترك متابعة الهدى رأسا، إلى مطاوعة الهوى ، فلا يهوى شيئا إلَّا ركبه [٣].

فالمتقين يكفون انفسهم عما حرم الله تعالى، وهذا الكف أمر مهم في حفظ الإنسان عن المهالك الاخروية ، فإن كثيرًا ممن ابتلي بالمفاسد الشهوية كانت عن طريق الضلالة الدنيوية ، مما لا شك فيه إن هناك علاقة متبادلة بين الخوف من الله سبحانه ، ونهي النفس عن الهوى، ومصدر الحالتين التقوى) فالأولى بمنزلة الشجرة والثانية ثمرها ، فعندما يتجذر الخوف من الله تعالى في أعماق روح الإنسان عندئذ تشن حرب من الداخل لمواجهة هوى النفس ، ومن المعلوم إن مصدر جميع المفاسد والذنوب على سطح الارض هو(عبادة الهوى)،من هنا يكون الخوف من الله مصدر كل الإصلاحات[٤].

فالخشية أصل أصيل في كبح الروح عن المعاصي، وتكبيل السلوك عن الانحراف، ويجب أن تتحقق هذه المراقبة في القلب، عن النبي ﷺ قال: ((أن تخشى الله كأنك تراه فإن لم تره فإنه يراك))[٥] . ينجلي الأثر التربوي والأخلاقي في احساس النفس بالإيمان والشعور بالمسئولية أمام الله، بحيث تحث المؤمن على طاعة الله واتقاء معصيته. قال الإمام علي عليه السلام : ((من ملك شهوته كان تقيا))[٦].

العفة: فضيلة القوّة الشهويّة، وهى الوسط بين رذيلتى خمود الشهوة والفجور، وعدم إرادتهم للدنيا مع إرادتها لهم، وهو إشارة إلى التقوى الحقيقية الذي به ضبط شهوته بزمام عقله عن

١/ ينظر: التبيان في تفسير القرآن، الطوسي، ٥/ ١٠٦ ج١٠ / ٢٥.

٢/ تفسير الكشاف، الزمخشري، ٢/ ٣٨٧. وزبدة التفاسير، فتح الله الكاشاني، ٣ / ٥٠٧.

٣/ ينظر: زبدة التفاسير، ٦ / ٣٠٨.

٤/ ينظر: نفحات القرآن ٠ أسلوب جديد في التفسير الموضوعي، ناصر مكارم الشيرازي، ٦ / ١٧١.

٥/ صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، ١/ ٣١ (باب الصلوات التي هي أحد أركان الاسلام). وكنز العمال، المتقي الهندي، ١ / ٢٨٢ (في حقيقة الاسلام).

٦/ عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي (ت: ق٦) / ٤٥٥.وميزان الحكمة، محمد الريشهري، ٤/ ٣٦٣٨ (أبحاث حول التقوى ودرجاتها).

ميولها الطبيعيّة [١] . قال امير المؤمنين علي عليه السلام :((عند حضور الشهوات واللذات يتبين ورع الأتقياء))[٢] ، وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((من علم أن الله يراه ويسمع ما يقول ويعلم ما يعمله من خير أو شر فيحجزه ذلك عن القبيح من الأعمال فذلك الذي خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى))[٣].

فالتقوى الآصرة التي توثق النفوس عن أن تهرع حسب رغباتها ووفق هواها، فهي ضابط أساسي من ضوابط السلوك الإنساني جميعه في مضمار هذه الحياة لأنها في حقيقتها مراقبة الله والحرص على مرضاته والخوف من عذابه، فهي المراقبة الشديدة للأعمال الفردية، بل في جميع شؤون الحياة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ {الحشر: ١٨}.

١/ ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني، ٣ / ٤١٦ (شرح جملة ما يعرف بها المتّقون).

٢/ عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي/ ٣٣٧. ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ٤ / ٣٦٣٨ (أبحاث حول التقوى).

٣/الكافي، الكليني، ٢/ ٧٠ (باب الخوف والرجاء). والوافي، الفيض الكاشاني، ٤ / ٢٩١ (باب الخوف والرجاء).

١- التفسير الموضوعي بشكل عام يتناول مقصد الآية من خلال استنطاق القرآن حول موضوع معين للحصول على رؤية قرآنية شاملة، وبالتالي يحتاج إلى التفسير التجزيئي لاشتراكهما في بعض القواعد التفسيرية، وإن كان التفسير الموضوعي يتعامل مع الآية على أساس وحدة الموضوع.

٢- صاغ الباحث تعريفاً للتفسير الموضوعي : هو استقصاء وبحث في سورةٍ من القرآن الكريم أو في مجموعة سور أو آيات يربط بعضَها بعضًا عنوانٌ معلومٌ؛ للحصول على مَقَاصِد قرآنيَّة محورية تمسُّ جانبًا من جوانب الحياة المختلفة، -فكرية، اقتصادية، سياسية، كونية-؛ للوصول إلى الفائدة التي تحققها تلك المقاصد القرآنية لحياة المسلمين.

٣- قواعد التفسير الموضوعي التي جاءت محط اتفاق من الباحثين والمتخصصين في هذا النوع من التفسير وإن اختلفت المسميات، التي الزموا المفسر في تفسيره بالسير عليها، فمنهم من أطلق عليها: قواعد وراح آخر يطلق اسم ضوابط، وغيره ذكرها باسم العلوم و ايضاً خطوات ، وهناك من عرفها بالمباني وغيرها من التسميات، كما هو حال الاختلاف في عددها ايضاً، فعند استقراءنا لتلك القواعد، في كتاب (قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، لمحمد فاكر المبيدي) وجد أنها مستقات من معين تلك المسميات، فانتقى من مجموعها وأطلق عليها قواعد التفسير الموضوعي.

٤- القول بالوحدة الموضوعية للسور القرآنية ليس فكرة جديدة، بل قال بها بعض المتقدمين من أهل العلم، وإذا أمعنا النظر نجد آثاره الأولية كانت موجودة منذ عهد السلف الأول ولا سيما أئمة أهل البيت عليهم السلام إذ فسروا بعض سور القرآن على المنهج الموضوعي، كما جاء في تفسير وجوه الكفر مروياً عن أمير المؤمنين علي عليه السلام .

٥- التفسير الموضوعي نتيجة منطقية لحسن استخدام المناهج الأخرى (التحليلي والإجمالي والفقهي وبقية المناهج التفسيرية الأخرى.

٦- في التفسير الموضوعي التوظيف الهادف للنص القرآني ففيه إظهار لحيوية وواقعية القرآن الكريم، إذ إنه يصلح لكل زمان ومكان فلا ينظر إلى موضوعاته على أنها قديمة نزلت قبل أربعة عشر قرنًا، إنما يعرضونها في صورة علمية واقعية تناقش قضايا ومشكلات حية.

٧- مجيء العديد من الألفاظ المستعملة بمعنى المقاصد ومنها: الحكم، والحكمة، والأسرار، والغايات، والأهداف، والأغراض وغيرها.

٨- يراد بالمقصد: قصد المتكلم وهو الله تعالى؛ لا قصد المفسِّر إذ التعويل في الحكم على قصد المتكلم، والألفاظ لم تقصد لنفسها وإنما هي مقصودة للمعاني، والتوصل بها إلى معرفة مراد المتكلم كونها في مقام الافهام، فمن عرف مراد المتكلم بدليل من الأدلة وجب اتباع مراده.

٩- نباهة المفسر للمقاصد القرآنية أمر مهم في استنباط الحكم لكنه يبقى عنصرًا واحدًا من العناصر التي يحتاج إليها، إذ لا يمكنه أن يكون بمفرده منهجًا لاستنباط الأحكام وبيان مراد الله أن لم يكن للمفسر من معرفة بباقي علوم القرآن.

١٠- هناك من يرى ارتبط مصطلح المقاصد باسم واحد من أبرز من كتب حول المقاصد، وهو الشاطبي في كتابه (الموافقات)، في حين هناك من سبقه في ذلك: (أبا بكر القفال الشاشي، المعروف بالقفال الكبير، في كتابه: محاسن الشريعة)، ثم خلفه (الإمام الجويني، في كتابه: البرهان في أصول الفقه)، الامام الجويني، تكلم فيه عن مقاصد القرآن، وإن جاءت تحت مسمى مقاصد الشريعة. ثم بعدهم (الغزالي: في كتبه: جواهر القرآن، وإحياء علوم الدين، والمستصفى، والمنخول، وشفاء الغليل).

١١- يتوجب على المفسر أن يراعي ثقافة عصره وان يستثمر ما يسود في زمانه من معارف وتطور العلوم لصالح القرآن الكريم على ألا يصطدم بالنصوص الشرعية ومن غير إقحام، أو تأويل بعيد لا يقره نقل ولا عقل.

١٢- هل يصح أن يسمى (التفسير المقاصدي) لوناً من ألوان التفسير؟ يظهر للبحث يصح ذلك اذا ما التزم بالخطوات التي يسير عليها كل من التفسير التحليلي والموضوعي فكلاهما يعنى بإبراز مثل هذه الجوانب في الآيات القرآنية، فمقاصد القرآن من أهم ما ينبغي للمفسر أن يعنى به سواء كان التفسير تحليلاً أو موضوعياً.

١٣- كشفت لنا الدراسة أن من أبرز الفروق بين مقاصد القرآن ومقاصد الشريعة أن مقاصد القرآن تستنبط من القرآن فقط، وأما مقاصد الشريعة فتستنبط من القرآن والسنة والإجماع وما تعارف عليه عند الفقهاء والمفسرين من قواعد تساعدهم في الكشف عن المقصد

القرآني، فلا يمكننا بحال من الأحوال استخراج مقاصد للقرآن من السنة أو الإجماع أو السنة، بينما يمكننا فعل ذلك مع مقاصد الشريعة.

١٤- أثبت البحث أن المقاصد القرآنية تمثل منطلقا لإظهار حلاوة النص القرآني، فيعتبر هو المنهج الأسلم الذي يجعل كلام الله منتظماً على نحو يتضح فيه جلياً كمال نظمه واتساق آياته، ويبرز إعجازه وبلاغته. وفاعليته في إحداث التغيير الواقع المعاصر المعاش..

١٥- الكليات الخمس (الدين والنفس والنسل والعقل والمال) ليست دائماً على وتيرة واحدة بل لها منازل متعددة في شدة التمسك أو التخفيف من هذه الشدة، وصفها الأصوليون بالمراتب وهذه المراتب ثلاث (الضروريات والحاجيات والتحسينات) ولكل مرتبة من هذه المراتب مكمل لها.

١٦- يتفق البحث مع ما ذهب إليه الإمام الآمدي في ترتيب مقاصد الشريعة وان أولها الدين فالنفس فالنسل فالعقل فالمال. ذلك ان حفظ الدين هو حفظ للمصلحة العظمى للإنسان فالتمسك به يحقق للإنسان سعادة الدارين، وهذا ما يطمح إليه الإنسان وحفظ النفس أقوى من حفظ النسل فما فائدة النسل ان عدمت النفس بل كيف نحافظ على النسل ان لم توجد النفس، والنسل مقدم على العقل ذلك ان المجنون قد يساهم في بقاء الجنس البشري عن طريق التناسل. ولا عكس والعقل أولى من المال، إذ ان مقوم المال الأساس هو حسن التصرف فيه ولا يمكن للمال ان يقوم ويستمر مالم يكن هناك عقل يدبره.

١.القرآن الكريم.
٢.اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، د. محمد إبراهيم الشريف، مطبعة، دار السلام، القاهرة – مصر، ط١، ١٤٢٩هـ. ٢٠٠٨م.
٣.اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الناشر: إدارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٧هـ ،١٩٨٦م.
٤.الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٣٩٤هـ. ١٩٧٤م.
٥.الاجتهاد المقاصد حجية – ضوابطه – مجالاته، د. نور الدين مختار الخادمي، مطبعة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، ط١، ١٤١٩هـ. ١٩٩٨م.
٦.الآحاد والمثاني، أحمد بن عمرو بن الضحاك (ت: ٢٨٧ هـ)، تح ، باسم فيصل أحمد الجوابره ، مطبعة ، دار الدراية ، ط١ ، ١٤١١هـ. ١٩٩١م.
٧.أحكام القرآن القرآن، محمد عبد الله أبو بكر ابن عربي الاشبيلي (ت: ٥٤٣هـ)، تح، محمد عبد القادر عطا، المطبعة، دار الفكر، بيروت – لبنان، د– ت.
٨.أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت: ٣٧٠هـ)، تح، عبد السلام محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٥هـ. ١٩٩٤م.
٩.الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن سيد الدين علي بن ابي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (ت: ٦٣١هـ)، تح، عبد الرزاق عفيفي، الناشر، المكتب الإسلامي، قم – إيران، ط٢، ١٤٠٢هـ. ١٩٨١م.
١٠.إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، مطبعة، دار المعرفة، بيروت – لبنان، د – ت.
١١.الأرشاد، الشيخ المفيد (ت : ٤١٣هـ) ، تح ، مؤسسة آل ابيت (عليهم السلام) ، مطبعة ، دار المفيد ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤١٤هـ. ١٩٩٣م .

١٢.أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) ، تح ، محمد باسل عيون السود، مطبعة ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

١٣.الأساس في التفسير، سعيد حوّى (ت: ١٤٠٩ هـ)، الناشر: دار السلام – القاهرة – مصر، ط٦ ، ١٤٢٤هـ . ٢٠٠٣م.

١٤.أساسيات علم التفسير، اعداد: مركز المعارف الإسلامية، نشر: دار المعارف الإسلامية الثقافية، ط١، ١٤٣٨هـ . ٢٠١٧ م .

١٥.أسباب النزول، الواحدي النيسابوري (ت: ٤٦٨هـ)، الناشر، مؤسسة الحلبي، القاهرة – مصر، ط١، ١٣٨٨هـ . ١٩٦٨ م.

١٦.الاستيعاب، ابن عبد البر (ت: ٤٦٣ هـ) ، علي محمد البجاوي ، نشر ، دار الجيل ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٢هـ . ١٩٩٢م .

١٧.أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (ت: ٥٠٥هـ) ، تح ، عبد القادر أحمد عطا ، مراجعة وتعليق، أحمد عبد التواب عوض ، دار النشر: دار الفضيلة ، د– ت.

١٨.الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت: ١٤٠٣هـ)، الناشر، مكتبة السنة، ط٤، د–ت.

١٩.الاسرة في مقاصد الشريعة، زينب طه العلواني، المعهد العالي للفكر الإسلامي، فرجينيا – الولايات المتحدة الأمريكية، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

٢٠. الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، د.عُدَي جواد علي الحجار ، نشر ، مكتبة العتبة الحسينة المقدسة ، كربلاء المقدسة – العراق ، ط١ ، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.

٢١.الأسلوب البلاغي للقرآن الكريم، د. محمد كريم كوكز، مطبعة، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، بنغازي – ليبيا ، ط١ ، ١٤٢٦هـ . ٢٠٠٥م .

٢٢.إشارات الاعجاز في مظان الايجاز (كليات رسائل النور)، بديع الزمان سعيد النورسي، تح، إحسان قاسم الصالحي، نشر، دار سوزلر، القاهرة – مصر، ط٣، ١٤٢٣هـ. ٢٠٠٢م.

٢٣.الأشباه والنظائِر على مذهب أبِي حنيفة النعمان، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (المتوفى: ٩٧٠هـ) ، تح ، زكريا عميرات ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٩هـ . ١٩٩٩م.

٢٤.الأشباه والنظائر، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ) , الناشر: دار الكتب العلمية بيروت . لبنان ، ط١ ، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٢٥.الأشباه والنظائر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ١ ، ١٤١١هـ . ١٩٩٠م.

٢٦.إشكالية تحريف القرآن، القسم الأول، مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت . لبنان، ط١, ١٤٢٨هـ . ٢٠٠٧م

٢٧.أصول استنباط العقائد ونظرية الاعتبار، محمد السند، تح ، محمد حسن الرضوي ، المطبعة ، سرور ، ايران ، ط١ ، ١٤٢٦هـ . ٢٠٠٥م.

٢٨.أصول التفسير وقواعده، خالد عبد الرحمن العك، مطبعة دار النفائس، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٠٦هـ . ١٩٨٦م

٢٩.أصول السرخي، السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي، تح، أبي الوفاء الأفغاني، مطبعة، دار المعرفة، بيروت – لبنان، د. ت.

٣٠.أصول وقواعد التفسير الموضوعي، مازن شاكر التميمي، اصدار شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية، العتبة الحسينة المقدسة كربلاء – العراق، ط١، ١٤٣٦هـ . ٢٠١٦م.

٣١.أضواء البيان، الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، تح، مكتب البحوث والدراسات، مطبعة، دار الفكر، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٥هـ . ١٩٩٥م .

٣٢.أضواء على المسيحية، متولي يوسف شلبي، الناشر: الدار الكويتية، دولة الكويت، ط١، ١٣٨٨هـ . ١٩٦٨م .

٣٣.الأعتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)، تحقيق ودراسة، مجموعة من العلماء .، تح ، محمد رشيد رضا، نشر، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤٢٩هـ . ٢٠٠٨م

٣٤.إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تح، محمد عبد السلام إبراهيم، مطبعة، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١هـ . ١٩٩١م.

٣٥.الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تح، د. أحمد حجازي السقا، الناشر: دار التراث العربي – القاهرة، د – ت.

٣٦.الألحاد أسبابه ومفاتيح العلاج، محمد سمير ناصر، الناشر، مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٣٨هـ . ٢٠١٧م.

٣٧.الألحاد الديني في مجتمعات الإسلام (نشأته وتطوره ومذاهبه المعاصرة)، د. صابر عبد الرحمن طعيمه، بيروت –لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ . ٢٠٠٤م.

٣٨.الأمالي، الشيخ الصدوق (ت : ٣٨١هـ) ، تحقيق وطبع ، مؤسسة البعة ، قم – إيران ، ط١ ، ١٤١٧هـ . ١٩٩٧م.

٣٩.الأمالي، الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠هـ) تحقيق وطبع، مؤسسة البعثة الإسلامية، قم . إيران، ط١، ١٤١٤هـ . ١٩٩٤م.

٤٠.الإمامة الإلهية، تقرير بحث الشيخ محمد السند لسيد بحر العلوم، الناشر، منشورات الاجتهاد، قم – إيران، ط١، ١٤٢٧هـ . ٢٠٠٦م.

٤١.الأمثال في القرآن، جعفر السبحاني، المطبعة، اعتماد، قم – إيران، ط ١، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٤٢.الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، مطبعة، أمير المؤمنين (عليه السلام)، قم . إيران، ط١, ١٤٢١هـ . ٢٠٠١ م.

٤٣.الأنساب، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي(ت: ٥٦٢هـ) ، تح ، عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ط١، ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٢ م.

٤٤.الإيضاح، الفضل بن شاذان الازدي (ت: ٢٦٠هـ)، تح، جلال الدين الحسيني، مطبعة، ومؤسسة انتشارات وجاب ، طهران – إيران ، ط١ ، ١٤٠٤هـ . ١٩٨٤م.

٤٥.بحار الأنوار، العلامة المجلسي (ت: ١١١١هـ)، تح، محمد البهبودي وآخرون، مطبعة ، مؤسسة الوفاء ، بيروت . لبنان ، ط٢ المصححة ، ١٤٠٣ هـ . ١٩٨٣م.
٤٦.البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تح، د. محمد ثامر، مطبعة، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط١، ١٤٢١هـ . ٢٠٠٠م.
٤٧.بحوث في أصول التفسير ومناهجه، د. فهد الرومي، مكتبة التوبة، الرياض – السعودية، ط٣، ١٤١٦هـ . ١٩٩٦م .
٤٨.بحوث في الفقه المعاصر، حسن الجواهري، مطبعة، معراج، قم . إيران، ط١، ١٤٢٢هـ . ٢٠٠١م .
٤٩.بحوث في تاريخ القرآن وعلومه، مير محمدي زرندي، مطبعة، مؤسسة النشر الإسلامي، قم – إيران، الطبعة المحققة، ١٤٢٠ هـ . ٢٠٠٠م .
٥٠.بحوث في منهج تفسير القران الكريم: محمود رجبي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٧.
٥١.بداية المعارف الإلهية في شرح العقائد الامامية، محسن الخزازي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم – إيران، ط٥، ١٤١٨هـ . ١٩٩٨م.
٥٢.بداية المعرفة، حسن مكي العاملي، الناشر، دار الزهراء، قم – إيران، ط١ ، ١٤٣٩هـ . ٢٠١٨م .
٥٣.البداية في التفسير الموضوعي (دراسة منهجية موضوعية) ، د. عبد الحي الفرماوي ، مطبعة الحضارة العربية ، ط٢ ، ١٣٧٩هـ . ١٩٧٧م
٥٤.البداية والنهاية، ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ)، تح، علي شيري، مطبعة، دار احياء التراث العربي، بيروت . لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ . ١٩٨٨م .
٥٥.بدائع الأفكار، حبيب الله الرشتي (ت: ١٣١٢هـ) ، الناشر ، مؤسسة آل البيت لإحياء البيت (عليهم السلام) ، قم . ايران ، د– ت .
٥٦.بدائع الكلام في تفسير آيات الأحكام، محمد باقر الملكي، مطبعة، مؤسسة الوفاء، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠٠هـ . ١٩٨٠.

٥٧.البرهان في أصول الفقه، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ)، تح، صلاح بن محمد بن عويضة، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م.

٥٨.البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني (ت: ١١٠٧هـ)، تحقيق وطبع، مؤسسة البعثة، قم – إيران، د– ت.

٥٩.البرهان في علوم القرآن، الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة، دارا حياء الكتب العربية، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٥٧ م.

٦٠.بصائر الدرجات، محمد بن الحسن بن فروخ الصفار(ت : ٢٩٠هـ) ، تح ، حسن كويجه ، مطبعة ، الأحمدي ، طهران – ايران ، ١٤٠٤ هـ . ١٩٨٤م .

٦١. بصائر ذوي التمييز في الطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (ت: ٨١٧هـ) ، تح، محمد علي النجار ، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة– مصر ، ط١، ١٤١٦– ١٩٩٦م.

٦٢.البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الاسلامي: د. محمود البستاني، مطبعة، دار الفقه للطباعة، قم – إيران ط١، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

٦٣.البيان في تفسير القرآن، السيد أبو القاسم الخوئي (ت: ١٩٩٣م) مطبعة، دار الزهراء، بيروت . لبنان، ط٤، ١٣٩٥هـ . ١٩٧٥م.

٦٤.تأسيس علوم القرآن عند الامام علي عليه السلام دراسة في الأسس والتقسيمات، أ. د. حكمت عبيد الخفاجي، م. م. ليث عبد الحسين العتابي، طبع ونشر، مؤسسة الامام الصادق عليه السلام ، بابل . العراق ، ط١ ، ١٤٤٠هـ . ٢٠٢٠م .

٦٥.تأملات قرآنية حول التقوى، صدر الدين القبنجي، اعداد وتحقيق، مكتب جمعة النجف الأشرف، ط١ ، ١٤٣٠هـ . ٢٠١٠م.

٦٦.التبيان في اقسام القرآن، ابن القيم الجوزية (٧٥١هـ)، مطبعة، دار الفكر، بيروت – لبنان، د – ت.

٦٧.التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، تح، أحمد حبيب قصير العاملي، مطبعة، مكتب الاعلام الإسلامي، قم – إيران، ط١، ١٤٠٩هـ . ١٩٨٨م.

٦٨.تجديد الفكر الديني في الإسلام، محمد إقبال، ترجمة: عباس محمود، مراجعة: عبد العزيز المراغي، د. مهدي علام، مطبعة دار الهداية، ط٢، ١٤٢١هـ . ٢٠٠٠م

٦٩.التجديد في الفكر الإسلامي، د. عدنان محمد أسامة، مطبعة، دار ابن الجوزي، الدمام – السعودية، ط١، ١٤٢٤هـ . ٢٠٠٣م.

٧٠.التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، ١٤٠٤هـ . ١٩٨٤م.

٧١. تحفة الأحوذي، المباركفوري (ت: ١٢٨٢هـ)، مطبعة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

٧٢.التدبر في القرآن الكريم، محمد رضا الشيرازي، مطبعة، دار العلوم، لبنان . بيروت، ط٣، ١٤٣١هـ ــ ٢٠١٠م.

٧٣.التسهيل في علوم التنزيل، الغرناطي الكلبي (٧٤١هـ)، تح عبد الله الخالدي، مطبعة، دار الارقم بن ابي الارقم، بيروت، لبنان، د – ت.

٧٤. تاج العروس من جواهر القاموس ، محب الدين أبي فيض محمد الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ) تح ، علي شيري ، مطبعة ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ،١٤١٤هـ– ١٩٩٤م .

٧٥.التفسير الأثري الجامع، محمد هادي معرفة، الناشر مؤسسه فرهنگی انتشاراتی ، قم – إيران ، ط١ ، د– ت.

٧٦.تفسير الأصفى ، الفيض الكاشاني (ت : ١٠٩١هـ) ، ، طبع وتحقيق ، مركز الأبحاث الإسلامي ، ط١ ، ١٤١٨هـ . ١٩٩٦م.

٧٧.التفسير التربوي للقرآن الكريم (المباني والاتجاهات)، هاشم أبو خميس، الناشر، مركز المصطفى ﷺ العالمي، قم – إيران، ط١، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.

٧٨.تفسير التستري، سهل بن عبد الله التستري (ت: ٢٨٣هـ)، مطبعة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ . ٢٠٠٢م.

٧٩.تفسير الثوري، سفيان الثوري (ت: ١٦١هـ)، تح، لجنه من العلماء، مطبعة، دار الكتب العلمية، بيروت ٠ لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ. ١٩٨٣م .

٨٠. التفسير الحديث، محمد عزة دروزه (ت: ١٤٠٤ هـ)، مطبعة، دار الغرب الإسلامي، ط٢، ١٤٢١هـ. ٢٠٠٠م .

٨١.تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ) ، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني ، الناشر: كلية الآداب – جامعة طنطا ، مصر ، ط١، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٨٢.تفسير السلمي، ابي عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الازدي السلمي (ت: ٤١٢هـ)، تح، سيد عمران، مطبعة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢١هـ. ٢٠٠١م.

٨٣.تفسير السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ)، تح، د. محمود مطرجي، المطبعة، دار الفكر، بيروت – لبنان، د– ت.

٨٤.التفسير الصافي، الفيض الكاشاني (ت: ١٠٩١هـ)، تح، حسين الإعلامي، المطبعة، مؤسسة الهادي، قم – إيران، ط٢، ١٤١٦هـ. ١٩٩٥م.

٨٥. تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي (ت: ٣٢٠هـ)، تح، هاشم الرسولي، مطبعة، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران – إيران، د– ت.

٨٦.تفسير القرآن الحكيم تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن ملا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة – مصر، ١٤١١هـ. ١٩٩٠م.

٨٧.تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ت :٧٧٤هـ)، تح، يوسف عبد الرحمن المرعشلي، مطبعة، دار المعرفة، بيروت . لبنان، ١٤١٢هـ. ١٩٩٢م.

٨٨. تفسير القرآن الكريم اصوله وضوابطه، أ.د. علي بن سلمان العبيد، مطبعة مكتبة التوبة، الرياض – السعودية، ط٢، ١٤٣٠هـ. ٢٠١٠م.

٨٩.تفسير القرآن الكريم، مصطفى الخميني (ت: ١٣٩٨هـ)، تح، مؤسسة آثار الامام الخميني، المطبعة، العروج، إيران، ط١، ١٤١٦هـ. ١٩٩٦م.

٩٠.تفسير القرآن المجيد، الشيخ المفيد (ت: ٤١٣هـ)، تح، محمد علي ايازي، مطبعة، مكتب الاعلام الإسلامي، قم – إيران، ط١، ١٤٢٤هـ . ٢٠٠٤م.
٩١.تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي (ت: ٣٢٩هـ)، تح، طيب الموسوي، المطبعة، مطبعة النجف الاشرف – العراق، ١٤١١هـ . ١٩٩٠م.
٩٢.تفسير الكاشف، محمد جواد مغنيه (ت: ١٤٠٠هـ)، مطبعة، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط٢، ١٩٨١م.
٩٣.تفسير الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، تح، د. مجدي باسلوم، مطبعة، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط١, ١٤٢٦هـ –٢٠٠٥م .
٩٤.التفسير المبين، محمد جواد مغنية (ت: ١٤٠٠هـ)، الناشر، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، القاهرة – مصر، ط٢ المنقحة، ١٤٠٣هـ . ١٩٨٣م.
٩٥.التفسير الموضوعي المفهوم والمنهج، أعداد : مركز المعارف للمناهج والمتون العلمية ، اصدار ، دار المعارف الإسلامية الثقافية ، ط١ ، ١٤٤١هـ . ٢٠٢٠م.
٩٦.التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، مطبعة دار النفائس، عمان – الأردن، ط٣، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢ م.
٩٧.التفسير الموضوعي في كفتي الميزان، عبد الجليل عبد الرحيم، دار النشر عمان – الأردن، ط٢، ١٤١٣هـ . ١٩٩٢م.
٩٨.التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، أ.د. مصطفى مسلم وآخرون، جامعة الشارقة، الامارات العربية المتحدة، ط١، ١٤٣١هـ . ٢٠١٠م.
٩٩.التفسير الموضوعي للقرآن الكريم وموضوعاته، د. حكمت عبيد الخفاجي، مطبعة، دار الرضوان، عمان . الأردن، ط١، ١٤٣٤هـ . ٢٠١٣م.
١٠٠.التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه، أحمد بن عبد الله الزهراني، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.
١٠١.التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. احمد السيد الكومي د. محمد أحمد يوسف القاسم، د–م، ط١، ١٤٠٢هـ . ١٩٨٢م.

١٠٢.التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، محمد الصادقي (ت: ١٤٣٢هـ)، الناشر، دفتر مؤلف، إيران – قم، ط١، د– ت.
١٠٣.التفسير الموضوعي والفلسفة الاجتماعية في المدرسة القرآنية، السيد الشهيد محمد باقر الصدر (ت: ١٩٨٠م)، تح، جلال الدين علي الصغير، مطبعة، الدار العالمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠٩ هـ . ١٩٨٩م.
١٠٤.تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي (ت: ١٤٠٢هـ)، طبع ونشر، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين، قم . إيران، د. ت.
١٠٥.التفسير الواضح، محمد محمود حجازي، الناشر: دار الجيل الجديد، بيروت– لبنان، ط١٠، ١٤١٣هـ . ١٩٩٢م.
١٠٦.التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة، القاهرة – مصر، ط١، ١٤١٩هـ . ١٩٩٨م.
١٠٧.تفسير سورة الحمد، السيد محمد باقر الحكيم، المطبعة، شريعت ، قم – إيران، ط١، ١٤٢٠هـ . ٢٠٠٠م.
١٠٨.تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، محمد بن محمد رضا القمي المشهدي (ت: ١١٢٥هـ)، تح، حسين دركاهي، الناشر: مؤسسة الطبع والنشر وزارة الثقافة والارشاد الإسلامي، قم – إيران، ط١، ١٤١٠هـ . ١٩٩٠م.
١٠٩.تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ)، تح، مجموعة من العلماء، مطبعة، الإعلامي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٥هـ . ١٩٩٥م .
١١٠.تفسير مقتنيات الدرر، مير سيد علي الحائري الطهراني (ت: ١٣٥٣هـ)، نشر، محمد الأخوندي ، طهران – إيران ، ١٤١٣هـ . ١٩٩٢م .
١١١.تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي (ت: ١١١٢هـ)، تح، هاشم الرسولي، مطبعة، اسماعليان، قم . إيران، ط ٤، ١٤١٢هـ . ١٩٩١م.
١١٢.تفسير نور الثقلين، عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي ، تح ، هاشم الرسولي المحلاتي ، المطبعة ، إسماعيليان ، قم – إيران ، ط٤ ، ١٤١٢هـ . ١٩٩١م.

١١٣.التفسير والتاويل في القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي، مطبعة، دار النفائس، عمان – الأردن، ط١، ١٤١٦هـ . ١٩٩٦م.
١١٤.التفسير والمفسرون اساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، د. فضل حسن عباس، مطبعة، دار النفائس، عمان – الأردن، ط١، ١٤٣٧هـ . ٢٠١٦م.
١١٥.التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، محمد هادي معرفة، مطبعة، الآستانة الرضوية المقدسة، إيران، ط٢، ١٤٢٦هـ . ٢٠٠٦م.
١١٦.التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي (ت: ١٣٩٨هـ)، المطبعة، مكتبة وهبة، القاهرة . مصر، د– ت.
١١٧.تفصيل الآيات ويله المستدرك إدوار مونتيه، لجول لابوم، تعريب، محمد عبد الباقي، مطبعة، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، ط١، ١٩٧١م.
١١٨.تقريب القرآن الى الأذهان، محمد الحسيني الشيرازي (ت: ١٤٢٢هـ)، مطبعة، دار العلوم للتحقيق والنشر، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤م.
١١٩.التقوى في القرآن دراسة في التفسير الموضوعي، محمد الدبيسي، مطبعة، دار المحدثين، القاهرة – مصر، ط٢، ١٤٢٩هـ . ٢٠٠٨م.
١٢٠.التقوى، مرتضى مطهري، نشر، جمعية المعارف الإسلامية، ط٢، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.
١٢١.التمهيد في علوم القرآن، محمد هادي معرفة (ت: ١٤٢٧هـ)، مطبعة، الحوزة العلمية، قم – إيران، ط٣، ١٤١٠هـ –١٩٩٠م.
١٢٢.تهذيب الاحكام، الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، تح، حسن الموسوي الخرسان، المطبعة، خورشيد، طهران– إيران، ط٣، ١٤٠٤هـ . ١٩٨٤م.
١٢٣.تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط١، ١٣٢٦هـ.
١٢٤.تهذيب الكمال، المزي (ت: ٧٤٢هـ)، تح، د. بشار عواد معروف، مطبعة، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٣هـ . ١٩٩٢م.
١٢٥. تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ٢٠٠١م.

١٢٦.التوحيد، الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١هـ)، تح، هاشم الحسيني الطهراني، مطبعة، مؤسسة النشر الإسلامي، قم – إيران، د – ت.
١٢٧.تيسير علم أصول الفقه، عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليعقوب الجديع العنزي، الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط ١، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م.
١٢٨.التيسير في أصول واتجاهات التفسير، عماد علي عبد السميع، نشر دار الايمان، الإسكندرية – مصر، ط١، ٢٠٠٦م.
١٢٩.التيسير في قواعد علم التفسير، محي الدين محمد بن سلمان الكفايجي (ت: ٨٧٩هـ)، تح، مصطفى محمد حسين الذهبي، مطبعة، مكتبة القدسي، القاهرة – مصر، ط١، ١٤١٩هـ . ١٩٩٨م.
١٣٠.جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي (ت: ١٣٨٣هـ)، المطبعة العلمية، قم – إيران، ١٤٠٧هـ . ١٩٨٦م.
١٣١.جامع الاسرار ومنبع الانوار، حيدر آملي (ت: ٧٩٤هـ)، تح، هنرى كربين وعثمان اسماعيل يحيى، المطبعة، انتشارات علمي وفرهنكي، إيران، ط١، ١٩٦٦م.
١٣٢.جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تح، خليل الخميس، جميل العطار، مطبعة، دار الفكر، بيروت . لبنان، ١٤١٥هـ . ١٩٩٥م.
١٣٣.جامع المقاصد، المحقق الكركي (ت: ٩٤٠هـ)، تح، مؤسسة اهل البيت عليهم السلام لأحياء التراث، مطبعة، المهدية، قم – إيران، ط١، ١٤٠٨هـ . ١٩٨٧م.
١٣٤.جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ)، المطبعة، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط١، ١٣٩٨هـ . ١٩٧٨م.
١٣٥.الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تح، أحمد عبد العليم البردوني، مطبعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت ت لبنان، د. ت.
١٣٦.جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ)، تح، رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ . ١٩٨٧م.

١٣٧.الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي (ت: ٨٧٥هـ)، تح، د. عبد الرحمن أبو سنة وآخرون، مطبعة، دار احياء التراث، بيروت – لبنان، ط١ ،١٤١٨هـ . ١٩٩٨م.

١٣٨.جواهر القرآن، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، تح، محمد رشيد رضا القباني، الناشر، دار إحياء العلوم، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٠٦هـ . ١٩٨٦م.

١٣٩.حاشية البناني على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، عبد الرحمن البناني. (تحميل: المكتبة الشاملة الذهبية).

١٤٠.حاشية رد المحتار، ابن عابدين (ت: ١٢٥٢ هـ)، تح، مكتبة البحوث والدراسات، مطبعة، دار الفكر، بيروت . لبنان، ط: المنقحة، ١٤١٥هـ . ١٩٩٥م.

١٤١. حقائق التأويل، الشريف الرضي (ت: ٤٠٦هـ)، تح، محمد رضا آل كاشف الغطاء، الناشر، دار المهاجر، بيروت – لبنان، د–ت .

١٤٢.حياة الإمام الرضا عليه السلام ، باقر شريف القرشي ، المطبعة ، مهر ، قم – إيران، ١٤١٤هـ . ١٩٩٤م .

١٤٣.خزانة الادب وغاية الارب، علي بن محمد الحموي (ت: ٨٣٧هـ)، الناشر: دار القاموس الحديث للطباعة والنشر – بيروت – لبنان، د– ت.

١٤٤.الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ)، الناشر، الهيئة المصرية العامة للكتب، القاهرة – مصر، ط٤ ، د–ت .

١٤٥.خلاصة عبقات الانوار، حامد النقوي(ت: ١٣٠٦هـ) ، مطبعة ، الخيام ، قم – إيران ، ١٤٠٥هـ . ١٩٨٤م.

١٤٦.الخلاف، الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، تح، جماعة من المحققين، مطبعة، النشر الإسلامي، قم – إيران، ط١ ، ١٤٠٧هـ . ١٩٨٦م.

١٤٧.الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)،مطبعة دار المعرفة ، بيروت– لبنان ، د– ت.

١٤٨.دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. زاهر بن عوض الألمعي، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، ط٤، ١٤٢٨هـ . ٢٠٠٧م.

١٤٩.دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. عبد المنعم علي إبراهيم القصاص، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، مصر، ط ١ ،١٤١١هـ -١٩٩٠م.
١٥٠.دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، د. أحمد جمال العمري، الناشر، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر، ط١، ١٤٠٦هـ. ١٩٨٦م.
١٥١.دراسات في نهج البلاغة، محمد مهدي شمس الدين، مطبعة، دار الزهراء، بيروت – لبنان، ط٢، ١٣٩٢هـ. ١٩٧٢م.
١٥٢.الدرر النجفية من الملتقطات اليوسفية، المحقق البحراني (ت: ١١٨٦هـ)، تحقيق ونشر، دار المصطفى لإحياء التراث، بيروت. لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ. ٢٠٠٢م.
١٥٣.دروس تمهيدية في القواعد التفسيرية، علي اكبر السيفي المازندراني ، مطبعة ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم – إيران ، ط١ ، ١٤٢٨هـ. ٢٠٠٧م .
١٥٤.دروس في أصول الفقه، السيد محمد باقر الصدر (ت: ١٤٠٠هـ)، نشر، دار الكتاب اللباني ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤٠٦ هـ. ١٩٨٦م .
١٥٥.دروس في المناهج ولاتجاهات التفسيرية للقرآن، محمد علي رضائي، تعريب قاسم البيضاني، مطبعة، زلال الكوثر، قم – إيران، ط٢، ١٤٣١هـ – ٢٠١١م.
١٥٦.دلائل الاعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت: ٤٧١ هـ)، تح، د. محمد التنجي، مطبعة، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٥هـ . ١٩٩٥م.
١٥٧.دليل تحرير الوسيلة، علي اكبر السيفي المازندراني، مطبعة مؤسسة العروج، قم – إيران، ط١، ١٤١٧هـ. ١٩٩٦م.
١٥٨.الذريعة الى مقاصد الشريعة، د. أحمد الريسوني، مطبعة، دار الكلمة للنشر، المنصورة– مصر، ط١، ١٤٣٧هـ. ٢٠١٦م.
١٥٩.الرسالة، الامام الشافعي (ت: ٢٠٤هـ)، تح، أحمد شاكر، الناشر، مكتبة الحلبي، القاهرة – مصر، ط١، ١٣٥٨هـ. ١٩٤٠ م .
١٦٠.الرسائل الأحمدية، شيخ أحمد آل طعان البحراني القطيفي (ت: ١٣١٥هـ) ، تح ، دار المصطفى ﷺ لإحياء التراث ، المطبعة ، امين ، قم – ايران ، ط١ ، ١٤١٩هـ. ١٩٩٨م.

١٦١.الرسائل العشر، ابن فهد الحلي (ت: ٨٤١هـ)، تح، مهدي الرجائي، مطبعة، سيد الشهداء عليه السلام ، قم – إيران ، ط١، ١٤٠٩هـ . ١٩٨٨م.

١٦٢.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، مطبعة، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٥هـ . ١٩٩٥م.

١٦٣.الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، زين الدين العاملي المعروف (بالشهيد الثاني (ت: ٩٦٥هـ)، تح، محمد كلانتر، نشر، جامعة النجف الاشرف – العراق، ط١، د– ت.

١٦٤.روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، محمد تقي المجلسي الأول (ت: ١٠٧٠هـ)، حسين الكرماني، وعلي بناة الاشتهادي ، مطبعة ، بنياد فرهناك إسلامي ، قم – ايران ، د– ت.

١٦٥.روضة الوعاظين، الفتال النيسابوري (ت: ٥٠٨هـ)، تح، محمد مهدي حسن الخرسان، الناشر، منشورات الشريف الرضي، قم – إيران، د– ت.

١٦٦.زاد المسير في علم التفسير، (ابن الجوزي (ت :٥٩٧هـ)، تح، محمد عبد الرحمن عبد الله، مطبعة، دار الفكر، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ . ١٩٧٨م.

١٦٧.زبدة البيان في احكام القرآن، المحقق الأردبيلي (ت: ٩٩٣هـ)، تح ، محمد باقر البهبودي ، الناشر : المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية – طهران– ايران ، د– ت.

١٦٨.زبدة التفاسير، فتح الله الكاشاني (ت: ٩٨٨هـ)، تحقيق ونشر، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم – إيران، ط١، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

١٦٩. الزكاة ثالث المدارس العليا للتقوى، محمد أمين شيخو، تح، عبد القادر يحيى الديراني، الناشر، نور البشير، سوريا، د– ت.

١٧٠.السرائر، ابن ادريس الحلي (ت: ٥٩٨هـ)، تح: لجنة محققين، الناشر ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم –إيران ، ط٢ ، ١٤١٠هـ . ١٩٨٩م.

١٧١. سعد السعود، ابن طاووس (ت: ٦٦٤هـ)، المطبعة، أمير، قم – إيران، ١٣٦٣هـ . ١٩٦٣م.

١٧٢.السنة، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخَلَّال البغدادي الحنبلي (المتوفى: ٣١١هـ)، تح، د. عطية الزهراني، نشر، دار الراية، الرياض – السعودية، ط١، ١٤١٠هـ . ١٩٨٩م.

١٧٣.السنن الكبرى ، أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي(ت: ٣٠٣هـ) ، تح عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن ، بيروت – لبنان ، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م..

١٧٤.سنن ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة (ت: ٢٧٣هـ)، تح، شعيب الأرنؤوط ، وآخرون ، الناشر دار الرسالة العالمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٣٠هـ . ٢٠٠٩ م.

١٧٥.سنن ابي داود، سليمان بن الاشعث السجستاني (ت: ٢٧٥ هـ)، تح، سعيد محمد للحام، مطبعة، دار الفكر، بيروت . لبنان، ط١، ١٤١٠هـ . ١٩٩٠م.

١٧٦.سنن الترمذي، الترمذي (ت: ٢٧٩هـ)، تح، عبد الرحمن محمد عثمان، مطبعة، دار الفكر، بيروت لبنان، ط٢، ١٤٠٣هـ . ١٩٨٣م.

١٧٧.سنن الدار قطني، الدار قطني (ت: ٣٨٥هـ)، تح، مجدي بن منصور الشورى، مطبعة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٧هـ . ١٩٩٦م.

١٧٨.سورة لقمان بين كلمة التنزيل وتناسب الترتيب، محمد رأفت سعيد، مطبعة، دار المنار، القاهرة – مصر، ط٢، ١٤١٣هـ . ١٩٩٢م.

١٧٩.السياق القرآني وأثره في التفسير، د، احمد ماهر سعيد نصر، جامعة الازهر، القاهرة . مصر، د– ت.

١٨٠.سير اعلام النبلاء، الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تح، شعيب الارناؤوط، مطبعة، الرسالة، بيروت – لبنان، ط٣، ١٤٠٥ هـ . ١٩٨٥م.

١٨١.شرح أدب الكاتب، موهوب بن أحمد الجواليقي (ت: ٥٣٩هـ)، تقديم، مصطفى صادق الرافعي، الناشر، مكتبة القدسي، القاهرة – مصر، ط١، ١٣٥٠هـ.

١٨٢. شرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني (ت: ١٠٨١هـ)، أبو الحسن الشعراني، مطبعة، دار أحياء التراث العربي، بيروت . لبنان، ط١، ١٤٢١هـ . ٢٠٠٠م.

١٨٣. شرح الاخبار، القاضي النعمان المغربي (ت : ٣٦٣هـ) ، تح ، محمد الحسيني الجلالي ، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي ، قم – ايران ، ط٢ ، ١٤١٤هـ . ١٩٩٤م.

١٨٤.شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأُشْمُوني الشافعي (ت: ٩٠٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، ط١، ١٤١٩هـ . ١٩٩٨م.

١٨٥.شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين بن عمر بن عبد الله التفتازاني الشافعي (ت: ٧٩٢هـ)، مطبعة، دار المعارف النعمانية، باكستان، ط١، ١٤٠١هـ . ١٩٨١م.

١٨٦.شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني (ت: ٦٧٩هـ)، تح، مجموعة من العلماء، الناشر مكتب الحوزة العلمية، قم – إيران، ط١، ١٤٠٦هـ . ١٩٨٦م

١٨٧.شعب الإيمان، احمد بن الحسين البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تح: أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، تقديم: دكتور عبد الغفار سليمان البندري، مطبعة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٠هـ . ١٩٩٠م.

١٨٨.شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥ هـ)، تح ، د. حمد الكبيسي ، مطبعة الارشاد ، بغداد – العراق ، ط١ ، ١٣٩٠هـ . ١٩٧١م .

١٨٩. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، الحاكم الحسكاني (ت: ق ٥هـ)، تح، محمد باقر المحمودي، نشر، مجمع احياء الثقافة الإسلامية، قم – إيران، ط١، ١٤١١هـ . ١٩٩٠م.

١٩٠.الشيعة وفنون الإسلام، السيد حسن الصدر (ت: ١٣٥٤هـ) ، تح ، مرتضى الميرسجادي ، الناشر ، مؤسسة السبطين عليهم السلام ، قم – إيران ، ط١ ، د–ت.

١٩١.الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: ٣٩٣هـ) ، تح ، أحمد عبد الغفور عطا ، مطبعة ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، ط ٤ ، ١٤٠٧هـ . ٢٠١٩٨٧م.

١٩٢.الصحفية السجادية، الامام زين العابدين علي بن الامام الحسين عليه السلام (ت: ٩٤هـ)، تح، محمد باقر الموحد، المطبعة، نمونه، قم – إيران، ط ١، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م

١٩٣.صحيح البخاري، البخاري (ت: ٢٥٦هـ)، مطبعة، دار الفكر، بيروت . لبنان، ط١ ، ١٤٠١هـ . ١٩٨٠م.

١٩٤.صحيح شرح العقيدة الطحاوية، حسن بن علي السقاف، نشر، دار الإمام النووي، عمان . الأردن ، ط١ ، ١٤١٦هـ . ١٩٩٥م .

١٩٥.طبقات الحفاظ، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١ ١٤٠٣هـ . ١٩٨٢م.

١٩٦. طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي السبكي (ت: ٧٧١ هـ)، تح، محمد علي الطناحي – عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة، دار إحياء الكتب العربية، بيروت . لبنان، د– ت.

١٩٧.طبقات الصوفية، السلمي (ت: ٤١٢هـ)، تح، نور الدين شريبة، مطبعة، المطبعة، دار التأليف، القاهرة – مصر، ط٢، ١٣٨٩هـ . ١٩٦٩م .

١٩٨.الطبقات الكبرى، ابن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، المطبعة، دار صادر . بيروت . لبنان، د– ت.

١٩٩.طرق الكشف عن مقاصد الشارع، د . نعمان جغيم ، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن ، ط١ ، ١٤٣٥ هـ – ٢٠١٤ م.

٢٠٠.عقائد الإمامة، محمد رضا المظفر (ت: ١٣٨٣هـ)، تح، د. حامد حفني داود، مطبعة، انصاريان، د– ت.

٢٠١.علم التفسير كيف نشأ وتطور حتى انتهى إلى عصرنا الحاضر، عبد المنعم النمر (ات: ١٩٩١ م)، نشر، دار الكتب الإسلامية، القاهرة – مصر، ط١ ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

٢٠٢.علوم التفسير، د. عبد الله شحاته (ت: ١٤٢٣هـ)، مطبعة، دار الشروق، القاهرة – مصر، ط١، ١٤٢١هـ . ٢٠٠١م.

٢٠٣.علوم القرآن والتفسير، أ. د. كاصد ياسر الزيدي، د. ابتهال كاصد ياسر الزيدي، نشر، المركز الوطني لعلوم القرآن، بغداد – العراق، ط١، ١٤٣١هـ . ٢٠١٠م.

٢٠٤.علوم القرآن، محمد باقر الحكيم (ت: ١٤٢٥هـ)، مطبعة ، مؤسسة الهادي ، قم – إيران ، ط٣ ، ١٤١٧هـ . ١٩٩٧م .

٢٠٥.عمدة القاري، العيني (ت: ٨٥٥هـ)، مطبعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، د –ت.

٢٠٦.العناوين الفقهية، الحسيني المراغي (ت: ١٢٥٠ هـ)، تحقيق وطبع، مؤسسة النشر الإسلامي، قم . إيران، ط١، ١٤١٧هـ . ١٩٩٧م.

٢٠٧.عوالي اللئالي، ابن ابي جمهور الاحسائي (ت: ٨٨٠هـ)، تح، مجتبى العراقي، مطبعة، سيد الشهداء، قم – إيران، ط١، ١٤٠٥هـ . ١٩٨٥م.

٢٠٨.عون المعبود، العظيم آبادي (١٣٢٩هـ)، مطبعة، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط٢، ١٤١٥ هـ . ١٩٩٥م.

٢٠٩.العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٥هـ)، تح، د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، الناشر: مؤسسة دار الهجرة – إيران – قم، ط١، ١٤٠٩هـ . ١٩٨٨م.

٢١٠.عيون أخبار الرضا عليه السلام ، الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١هـ)، تح، حسين الإعلامي ، مطبعة ، الإعلامي ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٤ هـ . ١٩٨٤م .

٢١١.عيون الأخبار، ابن قتيبة الدينوري (ت : ٢٧٦هـ) ، مطبعة ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط٢، ١٤٢٤هـ . ٢٠٠٣م.

٢١٢.عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي (ت: ق٦)، تح، حسن البيرجندي ، مطبعة ، دار الحديث ، قم – إيران ، ط١ ، د– ت .

٢١٣.غنائم الأيام في مسائل الحلال والحرام، الميرزى القمي (ت: ١٢٣١هـ) ، تح ، عباس التبريزي ، عبد الحليم الحلي ، الناشر ، مكتب الاعلام الإسلامي ، قم – إيران ، ط١، ١٤١٧هـ . ١٩٩٦م.

٢١٤.الغياثي غياث الأمم في التياث الظلم، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، إمام الحرمين (ت: ٤٧٨هـ) ، تح ، عبد العظيم الديب ، مطبعة ، مكتبة إمام الحرمين ، المملكة العربية السعودية ، ط٢ ، ١٤٠١هـ . ١٩٨٠ م .

٢١٥.الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، تح، عبد القادر عطا، مطبعة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ . ١٩٨٧م.
٢١٦.فتح الباري، ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، مطبعة، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط٢، د–ت.
٢١٧.الفتوحات المكية، ابي بكر محي الدين محمد بن علي بن محمد بن احمد الحاتمي المعروف بابن عربي (ت: ٦٣٨هـ)، مطبعة، دار صادر، بيروت ن لبنان، د–ت.
٢١٨.الفصول في الأصول، الجصاص (ت: ٣٧٠هـ)، تح، د. عجيل جاسم النشمي، ط١، ١٤٠٥هـ . ١٩٨٤م .
٢١٩.فقه القرآن، قطب الدين الراوندي (٥٧٣هـ)، تح، احمد الحسيني، الناشر: مكتبة النجفي المرعشي ، ط٢، ١٤٠٥هـ . ١٩٨٤م.
٢٢٠.الفكر الخالد في بيان العقائد، جعفر السبحاني، دار المحجة البيضاء، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ . ٢٠٠٥م.
٢٢١.الفكر المقاصدي قواعده وفوائده، د. أحمد الريسوني ، مطبعة ، النجاح الجديدة ، الدار البيضاء – المغرب العربي ، ط١ ، ١٤٢٠هـ . ١٩٩٩م .
٢٢٢.فلسفة الدين – المصطلح من الارهاصات إلى التكوين العلمي الراهن – د. غياض السيد علي، سلسلة مصطلحات معاصرة: المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العتبة العباسية المقدسة، بيروت – لبنان ط١ ، ١٤٤٠هـ . ٢٠١٩م.
٢٢٣.فلسفة الكوانتم – فهم العلم المعاصر وتأويله– رولان أومنيس ، ترجمة / أ.د. أحمد فؤاد باشا ، أ.د. يمنى طريف الخولي ، أصدارات عالم المعرفة ، دولة الكويت ،ط١ ، ٢٠٠٨م.
٢٢٤.الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، د. عبد الوهاب المسيري، مطبعة، دار الفكر، دمشق – سوريا، ط٢، ١٤٢٨هـ . ٢٠٠٧م.
٢٢٥.فهرست أسماء مصنفي الشيعة، النجاشي (ت: ٤٥٠هـ)، مطبعة، النشر الإسلامي، قم – إيران، ط٥، ١٤١٦هـ . ١٩٩٥م.

٢٢٦.الفهرست، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (المتوفى: ٤٣٨هـ)، تح ، إبراهيم رمضان ، مطبعة ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤١٧هـ . ١٩٩٧م .

٢٢٧.الفوائد الطوسية، الحر العاملي (ت: ١١٠٤هـ)، تح، مهدي اللازوردي ومحمد درودي، المطبعة العلمية، قم . إيران، ١٤٠٣هـ . ١٩٨٢م.

٢٢٨. الفوائد المدنية والشواهد المكية، محمد أمين الإسترآبادي ، السيد نور الدين العاملي(ت: ١٠٣٣هـ) ، تح، رحمة الله الآراكي ، الناشر، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم – إيران ، ط١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

٢٢٩.في رحاب التقوى، محسن الخرازي، محسن الحسيني الأميني، مطبعة، دار الحق، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٥ هـ . ١٩٩٤م .

٢٣٠.في ضلال التقوى ، عبد الهادي حسن وهبي ،د– م ، ط١ ، ١٤٢٢هـ . ٢٠٠١م.

٢٣١.في ضلال القرآن، السيد قطب، مطبعة، دار الشروق، القاهرة – مصر، ط ٣٤، ١٤٢٥هـ . ٢٠٠٤م.

٢٣٢.في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية ، المطبعة ، ستار ، قم – إيران ، ط١ ، ١٤٢٧هـ . ٢٠٠٦م.

٢٣٣.قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر، الحسين بن محمد الدامغاني (ت : ٤٧٨هـ) ، تح ، عبد العزيز سيد الاهل ، مطبعة ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، ط٤ ، ١٤٠٣هـ . ١٩٨٣م .

٢٣٤.القاموس المحيط، أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (ت: ٨١٧هـ)، تح، محمد نعيم العرقسوسي، مطبعة، مؤسسة الرسالة، بيروت . لبنان، ط٨ ،١٤٢٦ هـ . ٢٠٠٥م.

٢٣٥.القرآن في الإسلام، السيد محمد حسين الطباطبائي (ت : ١٤٠٢هـ) ، تعريب ، أحمد الحسيني ، مطبعة ، دار الزهراء ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٣٩٣هـ . ١٩٧٣م.

٢٣٦.القرآن نزوله تدوينه ترجمته وتاثيره ، بلاشير ، ترجمة ، رضا سعادة ، تحقيق ، محمد علي الزعبي ، مطبعة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٧٤م.

٢٣٧.القرآن والقتال، محمد شلتوت، مطبعة دار الكتاب العربي، القاهرة – مصر، ط١، ١٩٥١ م.
٢٣٨.قواعد أصول التفسير في تهذيب الوصول للعلامة وكنز العرفان للسيوري، د. جبار كاظم الملا، د. سكينة عزيز الفتلي، تح، مركز العلامة الحلي لإحياء تراث حوزة الحلة العلمية منشورات ، العتبة الحسينة المقدسة ، ط١ ، ١٤٤٠هـ . ٢٠١٩م.
٢٣٩.قواعد الأحكام في مصالح الأنام، بو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، تح ، طه عبد الرؤوف سعد ، الناشر ، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة، مصر ، الطبعة المنقحة ، ١٤١٤هـ . ١٩٩٣م.
٢٤٠.قواعد الأحكام، العلامة الحلي (ت: ٧٢٦هـ)، طبع وتحقيق، مؤسسة النشر الإسلامي، قم – ايران، ط١، ١٤١٣هـ . ١٩٩٢م.
٢٤١.قواعد التفسير – إشكالية المفهوم والعلاقة – دراسة تقويمية، سعود فهيد العجمي، دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلد ٤٦، العدد: ١، ١٤٤٠هـ . ٢٠١٩م.
٢٤٢.قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، محمد فاكر الميبدي ، مطبعة ، نكار ، طهران – إيران ، ط١ ، ١٤٢٨هـ . ٢٠٠٧م.
٢٤٣.قواعد التفسير جمعًا ودراسة، خالد عثمان السبت ، سلسلة القواعد والضوابط والكليات ، الأولى ، مطبعة دار بن عفَّان ، د–ت.
٢٤٤.القواعد الحسان لتفسير القرآن، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، مطبعة، مكتبة الرشيد ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ . ١٩٩٩م.
٢٤٥.قواعد الفقه، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي ، الناشر: الصدف ببلشرز – كراتشي ، ط١ ، ١٤٠٧هـ . ١٩٨٦م.
٢٤٦.قواعد قرآنية خمسين قاعدة قرآنية في النفس والحياة، د. عمر بن عبد الله المقبل، مركز تدبر للنشر ، الرياض– السعودية ، ط٣، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م .

٢٤٧.القواعد والضوابط الفقهية المتضمنة للتيسير، عبد الرحمن صالح عبد اللطيف، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

٢٤٨.القيم الضرورية ومقاصد التشريع الإسلامي، د. فهمي محمد علوان، مطبعة، الهيئة المصرية للكتب، القاهرة – مصر، ط١، ١٤١٠ هـ. ١٩٨٩ م.

٢٤٩.الكافي، الشيخ الكليني (ت: ٣٢٩هـ)، تح، علي أكبر الغفاري، الناشر، دار الكتب الإسلامية، طهران – إيران، ط٥، ١٤١٥هـ. ١٩٩٥م .

٢٥٠.الكامل في ضعفاء الرجال، أبو أحمد بن عدي الجرجاني (ت: ٣٦٥هـ)، تح: عادل أحمد عبد الموجود–علي محمد معوض، تح: عبد الفتاح أبو سنة، الناشر: الكتب العلمية – بيروت–لبنان ط١، ١٤١٨هـ١٩٩٧م.

٢٥١.كتاب الام، الشافعي (ت: ٢٠٤هـ)، مطبعة، دار الفكر، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٠٣هـ . ١٩٨٢م .

٢٥٢.كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ. ١٩٩٣م.

٢٥٣.الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٧هـ. ١٩٨٧ م.

٢٥٤.كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي (ت : ٥٩٧هـ) ، تح ، علي حسين البواب ، مطبعة ، دار الوطن ، الرياض ، السعودية ، ط١ ، ١٤١٨هـ. ١٩٩٨م

٢٥٥.الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن محمد إبراهيم الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) ، تح ، محمد بن عاشور ، المطبعة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت– لبنان ، ط١، ١٤٢٢هـ. ٢٠٠٢م .

٢٥٦.الكلام الإسلامي المعاصر، د. عبد الحسين خسر وبناه، ترجمة: محمد حسين الواسطي، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العتبة العباسية المقدسة، كربلاء – العراق، ط١، ١٤٣٨هـ. ٢٠١٦م .

٢٥٧. الكلمات (كليات رسائل النور)، بديع الزمان النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، نشر، دار سوزلر، القاهرة – مصر، ط٦، ١٤٣٢هـ. ٢٠١١م.

٢٥٨.كلمة التقوى، محمد أمين زين الدين، مؤسسة البلاغ الإسلامي، قم – إيران ، د– ت.
٢٥٩.الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، تح، عدنان درويش – محمد المصري، الناشر، مؤسسة الرسالة، بيروت . لبنان، د. ت .
٢٦٠.كمال النقصان من تفسير منتخب التبيان (موسوعة إبن إدريس الحلي)، ابن إدريس الحلي (ت : ٥٩٨ هـ) ، تح ، محمد مهدي الخرسان ، الناشر ، المكتبة العلوية المقدسة ، النجف الاشرف – العراق ، ط١ ،١٤٢٩هـ . ٢٠٠٨م .
٢٦١.كنز العرفان في فقه القرآن ، المقداد السيوري (ت: ٨٢٦هـ) ، تح ، محمد باقر شريف زاده ، ومود باقر البهبودي ، المطبعة ، حيدري ، طهران – ايران ، ١٤٠٩هـ . ١٩٨٨م.
٢٦٢.كنز الفوائد، ابي الفتح الكراكجي (ت: ٤٤٩هـ)، المطبعة، غدير، قم – إيران، ط٢، ١٤١١هـ . ١٩٩٠م.
٢٦٣.كيف نتعامل مع القرآن العظيم، د. يوسف القرضاوي ، مطبعة دار الشروق ، القاهرة – مصر ، ط١، ١٤١٩هـ . ١٩٩٩م.
٢٦٤.كيف نتعامل مع القرآن، محمد الغزالي، اشراف: داليا محمد إبراهيم، المطبعة ، نهضة مصر ، ط٧ ، ١٤٢٦هـ . ٢٠٠٥م .
٢٦٥.اللألهيات، تقرير بحث الشيخ السبحاني – حسن محمد مكي العاملي، الناشر، الدار الإسلامية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠٩ هـ . ١٩٨٩م.
٢٦٦.لب الأثر في الجبر والقدر، تقرير بحث السيد الخميني للسبحاني، المطبعة، اعتماد، قم – إيران، ط١، ١٤١٨هـ . ١٩٩٧م.
٢٦٧.لباب النقول في أسباب النزول، السيوطي، تح، أحمد عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، د–ت.
٢٦٨.لمحات الأصول، تقرير بحث للسيد البروجردي للسيد الخميني، تحقيق، مؤسسة الامام الخميني، المطبعة، مؤسسة العروج، قم – إيران، ط١، ١٤٢١هـ . ٢٠٠٠م.
٢٦٩.مباحث في علوم اقرآن، مناع القطان، مطبعة، وهبة، القاهرة مصر، ط٧، د–ت.

٢٧٠.مبادئ الوصول إلى علم الأصول، العلامة الحلي (ت: ٧٢٦هـ) تح، عبد الحسن محمد البقال، مطبعة، مكتب الاعلام الإسلامي، قم – إيران، ط٣، ١٤٠٤ هـ . ١٩٨٤م

٢٧١.مبادئ ميكانيكا الكم، بول ديراك، ترجمة: أ.د. محمد أحمد العقر، و أ. د. عبد الشافي فهمي عبادة، الناشر كلمة وكلمات للترجمة والنشر، أبو ظبي، الأمارات العربية المتحدة ، ط١ ، ١٤٣١هـ . ٢٠١٠م.

٢٧٢.المبسوط، الطوسي، تح ، محمد تقي الكشفي، مطبعة ، المكتبة المرتضوية لإحياء التراث الجعفري ، ١٣٨٧هـ . ١٩٧٦م.

٢٧٣.متشابه القرآن ومختلفه، ابن شهر أشوب (ت: ٥٨٨هـ)، الناشر، مكتبة المصطفوي، طهران – إيران، ١٤٠١ – ١٩٨٠ م.

٢٧٤. متشابه القرآن، القاضي عبد الجبار الهمداني (ت: ٤١٥هـ)، تح، عدنان محمد زرزور، الناشر، مكتبة دار التراث، القاهرة – مصر ، د – ت .

٢٧٥.المجددون في الإسلام من القرن الأول الهجري الى القرن الرابع عشر ، عبد المتعال الصعيدي (ت : ١٣٧٠هـ) ، مطبعة ، مكتبة الآداب ، القاهرة – مصر ، ط١ ، ١٤١٦هـ . ١٩٩٦م.

٢٧٦.مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي (ت: ١٠٨٥هـ)، تح، احمد الحسيني، المطبعة: چاپخانهء طراوت ، قم – إيران ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ . ١٩٨٢م.

٢٧٧.مجموع الفتاوى الكبرى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) ، تح ، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، مجمع الملك فهد ، المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤١٦هـ . ١٩٩٥م.

٢٧٨.محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ) ، تح ، محمد باسل عيون السود ، مطبعة ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨م

٢٧٩.محاسن الشريعة في فروع الشافعية (كتاب في مقاصد الشريعة) ، ابي بكر محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي المعروف بالفتال الكبير (ت : ٣٦٥هـ) ، تح ، أبو عبدالله

محمد علي سمك ، مطبعة ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .

٢٨٠.المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت: ٢٧٤هـ)، تح، جلال الدين الحسيني، مطبعة، دار الكتب الإسلامي، طهران – إيران، ١٤١٢هـ . ١٩٩٢م.

٢٨١.محاضرات في أصول الفقه، السيد الخوئي، مطبعة، مؤسسة النشر الإسلامي، قم . إيران، ط١، ١٤١٩هـ . ١٩٩٩م.

٢٨٢.محاضرات في علوم القرآن، غانم قدوري، مطبعة، دار عمار، عمان – الأردن، ط١، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣م .

٢٨٣.محاضرات في مقاصد الشريعة، د. أحمد الريسوني ، مطبعة دار الكلمة ، المنصورة – مصر ، ط٣ ، ١٤٣٥هـ . ٢٠١٤م .

٢٨٤.المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء، الفيض الكاشاني (ت : ١٠٩١هـ) تح ، علي أكبر الغفاري ، المطبعة ، مهر ، قم . إيران ، ط٢ ، د . ت .

٢٨٥.المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ات: ٥٤٢هـ)، تح، عبد السلام عبد الشافي محمد ، مطبعة ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م .

٢٨٦.محمد والقرآن، رودي باريت، ترجمة: د. رضوان السيد، نشر، مؤسسة شرق غرب– ديوان المسار للنشر، دولة الامارات العربية، ط١، ١٤٣٠هـ . ٢٠٠٩م

٢٨٧.المحيط في اللغة، إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد (ت: ٣٨٥هـ)، تح، محمد حسن ال ياسين، الناشر، عالم الكتب، بيروت – لبنان، د – ت.

٢٨٨.مختصر المعاني، التفتازاني (ت: ٧٩٢هـ)، المطبعة، قدس، قم . إيران، ط١، ١٤١١هـ . ١٩٩١م.

٢٨٩.المخصص، علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده (ت: ٤٥٨هـ)، تح، لجنة من إحياء التراث العربي، مطبعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان، د . ت.

٢٩٠.مدارس التفسير الإسلامي، على أكبر بابائي، تعريب: كمال السيّد، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠ م.

٢٩١.المدخل الى التفسير الموضوعي، د. هاشم أبو خميس، نشر، مؤسسة العرفان الثقافية، ط١، ١٤٣٩هـ. ٢٠١٧م.

٢٩٢.المدخل الى التفسير الموضوعي، د. عبد الستار فتح الله سعيد ، مطبعة ، دار النشر الإسلامية ، القاهرة – مصر ، ط١ ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م .

٢٩٣.مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن، عبد الجواد خلف محمد عبد الجواد، نشر، دار البيان العربي، القاهرة – مصر، ط١، د– ت.

٢٩٤.مدخل الى القرآن الكريم (عرض تاريخي وتحليل مقارن)، د. محمد عبدالله دراز، ترجمة: محمد عبد العظيم علي، مراجعة: د. السيد محمد بدوي، مطبعة، دار القلم ، الكويت ، ط١ ، ١٤٠٤هـ. ٢٩٨٤م.

٢٩٥.مدخل الى تفسير القرآن وعلومه، عدنان محمد زرزور، مطبعة، دار القلم، بيروت – لبنان، ط٢ ، ١٤١٩هـ. ١٩٩٨م.

٢٩٦.مدخل إلى مقاصد الشريعة، أ. د. احمد الريسوني، التدريسي بجامعة محمد الخامس بالرباط. مطبوع بمطبعة: دار الكلمة– مصر – القاهرة، ط١ ، ١٤٣١هـ. ٢٠١٠م .

٢٩٧.المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ات: ١٤٠٣هـ)، الناشر: مكتبه السنة – القاهرة، مصر، ط٢، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.

٢٩٨.المرأة في القرآن، عباس محمود العقاد، نهضة مصر للتوزيع والنشر، القاهرة – مصر، ط٣، ١٤٢٦هـ. ٢٠٠٥م.

٢٩٩.مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، قرأه وتممه: د. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، الناشر: مكتبة دار المنهاج، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٦هـ. ٢٠٠٥م.

٣٠٠.مسالك الأفهام إلى آيات الأحكام، محمد الفاضل الجواد الكاظمي المعروف بالشهيد الثاني (ت: ١١هـ)، تحقيق وتعليق، محمد باقر شريف زاده، ومحمد باقر البهبودي، المطبعة، حيدري، إيران، ١٩٧١م.

٣٠١.مستدرك الوسائل، حسين النوري الطبرسي (ت: ١٣٢٠هـ) ، تح وطبع ، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، بيروت – لبنان ، الطبعة المحققة ، ١٤٠٨هـ . ١٩٨٧م.
٣٠٢.المستصفي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، تح، محمد عبد السلام عبد الشافي، مطبعة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، طبعة المصححة، ١٤١٧هـ . ١٩٩٧م.
٣٠٣.مسند ابن الجعد، علي بن الجعد بن عبيد الجوهري (ت: ٢٣٠هـ) ، جمع الرواية ، عبدالله بن محمد البغوي (ت : ٣١٧هـ) ، تح ، عامر أحمد حيدر ، مطبعة ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، ط٢ ، ١٤١٧هـ . ١٩٩٦م .
٣٠٤.مسند ابي يعلى الموصلي (ت: ٣٠٧هـ)، تح، حسين سليم أسد، مطبعة، دار المأمون للتراث، القاهرة . مصر، ط١، ١٤١٢هـ . ١٩٩٢م .
٣٠٥.مسند أحمد أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، تح ، شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون ، الناشر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت . لبنان، ط١ ، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م .
٣٠٦.مصادر التفسير الموضوعي، د. أحمد رحماني، مكتبة وهبة، القاهرة . مصر، ط١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م.
٣٠٧.مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السورِ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، دار النشر: مكتبة المعارف – الرياض، ط١، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م.
٣٠٨.مصباح الأصول (موسوعة الإمام الخوئي) ، تقرير بحث السيد الخوئي للبهسودي، تحقيق وطبع ، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي ، قم – إيران ، ط١ ، ١٤٢٢هـ . ٢٠٠٢م.
٣٠٩.المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، د – ت.
٣١٠.مصباح الهدى في شرح عروة الوثقى، الشيخ محمد تقي الآملي، المطبعة فردوسي، إيران ط١، ١٣٨٧ هـ . ١٩٦٣م.

٣١١.معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٦هـ)، تح، عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط ، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م .

٣١٢.معاني الاخبار، الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١ هـ)، تح، على أكبرغفاري، نشر، مؤسسة النشر الإسلامي، قم – إيران، ١٤٢١هـ. ٢٠٠١م.

٣١٣.معاني القرآن، أبو جعفر احمد بن محمد النحاس (ت: ٣٣٨هـ)، تح، محمد علي الصابوني، نشر، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٩هـ. ١٩٨٨م.

٣١٤. معترك الأقران في إعجاز القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار النشر: دار الكتب العلمية –بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

٣١٥.معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت: ٣٩٥هـ) ، تح ، عبد السلام هارون ، مكتبة الاعلام الإسلامي ، ١٤٠٤هـ– ١٩٨٣م .

٣١٦.معجم الفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية للمعجمات وإحياء التراث، الطبعة المنقحة، مصر العربية ، ج١ ، ١٤٠٩هـ. ١٩٨٨م – ج٢ ، ١٤١٠هـ. ١٩٩٠م.

٣١٧.المعجم الفلسفي (بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية)، د. جميل صليبا (ت: ١٩٧٦م)، الناشر: الشركة العالمية للكتاب، بيروت. لبنان، ١٤١٤هـ. ١٩٩٤م.

٣١٨.المعجم الكبير، الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، تح، حمدي عبد المجيد السلفي، مطبعة، دار إحياء التراث العربي، ط٢ المزيدة المنقحة، ١٤٠٦هـ. ١٩٨٥ م.

٣١٩.معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، محمود عبد الرحيم عبد المنعم، دار الفضيلة، القاهرة. مصر، د. ت.

٣٢٠.المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة، دار الحديث، القاهرة – مصر، د– ت.

٣٢١.المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم، صبحي عبد الرؤوف عصر، مطبعة، دار الفضيلة، القاهرة – مصر، د– ت .

٣٢٢.المعجم الوسيط، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة، د- ت.

٣٢٣.مغني اللبيب، أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام المصري (ت٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم . إيران, ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.

٣٢٤.مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت : ٦٠٦هـ) ، مطبعة ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط٣ ، ١٤٢٠هـ . ٢٠٠٠م .

٣٢٥.مفردات القرآن – نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية، عبد الحميد الفراهي الهندي (ت: ١٣٤٩هـ)، تح : د. محمد أجمل أيوب الإصلاحي ، الناشر: دار الغرب الإسلامي ، ط١ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٣٢٦.المفردات في الفاظ القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ات: ٥٠٢هـ)، تح، صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، بيروت . لبنان، ط١ ، ١٤١٢هـ . ١٩٩٢م .

٣٢٧.مفهوم التأريخ: عبد الله العروي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ج٢، ط٣, ١٩٩٧.

٣٢٨.مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٢٧ هـ . ٢٠٠٧م.

٣٢٩.مفهوم النص، نصر حامد أبو زيد، مطبعة، الحمراء، بيروت – لبنان، ط٦، ١٤٢٦هـ . ٢٠٠٥م .

٣٣٠.مقاصد الاحكام الشرعية وغاياتها، محمد علي أيازي ، تعريب ، علي عباس الوردي ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت –لبنان ط١ ، ١٤٣٠هـ . ٢٠٠٩م .

٣٣١.مقاصد الشرع بين الإفراط والتفريط، مالك مصطفى وهبي العاملي، مطبعة، دار الهادي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ . ٢٠٠٧م.

٣٣٢.مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، د. محمد سعد بن مسعود اليوبي، مطبعة، دار الهجرة، المملكة العربية السعودية، ط١ ، ١٤١٨هـ . ١٩٩٨م.
٣٣٣.مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، علال الفاسي، مطبعة، دار الغرب الإسلامي، ط٥، ١٤١٤هـ . ١٩٩٣ م.
٣٣٤.مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط١، ١٤٣٢هـ . ٢٠١١م.
٣٣٥.مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، د. عبد المجيد النجار، مطبعة، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٢٩هـ . ٢٠٠٨م.
٣٣٦.مقاصد الشريعة تأصيلا وتفعيلا، محمد بكر إسماعيل، رابطة العالم الإسلامي، سلسلة دعوة الحق، السنة: ٢٢، العدد: ٢١٣، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م .
٣٣٧.مقاصد الشريعة عند ابن تيمية، د. يوسف أحمد البدوي، مطبعة، دار النفائس، عمان – الأردن، ١٤٢٠هـ . ١٩٩٩م.
٣٣٨.المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، د. يوسف حامد العالم، طبع ونشر، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن – فرجينيا، الولايات المتحدة الإمريكية، ط١، ١٤١٣هـ . ١٩٩٤م.
٣٣٩.مقاصد القرآن من تشريع الاحكام، عبد الكريم حامدي، مطبعة، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٢٩هـ . ٢٠٠٩م.
٣٤٠.مقاصد المقاصد الغايات العلمية والعملية لمقاصد الشريعة، د. أحمد الريسوني، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت . لبنان، ط١، ١٤٣٤هـ . ٢٠١٣م.
٣٤١.مقدمات في علم التفسير، صدر الدين القبنجي، تحقيق وطبع، مؤسسة إحياء التراث الشيعي، النجف الاشرف – العراق، ط٢ / ١٤٢٧هـ . ٢٠٠٦م.
٣٤٢.مقدمة في أصول التفسير، تقي الدين محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ) ، الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت . لبنان ، ط١ ، ١٤٠٠ هـ . ١٩٨٠م .
٣٤٣.مكارم الاخلاق، الشيخ الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ)، منشورات، الشريف الرضي، ط٦، ١٣٩٢هـ . ١٩٧٢م.

٣٤٤.من العقيدة الى الثورة (المقدمات النظرية)، د. حسن حنفي. الناشر، دار التنوير، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠٩هـ. ١٩٨٩م.

٣٤٥.منطق تفسير القرآن أصول وقواعد التفسير ، محمد علي الرضائي ، تعريب : أحمد الأزرقي و هاشم أبو خميس ، نشر، مركز المصطفى ﷺ العالمي ، ط٢، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

٣٤٦.من روائع القرآن – تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، محّمد سَعيد رَمضان البوطي، مطبعة، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ. ١٩٩٩م.

٣٤٧.من لا يحضره الفقيه، ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي – المعروف بالشيخ الصدوق (ت : ٣٨١هـ) ، تح ، علي اكبر الغفاري ، مطبعة ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم – إيران ، ط٢ ، د- ت .

٣٤٨.من هدى القرآن، محمد تقي المدرسي، مطبعة، دار القارئ، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٢٩هـ. ٢٠٠٩م.

٣٤٩.مناقب آل ابي طالب، أبن شهر أشوب (ت: ٥٨٨هـ) تح ، مجموعة من أساتذة النجف الاشرف ، المطبعة ،المكتبة الحيدرية ، النجف الاشرف . العراق ، ط١ ، ١٣٧٦هـ . ١٩٥٦م .

٣٥٠.المناهج التفسيرية عند الشيعة والسنة، محمد علي اسدي نسب، المطبعة، نكار، طهران – إيران، ط١، ١٤٣١هـ. ٢٠١٠م .

٣٥١.المناهج التفسيرية في علوم القرآن، جعفر السبحاني، المطبعة، اعتماد، قم – إيران، ط٢ ،١٤٢٢هـ. ٢٠٠١م.

٣٥٢.مناهج المفسرين، د. مسلم آل جعفر، محي هلال السرحان، مطبعة، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٨٠م.

٣٥٣.مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والادب، أمين الخولي (ت: ١٨٩٥هـ . ١٩٦٥م)، مطبعة، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٦١م .

٣٥٤. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، تح ، فواز احمد زمرلي ، دار النشر : دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٥هـ. ١٩٩٥م .

٣٥٥.المنتخب من القواعد الفقهية، د. عباس كاشف الغطاء، منشورات، مؤسسة كاشف الغطاء، النجف الاشرف، العراق، ط١ ، ١٤٣٤هـ . ٢٠١٣ م .
٣٥٦.المنتخب من تفسير كتاب التبيان، ابن إدريس الحلي (ت: ٥٩٨هـ)، تح، مهدي الرجائي، محمود المرعشي، مطبعة، سيد الشهداء، قم – إيران، ط١، ١٤٠٩هـ . ١٩٨٨م .
٣٥٧.المنثور في القواعد الفقهية، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ات: ٧٩٤هـ)، الناشر: وزارة الأوقاف الكويتية، ط ٢، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
٣٥٨.منهاج البراعة في شرح البلاغة، حبيب الله الهاشمي الخوئي (ت: ١٣٢٤هـ)، تح، إبراهيم الميانجي، المطبعة الإسلامية، طهران – إيران، ط٤ د– ت.
٣٥٩.منهاج الكرامة، العلامة الحلي (ت: ٧٢٦هـ)، تح، عبد الرحيم مبارك، المطبعة، الهادي – قم إيران، ط١، ١٤٢١هـ . ٢٠٠٠م.
٣٦٠.منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم دراسة نقدية، سامر عبد الرحمن رشواني، مطبعة ، دار الملتقى ، حلب – سوريا ، ط١ ، ١٤٣٠هـ . ٢٠٠٩م .
٣٦١.منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. زياد خالد الدغامين ، الناشر ، دار البشير ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.
٣٦٢.منهجية البحث في الموضوع القرآني، د. حامد يعقوب الفريح ، جامعة الدمام ، الشارقة – ١٤٣١هـ– ٢٠١٠م .
٣٦٣.المهذب، القاضي ابن البراج (ت: ٤٨١هـ)، تح، جعفر السبحاني، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، قم – إيران، ط١، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م.
٣٦٤.الموازنة بين المصالح والمفاسد في ضوء مقاصد الشريعة، د. إبراهيم عبد الرحمن عبد العزيز العاني، مطبعة، ديوان الوقف السني، بغداد – العراق، ط١، ١٤٢٧هـ . ٢٠٠٦م.
٣٦٥.الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ات: ٧٩٠هـ)، تح، أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، القاهرة – مصر، ط١، ١٤١٧هـ . ١٩٩٧م.

٣٦٦.الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء، الناشر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة – مصر، ١٤٢٣هـ . ٢٠٠٢م.
٣٦٧.الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من المؤلفين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة – مصر، ١٤٢٣هـ . ٢٠٠٢م.
٣٦٨.موسوعة القواعد الفقهية، محمد صدقي بن أحمد بن محمد آل بورنو أبو الحارث الغزي الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣ م.
٣٦٩.موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام ، تح، جعفر السبحاني ، الناشر : مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام ، قم – إيران ، ط١ ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
٣٧٠.الموطأ، مالك بن أنس (ت: ١٧٩هـ)، تح، محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة، دار احياء التراث، بيروت . لبنان ، ط١ ، ١٤٠٦هـ . ١٩٨٥م .
٣٧١.ميزان الحكمة، محمد الريشهري، مطبعة دار الحديث، قم – إيران، ط١، د– ت.
٣٧٢.الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت
٣٧٣.النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد بن عبد الله دراز (ت: ١٣٧٧هـ)، تح، أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني ، الناشر : دار القلم للنشر ، الطبعة المحققة ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م .
٣٧٤.نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تح، محمد عبد الكريم كاظم الراضي، الناشر، مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٠٤هـ . ١٩٨٤م.
٣٧٥.النص والاجتهاد، السيد شرف الدين (ت: ١٣٧٧هـ)، أبو مجتبى، مطبعة، سيد الشهداء، قم – إيران، ط١، ١٤٠٤هـ . ١٩٨٤م.
٣٧٦.نصب الراية تخريج أحاديث الهداية، جمال الدين الزيلعي (ت: ٧٦٢هـ)، تح، أيمن صالح شعبان، مطبعة، الوفاء، مصر – القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ –١٩٩٥م.
٣٧٧.نظرية العلم في القرآن ومدخل جديد في التفسير، غالب حسن، مطبعة، دار الهادي، بيروت . لبنان، ط١، ١٤٢١هـ . ٢٠٠١م.

٣٧٨.نظرية المقاصد عند الامام الشاطبي، د. أحمد الريسوني، الناشر: الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ط٢، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

٣٧٩.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة. مصر، د. ت.

٣٨٠.نفحات القرآن (أسلوب جديد في التفسير الموضوعي)، العلامة ناصر مكارم الشيرازي، المطبعة، الحيدري، إيران، د - ت.

٣٨١.نقد النص (النص والحقيقة)، علي حرب، نشر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب العربي، ط٤، ١٤٢٦هت. ٢٠٠٥م.

٣٨٢.نهج البلاغة الجامع لخطب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ورسائله وحكمه، محمد بن الحسين الشريف الرضي الموسوي، شرح: ابن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة، دار إحياء الكتب العربية، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٥٩م.

٣٨٣.نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، محمد باقر شريف الرضي المحمودي (معاصر)، مطبعة النعمان، النجف الاشرف - العراق، ط١، ١٣٨٥هـ. ١٩٦٥م.

٣٨٤.هداية المسترشدين، محمد تقي الرازي (ت: ١٢٤٨هـ)، مطبعة، مؤسسة النشر الإسلامي، قم - إيران، د- ت.

٣٨٥.الهداية، الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١هـ)، تح، مؤسسة الامام الهادي عليه السلام ، المطبعة، اعتماد، قم - إيران، ط١، ١٤١٨هـ. ١٩٩٧م.

٣٨٦.هشام بن الحكم، عبد الله نعمة، مطبعة، دار الفكر اللبناني، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٠٥هـ. ١٩٨٥م.

٣٨٧.الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، محيى الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب - دار العلوم الانسانية - دمشق - سوريا، ط٢ ، ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م .

٣٨٨.الوافي بالوفيات، الصفدي (ت: ٧٦٤هـ)، تح، احمد الارناؤوط - تركي مصطفى، المطبعة، دار احياء التراث، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ. ٢٠٠٠م.

٣٨٩.الوافي في تاريخ القرآن وعلومه، أ. د. عامر عمران الخفاجي، نشر، مؤسسة الصادق الثقافية، العراق، ط٢، ١٤٤٠هـ. ٢٠١٩م.
٣٩٠.الوافي، الفيض الكاشاني(ت: ١٠٩١هـ)، تح، ضياء الدين الحسيني، الناشر، مكتبة أمير المؤمنين العامة، أصفهان – إيران، ط١، ١٤٠٦هـ. ١٩٨٦م .
٣٩١.الوجيز في إيضاح قواعد الفقة الكلية المؤلف: د. محمد صدقي بن أحمد بن محمد آل بورنو أبو الحارث الغزي الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان الطبعة: الرابعة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م.
٣٩٢.الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، د. محمد محمود حجازي، نشر، دار الكتب الحديثة، القاهرة – مصر، د–ط، ١٣٩٠هـ. ١٩٧٠م.
٣٩٣.الوحي المحمدي، محمد رشيد علي رضا بن محمد شمس الدين القلموني (ت: ١٣٥٤هـ)، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ. ٢٠٠٥م.
٣٩٤.الوسيط في قواعد فهم النصوص الشرعية، د. عبد الهادي الفضلي، مطبعة، مركز الغدير، بيروت. لبنان، طبعة الجديدة , ١٤٢٨هـ. ٢٠٠٧م.
٣٩٥.وقاية الاذهان، محمد رضا النجفي (ت: ١٣٦٢هـ) ، تح، مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث ، المطبعة ، مهر ، قم – إيران ، ط١ ، ١٤١٣هـ. ١٩٩٢م.

المجلات والدوريات

١.الأستشراق الألماني ودوره في الدراسات الشرقية، م.م. محمد سعدون المطوري ، وزارة السياحة والاثار ، مجلة دراسات استشراقية ، العدد : ٣ ، ١٤٣٦هـ. ٢٠١٥م.
٢.أهمية التفسير الموضوعي ومنهجيته في معالجة القضايا المستجده ، د. أحمد عبد الكريم الشوكة ، الجامعة العراقية – كلية الآداب ، مجلة كلية الامام الأعظم الجامعة ، العدد : ١٨ ، السنة ١٤٣٥هـ. ٢٠١٤م.

٣.البحث في مقاصد الشريعة نشأته وتطوره ومستقبله: الدكتور أحمد الريسوني، بحث مقدم لندوة مقاصد الشريعة، التي نظمتها مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بـ(لندن)، من ١إلى ٥ مارس٢٠٠٥م.

٤.البعد المقاصدي في الدراسات القرآنية، د. محمد عبد اللطيف عبد العاطي، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قطر، المجلد ٣٣، العدد ٢، ١٤٣٧هـ. ٢٠١٦م.

٥.التفسير المصطلحي للنصوص الشرعية وإشكالياته، د. حسن بنعبو، مجلة الإسلام والسياق المعاصر، الرابطة المحمدية للعلماء المغرب العربي، العدد: ٢٩، د – ت

٦.التفسير المقاصدي إشكالية التعريف والخصائص، د. نشوان عبده خالد – د. رضوان جمال الأطرش، مجلة قرآنيكا العالمية لبحوث القرآن الكريم، جامعة ملايا، ماليزيا، المجلد: ٥، العدد: ٢، ١٤٣٤هـ. ٢٠١٣م.

٧.الجذور التاريخية للتفسير المقاصدي، رضوان جمال الأطرش، ونشوان عبد الله خالد، مجلة الإسلام في اسيا، العدد الخاص الأول، ٢٠١١م.

٨.حاجة المجتهد إلى الاجتهاد المقاصدي، د. ماهر حامد محمد الحولي، الجامعة الإسلامية، غزة – فلسطين، ١٤٢٩هـ– ٢٠٠٨م (بحث منشور).

٩.السياق ودوره في التفسير، عبد الرؤوف حسن، مجلة: رسالة القلم، (العدد – ٥٤)، سنة ١٤٣٨هـ. ٢٠١٧م.

١٠.الفكر الإسلامي وتكوين النظرية التربوية، حيدر حب الله، مجلة المنهاج، العدد٣٢، بيروت، لبنان ،٢٠٠٥م.

١١.كتاب المنهاج، مجموعة من الباحثين، سلسلة بحوث ثقافية تصدرها مجلة المنهاج العدد: ١٣، د–ت.

١٢.مجلة تراثنا، مؤسسة آل البيت عليهم السلام ، نشر مؤسسة آل البيت لأحياء التراث، قم – إيران، العدد: ٤، ١٤٠٦هـ. ١٩٨٦م .

١٣.مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، عادل بن محمد أبو العلاء، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: العدد١٢٩ – السنة ٣٧ – ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

١٤.مقاصد التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. ايمان مصطفى علي، مجلة البيان الالكترونية، العدد: ٣٨٣.

١٥.مقاصد القرآن الكريم عند النورسي ودورها في بناء الحضارة والعمران (دراسة تحليلية)، د. أردوان مصطفى إسماعيل المزوري ، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية ، العدد: ١٨ ، السنة التاسعة ، ٢٠١٨م.

١٦.مقاصد القرآن قراءة معرفية وتقويمية، د. محمد المنتار ، المحور الرابع : المؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن الكريم وعلومه ، ١٤-١٦ ، ابريل ، ٢٠١١م.

١٧.مناسبات الآيات والسور، أ. د. أحمد حسن فرحات، الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة . المملكة العربية السعودية، د-ت.

١٨.نظرية البطون وبنية الخطاب القرآني نظرية العلامة فضل الله أنموذجاً، حيدر حب الله، مجلة الكلمة، العدد :٥، الخاص بالسيد محمد حسين فضل الله، رقم: ٧٠، سنة ٢٠١١م.

الرسائل والبحوث

١.إثر العلم بمقاصد السور في فهم القرآن في ضوء سر تكرار القصص، د. يونس عمر ملال، بحث منشور، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، د- ت.

٢.تحرير التفسير الموضوعي والوحدة الموضوعية للسورة، أ. د. محمد بن عمر سالم بازمول، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، د-ت.

٣.التقوى في القرآن الكريم تفسير موضوعي، نبيل محمد أحمد، جامعة النجاح الوطنية، نابلس – فلسطين، ١٤٢٩هـ . ٢٠٠٨م.

٤.التناسب في سورة البقرة، طارق مصطفى محمد حميدة، إشراف: د. حاتم جلال التميمي، عمادة الدراسات العليا – جامعة القدس، رسالة ماجستير في الدراسات الإسلامية المعاصرة، ١٤٢٨هـ . ٢٠٠٧م.

٥.علم مقاصد السور وأثره في تدبر القرآن الكريم، د. عبد المحسن المطيري، جامعة الكويت، دولة الكويت، د . ت.

٦.مباني تحديد موضوع الحكم الشرعي، علاء عبد النبي ياسر علي خان المدني، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، كلية الفقه، قسم الفقه،٢٠١٢ م.
٧.منهجية البحث في التفسير الموضوعي للكلمة، والآية، والسورة القرآنية، أمين محمد سلام المناسية البطوش، كلية الشريعة – جامعة مؤته – الأردن ، ١٤١٩هـ . ٢٠٠٠م.
٨. نظرية الهيمنة في القرآن الكريم دراسة تحليلية، د. طلال فائق مجبل الكمالي، أطروحة دكتوراه – كلية الفقه – جامعة الكوفة، العراق، ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥ م.

مواقع الأنترنت

١. نشر العبير في منظومة قواعد التفسير، ابي الفضل عمر بن مسعود الحدوشي (تحميل شبكة الانترنت).
٢. شبكة الانترنت: https://www.iicss.iq/?id

The foundational stage of interpretation began at the hands of the Messenger and it is the stage that we can call the stage of receiving, so he explained to the companions what they needed from the meanings of the verses and their meanings and rulings that were hidden from them, and accordingly there was no need for rooting for them.

Objective interpretation in general deals with the purpose of the verse by interrogating the Qur'an on a specific topic in order to obtain a comprehensive Qur'anic vision, and therefore needs a partial interpretation because of their participation in some interpretive rules, although the objective interpretation deals with the verse on the basis of the unity of the subject.

The rules of objective interpretation that came under agreement from researchers and specialists in this type of interpretation, even if the names differed, which they obliged the interpreter in his interpretation to follow, some of them called them: rules and another called the name controls, and others mentioned them in the name of science and also steps, and there Whoever knew them with buildings and other designations, as is the case with the difference in their number as well, when we extrapolated to those rules, in the book (Rules of Interpretation according to Shiites and Sunnis, by Muhammad Faker Al-Mubaidi we found them to be derived from certain of those names, so he chose from their total and called them the rules of objective interpretation

In the objective interpretation of the purposeful use of the Qur'anic text, it demonstrates the vitality and realism of the Holy Qur'an, as it is suitable for every time and place. It does not consider its topics as old and revealed fourteen centuries ago,

but rather present them in a realistic scientific form that discusses living issues and problems.

The advent of many words used in the sense of purposes, including: judgment, wisdom, secrets, goals, objectives, purposes and others.

.What is meant by intent: the intent of the speaker, who is God Almighty; It is not the intent of the interpreter, since the reliance in judgment is on the intention of the speaker, and the words are not intended for themselves, but are intended for meanings, and to reach the knowledge of the speaker's intent because they are in the place of understanding, so whoever knows the intention of the speaker with evidence of evidence must follow his intention.

The study of the purposes of the Noble Qur'an, if it is possible to count them as one of the basic building blocks for everyone who wants to delve into the objective interpretation. That it does not deviate from the goals and objectives of the Qur'an.

These five faculties (religion, soul, offspring, mind and money) are not always on the same scale, but rather have multiple levels of adherence to or mitigating this severity. The fundamentalists described them as ranks, and these ranks are three (necessities, needs, and improvements), and each of these ranks complements them.